معالم التاريخ اليونانى القديم

الجزء الأول

دكتور إبراهيم عبد العزيز جندى
كلية الآداب - جامعة عين شمس

الطبعة الأولى

القاهرة
١٩٨٨ - ١٩٩٩

الناشر
المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات

معالم التاريخ اليونانى القديم

الجزء الأول

دكتور إبراهيم عبد العزيز جندى
كلية الآداب جامعة عين شمس

١٩٩٨-١٩٩٩
الناشر
المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات
٥ ش مصطفى طموم - المنيل - القاهرة
ت : ٣٦٥٥٤٨٧
رقم الإيداع ٩٨/١٤٢٧٢
الترقيم الدولى 1 - 15 - 5841 - 977



إلى رفيقة حياتي، إلى من كانت لي دافعاً

للنجاح . . . إلى زوجتي الغالية

تمهيد

مدلول : يونانى ، إغريقى ، هيلينى :

يطلق المؤرخون هذه الكلمات بمعنى واحد بلا اختلاف على هــذا الشـعب اليوناني القديم منذ بداية عصوره التاريخية ، فأي الألفاظ أقرب إلى الدقة والحقيقة ؟ أهو (التاريخ اليوناني) أم (التاريخ الإغريقي) أم (التاريخ الهليني) ؟ وما التسمية التى سمى بها اهل البلاد أنفسهم ؟

لم تُعرف بلاد اليونان بأى تسمية من هذه التسميات في عصورها السـحيقة ، وأول مصدر أدبي يطالعنا بأسماء لهذا الشعب هو الشاعر الملحمـي هومـيروس ، والذي قدم لنا أربع تسميات لشعبه ، ثلاث منها لا تشمل كل بلاد اليونان وهي :-

أولا:- الآخيون Achaeoi نسبة إلى منطقة في إقليم تسـاليا عرفـت باسـم آخيـا Achaia أو إفثيا Phthia أو اخيايا إفثيوتيس Achaia Phthiotes ، وهـذه التسمية أكثر تسمياته الأربعة شيوعاً وترينا النصوص أنها عرفت طريقـها للشعوب المجاورة مع تحويرها وفقا للسان كل أمة ، إذ أسـماهم الحيثيـون الأحياوين أو الأهياوين Ahhawoi وقد ورد ذكر هذه التسمية فـي عشـرين لوحا تم العثور عليها في بوغاز كوي Boghaz Kaui ، ويـرى العلمـاء أن هذه التسمية هي طريقة الحيثيين في كتابة Akhaiwoi (الآخيين). الذين كـانوا شعبا له السيادة في بلاد اليونان . كما نجد أن المصريين قد أطلقـوا عليـهم تسمية الأكيوشا Akawosha أو Ekwesh وقد حاول بعض العلماء مساواتهم بالآخيين السالفي الذكر في الألواح الحيثية ، وفي الواقع فـإن تـاريخ هـذه التسميات أقدم من رواية هوميروس .

ثانيا :- الأرجيون نسبة إلى مدينة أرجوس ، وهي إحدى مدن إقليم أرجوليس في شبه جزيرة البوبونيز ، ويطلق عليهم أحيانا الدانائيين نسبة إلى دناؤس وقد وردت هذه التسمية مع تحوير في النصوص المصرية وهي Denyen وسوف نتحدث عنهم فيما بعد .

ثالثا :- يطلق اسم هيلاس Hellas على المنطقة الواقعة حول خليج ماليا عند الحدود الفاصلة بين وسط بلاد اليونان وشمالها .

رابعا :- يذكر مرة واحدة البانهلينيين Panhellenes وهذا المصطلح يعني اتحاد الهلينيين ، ومنذ أوائل القرن السابع قبل الميلاد فقد أطلقت تسمية الهلينيين على كل شعب تلك البلاد ، وقد استخدم هذه التسمية الشاعران أرخيلوخوس وهيسيود ، ومنذ هذا التاريخ وربما قبله أصبح أهل تلك البلاد يطلقون على أنفسهم هلينيين ويفخرون بأنهم هيلينيون . ويشير بعض الكتاب القدامى إلى أن تسمية Hellenes مأخوذة من اسم شخص هو هيلين بن ديوكالون ، جد اليونان الأكبر جميعا في روايتهم الأسطورية ، بيد أن البعض الأخر يرى أن هذا تأويل اجتهادي يهدف إلى تأكيد أن اليونان أمة واحدة منحدرة من عرق واحد ، وأن أصل الاشتقاق من اسم قبيلة هيلوس التى كانت تشرف على أقدم معابد زيوس في دودانا ، ولاندري لماذا فضل كتاب اليونان القدامى استخدام اسم الهلنيين على استخدام الآخيين Achaeoi .

أما عن اسم الإغريق Graeci فهو اسم أضفاه الرومان والشعوب الإيطالية عليهم واشتهروا به بعد ذلك في كل أوربا ، وهذا االإسم يعد نسبة إلى جماعة Graioi وكانت تقطن في إقليم بويوتيا ببلاد اليونان الأم ، وهذه الجماعة كانت قد شاركت في تأسيس مدينة كيمي Kume على الساحل الغربي لإيطاليا ، وهي أقدم

المستعمرات اليونانية هناك (٧٥٠ – ٧٢٥ ق.م) ، ولم يلبث الرومـــان أن أطلقـــوا على جميع سكان تلك المستوطنة والمستوطنات الأخرى بجنوب إيطاليا وصقلية اسم بلاد اليونان العظمى Magma Graecia ومن اللفظة اللاتينيـــة جـــاءت تســـميات اليونان في اللغة الأوربية الحديثة مثـــل Greeks فـــي الانجليزيـــة و Grecs فـــي الفرنسية و Griechisch في الألمانية ...إلخ .

أما عن لفظة يونان فهي تحوير للفظ (أيونييـــــن) Iones وكـــان الأيونيـــون يعرفون في اللغة اليونانية العتيقة باسم يـــاؤنيين Iaones فقـــد وردت فـــي ألـــواح المجموعة الخطية الثانية (linear 8) Ia-wo-ne كمـــا ورد هـــذا الاســـم عنـــد هوميروس مرة واحدة وإن كان يظن أنه مقحم على البيت الوارد فيه . ولكـــن فـــي ضوء ذكره المجموعة الخطية الثانية السالفة فإنه يرجح أنه من النص الأصلي وليس مقحما على النص .

وكان الأيونيون أول هلينيين احتكت بهم الممالك الشرقية المجـــاورة ، فقـــد اطلقت شعوب هذه الممالك اسم ياؤنيين مع تحوير يتفق وطبيعة لسان ولغة كل أمـــة من هذه الأمم ، وصار ينطق تارة يفاني Yavani كما ورد ذكرهم في التـــوراة) Yawan (وأسماهم الأشوريين Yawan و Yaman والفرس Yavna والمصرييـــن في الخط الديموطيقي Wynn ، ولعل الاسم المحور (يونان) قد ظهر أولا في قبرص صاحبة الصلات الوثيقة مع أوجاريت (رأس شمرة) علـــى الســـاحل الســـوري ، وكانت أسبق من مدن أيونيا ذاتها في إقامة صلات مع هذه المنطقة .

مما سبق عرضه نجد أن أكثر من تسمية أطلقت على هذا الشعب بفروعـــه ومناطقه الجغرافية ، وأدق هذه التسميات هي الهلينيون لأن كتاب هـــذا الشـــعب ومفكريه قد استعملوها للدلالة على الشعب كله ، اما تسمية يونان ، وإغريق فقـــد

أطلقتها أمم أخرى على فروع هذا الشعب وعممت التسمية على كل الشعب اليوناني . وعلى الرغم من الأصالة الظاهرة فى لفظ هليني فإنه الأقل شيوعا فى لغتنا العربية ، أما لفظ يونانى فهو الاسم المستخدم عند الأكثرية من العرب وبه نأخذ في هذه الدراسة .

عندما ندرس التاريخ اليوناني فإننا لاندرس تاريخ دولة واحدة تشمل كل بلاد اليونان وإنما ندرس تاريخ دويلات أو مدن دول عديدة في العالم اليوناني ، قد عرف بعضها الوحدة المؤقتة في القرن الثالث عشر ق.م ولكنها كانت وحدة مفككة وهشة تحت قيادة الملك أجا ممنون ، وأنه لأدق أن نقول أنه حلف بين ممالك العالم الموكيني نشأ لظروف معينة سنذكرها فيما بعد . وإذا كانت بعض المدن الدول قد بذلت محاولات لتحقيق الوحدة بين اليونان فإن محاولاتها قد باءت بالفشل الذريع ، ولم يتيسر لليونانيين الاتحاد مرة أخرى حتى نجح فيليب المقدوني في توحيدهم وضمهم عنوة لمملكة مقدونيا ثم قادهم ابنه الإسكندر الأكبر في القضاء على الإمبراطورية الفارسية وإن كانت بلاد اليونان قد تفككت عرى وحدتها بعد موت الإسكندر وتكونت بها أحلاف يصارع بعضها بعضا حتى نجحت روما في توحيدها وضمها للجمهورية الرومانية سنة ١٤٦ ق.م.

ويتبادر إلى ذهن الدارس السؤال التالي : لماذا لم تعرف بلاد اليونان الوحدة السياسية بين أقاليمها لفترة طويلة من الزمن ؟

نقول إن الطبيعة الجغرافية لبلاد اليونان ولظروف تاريخية بعينها قد فرضت على المناطق المختلفة من بلاد اليونان الانعزالية والانفصالية عن بعضها البعض ، فقد اقتضت تلك الطبيعة أن يعيش الناس في وديان يفصلها عن بعضها البعض الجبال من جهة والبحار من جهة أخرى ، أو نجاد لها قليل من المنافذ على العالم

الخارجي أو في جزيرة كانت تتمتع بالاستقلال ، ولما كانت تلك الأصقاع منفصلة بعضها عن بعض ، متكاملة بذاتها ومحصنة ضد أية سيطرة خارجية فإن كل منطقة منها طورت لها حياة وعادات خاصة بها واعتداد بالنفس له طابعه المحلي وأمام هذه الأمور التى صارت متأصلة في حياة الناس والجماعات ، فقد تكونت مئات المدن الدول ، لكل منها قانونها الخاص بها ودستورها الخاص وحكومتها الخاصة وشخصيتها المحلية المستقلة وقد كان هذا كافيا دون اندماج دويلة في دويلة أخرى، ولعل هذه الدويلات كانت بين الفينة والفينة تقع تحت سلطان جيران ذوي بأس شديد أو ترغم على الاتحاد قسرا مع بعضها البعض ولكنها كانت تبقى على قدر من استقلالها وكثير من مؤسساتها السياسية والتنفيذية وفي ضوء هذا فإننا سندرس السمات العامة والمشتركة بين المدن الدول وإن كنا سنركز حديثنا على مدينتين اعترفت الدول المدن اليونانية المعاصرة لهما بأهميتهما في العصر الكلاسيكي وهما مدينة أثينا ومدينة اسبرطة . فعندما يتكلم أغلب الناس هذه الأيام عن بلاد اليونان فإنهم يخصون بالعناية أثينا وربما اسبرطة لأننا نعرف الكثير عنهما ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فكل من المدينتين قد مرت بتطورات سياسية واقتصادية واجتماعية تختلف عن تلك التى مرت بها الأخرى كل وفق ظروفها الخاصة . لقد مرت أثينا بتطورات متتالية في نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ابتداءً من العصر العتيق انتهاءً بالعصر الكلاسيكي ، إذ نجدها قد مرت بكل أشكال نظم الحكم من ملكية أوليجرخية إلى أرستقراطية إلى تيموقراطية ، حكم الطغاة ، ديمقراطية وأخيراً ديماجوجية .

أما عن اسبرطة فقد ظلت تحت الحكم الملكي المحافظ مع تعديلات في هياكلها التنفيذية والدستورية بما يتلاءم مع ظروفها وأحوالها ، بحيث نجد أنفسنا أمام نظم متداخلة مع بعضها البعض – ملكية ، أوليجرخية ، أرستقراطية ، ديمقراطية –

من هنا تأتي أهمية دراسة المدينتين . وجدير بالتنويه أن المدن الدول اليونانية الأخرى قد طبقت كل منها النظم التى تلائمها فكانت تغيرها وتعدلها وتطورها وفقا لظروفها ، وإذا ما نظر المرء لخريطة بلاد اليونان السياسية سيجد كل النظم السالفة الذكر متعاصرة مع بعضها البعض فبينما نجد دولة حكومتها ملكية نجد أخرى أوليجرخية أو أرستقراطية أو تيموقراطية ...إلخ وإذا وجدت نظم الحكم واحدة في أكثر من مدينة دولة فإننا نجد اختلافات في الدساتير والسلطات التنفيذية وقوانينها ... إلخ .

التأثيرات المتبادلة بين الحضارة اليونانية والحضارات الشرقية القديمة

أن التاريخ والحضارة اليونانية لهما أهمية قصوى للدارسين والمفكرين العرب نظرا للتأثير والتأثر بين حضارتنا القديمة والحضارة اليونانية ، إذ كانت هناك علاقات مباشرة بين بعض مواطن الحضارة في الوطن العربي وبين حضارة العالم اليوناني، ومن هذه المواطن نذكر مراكز الحضارة على الساحل السوري ، ومراكز الحضارة في بلاد الرافدين ، ومصر ، وحضارة وادى النيل ، وأخيرا العلاقات اليونانية القرطاجية في غرب البحر المتوسط .

وقد بدأت العلاقات اليونانية المباشرة مع شبه الجزيرة العربية والخليج العربي في العصر الهلينستي وإن كانت قد وجدت قبل ذلك على نطاق ضيق وبصورة غير مباشرة ، كما نجذ أن اليونان أقاموا علاقات مباشرة مع الدولة الفارسية ، وهذه الحضارات المختلفة أثرت في الحضارة اليونانية وتأثرت بها واستمر الانصهار الحضاري بين تلك الحضارات بل زادت قوته في العصر الهلينستي والعصر الروماني إلى أن أتى الفتح العربي وانتشر الإسلام الذى رفع لواء وراية الحضارة عاليا خفاقا بعد أن استوعبها وهضمها وأضاف إليها ، وصارت معارفنا وعلومنا العربية هدف طالبي العلم من بقاع شتى . وقد دار جدل

بين الباحثين من الأسبق في التأثير في الآخر ؟

يرى نفر من الباحثين (مؤرخين ، فلاسفة ، أدباء) ان الحضارة اليونانية كانت فريدة في ذاتها أصيلة في نشأتها ، بل أطلقوا عليها المعجزة اليونانية التى يتضاءل إلى جانبها ما قدمته حضارات الشرق القديم جميعها ، إذ يقول المؤرخ كتيو : (بينما كانت حضارات الشرق التى سبقت حضارة اليونان ذات كفاية بالغة في الأمور العملية ، وكانت أحيانا لا تقل في فنها عن اليونان إلا أنها كانت جدباء من الناحية العقلية ، لقد مارس ملايين الناس الحياة وخبروها قبل اليونان فماذا فعلوا بها ؟ لا شئ لقد ماتت خبرة كل جيل بانتهائه . إن اليونان هم الذين ابتكروا الأدب بكل صوره - ما عدا القصة - وأوصلوه إلى حد الكمال ، إن شعر الملاحم والتاريخ والمسرحية والفلسفة بكل فروعها بما في ذلك ما بعد الطبيعة ، والاقتصاد والرياضيات وكثير من العلوم الطبيعية كلها تبدأ باليونان [1] .

ويقول برتراند راسل (إنه لمن المدهش حقا ذلك الظهور المفاجئ للحضارة في بلاد اليونان ، فكثير من مقومات هذه الحضارة كان قائما منذ آلاف السنين في مصر ، أو بلاد الرافدين ، ثم تنتشر في البلاد المجاورة ، لكن عناصر ظلت .تنقص تلك الحضارات حتى زودها بها اليونان ، إن ما ابتكروه في الفن والأدب يعد شيئا عاديا ، أما في المجال العقلي فشئ غير عادي ، لقد ابتكروا الرياضيات والعلم والفلسفة ،وهم أول من كتبوا التاريخ لا كمجرد حوليات ، بل تأملوا بحرية فكر في طبيعة العالم ونهاية الحياة دون أن يتقيدوا بسلطة موروثة ، فما حدث كان مثيرا للدهشة وحتى العصر الحديث لازال هناك من يتحدث عن العبقرية اليونانية كما لو

---

(١) كيتو ، الإغريق ، ترجمة عبد الرازق يسري ، القاهرة ، ص ٣-٤ .

كانت معجزة)[1].

ويذكر الشاعر شيلي أن الفترة الواقعة بين مولد بيركليس وموت أرسطو تعد بلا شك اهم فترة في تاريخ العالم كله ، سواء نظرنا إليها من حيث هي في ذاتها أم من حيث أثرها في مصائر الإنسان المتحضر [2].

ويضيف ول ديورنت قائلا ومؤكدا على فضل اليونان على الحضارة الغربية المعاصرة : (إننا لانكاد نجد شيئا في ثقافتنا الدنيوية – اللهم إلا الاتنا – لسنا مدينين به لليونان ، فالألفاظ الإنجليزية الدالة على المدارس والملاعب والحساب والهندسة والتاريخ والبلاغة وعلوم الطبيعة والأحياء والتشريح والفلسفة والدين كل هذه الألفاظ يونانية لصور من الثقافة لم ننشئها نحن إنشاء بل نضجت وترعرت – خيرا كان ذلك أم شرا – بفضل الحضارة اليونانية العظيمة)[3].

ويسأل توماس هيث نفسة قائلا : ما هو الاستعداد الخاص الذى توفر عند اليونان للرياضيات ؟ ويبادر دون تردد في الإجابة على سؤاله قائلا : إن عبقريتهم في الرياضيات ، لم تكن سوى جانب من عبقريتهم في الفلسفة ، فقد فاق اليونان كافة الأمم القديمة في شدة حبهم للمعرفة من أجل المعرفة ذاتها ، يضاف إلى ذلك حقيقة أخرى أكثر أهمية من شغفهم بالمعرفة وهي أن اليونان كانوا قوما مفكرين [4].

.ويقرر المؤرخ أرنول ريمون (Arinold Rymod) : إذا ما قورن العلم اليوناني بالمعرفة التجريبية والجزئية التى جمعها أقوام الشرق قاطبة بعد جهود شاقة استغرقت قرون طويلة ، فإنه يعد معجزة حقة . هنا أدرك العقل البشري لأول مرة

(1) I.B Russell , History of western phliosophy . p 21 .

(٢) ول . ديورنت ، قصة الحضارة ، مج٢ ، ج٢ ، ص٦ .

(٣) نفسة ، مج ٢ ، ج ١ ، ص ١-٢ .

(4) T. Heath . Greek Mathemitics , Oxford , 1921 , vol . pp. 3-6 .

إمكان وضع عدد محدود من القواعد التى يمكن أن يستخلص منها عدد من الحقائق التى تعتبر نتائج قاطعة لها [1].

نكتفي بهذا القدر من الأراء التى تعبر عن نماذج للمبالغة الكبيرة في تعظيم وإعلاء شأن الحضارة اليونانية مع غيرها من حضارات ، ولعل السبب في ذلك أنها الحضارة الأم بالنسبة للحضارة الغربية الحديثة ، وإذا كان هناك نفر من الباحثين قد بالغ في قيمة الحضارة اليونانية ، فإن لدينا نفرا اخر نظر بموضوعية لتلك الحضارة وأرجع الكثير من أصولها إلى أصحاب الفضل من أمم وحضارات الشرق القديم وهؤلاء على حق فيما فعلوه ، وينبغي أن ننوه إلى أن كتاب العصور اليونانية والهلنيسنية والرومانية قد شهدوا بما نقله اليونان من تراث وحضارة الشرق وأقروا بفضل الحضارات الشرقية كما ينبغي علينا أن نذكر في هذا المقام أن الكثيرين ممن تعصبوا للحضارة اليونانية في مقارنتهم لها بالحضارة الشرقية قد أقروا بما قدمه الشرق من فكر وحضارة للإنسانية ، وسنحاول في عرضنا الآتي أن نبين ما أثبته الكتاب المفكرون القدامى من فضل الشرق وما نهله اليونان الأقدمون من علومها ومعارفها . إذ تذكر لنا الروايات عن الزيارات التى قام بها كبار المفكرين اليونانيين لمراكز الحضارة في الشرق ومن بين هؤلاء طاليس ، وفيثاغورس ، وصولون ، وأفلاطون ، وديموقريطس ، وهيردوت ، ويودكسوس ، ولوكورجوس ..إلخ .

فقد رحل طاليس إلى مصر حيث اجتذب اهتمامه الآراء الفلكية والرياضة بها فتعلم هناك دورة الكسوف المتعاقبة وتعلم أيضا طائفة من الحقائق الهندسية التى اعتمد عليها في صياغة فكره الهندسي وكما يقال فقد استفاد من النظرية المصرية عن أصل الوجود وهي الماء في صياغة نظريته عن أن الماء هو أصل كل شئ .

---

(١) بنيامين فارنين : العلم الإغريقي ، ترجمة أحمد شكري سالم ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص٧ .

وقد روى كل من أرستوكسينوس التارنتي وياميليخوس أن فيثـــاغورس قـد رحل إلى ملطية حيث عرفه طاليس وأدرك عبقريته وعلمه كل ما يعرفه ثم زار بعد ذلك فينيقيا ، حيث مكث بها زمنا يكفي لأن يتعلم طقوس السوريين وهنـــاك قويـت رغبته في الرحيل إلى مصر التى كانت تعد حينذاك مهد التعاليم المضنـــون بـــها ، فانتقل إليها ومكث بها مالا يقل عن إثنى عشر عاما يدرس الهندسة والفلك والأسرار الكهنوتية ، وبعد أن غزا قمبيز مصر عام ٥٢٥ ق.م رحل ومعه فيثـــاغورس إلـــى بابل وأنفق هناك إثنى عشر عاما أخرى يدرس الحساب والموسيقى وتعاليم أخـــرى للمجوس ثم عاد إلى ساموس وهو في الخامسة والستين من العمر .

ويقول بلوتارخ وبعد أن سن صولون تشريعاته واعـــتزل العمـــل السياســـي ورحل إلى الشرق فاتجه إلى مصر حيث أقام كما يقال زمنا طويلا على ناحية مـــن النيل بالقرب من شاطئ كانوب وكان يكثر في المحادثات الفلسفية مع تسانوفينس من عين شمس وسونيس الصاوي أكبر علماء الكهنة ، كما نجد في روايـــة افلاطـــون والتى أوردها في محاورته تيمايوس حديثا دار بين صولون وكاهن مصري أدركتـــه السن العالية ، قال كاهن صا الحجر sais : يا صولون أنتم معشر اليونان لاتزالـــون أبد الدهر أطفالا ، لا وجود لشيخ يوناني ، فلما سمع صولون هذا قال مـــاذا تعنـــي بقولك هذا ؟ فأجاب الكاهن أن روح كل منكم روح شابة ، إذ ليس في قلوبكم معتقـــد واحد قديم أو مستمر من تقليد قديم ، بل ليس لديكم علم واحد عريق القدم . وأخـــذ يشرح له بلطف ووداعة ما يتحلى به المجتمع المصري من مزايا جميلة ، ويفسر لـه تشعب المجتمع المصري إلى طوائف ونحو ذلك ، فدهش صولون [١].

أما عن أفلاطون فقد ارتحل إلى مصر على شكل تاجر معه شحنة من الزيت

---

(1) Timaios ; 55-56

الذى استخرجه من زيتون ضيعته . وهنا في مصر باع ما كان معـــه فـــي مدينـــة نقراطنيس وقد ورد في معرض محاوراته ذكر مصر وما كان يكنه لها من تقدير واحترام ، ففي محاورة فيدروس يقول سقراط : سمعت أنه كان في نوكراتيس مـــن أرض مصر إله من الآلهة القدماء في تلك البلاد ، وهو الذى كان طـــائره المقـــدس يسمى أيبس واسم ذلك الإله نفسه تحوت هو الذى اخترع الأعداد والحساب والهندسة والفلك والرسم واللعب بفصوص النرد ، واهم من ذلك كله أنه هو الـــذى اخـــترع رموز الكتابة ويذكر أن الإله تحوت قال لملك مصر : إن هذا الإختراع ، أيها الملك سيؤتي المصريون من الحكمة فوق ما لهم ، وسيجعل ذاكرتهم خيرا مما هي عليه ، لأن الذى اخترعته أكسير الذاكرة والحكمة ولكن لم يقتنع بذلك ، وخشي أن يـــؤدي اختراع الكتابة إلى إفساد الذاكرة بدلا من أن يؤدي إلى تقدمها ، كما أشفق مـــن أن يقرأ الناس من غير أن يعقلوا ما يقرأون [١] ، كما أنه قد ذكرها في محاورة تيمايوس التى سبق أن ذكرناها عند الحديث عن صولون ، ويذكر هنا فيها أيضـــا أن أثينـــا أسسها كيكروبس[٢] المصري من سايس في غرب الدلتا ويقر أن نيت إلهة المدينـــة هي نفسها أثينا [٣]. وفي مكان اخر نجده يمتدح الفن المصري والموسيقى ويذكر أن الإغريق قد تبنوا هذه الفنون [٤]. وفي الإبينبموس نجده يقول : للعدد أهمية بالغـــة ، وأبلغ ما تكون في الحركات المنتظمة للأجرام السماوية من نجوم وشـــمس وقمـــر وكواكب والمجسمات المنتظمة أعدال العناصر الخمسة ، والعنصر الخـــامس هـــو الأثير ، والروح أقدم من الجسد وأكثر منه قدسية ، والنظام عدل العقل، والفوضـــى

---

(1) Phaidras iv 274 D .

(٢) انظر عبد المعطى شعراوى ، ص٢٠ .

(3) Herd . II 21, 62 ,Temaios 21 E , Bernal . Plack . Athena , 1987 , pp . 78-90

(4) Davis , plrto in Egypt . JEA . 1979, pp. 121-127 .

عدل اللاعقل والنظام الأعظم للحركات السماوية يمثل العقل الأسمى ، والكواكب أرباب لا محالة ، لقد عرف هذا المصريون والسريان (يعني البابليين) من آلاف السنين ، وعلينا أن نتقبل معلوماتهم ودياناتهم بعد تهذيبها ، مع الإبقاء على ما يليق بالأرباب الأقدمين من الحرمة تمشيا مع التقاليد وجلالها . ويجب أن تكون عبادة الأجرام السماوية وهي الأرباب المرئية ديانة الدولة وهذه الديانة تمد الإغريق بفكرة الوحدانية فضلا عن إمدادهم برابطة شاملة غير مادية [١].

وقد شكك معاصرو أفلاطون في أن جمهوريته تستند إلى أصل مصري وأنه ليس مؤلفها وإنما نسخها من الدساتير المصرية وسار على هذا الرأي نفر من الباحثين المحدثين إذ يقول كارل ماركس إن جمهورية أفلاطون فيما يخص تقسيم العمل كمكون أساسي للدولة هو فقط نموذج أثيني للنظام المصري .

والمطالع للجمهورية سيجد أن أفلاطون تأثر واستعار أفكاراً شرقية ، إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال تلامذته ومحبيه المجوس والكلدانيين فذكره للأسطورة إر Er البامفيلية ترجع إلى أصل كلداني إيراني [٢].

وأسطورة ولادة الأرض للناس تعد في النص نوع من القصص الفينيقي وشأنها في ذلك شأن رواية كرلوس[٣] . كما نجد اراءه (المثنوية) وهي (المثل الكامنة) في محاوراته الأخيرة فلعلها مستقاه من الديانة الإيرانية فقد ورد اسم زرادشت المجوسي في محاورة الكبياديس[٤] ، ويرى البعض أن هناك وجوه شبه

---

(١) سارتون ، نفسه ، ج٣ ، ص ٩٩-١٠٠ .

(2) Republic , x 616 .

(3) Republic , III , 414 .

(4) Alcibiades , I , 121A-122A .

كثيرة بين الفلسفة الأفلاطونية من ناحية وفلسفة السامكايا Samakhya وفيدانتا Vedanta الهندية[١] .

ويقول ديموقراتيس الأبادري لقد طفت معظم أرض كل ملك من الملوك في زماني ، باحثا أقصى الأنحاء ، ورأيت معظم الأجواء والبلاد ، وسمعت من العلماء الكثيرين ، ولم يفقن أحد فيما كتبت ، ولم يفقن في بيان البراهين أحد حتى المصريون الذين يسمون مادي الحبال وهم الذين عشت معهم جميعا غريبا حتى بلغت الثمانين[٢].

وممن رحلوا أيضا إلى مصر والشرق هيردوت الذى أفرد لها كتابا من مؤلفه عن الحروب الفارسية إذ نجده يشرح فيه انتقال العلوم والمعارف المصرية إلى بلاد اليونان ، فعندما يتحدث عن اختراع علم الهندسة وانتقاله إلى بلاد اليونان نجده يقول : ثم إن هذا الملك (على ما قيل) قسم البلاد بين المصريين جميعا بأن

---

(1) R. Reitzenstien H.H schaeder , studien zum antiken synkretismus aus Ilan , lips 1926 p 235 . Jaseph Bidez & Franz Cumont , les mages hellenises , Paris , 1938 , Simon Petrement , le dualisme chez Platon , les Gnvoltques et les Manicheens , Paris , 1947 , pp. 354 , Franz Cumont , dux Perpetua , Paris , 1949 , pp. 558 .

(2) T. Heath , Op. cit , p. 122

في الواقع أنه كان من أسرة ميسورة الحال فبعد وفاه والده قرر أن ينفق تركته الضخمة على البحث والدراسة في الخارج . ولم يكن هذا بدعا في اليونان ، فقد سبقه في هذا فلاسفة وشعراء وأطباء ، فمنهم من طاف في بلاد اليونان والمناطق الناطقة باليونانية ، ومنهم من جذبه سحر الشرق وأسراره فقرروا السفر والترحال طلبا للعلم والمعرفة فيه ، ومن بين هؤلاء كاد ديموكرتيس الذى سافر إلى مصر واستقر بها خمس سنوات يدرس الرياضيات وبلغ مروى ، ثم بعد ذلك سافر إلى بلاد الكلدان ووصل إلى بابل ومنها إلى فارس ولعله وصل إلى الهند ولم يكن في ترحاله وتجواله سائحا متفرجا ولا تاجرا ، إنما كان طالب علم وفيلسوف باحث عن الحكمة والمعرفة .

أعطى كل واحد منهم قطعة مربعة من الأرض تساوي ما أعطاه للأخـــر ، وجعــل ذلك مصدر دخله ، بأن حدد ضريبة تدفع كل عام وكان إذا طغى فيضــــان النـــهر وغمر جزءً من أرض أحدهم ذهب إلى سيزوستريس وأخبره بما أصابه ، فيبعـــث الملك رجالاً ليروا الأرض ويقسموا المساحة التى نقصت كي تدفع الضريبة المحددة على قدر ما أصاب صاحب الأرض من خسارة .. ومن هنا أرى أن اليونان تعلمـوا فن تقدير مساحة الأرض ، أما الساعة الشمسية والمزولة وقسمة النهار إلـــى اثنـــى عشر قسما فجاءت اليونان من بابل لا من مصر[1].

وإذا كان قد ذكر فضل مصر وبابل في مجال الهندسة والفلـــك فإنـــه فيمـــا يضيف ما قدمته مصر من فضل لليونان في مجال الديانة فيذكر أن بنات دناؤس قـد قمن بتأسيس معبد للآلهة أثينا في لندوس بجزيرة رودس وكان ذلك أثناء هروبـــهن من أبناء عمهن أيجبتوس[2]. وفي موضع آخر يقرر أن بنات دنـــاؤس قـــد أدخلـن الاحتفالات والشعائر السرية للإلهة ديميتر وهذه الشعائر قد جلبنها من مصر وعلمن نساء البلاسجين إياها [3]، ويضيف في مقام اخر أنه لدينا فكرة عن أن ميلامبـــوس Melampous قد أدخل عبادة ديونيسوس إلى بلاد اليونان مع الأضـــاحى لتكريمـــه وهذا من ضمن أشياء كان قد تعلمها في مصر . ويضيف قائلا إن أسماء الآلهة كلها أتت من مصر وتم اقتباسها من قبل اليونانيين فيقول : أنه تم اخباري في دودنـــا أن البلاسيجيين قد قدموا القرابين من كل نوع وابتهلوا للآلهة ولكن دون تمييز للاسم أو اللقب لأنهم لم يكونـــوا قد سمعـــوا بمثل هذه الأمـــور . فقد سمـــوا الآلهـــة Theoi (المخلصين) وبعد فترة طويلة فقد أتت أسماء الآلهة إلى بلاد اليونان من مصـــر .

(1) Herd . II . 109 .

(2) Herd . II . 182 .

(3) Herd . II . 171 .

وأن البلاسيجيين قد تعلموها ، ثم بمرور الوقت أرسلوا إلى دودنا يسألون النصيحة حول ملائمة تبني الأسماء التى أتت إلى الوطن من الخارج وكانت إجابة النبوءة انه من المناسب استخدامها . ومنذ ذلك الوقت فصاعدا فقد استخدم البلاسيجيون أسماء الآلهة عند تقديمهم للأضاحي ، ومن البلاسيجيين انتقلت أسماء الآلهة إلى الإغريق[1]. وفي موضع اخر يذكر أن هناك أصولا مصرية وليبية لنبوءة دودنا في إيبروس Iperus، ويعتمد في هذا على تقارير الكاهنات هناك والكهنة المصريين في طيبة المدينة المصرية [2].

وإذا كان قد ذكر فضل مصر وبلاد الرافدين فإنه يذكر فضل الفينيقيين على اليونان إذ يقرر أن كادموس بن إجينور قد نزل فيها (ثيرا) عندما كان يبحث عن أوربا [3]، وأن الفينيقيين الذين أتوا مع كادموس أدخلوا إلى بلاد اليونان بعد استقرارهم في هذا البلد عدداً من الأمور أهمها الأبجدية الفينيقية ، وهذا الفن الذى لم يكن معروفاً حتى هذا الزمان [4].

وممن زاروا مصر أيضا يودكسوس الكندي وهو من تلامذة أفلاطون ، مع الطبيب خريسبوس الكندي حاملا خطاب توصية من الملك أجسيلاوس إلى الفرعون نتحتانابيس (نحت-حار-حبي) أول ملوك الأسرة السمنودية (٣٧٨-٣٥٠) وأوصى هذا الفرعون الكهنة به (وهم أرباب العلم في مصر) وبقي في مصر ستة عشر شهرا تعود فيها على عادات المصريين مضيفيه فحلق لحيته وحاجبيه ، ويذكر فافورنيوس (من عهد هادريان ١١٧-١١٨) أنه حينما كان يودكسوس في مصر

---

(1) Herd , II , 49-52 .

(2) Herd , II , 55-58 .

(3) Herd , IV , 147 .

(4) Herd , V, 50-55 , Diod , III , 61 , I .

مع خونوفيس وهو من عين شمس لحس العجل أبيس عباءته فتنبأ له الكهنة ببعد الصيت وبأنه لن يعمر طويلا ، وكان قد درس الفلك الفيثاغوري والأفلاطوني والمصري ويقال أنه أقام مرصدا في مصر بين هيليوبوليس وكركيسورا على النيل وظل مرصده هذا حتى عهد الإمبراطور أغسطس[١] .

ومن بين من ذكروا فضل مصر الخطيب أيسوكرتيس إذ نجده يقول في الزمن الماضي كثير من الأجانب سيئو الحظ في بلادهم ، يفترض أنهم حكموا المدن اليونانية ومن هؤلاء دناؤس ، المنفي من مصر ، تولى ملك أرجوس ، وكادموس قد صار ملكا على طيبة [٢]. ويسوق في عمل آخر مدحا عظيما لمصر في شخص ملكها كمشرع ويثني على كمال دستور بوزيريس Bousiris ، ويقول إن أرض مصر وشعبها أكثر الأرض مباركة في العالم [٣]، ويضيف قائلا إن الفلسفة هي نتاج المصريين ويقرر أن فيثاغورس ، الذى صار تلميذا لديانة هذا الشعب هو أول من أحضر الفلسفة للإغريق [٤]. ويذكر حسب رواية هيردوت أن الإسبرطيين مدينين بدستورهم لمصر ، ويقرر أن الإسبرطيين فشلوا في أن يتموا مبدأ تقسيم العمل ، وأن دستورهم كان يعتريه النقص والقصور ، مقارنة بالدستور المصري ، وأن الفلاسفة الذين ناقشوا الدساتير فضلوا الدستور والنظام المصري [٥].

أما عن أرسطو الذى لم يدرس مع أفلاطون فحسب ، بل درس أيضا مع يودكسوس الكندي السالف الذكر وتأثر كثيرا بهيردوت ووصفه لمصر ، ومن

---

(١) جورج سارتون ، نفسه ، ج٣ ، ص٩٩-١٠٠ .

(2) Helen , x , 68 .

(3) Bousiris , 30 .

(4) Bousiris , 28 .

(5) Bousiris , 18 .

الواضح أنه قد انبهر بمصر وحضارتها ، وإن كنا نجده في بعض الأحيان قد ركز على قدم وعراقة بلاد الرافدين والحضارة الإيرانية ، إلا أنه في رأيه أن المصريين كانوا أقدم الشعوب [1].

ويذكر في موضع اخر أن مصر كانت مهد الرياضيات وأن الكهنة اخترعوا فنون الرياضيات mathematikai technai وعلوم المساحة والحساب والفلك التي كان الإغريق قد بدأوا في معرفتها[2]. وفي الواقع فإن إعجابه بمصر قد فاق إعجاب هيردوت في هذا المجال فبينما يعتقد هيردوت أن المصريين قد طوروا علم المساحة مفتاح العلوم لأسباب عملية أى قياس الأرض بعد أن تطمس علامات الحدود بمياه الفيضان السنوية ، فإن أرسطو يؤيد أنها قد نمت وتطورت بشكل نظري عقلي بحت من قبل الكهان[3].

كما تذكر المصادر أن الشرقيين قد استقروا وأقاموا في بلاد اليونان والجزر ويقرر ثيوكيديديس أن الكاريين والفينيقيين قد استوطنوا أغلب الجزر وأشار إلى الدانائيين والكادموسيين كاسم قديم لبويوتيا ، ويضيف أن ملوك أرجوس المنحدرين من برسيوس الذى يذكره هيردوت إما كمصرى أو أشورى .

ولدينا أخبار عن زيارة رواد ومفكرين يونان زاروا مصر والشرق ونهلوا من علوم أهل تلك المناطق ومن هؤلاء فركيدس وهيراكليتوس وأناكساجوراس ولوكورجوس واناكسماندز .

---

(1) Arst , Mebrologika , I 14 , 351b , 28 .

(2) Dc caelo , II . 14 . 298a .

(3) Froidefond , lc mirage cgyptien dons la litterature grecques d'Homere a Aristote , Paris . 1971 . pp. 347-350 , motc. 61

بعد أن عرضنا لبعض الأقوال المأثورة للمفكرين والكتاب اليونان حول فضل الشرق على حضاراتهم ننتقل الآن لمناقشة قضية أثارها اليهود حول استفادة اليونان من التراث اليهودي في العصور العتيقة والكلاسيكية .

ونطرح السؤال التالي : هل اقتبس اليونان حضارتهم من الحضارة اليهودية حسب زعم اليهود ومن شايعهم من رجالات الكنيسة ؟

لدينا سلسلة من المزاعم التي ترى أن الحضارة اليهودية هي الأصل والينبوع الذى استمدت منه الحضارة اليونانية ، إذ يزعم أريستو بوليس اليهودي (كان معاصرا للملك بطليموس السادس) في تعليقه باللغة اليونانية على أسفار التوراة الخمسة أن هوميروس ، وهيسيود ، وفيثاغورس ، وأفلاطون وأرسطو قد اقتبسوا الكثير من التراث العبري ، ويزعم لوكيوس كورينيليوس الإسكندر اليهودي بأن الحضارة اليهودية هي أقدم حضارة في العالم وأن أفضل المعارف والعلوم التى كان اليونان يعرفونها مقتبسة عن مصادر يهودية ، ومن مزاعمهم أيضا أن اللغة العبرية هي لغة الإنسان الأولى[1].

وقد ساير وعضد آباء الكنيسة هذه الفرية إذ نجد جوستين يحاول ان يقرن أفلاطون بالنبي موسى ، وحاول كلمنت أن يؤكد ويثبت أن العهد القديم أقدم بكثير من نشوء الفلسفة عند اليونان ، وأن فلاسفة اليونان يجب أن يكونوا قد نهلوا من المعين اليهودي ، وفي موضع اخر يقول : (إن أصالة التعليم الخلقي وسموه في

---

(1) Sarton . Introduction . vol. 3 . pp.363 . Holger Pedersen . Lingwstic science in nineteenth century . cambridge . 1931. pp. 7-9 .sleo.

وانظر إيضا سارتون نفسه ، ج٥ ، ص٥٨.

العهد القديم أرفع وأنبل مما هي عند اليونان [1] وتستمر هذه الادعاءات والمزاعم بأصالة الفكر اليهودى وقدمه عند كل من كتاب العصور الوسطى والنهضة الحديثة، ففي الرسالة الحادية والعشرين من رسائل إخوان الصفا والتى يرجع تاريخها إلى النصف الثاني من القرن العاشر نجد أحدهم يسأل خطيبا يونانيا شديد الزهو والإعجاب بالفلسفة والعلوم اليونانية من أين كل هذه العلوم والحكمة التى ذكرتها وافتخرت بها لولا أنكم أخذتم بعضها من بني إسرائيل أيام بطليموس وبعضها من علماء أهل مصر [2]، ونادى بهذا الرأي كاتب عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ، وهو روجر بايكون إذ يقول إن الحضارة العبرية هي الحضارة الأولى الأصيلة والتى نقل عنها اليونان ، وتزعم روايات يهودية بأن أرسطو قد اقتبس علمه وفلسفته من مصادر يهودية وأن أرسطو حسب هذه الروايات والمزاعم يهودى بالسلالة أو ممن ارتدوا واعتنقوا الدين اليهودى [3].

وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر نجد كاتبين يهوديين ، أولهما: مئير بن سليمان الطليطلي وقد زعم بأن العلوم اليونانية عبرية في أصلها ، والثاني: مئير بن سليمان القاضي وزعم بأن أرسطو قد حاول في كتابه الأخلاق لنيكوماخوس إيضاح التعاليم الدينية كما وردت في التوراة ، أي أنه اقتبس أفكاره من التوراة [4].

---

(١) سارتون نفسه ، ج٥ ، ص٥٩-٦٠ .

(٢) رسائل إخوان الصفا ، تحقيق خير الدين الزركلي ، ج٢ ، ص٢٤٢ .

(٣) سارتون نفسه ، ج٥ ، ص٦٠ . أنظر حاشية ٢٦ .

(٤) سارتون نفسه ، ج٥ ، ص٦٠ .

وإبان عصر النهضة استمرت هذه الادعاءات والمزاعم فنجد أحد رجـالات الكنيسة يقول للملك هنري الثامن : (أنا لا أعارض ما جاء في هذه الكتب اليونانية ولا أقف منها موقف العداء مادامت هي مستمدة من العبرية [١].

وحاول أتين جيشار في مطلع القرن السابع عشر أن يثبت أن جميع اللغـات بما فيها الفرنسية تم اشتقاقها من اللغة العبرية [٢]. وفي النصف الثاني مـن نفس القرن نجد كاتبا يهوديا هو (زحازي بوجان) Z. Bogan قد ألف كتابـا بعنوان Homerus Hebraizon الأمور العبرية عند هوميروس وقد حاول أن يدلل فيه على أن العلوم والمعارف اليونانية مصدرها الأم هو الحضارة العبرية [٣]، وسار علـى نفس النهج جايمس ديبورت في كتابه العلوم والمعارف الهومرية ؛ إذ نجده يحـاول أن يثبت ويتقصى أوجه الشبه بين الشعر الهومرى والتوراة [٤].

ثم نجد الكاتب جوشوا بارنز Joshua Barnes يذهب أبعد من ذلـك عندمـا حاول أن يثبت أن الإلياذة والأوديسة هما من تأليف الملك سليمان [٥] .

وفي النصف الأول من القرن الثامن عشر نجد باحثا يحاول أن يؤكـد فـي كتابه أن الحضارة العبرية وأن اليهود ، لا المصريين القدماء هـم بنـاة الحضـارة الأصليين [٦]، وسار على نفس النهج كاتب اخر حاول أن يـبرهن علـى أصالـة

---

(1) Frances Hactet . Henry the VIII (Garden city) . 1931, p.105 .

(2) E. Guichard . Harmonic etymologique des langues , Paris . 1606 : louis petit de julleville . Hestoire de la longue Francaise . paris (1896) vol. 5 . p.III .

(3) Z. Bogan . Homerus Hebraizon . Oxford . 1658

(4) Gnomologca Homerica , Cambridge . 1660 .

(5) Martin Lowther Clarke , Greek studies in England , 1700-1830 , Cambridge Univ. , press. 1945 . Isis 57 (1947) p.2 }.

(6) C. Noblot , L'origine et le progres des arts et sciences , Paris . 1740 . pp.428 .

الحضارة العبرية وعلى أنها مصدر استقى منه اليونان ، وقد استخدم الحجج التـــى كان قد استخدمها من قبله كلمنت السكندري [١].

وهكذا نجد أنفسنا أمام فرية أو زعم تم ترديده لحقبة طويلة من الزمن تمتـــد من العصور القديمة (الهلينسنية) حتى العصر الحديث وهذه المزاعـــم - العلـــوم والفلسفة اليونانية عبرية الأصل - تشويه للحقيقة . ثم إن الذين سبقوا اليونـــان فـــي العلوم والحكمة والفنون لم يكونوا يهوداً ، وإنما كانوا من المصريين القدماء وبـــلاد الرافدين، وبلاد الشام وإذا كان اباء الكنيسة قد عضدوا وناصروا عراقة الحضـــارة اليهودية فإن ذلك كان بهدف إعلاء شأن المسيحية والحط في نفس الوقت من مكانـــة الوثنية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، كما أن فى هذه المزاعم غلواً وتمادياً إذ تدعـــي أن التوراة قديمة للغاية وأنها انتقلت قبل هوميروس إلى اللغة اليونانيـــة ومـــن ثـــم استطاع الشعراء والفلاسفة والعلماء أن يقرأوها وهذا شئ في رأينا لم يحدث ويكفـــي أن ندلل على أن البطالمة استقدموا سبعين مترجما لترجمة التوراة في عهد بطليموس الثاني ، وهذا جهد لم يكن متاحا للحضارات القديمة في بلاد اليونان قبل هوميروس. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن المفكرين اليونان كانوا يتفاخرون بأنهم درسوا في مصر وبابل ولم يذكروا شيئاً عن الحضارة اليهودية ، في الوقت الذى كان اليونـــاني القديم ينسب الفضل لأهله فالواقع أن الحضارات الشرقية كانت ضاربة فـــي القـــدم مقارنة بالحضارة اليهودية كما أن القول بأن الإلياذة والأوديسة من تـــأليف الملـــك سليمان مردود عليه فالملك سليمان النبي كان لا يقبل أن يروج للفكـــر الوثنـــي وأن يعرض لآلهة من الذكور والإناث وصراعها وتآمرها ضد بعضها البعض !

---

(1) S. Spinner , Herkuaft . Entstelung und antihe Umwelt des hebraischen volkes : ein neuer Beitrag zai Geschichte der voulker vorderasiens , Vinna , 1933 , pp. 548; (Isis 24 , 1935 , p. 262) .

وفي ضوء ما سبق عرضه نخرج بعدد من الحقائق وهي :-

١- أن الصلات بين بلاد اليونان وحضارات الشرق القديمة كانت على قدم وســا منذ أقدم الفترات .

٢- أن حضارات الشرق كانت متقدمة في فروع العلم العديدة لدرجة أنـــها جذبـ كبار علماء ومفكري اليونان للسفر والترحال طلبا للعلم والمعرفة ونقل ما تعلم واستفادوا منه .

٣- أن الأفكار الشرقية قد انتقلت إلى بلاد اليونان من خــلال رحــلات التجــارة وربما كانت هناك هجرات انتقلت من الشرق واستقرت في بلاد اليونان ولعــ أسطورة كادموس الفينيقي ، ودناؤس وبناته أكبر دليل على ذلك فلـــم ينكره الكتاب اليونان (مؤرخون وفلاسفة) بل أكدوها .

٤- أن علوم الشرق لم تكن علوما تجريبية فحسب بل كانت علوما تجريدية أيضـ ولعل قول أرسطو خير دليل على ذلك .

وفي ضوء ما سبق فإنه يمكننا أن نقرر أن مفكري اليونان كــانوا يعــترفو بفضل أمم الشرق عليهم ومعرفة حقيقة أنفسهم ، وإذا كان هناك مفكرون محدثـــو يتعصبون للحضارة اليونانية ولم يروا سواها ، بل أنكــروا كــل فضــل للشــر وحضارته عليها ، فإن هناك العديد من الدارســين المحدثيــن أصحــاب النظـ الموضوعية والذين نسبوا الفضل لأهله فأقروا باستفادة الحضـــارة اليونانيـــة مـ حضارات الشرق ومن أمثال هؤلاء هيجل الـــذى يقــول : إن الأصــول الأولـ للحضارة اليونانية كانت مرتبطة بقدوم الأجانب وكان الإغريق يشــعرون تجاهـ بشيء من الامتنان فمن شعوب الشرق تعلموا الزراعة واستخدموا الحديد ، وصناء الغزل والنسيج واستئناس الخيل ، بل إن كثيراً من مدنهم الهامة قد أسسها أجــانب

فأتينا وهى لفظ عبر يونانى قد أسسها مصري يدعى كيكروبس Kekrops وطيبة أسسها كادموس وهو أمير فينيقى ويقول سارتون : إن أصولاً شرقية كانت منهل الإغريق ولولاها لما كان نبوغهم فيما نبغوا فيه وأنه من السذاجة بمكان أن نفترض أن العلم بدأ في بلاد الإغريق ، ذلك أن معجزة الإغريق سبقتها الاف الجهود العلمية في مصر وبلاد الرافدين وغيرها من الأقاليم ، وأن العلم الإغريقي كان إحياء أكثر منه اختراعا وأن التقدم الإغريقي ما كان مستطاعا بدون الأصول الشرقية .

كما يقدم لنا مارتن برنال وجهة نظر شاملة وموثقة في سفره الرائع Black Athens حول استفادة اليونان من التراث الحضاري الشرقي المصري الفينيقي وهو بذلك يناقض الرأي القائل بأصالة حضارة التراث اليوناني وأن الاستفادة من الشوق وهم باطل ، وأنه يتعين محو نظرة القدماء القائلة أن الأفارقة وسكان الشرق الأدنى هم الذين أدخلوا الحضارة إلى اليونان ، وأن الهوس بالمصريات Egyptomania والأجانب أدى إلى وهم وضلال . وقد أثر هذا في اليونانيين العقلاء وغرس فيهم اعتقادا بأن مصر هي ركيزة ومحور ثقافتهم . ويعزو الباحث هذا الرأي إلى عنجهية التعصب والفكر القومي والكراهية العرقية ضد اليهود ، وأن سبب دراسته هو دحض وتفنيد عزلة أوربا عن بقية العالم وتفوقها عليه ، وهو زعم خاطئ ومضلل تاريخيا وضار وخبيث سياسيا . وقد استخدم برنال كل ما أتيح له من مصادر وثائقية وأدبية ولغوية لدحض هذه الزاعم ، وقد بدأ تفنيد مزاعم هذا التيار الفكري الذى يقلل من شأن وأصالة وصدق روايات كتاب اليونان القدامى الذين زاروا الشرق بأنهم لم يكونوا على دراية بلغاته ، وانهم لم يستفيدوا من علومه وثقافاته ومعارفه الاستفادة الكاملة . ويرد على هذا الأمر قائلا : حقا إن علماء المصريات المحدثين عليهم أن يقرءوا اللغة المصرية القديمة أفضل من اليونانيين الذين قصدوا مصر إلا أنهم لا يستطيعون أن يقرءوها شأن الرواة المصريين القدماء

والمتحدثين بلغة يونانية ، كما أن المؤرخين المحدثين على خلاف اليونان الأقدمين لا يمكنهم أن يستشعروا المجتمع المصري القديم بصورة واقعية وأن يسألوا ويتعاملوا مع المصريين القدماء مباشرة ، يضاف إلى هذا أن هؤلاء الكتاب القدماء قد عاشوا في الفترة من عام ٥٠٠ ق.م إلى ٥٠٠ م ، وكانوا أقرب للحقبة التى اقتبس فيها اليونان من حضارات الشرق هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد كان متاحا لهم مصادر مادية وهي السجلات التى كتبها مواطنون محليون وأكملتها الوثائق المصرية والفينيقية ، وتراث شفاهي تم تناقله عبر الأجيال وبقايا ومخلفات أثرية وآثار معمارية قدمت جميعها للمؤرخين اليونان بعد القرن الخامس – معلومات التى تعد معلومات مهمة وكافية عن ماضيهم ، كما أن زيارتهم لمصر وفينيقيا كانت تعطيهم المعلومات التى كانوا تواقين لمعرفتها ، ويقول إن هؤلاء الكتاب قد سروا عندما اهتدوا إلى الجذور التاريخية العميقة لثقافتهم عبر الحضارتين المصرية والفينيقية على الرغم من نزعتهم العرقية والعنصرية .

وبعد هذا التفنيد من قبل برنال في عرض وجهة نظره بصحة ما قاله الأقدمون من مفكرى اليونان بشأن الحضارة الشرقية وأثرها في حضارتهم وأن هذا الأثر قد كشفت عنه المصادر الوثائقية والتى تكشف عن عمق وقدم العلاقات بين مصر وحوض بحر إيجه ابتداء من القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد أي من العصر البرنزي القديم (٣٠٠٠-٢١٠٠ ق.م) وأن المصريين كانوا على دراية ومعرفة بمنطقة بحر إيجه وبلاد اليونان ، وأن هناك علاقات قامت في عهد الدولة الوسطى واستمرت ، وأنه في عصر الهكسوس حدث تحالف بين المصريين وحكام هاو-نبو Haw-Nbw (منطقة بحر إيجه) ، ثم توافدت البعثات من تلك المنطقة إلى مصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، كما حاول الربط بين ما ذكره ديودوروس

بأن كيكروبس هو مؤسس أثينا وأنه قد وفد من مصر وربط بينه وبين سنوسرت الأول إذ إنّ اسمه الأول هو خبر كارع (Kheper-Kare) .

كما نجده أيضا يحاول الربط بين الروايات المتواترة الخاصة بخروج الهكسوس الساميين وبين هجرة الدنائيين إلى اليونان كما يوردها التراث اليوناني ، ويقول إن وراء الأسطورة جانباً من الحقيقة أو أنها تحتوي على بذور للحقيقة .

ولم تكن العلاقات اليونانية قاصرة على مصر بل نجد هناك علاقات وثيقة بين الساحل السوري وبلاد اليونان وخاصة أوجاريت وصور ، وأن هذه المناطق كانت على معرفة بأحوال منطقة بحر إيجه واليونان وهذا ما تكشف عنه الألواح الطينية من المجموعة الخطية الثانية (Linear B) ، من فترة القرنين الرابع عشر والثالث قبل الميلاد ، التى كتبت بلغة يونانية عتيقة والتى تحتوي على الكثير من الكلمات السامية والمصرية ، ومن هذه الأسماء إيكو .بيتيجو Aikupitijo وميزاريجو Misarijo ، كما ورد بها ذكر اسم مدينة صور (توريجو) Turijo وتوريان بمعنى صوري أو من بلدة صور . كما تكشف هذه الألواح عن تشابه وتماثل مذهل مع الألواح المكتشفة ببلاد الرافدين من حيث نظام الأوزان والعبارات الإدارية التى تعالج كل منها اقتصاداً قصرياً .

ونستخلص مما سبق ذكره أن هناك شعباً وفد من هذه المناطق خلال العصر البرنزي إلى منطقة بحر إيجه ، وإن كان لا توجد قرينة تشهد على وجود مستوطنات أو غزو لها ، ويحاول أن يستخدم الأدلة والقرائن الأثرية لتوكيد رأيه حول وجود حركة هجرة واستيطان وغزو قبل الهكسوس في كريت ، وأن المقابر الموكينية كانت مقابر مصريين وفينيقين . واستخدم أيضا الدليل اللغوي لتأكيد عمق العلاقات بين بلاد اليونان والشرق فيقول : ان خمسين في المائة من الكلمات الدالة

على السلع الترفيهية والمداولات السياسبة ليست هندوأوربيـــة ؛ ويــرى أن اللغــة اليونانية هي أحد الأشكال الناتجة عن احتلال مصري فينيقي ، وأن أغلب الكلمــات والعناصر غير الهندوأوربية في اليونانية يمكن تفسيرها أيضا على أساس مصـــري سامي غربي ، فنجد عدداً من الكلمات الدالة على الترف مثل العـــاج Ibony مـــن الكلمة المصرية Hbny وكلمة سمسم Sesama من الكلمة السامية ومنـــها جلبـاب Khiton وذهب Khryses ، وفي مجال الدين اقتبست مذبح أو مكان مرتفع Bomas مقتبسة من Bamah السامية ، والشراب أو الرحيـــق الإلـــهي niktar مـــن niqtor وتعني نبيذ مقطر أو متبخر ، والمجد الإلهي Kudos مقتبســـة مـــن Kds والفعـل Kudazo وكلمة حياة haima مأخوذة من hayim الكنعانية وقدس الأقـداس Naio أو Naos مأخوذة من Vnwh (Nwti) ويضحي Sphag مـــن سـبك Spk وصــادق Makarios مأخوذة من ماكرو Makhrw .

وفي مجال القانون اقتبست كلمــات منــها الشــاهد Martyros مـــن Mtrw والشرف Tima من Dema . وفي مجال السياسة يرى أن كلمتي الملـك Wanax و Basileus لايوجد لها أصل في اللغة اليونانية ولا اللغات الهندوأوربية ويرجـــح أن الكلمتين تم اقتباسهما واشتقاقهما من المصرية ويربط بين الأولى والكلمة المصريـــة عنخ جت Nh dt وتعني عاش للأبد ، الثانية يربطها بالكلمة P3sr وتعنـــي تــابع الملك أو الوزير .

وفي مجال الحكمة Sophia يرى أن هـــذه الكلمـــة لا يوجـد لــها أصــول هندوأوربية مقبولة ويرى أنه من الأوفق أنها مشتقة من الكلمة المصرية ســـبا Sba بمعنى يعلم أو تعليم ، ولما كان حرف b يكتب في اليونانية ph ويستنتج هذا من اسم الربة المصرية Nbt-ht نجدها بعد نقلها لليونانية naphthys وقياسا على ذلك فقـــد اقتبست كلمة Sophia من مصر .

وفى مجال الأسلحة فقد اقتبست كلمة سيف إكسيفوس Xiphos من المصرية Sft ومرادفها Phisganos من السامية بسج Psg بمعنى قطع أو شق وكلمة Harma مأخوذة من الجذر HRM في المصرية والسامية .

ويستخدم أسماء المدن أيضا للدلالة على التأثير الشرقي فنجد يربط مدينة أثينا وربتها أثينا يربطها بمدينة سايس والربة نبت ويستخدم ما قاله الأقدمون بشأن ربطهما ويقول أن هناك تطابق في وظائف واختصاصات الربتين كما أن صورهما متطابقة ، ويربط إسبرطة بالأصل المصري وهي مأخوذة من سباط Spat بمعنى ولاية أو عاصمة ، كما يربط بين عقيدة إسبرطة وعبادتها لهرميس والكلاب وعبادة أنوبيس ، كما نجده قد حاول الربط بين كلمة لاكديمون وكانوب وكلاهما يعني بوابة العالم السفلي والروح والهائة ؛ ثم يورد التراث والروايات التى تذكر أن ليكورجوس قد زار الشرق ومصر ودرس مؤسستها . ويقول إن الأثر المصري يظهر واضحاً في الفن الإسبرطي ، كما يحاول ربطهم بالهكسوس وأسطورة عودة الهيرقليين ؛ ويذكر رسالة أحد ملوك إسبرطة إلى الحبر الأعظم في القدس يذكر فيها أن الملك يقول للحبر إننا أقارب ، ويذكر مثال اخر أن طيبة مأخوذة عن الأصل المصري db3t db3 . وأن أسماء الأماكن المنتهية sos أو nthas ليست يونانية وأن الكلمات ذات النهايات السابقة قد وفدت من مصر والشام إلى منطقة الأناضول وبلاد اليونان ومن هذه الكلمات أبيدوس Abydos وسينوب Sinopo على الساحل الشمالي في تركيا الحديثة ، وكلمة Pontos بمعنى المحيط البعيد والأرض التى وراءه مأخوذة من بونت Pwnt وتعني أيضا الأرض البعيدة التى يتم الوصول إليها بحرا .

كما يورد أسماء جبال في بلاد اليونان ذات أصل مصري وسامي ومنها جبل بيليون Pelion ومقتبسة من P3rw بمعنى الأسد ، وجبل سايتا Saita في إركاديا المؤخوذ من اسم مدينة سايس Sais ، وأسماء الجبال البادئة Sam هي

سامية ومنها ساموس Samos وساميكون Samikon وساموثراكيا Samothrace مشتقة من كلمة سام Sam بمعنى سام أو سماء وأسماء المدن المرتفعة مثل هرميون Hermione مشتقة من حرمن السامية Hermn بعنى الجبل المقدس .

وأطلقت أسماء أنهار مصرية وسامية على أنهار في كريت والبلولونيز ومنها نهر ياردانوس Jardanos في كريت وفي البولونيز ومشتق من ياردان Jardan وكذلك الأسم Anigros مشتق من جذر سامي (ن) جر GR (N) بمعنى واحة أو نهر في الصحراء وكلمة فينوس Phencus من بانوي panwy بمعنى ماء أو فيضان وأكثر أسماء الأنهار اليونانية شيوعا وهو كيفيسوس Kephisos وهو مأخوذ من اسم مكان مصري كبح Kbh أو بمعنى رقبة أو نبع عذب بارد أو نبع النهر مع إضافة النهاية Sos .

وإذا كنا قد ذكرنا من قبل بعض أسماء الآلهة والالهات فنضيف بعض الآلهة التى ذكرها ومنها : هيكات وهى هكت المصرية ، والإله ايويس كان يسمى في المجموعة الثانية Linear B وأيضا عند هوميروس إيناليوس Inyalios أو إينو وهو مأخوذ من أونوريس إله الحرب عند المصريين ، كما يعتقد فى كل ما ذهب إليه هيردوت بشأن التشابهات العقائدية الكثيرة بين النظام الدينى المصرى والنظام الدينى اليوناني ، ويقرر صراحة أن الرابطة بينهما وثيقة وأن النظام الديني المصري أقدم كثيرا ولهذا فإن مصر هي منشأ النظم الدينية ، ويستطرد قائلا : إن هناك تماثلاً وتشابهاً بين منظومة الأساطير المصرية والكنعانية واليونانية مثال ذلك أسماء أشهر أبطال اليونان إذ تفتقر إلى جذور هندوأوربية ولكنها جذور سامية مصرية ومنها بلليروفون Bellerophn مأخوذة من الأصل السامي بعل لارافون ، وأجاممنون مأخوذة من الأصل المصري ممنون (أمنمحات) والبادئة أجا تعني العظيم أي ممنون العظيم وهذا ينطبق على أخيلليوس فهو اسم يصعب تفسيره في ضوء لغة

هندوأوربية وأصله سامي حيث نجد تكراراً كثيراً للبادئة Ahi أهي بمعنى أخي يكون ، ونجدها في أخرام Aheram ، ويلاحظ أيضا أن الاسمين الآخرين له وهما بليوس Peleus وبلياديس Peliades مشتقان من الاسم المصري بارو P3rw بمعنى الأسد .

ويستمر في عرض قرائنه للتدليل على الأصل الشرقي للحضارة اليونانية بالحديث عن التأثيرات الدينية الشرقية على الديانة اليونانية ويعقد مقارنة بين العبادات المصرية في عهد الدولة الوسطى والحديثة وبين عبادات كريت واليونان ويقول إن هناك تطابقاً في العبادات ، كما يقول إن مراكز النبوءات المصرية قد انتشرت في نفس الوقت في المنطقة الإيجية أي في القرن العشرين قبل الميلاد كما يقرر أيضا أن هناك صلات بين الأورفية وكتاب الموتى ويقول إنه في العصور الكلاسيكية كان هناك اعتقاد بأن أورفوس تراقي الأصل ولكنه تعلم الأسرار الملغزة في مصر ، كما يقول إن علاقة فيثاغورث يعرفها الجميع ويقول إن هناك تشابهاً كبيراً في العبادة المصرية وبين الأورفية والفيثاغورثية .

** جملة القول إن مارتن برنال قد عرض لنظرية فحواها أن حضارة اليونان استقت علومها ومعارفها من الشرق ومن الساميين والمصريين على وجه الخصوص وقد استخدم كل ما أتيح له من مصادر أثرية ووثائقية وأدبية لإثبات أن الحضارة الشرقية كان لها الفضل على اليونان وحضارتهم ، وإن كان قد أغفل أثر بلاد الرافدين إغفالا شبه تام كما أنه أراد أن يثبت ويؤكد أن وراء اسطورتي كادموس ودناؤوس جانباً من الحقيقة وأن هناك هجرات خرجت من مصر وبلاد الشام واستقرت في كريت واليونان مستخدما الأدلة الأدبية والوثائقية واللغوية [١].

(1) M. Bernal . Op. Cit , pp. 22 ~ .

وفي ضوء ما سبق يمكننا القول أن اليونان أقدموا على أصول الحضارة السابقة عليهم ينهلون منها ما وسعهم أن ينهلوا إذ لم ينشئوا كل عناصر حضارتهم إنشاءً ، بل إن هذه الحضارة هي وليدة أفكار سابقة مرت بمراحل متعددة من التلاحم والتفاعل والتطور فتناولتها أياد حاذقة ماهرة حللتها وصقلتها بالتأمل والدراسة وأخرجت منها ما قدمه اليونان للتراث الإنساني ويصدق هنا قول ول ديورنت : إن ماورثه اليونان من الحضارات القديمة أكبر مما ابتدعوه ، وكانوا الوارث المدلل المتلاف لذخيرة من الفن والعلم مضى عليها ثلاثة آلاف من السنيين وجاءت مدائنهم مع مغانم التجارة والحرب ، فإذا درسنا الشرق الأدنى وعظمنا شأنه فإننا بذلك نعترف بما علينا من دين لمن شادوا بحق صرح الحضارة الأوربية والأمريكية ، وهو دين كان يجب أن يؤدى منذ زمن بعيد [1].

ولنحاول الآن أن نوضح ما اقتبسه اليونان من الشرق في المصادر المتاحة ، فقد كان تأثير الشرق جلياً في مناحي العلم والمعرفة ، وإذا ما بدأنا في ذكر تأثير الشرق في مجال العلوم فقد كان الشرق متقدما بآلاف السنين في مجال الطب أي في الألف الثالث قبل الميلاد سواء أكانت في بلاد الرافدين أم كانت فى مصر ، فقد أخذ اليونانيون مبادئ الطب والتشريح المصري والتى دونها المصري القديم وتركها لنا لحسن الحظ مدونة على أوراق البردي ومنها بردية إيبرس وبردية هيرست وأرديين سميث وبردية برلين ويظهر أثر هذه البرديات في كتابات ديوسكوريديس ، وجالينوس ، وهيبوكراتيس (أبقراط) .

أما عن مجال علم الأحياء والحيوان ، فقد استخدموا المعارف الشرقية في هذا المجال وخاصة أرسطو ، فقد ذكر لنا معلومات تدل على أنها قديمة للغاية

---

(١) ديورنت ، نفسه ، مج ٢ ، ج١ ، ص١٠ .

وبعضها قد وصلته بطريقة خاطئة دون أن يقوم بتصحيحها ، ويقول العلامة تومسون إن أرسطو أخطأ خطأً فاحشاً في معلوماته عن بعض الحيوانات ويقول إن هذه المعلومات أتت من الشرق الأقصى عبر فارس ، وأن بعضها نصادفه عند حورأبولو الكاهن المصري ، ومن المعلومات الخاطئة ما رواه عن القنفذ البحري الذى ينمو نمواً كبيراً عندما يكون القمر بدراً وقد قام أحد العلماء بدراسة قنافذ البحر المتوسط ، فوجد أن هذه المعلومة غير دقيقة ، ولكن دراسته للقنافذ بالبحر الأحمر أثبتت أنها تبيض على نحو مطرد عند كل بدر ، كما أن ترويض وتدريب الخيول أخذه اليونان عن الحيثيين .

كما نجد أن الكثير من المعارف الزراعية وأسماء الحاصلات قد انتقلت إلى اليونان من بلاد الرافدين ومصر والفينيقيين ومنها القاسيا ، والكمون ، والكركم ، والناردين ، واللبان . وإذا كان لدينا اثار عن تأثير الشرق في الحضارة اليونانية فإن اليونان قد ساروا بهذه العلوم إلى أبعد ما وصلوا به من تطور في مجال الطب ، وعلم الحيوان وعلم النبات ولهم إضافاتهم التى لا ينكرها أحد .

التراث الرياضي استفاد اليونان من علوم ومعارف الشرق الرياضية المتقدمة ، فقد نهلوا من منابع الفكر الرياضي في بلاد الرافدين ومصر والذين كانوا قد وصلوا إلى مرحلة التنظير ووضع النظريات ، ومن أمثلة ذلك أن نظرية فيثاغورث الرياضية قد سبقه إليها أهل بلاد الرافدين بعدة الاف من السنين وهذا ما كشف عنه لوح من الطين المحروق محفوظ بمتحف بغداد للآثار ، كما نجد أن كلاً من : هيرودوت ودموكريتس وأرسطو قد مدحوا الرياضيات المصرية وبيّنوا مدى ما استفاده الإغريق منها .كما نجد أن مفكرى الإغريق بعد أن استوعبوا تجارب ومعلومات الشرق في المجال الرياضي أضافوا الكثير إلى جهود الحضارات السابقة .

وفي مجال الهندسة كان التأثير المصري عظيما فى علم الهندسة ، إذ شرح هيردوت اختراع علم الهندسة وانتقاله لبلاد اليونان والذى سبق أن ذكرناه ، كما ذكره سقراط إذ يشير إلى رقي وسمو علم الهندسة والرياضيات ، وتعد مصر عند كتاب اليونان الأولين مهد العلوم ومن ثم فقد قام كل منهم بالترحال وتلقي العلم بها على يد سدنته من الكهان . وفي هذا الحقل نقلوا الكثير من العلوم المصرية وأيضا البابلية وأضافوا إليه الكثير ، ونفس الشئ فقد نهلوا من علوم الفلك المصرية والبابلية ، فقد وردت عندهم أفكاراً مصرية قديمة لا تعي قدمها ذاكرة التاريخ أما ما تلقوه من التراث البابلي فكان عظيماً ، إذ نقلوا طريقة الرصد الفلكي من الشرق والساعة الشمسية وغيرها وسنجد أنهم أضافوا الكثير لهذا العلم .

أما عن مجال علم التنجيم فقد نقل اليونان هذا العلم من مصر ومن بلاد الرافدين إذ زار الإغريق مصر وبلاد الرافدين وفارس ونقلوا معارف تلك الأمم في هذا المجال ، بل نجد بعض منجمي بلاد الرافدين قد زاروا بلاد اليونان ويروى أن أحد المجوس تنبأ بموت سقراط وعن كلدانى قرأ طالع يوربيديس ونجد أن هناك أفكارا بابلية في الجمهورية [1] فى محاورة تيمايوس عن العقيدة القائلة بأن كل روح تنتمي إلى نجم معين ، وعليه يمكن القول بأن هذا التأثير العميق على الفكر اليوناني يرجع إلى عام ٢٦٠ ق.م عندما أسس الكاهن والفلكي البابلي بيروسس مدرسة في جزيرة كوس وكتب كتابه بابيلونيكا فقد اقتنع اليونان بعد ذلك كما يقول ديودور [2] بأنه من طبيعة الكواكب أساساً ودراستها يمكن التعرف على ما يخفيه القدر للإنسان، وأنهم قد قاموا بنبوءات لا للعديد من الملوك فحسب . ومن المعتقد أنهم أصابوا كبد الحقيقة في كل نبوءاتهم بل أنهم تنبأوا للناس بما سيحل بهم في حياتهم الخاصة .

---

(1) Repub . x . 616

(2) Diod . II . 30

وفي مجال الأدب نجد أن التأثير الشرقي يكون واضحا في الآداب والفنون اليونانية، فنجد شعر الملاحم قد ظهر عند السومريين والبابليين في عدد من الملاحم الشعرية أبرزها ملحمة جلجاميش وملحمة إيومااليليس (Eumaelish) .

ويرى نفر من الباحثين أن الأفكار والآداب البابلية قد أعطت للفكر اليوناني زادا قويا وهذا ما ظهر جليا فى بعض الأعمال الشعرية والمسرحية المتأثرة بالملحمتين السالفتي الذكر لكل من هوميروس وهيسيود وإسخيلوس وسوفوكليس ، ويرفع أحد الكتاب منزلة ملحمة جلجاميش وأثرها بقوله : إن ملحمة جلجاميش لهي ملحمة رائعة وينبغي أن يتم دراستها لمن نذروا أنفسهم لدراسة الثقافة اليونانية [١].

ويرى البعض أن ملحمة جلجاميش قد أثرت في هوميروس وهذا يظهر جليا في الإلياذة والأوديسة ويبدو التشابه – فى رأيهم – بين ملحمة جلجاميش وأسطورة ثيسيوس ، وبين جلجاميش وأخيلليوس إذ عندما نقارن التشابه في قصة جلجاميش والأم نينسون Ninsun وصديقه أنكيدو Enkidu في الملحمة السومرية وهي ملحمة جلجاميش ، وبين أخيلليوس وأمه الآلهة ثيتس Thetis وصديقه باتروكلوتس في الإلياذة نجد أنه قد تم قتل الصديق بدلا من البطل بقرار من الآلهة ، وأن الموت أعقبه حزناً عميقاً للبطل على صديقه .

وكذلك التشابه بين جلجاميش وهيركليس ، ووفقا لجوزيف شيبان Joseph Sheban فإن لفظة هيركليس هي لفظة مركبة من كلمة (Herk) والتى قد تكون مشتقة من (Uruk) مدينة جلجاميش وكلمة (Les) والتى تعني أسد في اللغة اليونانية ، وبتركيب الكلمتين يكون لدينا مدينة الأسد ، وهو الاسم الذى كان يوصف

(1) G.S. Kirk , Myth , Cambridge univ. press , 1970 , p. 133 .

به هيركليس [١] ويرى والكوت Walcot أن ملحمة أيوماإيليس كان لها تأثير عظيم على فكر هيسيود ويظهر هذا في قصيدته عن أصل الآلهة Theogena ، إذ نجد أن قضية الخلق تطابق بين ما فعله الإله ماردوخ في ملحمة أيوماإيليس وبين ما فعله زيوس في قصيدة الثيوجينا لهيسيود [٢] .

ويرى باحثون آخرون أن كلاً من الشاعرين المسرحيين أسخيلوس وسوفوكليس قد تأثرا بملحمتي أيوماإيليس وجلجاميش فقد تأثر أسخيلوس بملحمة أيوماإيليس في مسرحيتيه أورستيا وبرموثيوس في الأغلال في معالجته لكل من Theogony و Theosnachy أما سوفوكليس فقد تأثر بأسخيلوس في هذا المجال ثم نجده قد تأثر بملحمة جلجاميس في مسرحيته أوديب [٣] .

كما توضح دراسات علماء المصريات أن هوميروس قد اقتبس الكثير من الأدب المصري ، ويرى هؤلاء العلماء أن دار النعيم في الأوديسة كانت هي نفسها داراً مصرية وتم تبرير هذا الرأي بأن مصر هي الأرض التى ينطبق عليها هذا القول بأنها لاثلج فيها ولامطر وبردها غير قارس ، بينما اليونان معروفة بكثرة ثلوجها وغزارة أمطارها ، هذا فضلا عن أن ريح الشمال التى يقول عنها هوميروس كانت تهب على دار النعيم لا تدع مجالاً للشك في أن هذه الدار كانت مصرية وليست يونانية لأن الريح التى تهب على مصر من جهة الشمال تكون عليلة تستريح لها النفس أما في اليونان فهذه الريح نفسها كانت تهب مصحوبة بعواصف وأمطار وثلوج . ولذا فإن المصريين يحبون هذه الريح ، بينما الإغريق يخشونها ،

---

(1) Joseph Sheban , Following the Gods , New York . 1963, p. 51.

(2) Walcot , Op cit . p. 27-54 .

(3) Munzer Mohammed . Babylonian Dimensions in Greek Mythology : A compartive study of Eumaclish , The Oresteia . Gilgamesh and Oedepal Saga , Damascus , 1996 , p. 111 .

أما الإله دارامنتوس الذى قاد منيلاوس زوج هليني إلى دار النعيم ، فهو إله مصري أى أوزيريس .

ويقال أيضا أن هوميروس أخذ قصة مصرية وأدخلها في الأوديسة بعد أن غلفها بثوب يوناني لكنه ثوب شفاف ظهر منه ملامح القصة المصرية المنقولة بموضوعها وسياقها وأيضا نصوصها ، وقد درس العالم الروسي جولنيستيف ملفا من أوراق البردي الذى يحتوي على قصة مصرية مكتوبة بالهيراطيقية ومن عصر الأسرة الثانية عشرة ، وفحوى هذه القصة أن سائحا مصريا ركب البحر وغرقت سفينته وقذفت به الأمواج إلى جزيرة خرافية ، أما القصة اليونانية الواردة في الأوديسة فهي تحكي لنا موضوع غرق سفينة أوديسيوس وإقامته في جزيرة ، وهذا يعني أن هوميروس نقل القصة المصرية بكل ما فيها من الأوصاف والعبارات ولبيان ذلك سنورد هنا بعض الفقرات من القصة المصرية والمنقولة إلى الأوديسة:-

١- موضوع القصة واحد - كل من القصة المصرية واليونانية - وهو غرق سفينة الملاح في القصة المصرية وغرق سفينة أوديسيوس في القصة اليونانية .
٢- تعرض سفينة كل من المصري واليوناني للعاصفة .
٣- تعلق الملاح وكذلك أوديسيوس بقطعة من خشب السفينة .
٤- الأمواج قذفت بالملاح المصري إلى جزيرة خرافية مثلما قذفت بأوديسيوس ودفعته الأمواج إلى شاطئ جزيرة.
٥- عبر مؤلف القصة المصري عن وحدة بطلها في الجزيرة ، ولم يكن معه رفيق غير قلبه وهوميروس يقول أن أوديسيوس عندما كان على قطعة الخشب كان يتحدث إلى قلبه .
٦- البطل المصري ظل ثلاثة أيام في الجزيرة وحيدا ، وأديسيوس هو الآخر بقي على قطعة الخشب ثلاثة أيام بلياليها .

٧- لجوء الملاح المصري إلى غابة الجزيرة التى تشبه المخبأ وأديسيوس لجأ إلى غابة الجزيرة وصنع لنفسه مخبأ بين شجرتين .

٨- الملاح المصري نام في الغابة التى التجأ إليها وأن ظلها كان يحيط به ، وأديسيوس نام في المأوى الذى صنعه لنفسه وأوراق الشجر كانت تحميه .

٩- الملاح بحث عما حوله ، فوجد أنواعا كثيرة من النباتات والفاكهة والبذور ، وأديسيوس وجد حوله الكثير من أشجار الفاكهة .

١٠- شكر الملاح الآلهة بإشعاله النيران وألقى فيها قربانا لها ، بينما أوديسيوس ورفاقه قد أشعلوا نارا وألقوا فيها قربانا ؛ وعرفانا للآلهة .

١١- يذكر الملاح المصري أنه نام ، ولم يشعر بشيء ولكنه استيقظ فجأة فور سماعه دويا كدوي الرعد فكشف عن وجهه فرأى ثعبانا بالقرب منه وسأله هذا الثعبان عدة أسئلة وأجاب عليها ، بينما نجد رفاق أوديسيوس قد كشفوا عن وجوههم عندما ناداهم أوديسيوس .

١٢- يرد في القصة المصرية أن الملاح يجلس متربعا أمام النار التى أشعلها لتقديم القربان وأن الثعبان يطلب منه الجلوس بالقرب منه ، وأوديسيوس يجلس متربعا بالقرب من موقد ملك الجزيرة الذى كان قد دعاه للجلوس على عرش براق وكل من الثعبان والملك يسألان نفس الأسئلة سواء للملاح أو لأوديسيوس والأسئلة من أنت ؟ ومن أين جئت ؟ فيجيب كلاهما بنفس الطريقة .

١٣- الرواية المصرية تقص عطف الثعبان على الملاح المصري ويتمنى له مستقبلا باهرا وفي الأوديسة نجد حديث ناوسيكا ابنة ملك الجزيرة إلى أوديسيوس وتطمئنه على مستقبله وتتمنى عودا حميدا إلى وطنه .

١٤- يملأ الفرح قلب الملاح فور سماعه بأنه سيعود إلى وطنه امنا ، وأيضا أودسيوس يطير فرحا ويشكر ناوسيكا على دعواتها وتمنياتها له والعودة .

١٥- في القصة يسأل الثعبان من قبل الملاح ويجيبه أنه سيد بلاد تونت وأنه يتمنى الرحيل عن الجزيرة البعيدة التى لم يعرفها الناس ، بينما في الأوديسة تتكلم ناوسيكا عن جزيرتها فتقول أنها في أطراف الأرض البعيدة عن الناس .

١٦- في الرواية المصرية نجد أن هذه الجزيرة ستختفي بين الأمواج بعد رحيل الملاح المصرى ، وفي الأوديسة نجد أن هذه الجزيرة ستدمر بعد سفر أوديسيوس عنها .

١٧- في الرواية المصرية نجد أن الثعبان يخبر الملاح المصري بمصير الجزيرة بعد رحيله عنها ، وهذا أيضا في الأوديسة نجد أن ملكها يخبر أوديسيوس بمصيرها بعد رحيله عنها .

١٨- يودع الثعبان الملاح المصري ويدعو له بدوام الصحة ويعطيه الهدايا ، ويشكره الملاح على حسن معاملته ، بينما في الأوديسة نجد أن ملك الجزيرة وأسرته يتمنون له ولأسرته الصحة والسعادة ويمنحونه الهدايا ويشكرهم أوديسيوس.

١٩- في الرواية المصرية تتحطم سفينة الملاح أثناء عودته إلى وطنه ، ونفس الأمر في الأوديسة حيث تحطمت سفينة أوديسيوس.

٢٠- دخل الملاح المصري على الفرعون في شكل رجل مجهول ومجهد حيث رأى في رحلته الكثير من المحن أثناء محاربته للرجال والأمواج ، وفي الأوديسة يعود أوديسيوس إلى وطنه وهوغير معروف الهوية ، ويقول أنا الذى مررت بالكثير من المحن أثناء محاربتي للرجال والأمواج .

ولدينا مثال اخر على تأثر هوميروس بالأدب والأساطير المصرية ، فروايته عن أسطورة الآلهة ديميتر تكاد تكون متطابقة مع كثير من أحداث أسطورة إيزيس وأوزيريس ؛ فكلتا الأسطورتين تتشابه في البحث عن عزيز اختفى ، فديميتر تبحث

عن ابنتها المختطفة في كل الأنحاء والبلاد ، وإيزيس تبحث عن جثمان أوزيريس في كل مكان ، وتعلم إيزيس بمكان الأخ والزوج وتسافر إلى بيبلوس على الساحل السوري حيث يوجد جثمان أخيها الموضوع في الصندوق الذى ابتلعته شجرة في جوفها وقطع هذه الشجرة ملك المدينة لاستخدامها كعمود في قصره ، وتستمر الأسطورة في سرد الأحداث بوصول إيزيس إلى المدينة وجلوسها بجوار نبع تبكي أخاها وزوجها أوزيريس ، وأثناء جلوسها مرت عليها خادمة الملكة ورفقتها وعرضت إيزيس خدماتها عليها ومن كن معها ، وعندما علمت الملكة بهذا الأمر دعت إيزيس لتكون مربية لابنها ، وتبدأ المهمة الموكلة إليها وكانت عارفة بالجميل ورغبت أن تمنح الطفل نعمة الخلود فكلما أرادت إيزيس إرضاع الطفل وضعت له إصبعه في فمه ، وإذا جاء الليل أشعلت النار فيما يحتويه من جسمه من عناصر الفناء ، ويقال إن إيزيس كانت تتخذ أشكالا مختلفة مثل الفراشة وأخذت تحوم حول العمود الذى فيه الصندوق ، وذات مرة شاهدت الملكة ذلك الأمر وإلقاء ابنها في النار فأسرعت لإنقاذه ومن ثم فقد حرمت وليدها من نعمة السرمدية ، وهنا كشفت إيزيس عن نفسها وطلبت أخذ العمود وبالفعل انتزعته بنفسها وغطت أشلاء أخيها بالكتان وطيبته بروائح زكيه .. الخ .

وهنا أخذ هوميروس هذه القصة – على ما يبدو – ودبجها بالنسبة للآلهة ديميتر فيقول : إن الآلهة بمجرد أن علمت باختطاف ابنتها اعتصر الألم قلبها ولبست السواد حزنا عليها ومزقت بيدها شرائط شعرها وهو نفس المشهد في الأسطورة المصرية إذ نجد أن إيزيس بمجرد أن علمت بقتل أخيها قطعت خصلة من شعرها ولبست ثوب الحداد وتجولت في كل مكان معلنة حزنها . ويصف هوميروس أن الآلهة ديميتر بحثت عن ابنتها في كل صوب وحدب وأخيراً استقر بها المطاف قرب قصر للراحة من عناء البحث ، واستدعتها الملكة لتربية ابنها ،

ونما الطفل وكأنه إله بدون رضاعة أو طعام بين يدي هذه الآلهة ، وكانت ديميستر تدهن جسم الطفل بالعطر وتنفخ عليه بأنفاسها برفق وعندما يأتي الليل تضعه في النار ، وشهدت الملكة هذا المشهد وذعرت فأنقذته وبذلك حرمته أمه من غير قصد نعمة الخلود لأن النار كانت تطهره من عناصر الفناء . وفي ضوء ما سبق يتضح الاقتباس من الأسطورة المصرية .

نقطة أخرى ننتقل إليها ، وهي تأثير عقيدة البعث والخلود والحساب المصرية ومدى تأثر مفكرى اليونان بها ، فنجد هذه العقيدة جلية عند مطالعة أوديسة هوميروس . إذ أثرت قصة الأمير ساتني الذى تلقى تعليماً وبلغ درجة عظيمة من الحكمة . وتزوج هذا الأمير بيد أنه لم يرزق الولد ، واتجهت زوجته إلى المعبد مبتهلة إلى الإله كي يهبها الولد . ونامت ليلتها في المعبد فرأت رؤيا بأن ابتهالها سيجاب وأتاها هاتف يخبرها بأنها ستحمل ابنا مباركا صاحب معجزات وطلب منها أن تسميه سينوزيرس وبالفعل ولدت طفلا تعلم الحكمة والسحر وهو في عمر الزهور ، وتستمر القصة في القول بأنه لما بلغ رشده كان هو ووالده يسيران ذات يوم وأثناء سيرهما شاهدا جنازة رجل غني يصاحبها موكب حافل وخلفه النادبات والكثير من المشيعين ، ثم شاهدا في الوقت نفسه جنازة رجل فقير مدرج في الحصير لا موكب له ولا مشيعين وراءه ، فنظر الأب إلى ابنه وتمنى أن يكون مصيره مثل مصير الغني لا كمصير الفقير ، فرد الابن متمنيا لأبيه مصير الفقير مما أغضب والده ، لكن الابن أراد أن يبرهن لوالده أنه على حق ثم أخذه – بعد أن قرأ بعض التمائم والأدعية الدينية – ونزلا معاً إلى الدار الآخرة . فوجداها عبارة عن سبع قاعات مملوءة أناساً من جميع الطبقات ثم وصلا إلى القاعة الرابعة فإذا هما يجدان أُناساً يذهبون ويجيئون بينما حمير تأكل من خلفهم ثم شاهدا أُناساً غيرهم يحاولون الوثوب نحو الطعام المعلق فوق رؤوسهم فلا يمكنهم إدراكه ، فمن تحتهم

كان هناك حفارون يحفرون تحت أقدامهم ليزيدوا بعد المسافة بينهم وبين الطعام . ثم شاهدا رجلا منطرحا تحت الباب على ظهره ومحور الباب في عينه اليمنى يدور عليها كلما فتح الباب أو أغلق ، ولا يستطيع الرجل الخروج ويصرخ من شدة الألم، ثم دخلا القاعة السابعة فوجدا الهة الحساب جالسين والحجاب ينادون قضايا الموتى قضية بعد أخرى والإله أوزيريس حالس على عرشه الذهبي بينما الإله أنوبيس واقفا على يساره والإله تحوت على يمينه والآلهة الأخرى الذين يتألف منهم مجلس دار الحساب والميزان منصوب أمامه . فنظر الابن إلى والده وقال له هل تعرف من الذى يجلس بجانب أوزيريس ؟ إنه الفقير الذى شاهدته مدرجا في الحصير بلا أهل ولا مشيعين ولقد جئ به إلى هنا لرجحان كفة حسناته ، أما الرجل الذى سبق إلى دار الحساب وتمنيت أن يكون مصيرك كميصره هو نفسه الذى رأيته يصيح من الألم .

وبعد أن عرضنا لهذه القصة فنجد تشابهاً بين ما قصه هوميروس عند نزول أوديسيوس إلى العالم السفلى ، حيث وجد الملك مينوس يقضى بين الأموات وبجانبه الإله هاديس وهو الواقف أمام داره ذات الأبواب الواسعة .

ونجد في هذه الرواية قاسما مشتركاً مع الرواية المصرية وذلك كما يلي :-

١) الابن يصحب والده إلى الدار الآخرة وأيضا نزول أوديسيوس إلى الدار الآخرة.
٢) جلس أوزيريس على عرشه وقبض بيده على صولجانه ، وفي الأوديسة تجد مينوس في يده الصولجان الذهبي .
٣) الحجاب في الرواية المصرية نجدهم ينادون الموتى لعرض أعمالهم في حضرة أوزيريس وفي الأوديسة نجد مينوس تعرض عليه هذه القضايا .

في الرواية المصرية نجد الموتى بين واقفين وجالسين في سبع قاعات ، وفي الأوديسة نجد الموتى بين واقفين وجالسين في دار هاديس الواسعة الأبواب .

في ضوء ما سبق عرضه يتضح التشابه بين القصة المصرية ورواية هوميروس عن تصور الحياة في الدار الآخرة .

وفي الإلياذة نجد الأخذ والتأثر بالتراث المصري إذ نجد هوميروس يحدثنا أن الإله زيوس يريد أن يقضي في مصير إحدى المعارك بين الآخيين الطرواديين فيضع حظ الأولين في كفة ميزان وحظ الآخرين في الكفة الأخرى ، فترجح كفة الإغريق ويكون هذا إيذانا بالنصر . وبنفس الطريقة يحكم زيوس بين أخيليوس وهيكتور فترجح كفة إخيليوس وينتصر ويصرع خصمه . وأوجه التشابه هنا أن زيوس يمارس نفس الدور الذى يمارسه اوزيريس المصرى .

كما نجد أن فكرة الحساب قد وردت في كتابات مفكرين تالين لهوميروس ومنهم بنداروس ، إذ يقول في إحدى قصائده : سيجد العظماء في الأرض قاضيا في الجحيم ، والذين ارتكبوا أعمالاً محرمة فستحاكمهم الآلهة ، بينما نجد أفلاطون يذكر في مدحه لسقراط أن في الجحيم قضاة يحكمون بالعدل وهم مينوس ورادامنتوس ، وفي محاورة جورجياس يستمر في القول حينما كان الحكم للإله ساتيرنوس في السنتين الأوليين من حكم زيوس كانت محاكمة الناس تجرى وهم أحياء على أيدي قضاة أحياء .

وفي ضوء ما سبق أيضاً يتضح لنا أن افلاطون صور عقيدة الحساب بعد الموت ولعل المطالع لمحاوراته يجد أنه ذكر الآلهة الثلاثة الذين ورد ذكرهم عند هوميروس وهم مينوس ورادامنتوس وإيباكوس ، ولكن هؤلاء كانوا عند هيرودوتوس يقضون بين الأموات ، وصاروا يحاسبون الأموات على أعمالهم في

الحياة – كما تقوم الآلهة المصرية بذلك ، وهي أوزيريس ، ونـــوت ، وأنوبيـــس ، ولهذا فإن للحساب عند أفلاطون ثلاث نتائج

١) إثابة الصالحين من الأموات بإرسالهم إلى الجزر السعيدة .

٢) معاقبة الطالحين في قاع الجحيم إلى الأبد إذا كانت ذنوبهم لا تغتفر .

٣) يعذب المذنب على قدر الذنب الذي اقترفه .

ومن يستعرض الخطوات التى تنتج عن عقيدة الحســـاب عنـــد المصرييـــن سيجدها هي نفس الخطوات التى أوردها أفلاطون ، ولــــهذا فــــإن العقيـــدة نجدهـــا متطابقة، ومما هو جدير بالذكر أن أفلاطون قد روج لعبادة النجــــوم وهــــي عبـــادة مصرية سبق أن ذكرناها عند الحديث عن أفلاطون .

ويرى فريق من الباحثين أن هيسيود في كتابته لمؤلفه الثيوجينا (أصل الالهة) قد تأثر بالأفكار الشرقية الخاصة بالعائلات الإلهية وحضارات الشرق القديم وشجرة الأنساب الإلهية قبل اليونان بآلاف السنين ، ويرجح أن بلاد اليونان قد عرفتها إمـــا عن طريق مستعمرة الميناء على الساحل السوري أو عن طريق فينيقيـــا وإن كـــان الطريق الثاني هو الأرجح ، وكان ذلك بعد سنة ٨٠٠ ق.م وتأثر بها هيسيود عنـــد إنشاده لقصيدته [١].

وإذا انتقلنا إلى مجال اخر تأثر به اليونان من حضارات الشـــرق ، نجـــد أن الديانة الشرقية قد أثرت بشكل جلي فى ديانة الإغريق فكثير من الأفكـــار اليونانيـــة

---

(1) W.G.G Forrest . Central Greece and Thessaly . CAH ,rnd , ed . vol. , 3p3 , The expansion of the Greek world , Eighth to Sixth centuries B.C. , pp. 286-290 ; P. Walcot . Hesiod and the Near East . Cardiff . 1960 , p 16 , pp. 22-30 , Bernal . Op.Cit . pp. 87-88 .

أنظر أيضا خان بيار فرنان ، أصول الفكر اليوناني ، ترجمـــة ســـليم حـــداد ، بـــيروت ، ١٩٨٧، ص٩٦ وما بعدها .

الدينية قد اقتبسها اليونان من الشرق ولعل روايات هيردوت وما ذكره بعض الكتاب القدامى عن الآلهة المصرية وعقيدة الحساب تشير بجلاء إلى اقتباس اليونان لأفكار شرقية ومنها الأسرار السرية في اليوسيس التى كانت ذائعة الصيت في بلاد اليونان فقد نقلت من عبادة إيزيس وأوزيريس كما سبق أن ذكرنا عند الحديث عن كل من هيردوت وهوميروس ، كما تعلم اليونان عن طريق المصريين عملية التنبؤ من الحيوانات المضحاة ، وكذلك إنشاء الجمعيات الدينية والمواكب والصلوات ، وأن مجمع الآلهة الأوليمبية مأخوذ من مصر . كما أن عقيدة خلود الروح وتقمصها واعتقاد أن الروح تظهر على شكل طائر برأس إنسان كانت مصرية . كما أن لفظة الجحيم اليونانية أخذ أصلها من الكلمة المصرية ، وكما ذكرنا فإن أسماء الآلهة اليونانية قد ساواها هيردوت بالآلهة المصرية إذ ربط بين زيوس وآمون وبين وحي دودنا اليونانية ووحي كل من سيوة وطيبة بمصر ، ومن الجدير بالذكر أن وحي الإله آمون في سيوة قد ذاعت شهرته بين اليونانيين وتجشموا عناء السفر لاستشارته، فقد استشاره كل من الملك فيليب وابنه الإسكندر الأكبر . وقد ساواه اليونان بالإله زيوس ويقول بلوتارخوس أن لفظة زيوس كبير الآلهة في اليونانية تعني من يخفي نفسه ، وهذا المعنى كان ترجمة للمعنى المصري لاسم آمون كبير الآلهة المصرية . وربط الكتاب الإغريق بين أنساب الهة هليوبوليس وبين آلهة هيردوت ومن هؤلاء كرونوس الذى شبهه هؤلاء الإغريق بالإله المصري جب على اعتبار أن وظائف واختصاصات كل منهما الدينية واحدة وتخص السماء والأرض وقد شابه هيردوت أيضا بين حورس المصري وأبوللو وأن عملية التشبيه جاءت على أساس أن كلا منهما كان إلها للشمس ، والآلهة أرتيميس شبهت بالآلهة باستت، ويروي الكتاب اليونان أن الربة أثينا مصرية الأصل وأن سايس كانت مسقط رأسها وأن اسمها اشتق من الآلهة المصرية نيت فكانت أثينا ربة الحرب ونيت أيضا ،

والإله إيزيس اليوناني شبه بالإله المصري أنوبيس إله الحرب ، وأفروديتي شبهت بالآلهة حتجور فكلتاهما الهة الحب ، والإله بان شبيه بالإله من المصري ، وأوزيريس شبيه بالإله ديونيسوس ، وإسكليبوس شبيه للإله بتاح وإيمحوتب ، وهيراقليس شبيه بخنو ، وهرميس شبيه تحوت ، وهيفايستوس شبيه بتاح [١]

كما نجد هناك تأثراً بفكر الشرق الأدنى في المجال الديني سواء من هوميروس ، وهيسيود وأفلاطون وقد سبق أن ذكرنا ذلك . وإذا كان الكتاب والمفكرون يشيرون إلى اقتباس وتأثر اليونان بالديانة المصرية والشرقية ، فإن التنقيبات الأثرية أماطت اللثام عن تماثيل لآلهة مصرية في كريتو الجزر الإيجية ، وتماثيل الآلهة التى عثر عليها في بقية الأصقاع هي للإله امون رع ، وباستت ، وسخمت ، وبس .

ووجود هذه الإلهة في منطقة الجزر وكريت في العصر العتيق والكلاسيكي يكشف لنا عن دراية اليونان بهذه الآلهة المصرية سواء عرفوها كتجار أو جنود مرتزقة خدموا في صفوف الجيش المصري .

دما نجد أن الدارسات الحديثة تشير إلى دخول الكثير من المفردات اللغوية لحضارات الشرق في اللغة اليونانية فأسماء بعض الجبال وبعض الأنهار وبعض المدن اليونانية والكثير من المفردات قد انتقلت من اللغات الشرقية إلى اليونانية التى تبنتها واستوعبتها كما هي أو بعد تحويرها سواء من المصرية ، أو من الكنعانية الفينيقية والعبرية ، أو من بلاد الرافدين [٢].

---

(1) Herd II . 42 . 156 ; F. Dunand & C. ziviccoche , Dieux et Hommes en Egypte 3000 B.C . 395 apr. J.C. Paris . 1991, p. 238 . M. Bernal . op. cit p 81 Bernal . op.cit , pp. 63-73 .

(2) Bernal . Op. cit . pp. 46 ~ .

وإذا انتقلنا إلى مجال اخر تأثر فيه اليونان بالفكر الشرقي وهو التفكير الفلسفي وكما سبق أن ذكرنا فإن إيسوكراتيس يذكر أن الفلسفة هى نتاج المصريين وأن فيثاغورث هو أول من أحضرها للإغريق [١]، ويقول ديوجينس اللاتريسي أن أول فلسفة قامت عند الشرقيين والمصريين [٢]. كما نجد أفلاطون في محاورته فيدروس يذكر على لسان سقراط أن الإله تحوت قال لملك مصر أن اختراع الكتابة سيأتي المصريين من الحكمة فوق مالهم ، وسيجعل ذاكرتهم خيرا مما هي عليه ، لأن الذى اخترعته إكسير الذاكرة والحكمة [٣] .

كما نجد في ملحمة الخلق البابلية أن أيومايليس تشابه مع ما قال به طاليس ، إذ تقول الملحمة أنه قبل أن يكون للماء اسم ، وقبل أن يكون للأرض اسم ، كانت الأشياء كلها مختلطة في الماء وذا يكون مشابهاً لكلام طاليس ، والجدير بالقول أيضا أن أساطير الخلق المصرية قد ناقشت نفس الفكر الطاليسي ، ولما كان طاليس على دراية بالفكر الشرقي فيظن أنه أخذ نظرية الخلق عن الشرق ويكون بهذا أرسطو على حق عندما يقول أن طاليس هو أول من تفلسف ليس بالنسبة للعالم وإنما بالنسبة لليونانية . وإذا كان اليونان قد تأثروا بالفلسفة الشرقية فقد ساروا أشواطا نحو السمو العقلي بها وكانت إسهاماتهم من أهم ما أضفاه اليونان للحضارة والإنسانية .

أما **فيما يتعلق بالمسرح** ، نجد أن بدايات المسرح اليوناني قد بدأت بالاحتفالات الدينية المقامة في مناطق بلاد اليونان المختلفة وهذه الاحتفالات كانت تدور حول عقيدة الإله ديونيسوس ، وكان الغرض من الاحتفالات إظهار الابتهاج

---

(1) Bousiris . 28 .

(٢) عبد الرحمن بدوى ، ربيع الفكر اليوناني ، ص٨ .

(3) Phaidras . II 274 D .

والشكر للقوى الإلهية التى تتحكم في الطبيعة إذا ما كان المحصول وافرا أو كنوع من الابتهال والتضرع لهذه القوى الإلهية إذا ما كان المحصول قليلا ، ولم تكن هذه الاحتفالات بدعة اقتصرت على بلاد اليونان ، وإنما عرفتها المجتمعات الشرقي (مصر وسوريا) ففي مصر كان يقام في بداية الربيع احتفالات تمثل تناوب الفصول، تدور حول الإله أوزيريس تمجد عودته للحياة بعد أن قتله أخوه الإله الشرير ست ، وفي هذه الاحتفالات كانت تمثل القصة في شكل ديني شعبي تبين كيف قتل ست أخاه أوزيريس ، ثم كيف سعت الآلهة إيزيس بكافة الطرق حتى استعادت جثة زوجها وأعادت إليه الحياة ، وكيف تم الانتقام من ست ، وفي بلاد الشام كانت تقام احتفالات مماثلة مؤداها أن الإله بعل قد قتله خنزير بري ، حاولت زوجته الربة عشتار إعادته للحياة حتى تعود الحياة للطبيعة التى ماتت في الشتاء وإذا كانت احتفالات الشرق لم تتعد هذا الأمر ، نجد أن اليونان قد طوروا في المسرح بما يتفق مع طبيعتهم وجعلوا فنهم المسرحي يدور حول الإنسان وأفعاله ولكن وصلوا إلى هذا المفهوم بعد أن مر الفن المسرحي بسلسلة من التطورات وساعد على ازدهار الفنون المسرحية وتطورها عندهم ظروف بلادهم الطبيعية والسياسية والاستعداد الفطري عندهم .

وفي مجال الأساطير سنجد أن أساطير اليونان قد تأثرت بأساطير الشرق وظواهر الكون المحيط به ، مثل ظواهر الخلق والحياة والموت والخصوبة والإجداب وغيرها ، ومن ثم يحدد علاقته بها وموقفه منها وهنا نجد الكثير من الأساطير اليونانية تكاد تتطابق فكرة وتفصيلا مع الأساطير التى سبقتها في وادي الرافدين مثل الأساطير المتعلقة بقصة الطوفان وقصة خلق الإنسان من طين وماء

وروح إلهية ، وأسطورة أنانا ودوموزي البابلية ونظيرتها أسطورة أفروديتي وأدونيس اليونانية التى وصلت إليهم عن طريق الفينيقيين [1].

وفي مجال النحت والعمارة فقد كان تأثير الشرق جليا على بلاد اليونان والحضارة اليونانية ، إذْ أخذ اليونان المبادئ الأولى لفن النحت فجاءت التماثيل اليونانية في عصرها المبكر نسخة من النمط المصري حيث الوقفة المتصلبة والنظرة المتجهمة إلى الأمام والذراعان الملتصقتان إلى الجانبين واليدان المقبوضتان، والقدم اليسرى المتقدمة قليلا على القدم اليمنى وهذه التماثيل أطلق عليها (الكورى) . وإن اختلفت عن التماثيل المصرية والأولى كانت عارية بينما المصرية كانت مستورة العورة ولعل السبب في ذلك هو الطبيعة والعادات والتقاليد في كل من البلدين .

أما في مجال العمارة فقد اقتبس اليونان عمارة الأعمدة والأبهاء خاصة الأعمدة الأيونية والدورية ، وقد صارت النمط السائد ابتداء من عصر الطغاة وهذا ما توضحه مقارنة معبد الكرنك أو بقايا معبد سقارة في مصر بمعبد البارثيون في أثينا أو بقايا معبد أبوللون في اوليمبيا ، وقد اقتبس اليونان أيضا نظام القوائم التى تحل محل الجدران لحمل السقف في بعض أجزاء المبنى ونظام العارضات ، والعارضة هي الحجر المستعرض فوق فتحة الباب لتحمل ثقل البناء الذى يقوم فوق هذه الفتحة وكلا النسقين امتاز به فن العمارة المصري منذ عصر بناة الأهرام في الألف الثالثة قبل الميلاد ، ثم كرسوا هذا الاقتباس حين اتخذت القوائم عندهم شكل الأعمدة كعنصر أساسي في المبنى ولكن سنجد أنهم صبغوا هذا المجال أيضا بصبغتهم الشخصية .

---

(1) R. Graves . Greek Myths . Pelican . 1962 . p. 34 .

سارتون نفسه ، ج١ ، ص٢٦٧ وما بعدها .

وفي مجال الصناعات سنجد أن التأثير الشرقي كان جليا في مجال المنسوجات ؛ فقد تم اختراع الأنوال الأفقية والرأسية ، واخترعت في سوريا وبلاد الرافدين فنون جديدة للنسيج والصباغة وانتقلت بعد ذلك هذه الفنون إلى بلاد اليونان.

وفي مجال صناعة الزجاج فقد بدأت في الشرق إذ عرفه الأشوريون والمصريون ومنهم تعلمت الأمم الأخرى هذه الصناعة .

وبعد هذا العرض يتضح أن اليونان قد استفادوا في كافة فروع العلوم والمعرفة والفنون والصناعات الحرفية المختلفة ، وقد زادوا على ما اقتبسوه أو نقلوه من أمم الشرق بعدما هضموه ونجحوا في صبغه بصبغة جديدة تتوائم مع فكرهم وطبيعتهم ، وبجهودهم الحثيثة وصلوا بعلومهم وفنونهم إلى مكانة عالية . وقد بلغوا قمة نضجهم في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، وشهد القرن الرابع فتوحات الإسكندر الأكبر للشرق مهد الحضارات إذ نجح في ضم مصر وبلاد الشام والرافدين وفارس ووصل بفتوحاته إلى الهند وكان من نتيجة هذه الفتوحات هو فتح أبواب الشرق وحضاراته على مصراعيها أمام اليونان ، فتقاطرت هجراتهم إليها ؛ إما للاستقرار أو الاتجار أو كسب لقمة العيش وإما للتعلم أو النهل من منابع العلم الشرقي . لقد نُقل الكثير من العلوم والمعارف والفنون الشرقية إلى اللغة اليونانية ، وساهم هذا النقل في دفع عجلة التقدم العلمي والفني في العصر الجديد الذى كان لليونان اليد الطولى فيه ، وبدأت دورة حضارية جديدة بدأ فيها التأثير والتأثر بين الحضارة اليونانية والحضارات الشرقية وانصهرت الحضارتان وكان من ثمارها هو ميلاد حضارة شرقية يونانية اصطلح الباحثون على تسميتها بالحضارة الهلينستية ، وكانت عوامل تقدم ورقي العلوم والفنون في هذه الفترة كلُها متوافرة بفضل التشجيع من قبل حكام هذا العصر ، إذ تأسست مراكز علمية في الممالك الهلينستية ويأتي على رأس هذه المراكز الإسكندرية عروس البحر المتوسط

وعاصمة الفكر والثقافة والفنون لعدة قرون ، وكان هذا بفضل التشجيع الذى نالتـــه جامعتها ومكتبتها من رعاية وعناية الملوك البطالمة الذين أجزلوا العطاء لعلمائـــها ومفكريها وشجعوا هجرة مشاهير العلماء والمفكرين من بقاع العالم اليوناني المختلفة إليها ، فصارت كعبة العلماء وواحة أمان لهم وكعبة لطلاب العلم والمعرفـــة الذيـــن تقاطروا إليها من كافة الأصقاع للنهل من العلوم والفنون التى طورتها عقول نـــذرت نفسها للعلم والمعرفة . ومن ثم فقد صارت الإسكندرية مركزاً للإشـــعاع الفكـــري والثقافي لقرون عديدة ولعبت المراكز الثقافية في سوريا دوراً في دفع وتطور العلوم والفنون بفضل تشجيع الملوك السلوقيين وظلت حركة التطور والدفـــع والانصـــهار العلمي والفكري والفني على قدم وساق في هذه المراكز العلمية مما أثمر لنا حضارة لها سمات شرقية ويونانية استمر فيها التأثير والتأثر بين الحضارات وإن كان تـــأثير الحضارة اليونانية أعمق وأكبر فى الحضارات الشرقية ، وعلى كل حال فقد اســـتمر الانصهار الحضاري بين الحضارات المختلفة.

واستمر الأخذ والعطاء بينها إبان العصر الروماني الذى استمر فيه الانصهار الحضاري على قدم وساق في مراكز الحضارة الشرقية والتى انتقل تأثيرهـــا إلـــى الغرب الروماني الأقل حضارة وبفضل السلام الروماني وبفضل التشـــجيع الـــذى استمر للمدارس والمعاهد الشرقية على يد الرومان وإذا كانت روما مدينة بحضارتها للشرق فإنها في فترة سيادتها على المناطق الشرقية قد كان لها إسهاماتها العظيمـــة في مجالات فكرية بعينها وأهمها على وجه الخصوص القانون الروماني الذى بـــدأ تأثيره على القوانين الشرقية وإن كان تأثير الأخير ظاهراً فـــي بعـــض المجـــالات القانونية ، ثم استمر الانصهار بين القوانين وبلغ أوجه بعد منح الجنسية الرومانيـــة لكل سكان الإمبراطورية عدا المستسلمين في عهد الإمبراطور كاركلا .

ولم يكن التأثير في مجال الفانون فحسب ، بل نجد من اثار التأثير ، التأثيرات الفنية للفن اليوناني مباشرة أو عن طريق الفن الروماني المتأثر بدوره بالفن اليوناني تأثرا كبيراً وفي بعض الأحيان تأثرا يصل إلى حد التطابق ، ويظهر جلياً في البتراء بالأردن ، حيث نجد المقابر المنحوتة في الصخر بواجهاتها وأفريزاتها وأعمدتها التى تتبع الطراز المعماري اليوناني بشكل كامل ، وهذا نجده يتكرر في منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية عند مدينة العلا ومغائر شعيب ومدائن صالح ، ونجد الفن اليوناني يصل إلى اليمن حيث يظهر الطراز الفني اليوناني واضحاً في عدد من التماثيل التى عثر عليها هناك وتخص الآلهة العربية القديمة وفي قطع العملة اليونانية وبخاصة العملة الأثينية كما نجد فى قطع العملة اليونانية ، وبخاصة العملة الأثينية تقليداً كاملاً في الرسوم والرموز وحتى الحروف اليونانية المنقوشة عليها طوال فترة غير قصيرة من التاريخ اليمني القديم [١].

ونجد أيضاً أن التأثيرات اليونانية امتدت إلى منطقة الخليج العربي ، إذ نجد بجزيرة فيلكة الكويتية معبدين ، رؤوس أعمدة إحداهما أيونية الطراز والآخر دورية الطراز ، كما نجد أن خطة المعبدين كانت يونانية الطابع كما وجدت تماثيل يونانية الطراز [٢].

وسنجد أن الفن اليوناني كان له تأثيره الجلى على الفنون اليهودية وهذا ما كشفت عنه الرسوم والصور على معبد يهودي في دورايوربوس [٣]، ولم يكن التأثير

---

(١) لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص١٣٧ ، ١٤١-١٤٣ ، ١٥ أ ، ب.

(2) D.T. Potts . The Arabian Gulf in Antiquty , Vol. II , 1990 . pp. 155 .

(٣) نعمت اسماعيل علام ، فنون الشرق الأوسط في الفترات الهلينسنية - الساسانية ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص٤٥ وما بعدها .

اليوناني على اليهود في مجال الفن فحسب ، بل نجد ذلك في مجال الفلسفة ولعل فلسفة فيلون هي خير شاهد على ذلك ، فقد كان يؤمن بما قاله الفلاسفة اليونانيون ، وخصوصا ما قاله أفلاطون ، بل لا ينكر أى فضل وقيمة للدين الشعبي اليوناني ، وتأثر كثيرا بالمعتقدات الشعبية عند اليونان (١).

ولم يقتصر تأثير فلسفات العصور اليونانية الرومانية على اليهودية بل نجد هذا التأثير يمتد إلى آباء وبطارق وفلاسفة الكنيسة الأولى ومن بين هؤلاء أورجين وكلمنت وغيرهما (٢).

وهكذا فإن الثقافة والعلوم والفنون اليونانية قد انتشرت في ربوع الشرق في العصر الهلينستي والعصر الروماني وأصبحت عنصراً هاماً ساهم في تشكيل شخصيته الحضارية ونمط حياة أممه واستمر هذا العطاء بعد الفتح الإسلامي ، إذ تبنى المسلمون الكثير من مظاهر النظم الإدارية والمالية السائدة في البلدان التى فتحوها ، واستمرت اللغة اليونانية هي اللغة السائدة في الكثير من المناطق التى كانت قد دخلت في حوزة الخلافة الإسلامية ، مصر بجانب القبطية ، وبلاد الشام بجانب الآرامية والسريانية ، مع إضافة اللغة العربية التى ستصبح اللغة الرسمية لدولة الخلافة في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك الذى أمر بتعريب الدواوين والإدارات الحكومية وكانت حركة الترجمة قد بدأت على نطاق ضيق في عهد الخلافة الأموية .

---

(١) عبد الرحمن بدوى ، خريف الفكر اليوناني ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص٩١ وما يليها.

(٢) هـ . أ . بل ، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ، ص١٣٥ ، ١٦٩ ،
J.M. Creed , The Egyptian Contribution to Christianty legacy of Egypt ,ed. by Glanville , 1942 , pp. 300--316.

واستقى العـــرب الكثير من الفكر والعلوم اليونانيـــة مـــن بعـــض مراكـــز الحضارة ومنها :-

١) جند نيسابور في جنوب إيران والتى اشتهرت بمدرستها الطبية وكـــان أســرى الروم قد أسسوها في عهد سابور الأول وظلت العلوم اليونانية تدرس بـــها بعـــد ترجمتها إلى الآرامية حتى العصر العباسي الأول.

٢) مدينة حران في منطقة الجزيرة وكانت تسمى هيلينوبوليس وقام نفر من أبنائـــها بترجمة الكثير من المؤلفات اليونانية إلى العربية من هؤلاء ثبت بن قرة ، وابن سنان ، وعائلة هلال الصابئ.

٣) الإسكندرية حيث وجد بها واحدة من أقدم الجامعات وحـــافظت علـــى الـــتراث اليوناني والهلينستي ، وكان العرب في العصر الأموي يقدرونها حق قدرهـــا ، إذ نجد أسطافن السكندري قد ترجم بعض كتب الكيمياء ، وكان الخلفاء يســـتعينون بأطبائها .

وقد بدأت نهضة علمية حقيقية إسلامية في العصر العباســـي الأول بعـــد أن تبنى الخلفاء العباسيون حركة الترجمة وكفلوها بالرعاية والعناية ، فتم ترجمة كتـــب الطب اليونانية ، والطبيعة ، والرياضيات ، والمنطق والفلســـفة ، بينمـــا أعـــرض المسلمون عن ترجمة الآداب والأعمال الفنية وكتب التاريخ والخطباء اليونان .

ولعل السبب في ذلك هو الروح الوثنية في الأدب والفن اليوناني وذكر آلهتهم المتعددة وعبادة الأبطال وهذه الأمور لم يستســـيغها العقـــل الإســـلامي . إذ يقـــول المستشرق بيكر : (لقد كانت هناك عوامل تاريخية وعرقية ونفسية جعلت العرب لا يعنيهم من كتب اليونان إلا ما كان معترفا به من الجميع ، وما كان في الوقت نفســـه يلائم طبيعتهم وأعني بذلك النزعة العقلية المنطقية . ولذلك فإن كل شئ كـــان مـــن نصيب الروح اليونانية في صدوره أكثر من نصيب العقل اليونـــاني مثـــل الشـــعر

الغنائي والأدب الروائي وما كان يونانيا بحتــا كآلهــة (هومــيروس) ومؤلفــات المؤرخين اليونان - إن كل هذه الأشياء ظلت أبوابها موصدة أمام الشـــرق ، وقــد اقتصرت حاجة الشرق الفنية من تراث اليونان على هندسة البناء وما يشبهها مـــن الفنون غير الشخصية . وقد ظل الشرق الإسلامى ينظر إلى النحــت نظــرة عــار وحمق لمخالفة الشرع ، وبينما أصبح جمال عالم الصور القديم وصــورة الإنســان الكامل العاري نموذجا حسيا حيا لصورة الإنسان الجديد عند الأوربيين ، ويرى عالم الحس الحي في الشرق قد اختفى وراء التجريدات العقلية أو في العلاقات الغراميــة الفردية.

ولكن لسوء الحظ فإن العلماء المسلمين لم يطلعوا على جانب مهم من التراث اليوناني وهو كتابات المؤرخين ولاسيما هيرودوت وثوكوديدس وبوليبيوس ؛ كما لـم يستفيدوا كثيرا من الفلسفة السياسية والفكر السياسى.

في ضوء ما سبق فقد نقل العرب من التراث اليوناني علوماً معينة شــعروا بحاجتهم إليها وانها تتلاءم مع طبيعتهم وتتفق مع نظريتهم في الحياة ، فقد كــان اهتمامهم بترجمة كتب المنطق والفلسفة نتيجة لما شعر به علماء الإســـلام مــن الحاجة إلى مجادلة خصومهم المسيحيين واليهود والمجوس بالحجج والـــبراهين ذاتها ، وكان أكثر علماء المسلمين يجمعون بين هذه العلوم المختلفة ، فقد كـــان الكندي وهو أول مشاهير الفلاسفة المسلمين في الوقـــت نفســـه عالمـــا بـــالفلك والكيمياء والطبيعة والرياضيات وكان أيضا كل من الفارابي وابن سينا وابن رشد من كبار الفلاسفة وممن اشتغلوا بالطب والطبيعة والرياضيات.

وقد أقر مفكرو المسلمين بفضـــل الحضارة اليونانية في بعض الوجـــوه ، ومن بين هؤلاء الجـــاحظ إذ يقول : (لولا ما أودعت لنا الأوائـــل فـــي كتبـــها

وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا ، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن لندركه إلا بهم ، لما حسن حظنا من الحكمة ولَضَعُفَ سبيلنا إلى المعرفة)

ويقول الفارابي في كتابه (الجمع بين رأي الحكمين) : (لولا ما أنقذ الله أهل العقول والأذهان بهذين الحكيمين - أي أفلاطون وأرسطو - ومن سلك سبيلهما ممن أوضحوا أمر الإبداع بحجج واضحة مقنعة لكان الناس في حيرة لبس)

ويضيف أبو حيان التوحيدي خلاصة مذهب اخوان الصفا بقوله : (وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهبا زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله ، وذلك أنهم قالوا الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال ... وصنفوا خمسين رسالة في أجزاء الفلسفة علمييها وعمليها)

وحمل الشرق الإسلامى وعلماء المسلمين راية ولواء الفكر الحضارة وأضافوا إلى علومه في كافة الأفرع الكثير والكثير وبدورهم قد نقلوه إلى العالم الأوربي الحديث عبر الأندلس وجنوب إيطاليا وصقلية وما نقله الأوربيون أنفسهم من بلاد الشام أثناء الحروب الصليبية.

واندفع العالم الأوربي إلى إحياء التراث اليوناني بكافة علومه ومعارفه وفنونه وآدابه في عصر النهضة بغرض فهم منابع حضارتهم وجذورها ، فإذا كان الأوربيون المحدثون قد نقبوا في التراث اليوناني لتأصيل حضارتهم الحديثة، فالأجدر بنا نحن العرب اليوم أن نعود إلى هذا التراث الضخم الذى أسهم في تكوين الشخصية العربية الإسلامية في عصور ازدهارها .

الموقع الجغرافي لبلاد اليونان وأثره على الشعب اليوناني وحضارته

الإنسان وليد البيئة يتأثر بها ويؤثر فيها ، فهي تدفع الإنسان إلى العمل والنشاط تحفزه إلى استغلال الموارد المتاحة في ضوء إمكاناته وقدراته. وتعد دراسة البيئة الطبيعية في العصور القديمة ضرورة للباحث لأن العوامل الطبيعية في تلك العصور كانت تؤثر في توجيه النشاط الإنساني وجهوده وجهة محددة وذلك لأنه لم يكن قد بلغ درجة التقدم والرقي التى تمكنه من السيطرة عليها ، ولذا وجب علينا أن نلقي نظرة سريعة على بيئة اليونان الطبيعية حتى نتمكن من تفهم خصائص الشعب اليوناني وحضارته ، وفهم العلاقة بين اليونان بعضهم ببعض في بلادهم وعلاقاتهم بالعالم الخارجي.

تقع بلاد اليونان في أقصى الطرف الجنوبي الشرقي من القارة الأوربية والمطلة على البحر المتوسط وتكاد تلامس شبه جزيرة الأناضول عبر مئات الجزر المنتشرة في المنطقة الفاصلة بينهما وهذا ما جعل اليونانى يولي وجهه شطر الشرق دائماً في فترات حضارته الأولى.

أما عن طبيعة بلاد اليونان فهي طبيعة جبلية بحرية جزرية ، وسنحاول أولا أن نتحدث عن الطبيعة الجبلية وأثرها على الشعب اليوناني.

إن طبيعة شبه جزيرة البلقان هي طبيعة جبلية بحرية فالجبال تغطي حوالي ٨٠% من مساحة اليونان وهي منتشرة في شكل سلاسل جبلية تمتد عبر بلاد اليونان وأشهر هذه الجبال هي جبال بندوس (Pendos) التى تمتد في شكل قوس ضخم من البلقان الغربية إلى بلاد اليونان وجزر البحر الإيجي وغرب اسيا ، ويتفرع من هذه السلسلة عدة شعاب جبلية تكتنف الجانب الشرقي من بلاد اليونان ، هذه الطبيعة أدت إلى التمزق الشديد للسطح بالجبال والمرتفعات والوديان والسهول،

ومع أن هذه الجبال غير شاهقة الارتفاع فمتوسط ارتفاعها لا يزيد على ٨٠٠٠ قدم في أغلبها ، فإنها تعمل كحواجز طبيعية بين السهول وتحول دون الاتصال بين الجماعات المختلفة ، وتجعل التنقل شاقا بين منطقة وأخرى .

ومن ثم فقد انقسمت بلاد اليونان إلى أقاليم تكاد تكون معزولة عن بعضها البعض إلا من ممر ضيق بين المرتفعات الجبلية أو شريط على ساحل البحر ، وحتى هذه الممرات لم تكن يسيرة العبور. ولنضرب بعض الأمثلة عن وعورة البعض منها فلدينا جبال جرانيا Geranea وجبال كراتيه Karata الفاصلة بين منطقتي كورينثا وأتيكا ويوجد ممر على الحافة الشرقية لهذه الجبال ويتراوح ارتفاعه بين ٦٠٠-٧٠٠ قدما مما يخلق صعوبة لعابريه من المسافرين بسبب الرياح الشديدة الاندفاع في أحيان كثيرة نحو البحر وليست هذه الرياح هي العقبة الوحيدة التى كان يواجهها عابرو هذا الممر فقد كان يضيق في بعض أجزائه حتى لا يكاد يكفي إلا لمرور عابر واحد وإن كان عبوره يتم بعد جهد ومشقة ، وجبل كيثاريون Kithareon الذى يمتد على حافته ممر يصل بين منطقتي كورينثا وبؤوتيا ، وكان المرور في هذا الممر يمثل مشقة كبيرة تواجه سالكيه إذ يذكر إكسنفون أن قوة اسبرطية قد اضطرت أمام خطر الرياح الشديدة أن تلقي بدروعها جانبا حتى يستطيع الجنود أن يعبروا على أيديهم وأقدامهم[1].

ويشكل عبور جبال هيلكون الواقعة بين بؤوتيا وفوكيس عقبة كأداء لسالكيه وينطبق هذا القول أيضا على عبور جبال بندوس الواقعة بين تساليا وإبيروس ، فدروب هذه الجبال كانت تتجه إلى الارتفاع الذى يصل في المتوسط إلى ٣٠٠٠

(1) Xenophon , Hellenica , V. 17-8 .

قدما فوق سطح البحر ، كما أن هذه الممرات والدروب كانت تغطيها الثلوج في فصل الشتاء مما يعوق حركة الانتقال بين الجماعات المختلفة.

وإذا كانت الجبال تمثل عنصر فصل لاوصل بين المناطق المختلفة وحتى ممراتها على الرغم من صعوبتها فإن السكان لم يهتموا بالعناية بها وتعبيدها وذلك حتى لا يتعرضوا لغزو عبرها من قبل الجماعات المجاورة ، فإن البحر هو الآخر كان له بصماته القوية على بلاد اليونان وشخصيتها ، فقد كانت لحركة الانكسارات الجيولوجية في هذه المنطقة أبعد الأثر عليها حيث غزا البحر العديد من الوديان وحولها إلى خلجان تمتد لمسافات بعيدة في اليابسة ، وفي المقابل فإن سلاسل الجبال أصبحت تمتد داخل البحر مكونة أشباه جزر بارزة ثم تستمر بعد ذلك في صورة جزر متناثرة وهكذا صار البحر يكتنف بلاد اليونان من أغلب جوانبها ويتوغل في أراضيها توغلاً شديداً ويقطع سواحلها تقطيعا ولانجد شاطئا أخر في أوربا غريب التكوين مثل هذا الشاطئ ولا حتى شواطئ دالماتيا Dalmatia أو النرويج ذات الخلجان الكثيرة العدد والتى تقع كلها في نفس الاتجاه وليس فيها تنوع مثل التنوع الشديد في الشواطئ اليونانية. وأمام التداخل الشديد بين اليابسة والبحر فإن البحر لا يكون بعيدا أبدا عن أعين المسافر ويمكنه رؤيته أثناء رحلته إلى الداخل ، فكان البحر لا يبعد عن أي بقعة في بلاد اليونان إلا لمسافة بسيطة ، فلا يوجد مكان في بلاد اليونان الوسطى يبعد عن البحر بأكثر من واحد وستين كيلومترا ، ولامكان في البلوبونيز يبعد عنه بأكثر من ثلاثة وخمسين كيلومترا.

وأمام هذه الظاهرة كان البحر أحيانا هو طريق المواصلات الوحيد بين مدينة وأخرى وبخاصة في الجزر وأشباه الجزر ، ولكن إذا كانت أرض اليونان مقطعة في كل مكان فإن الوصف نفسه ينطبق أيضا على البحر المحيط بها حيث لا تكاد تغيب اليابسة عن عين الملاح. وقد أثمرت الانكسارات الجيولوجية عن غرق

المناطق المنخفضة من السلاسل الجبلية وبقيت المناطق المرتفعة هلى هيئة جزر فكان يوجد في البحر الإيجي ٤٨٣ جزيرة ، وفي غرب بلاد اليونان حوالي ١١٦ جزيرة ، ولم تكن الملاحة والإبحار أمراً يسيراً في العصور القديمة ومن ثم فإن البحر هو الآخر سيؤثر على اتجاه السكان نحو العزلة السياسية ، وإن كانت كثرة الجزر في البحر الإيجي ستساعد عل الملاحة والإبحار وهذا سيحكم توجه اليونان نحو الشرق وحضاراته في العصور السحيقة والعتيقة والكلاسيكية ، ثم الاتجاه نحو الغرب حيث الأراضي البكر.

وإذا كانت الجبال والبحار تمنع تحقيق الوحدة فإن الأنهار هي الأخرى لم تكن تساعد على تحقيقها ، فهي أنهار قصيرة المجرى قليلة الماء والكبير منها – مثل نهر بينيوس Peneus في تساليا ، ونهر ألفيوس Alpheus في البولونيز ، ونهر أخيلوس Achelous عند حدود إقليمي أكارنانيا وأيتوليا ، ونهر بميسوس في إقليم مسنيا – لا يصلح للملاحة إلا في فترة قصيرة من العام وإبان فصل الشتاء ، أما بقية الأنهار الأخرى فهي لاتزيد عن أن تكون سيولاً تمتلئ بالماء إلا بعد العواصف الشديدة أو خلال فصل الشتاء وتجف مجاريها بقية فصول السنة ، وإذا كانت هذه الأنهار غير صالحة للملاحة فإنه يتعذر عبورها واجتيازها عندما تفيض مياهها في فصل الشتاء ، وغالبا ما يجرى الانتقال البري على الطرق المحازية لمجاري الأنهار.

وأمام الأثر السلبي للغاية لهذه الطبيعة الجبلية البحرية الجزرية المعقدة ، فإننا نجد انقسام الشعب اليوناني إلى جماعات كثيرة صغيرة منفصلة عن بعضها البعض، وكل واحدة منها حريصة على استقلالها التام والتى كان بإمكانها أن تدافع عنه بسهولة كما أنها تمسكت بسيادتها Autonony ولم تقبل أبدا نظام حكم مشترك أو حتى اتحادي فيما بينها كما سبق أن بينا . ولذلك فشلت كل المحاولات الرامية

للوحدة أحيانا والتى اضطروا إليها اضطرارا تحت إلحاح الخطر ولكن سرعان مـــا تــزول . كذلك كان مع هذه التضاريس الوعرة من الصعوبة بمكان انشاء نظام جيد للطرق وهو القاعدة الأولى والأساسية لتوحيد أي دولة ، ولم تكن الطرق البرية بيــن المدن إلا طرقا رديئة لا تساعد على الانتقال والاتصال .

وأمام هذه الظواهر فقد تأصلت النزعة الانفصالية السياسية عند الجماعـــات حتى ذهبت إلى أبعد مما كان تمليه الطبيعة ، وتكونت المدن الدول التى استمســكت بحياة الاستقلال ولا ترضى عنها بديلا وقد أشاد مفكرو اليونان بهذا النظام وعـــدوه النظام الوحيد الذى يستطيع العيش في ظله الإنسان الحر فقد عبر أرسطو عن قـــوة وفاعلية نظام المدينة الدولة في قوله :(لقد ظهر هذا النظام إلى حيز الوجـــود مـــن أجل الحياة لاغير ، ثم بقي موجودا من أجل حياة خيرة)

وكان لهذا تأثيره أيضا عند خروجهم من بلاد اليونان وتأسيسهم للمستعمرات في الأراضي السهلية الخصبة الفسيحة أنهم أقاموا نظام المـــدن الـــدول وهـــذا مـــا سنلمسه في مستعمرات سواحل اسيا الصغرى ، وإيطاليا وصقلية ، بـــل ســـنجد أن بعض الجزر كان بها أكثر من مدينة دولة وسنتناول هذا عند حديثنا عـــن حركـــة الهجرة الكبرى شرقا وغربا لليونان.

المناخ وأثره في اليونان :

كان للمناخ أثر بالغ فى حياة وشخصية اليونان ، فمناخ اليونان هـــو منـــاخ البحر الأبيض المتوسط المعتدل ، فصيفها حار جاف وشتاؤها ممطر دافئ . ويرجع اعتدال المناخ في بلاد اليونان إلى اعتدال البحر المتوسط حيث تهب الرياح العكسية الغربية في فصل الشتاء مما يلطف من برودة الجو ، بينما يجذب في الصيف الرياح الشمالية الشرقية الجافة الباردة فيلطف من درجة حرارته ، وإن كان هناك اختـــلاف

وتنوع في مناخ المناطق المختلفة من اليونان فكلما توغلنا في داخل بـــلاد اليونـــان وابتعدنا عن البحر فإننا نلمس وبصورة جلية اختلاف المناخ الذى يبعد عن تـــأثيرات البحر ويصبح أكثر شبها بمناخ قلب القارة الأوربية ، وفي الغالب الأعم فقـــد كـــان مناخ بلاد اليونان ثابتاً منتظماً نسبياً وهو مناخ ملائم لنشأة الحضارات وسيكون لهذا المناخ تأثير واضح على الحضارات الأولى وحدد قيامها على الأطراف وليس فـــي الداخل وهذا ينطبق على حضارة الجزر (الكوكلاديس وكريت) وعلى الحضـــارة الموكينية ، وكذلك على انتشار المستعمرات اليونانية على السواحل الأسيوية وفـــي جنوب إيطاليا وصقلية.

إن اعتدال المناخ وكثرة سطوع الشمس لساعات طويلة صيفاً وشتاءً كان لـــه عظيم الأثر في حيـــاة اليونان الجماعية فكان اليوناني يقضي ساعات طويلة مـــن فراغه خارج المنزل ويلتقي ببقية الجماعة ، حيث يمكنه تبـــادل الأفكـــار وشـــحذ القدرات العقلية ونمو فكرة الحياة المشتركة ، وكان صهر وصقل الأفكار المشـــتركة موضعهُ ساحة المدينة العامة أو السوق (agora) فقد كانت ساحة متعددة الأغـــراض لتبادل السلع والمنافع ، وللتقاضي وتبادل الأفكار والحوار ، وكان ثمرة هـــذا كلـــه النضج السياسي ، كما أن سطوع الضوء لساعات طويلة ســـواء علـــى الجبـــال أو البحار والأنهار والغابات والمراعي المروج والمزروعات وكلها غالبا ما تكون فـــي مرمى البصر اليوناني ويؤدي إلى تباين وتقابل الألوان كل هذا كان له الأثر البـــالغ في التأثير على حواس اليونان التى ظلت حية متوثبة ، وعندما تكون الحواس نشطة مشحوذة في حماس فنتيجة ذلك أن العقل يكون متوقداً متأهباً لتفحص وتامل كل شئ وتفسير ما حول الإنسان من أمور وأحوال فلا عجب إذاً من شغف اليونان بالتـــأمل الطويل ، فقد أُثر عن سقراط أنه كان يظل واقفا ساعات طويلة ذاهلا عمن حوله من

الناس ، وغير عابئ بمضي الوقت ، وكانت نتيجة هذا كله تشكيل الفكـر اليونـاني الفلسفي والسياسي وازدهار الفكر المسرحي بشقيه التراجيدي والكوميدي...إلخ

وإذا كان المناخ قد لعب دوراً حيوياً في حياة اليونان فعلينـا أنْ ننتقـل الآن لمناقشة موارد الثروة عند اليونان وعدم كفايتها وأثر ذلك عليهم.

موارد الدخل والثروة في بلاد اليونان :

لم تكن طبيعة بلاد اليونان سخية في عطائها من الناحيـة الاقتصاديـة ، إذ كانت نسبة الأرض السهلية حوالي ٢٠% من مساحة اليونان الكلية ، بينما المسـاحة الباقية عبارة عن ٨٠% أراضي جبلية ، وكان على اليونان أن يقيمـوا ويسـتغلوا المناطق السهلية المحدودة التى لم تكن درجة خصوبتها واحدة فقد تباينت بين منطقة وأخرى ، كما تباينت مساحة السهول في مناطق اليونان المختلفـة. وأمـام نقـص المساحة الزراعية السهلية في بعض المناطق فقد لجأ اليونان القدماء إلى اسـتغلال سفوح الجبال ذات التربة الضئيلة السمك وبذلوا جهودا كبيرة لاستزراعها بعـد أن درجوها ، وهذا يظهر جليا في جزر الكوكلاديس.

وتتركز السهول الرئيسية في المناطق الآتية :-

١) منطقة تساليا حول لاريسا وشرق فارسالوس وسهول نهر إسـبرخيوس شـرق ماليس وفي فوكيس جنوب إلاتيا.

٢) سهول بووتيا.

٣) سهول أتيكا ومنها سهل اليوسيس وسـهل ميسـوجيا Mesogaea الواقـع بيـن هيمتوس وجبال الساحل الشرقي والسهول حول ماراثون.

٤) سهول أرجوليس وهي موجودة حول أرجوس والسهل المتاخم لمانتينا وتجيـا ، وسهل لاكونيا والسهل الساحلي الغربي بإقليم إيليس.

٥) سهول جزيرة يوبويا.

وقد انتشرت في هذه السهول المزارع ومناطق رعوية وكلما زادت حاجة اليونان وزاد عددهم ، توسعوا في زراعة واستصلاح جانباً من أراضي المراعي، وإذا شحت الأرض في المناطق السهلية كان عليهم إما أن يقوموا بتدريج سفوح الجبال وزراعتها ، وإما أن يخرجوا من منطقتهم مهاجرين ساعين للانتقال إلى مناطق أكثر رخاءً وازدهاراً فيما وراء البحار . كما لجأ اليوناني للحفاظ على خصوبة التربة وذلك بتقسيمها إلى قسمين ، أحدهما : يزرع ، والآخر : يترك خلاء، على أن يزرع في العام التالي مع ترك الأول بغير زرع وهكذا كانت تتناوب العملية الزراعية .

ومن أهم الحاصلات الزراعية القمح والشعير ، وكانا يمثلان الغذاء الرئيسي عند اليونان وكانت كل مدينة دولة تحاول زراعة ما يكفي حاجتها من القمح ، وإذا قل العرض عن الطلب وعجزت المدينة الدولة عن تحقيق الاكتفاء الذاتي كانت مجبرة على استيراده . لقد كانت زراعات الأعناب تجود في اليونان التى عرفتها منذ فجر تاريخها ، وكانت زراعته تسد حاجة الاستهلاك المحلي ، إذ كان عصيره هو الشراب الشعبي عند اليونانيين ، وما يفيض عن حاجتهم كان يصدر إلى الخارج .

كما أن زراعة الزيتون قد جادت في الأرض اليونانية ، وكان من المحاصيل الرأسمالية في اليونان ، إذ كان يستخدم زيته في عدة أغراض حيوية فزيت العصرة الأولى للطعام ، وزيت العصرة الثانية للاستحمام والنظافة ، وزيت العصرة الثالثة للإضاءة ، أما بقية مخلفاته فكانت تستخدم كوقود وكان يتم إنتاجه بكميات كبيرة نظرا لملائمة التربة اليونانية والأحوال المناخية لزراعته ، وإن كانت أشجاره لا تبدأ في الإثمار إلا بعد ستة عشر عاما أو ثمانية عشر عاما ، ويزداد إنتاجها تباعا ،

وتعطي أعلى إنتاج عندما يصل عمرها أربعين عاما أو ستين عاما ، وأمام طول فترة انتظار المحصول الوافر فقد كان من العسير زراعته إلا في ظل حكومة قوية وعند زراع يتسمون بالصبر ولديهم المال الكافي للاستثمار في الزراعة.

وعرفت بلاد اليونان زراعات التين والكمثرى والتفاح والبرتقال ، وفي الغالب الأعم فإن موارد بلاد اليونان في الحبوب لم تكن تكفي لسد حاجة السكان وكان عليهم استيراده بينما كان يوجد عندهم فائض في النبيذ وزيت الزيتون وكان عليهم تصديره إلى الأسواق الخارجية.

ولم تكن الزراعة هي مصدر الثراء الوحيد فقد كانت حرفة الرعي تمثل مصدر الدخل الثاني لليونان وقد استغل اليونان أراضي المراعي في السهول وعلى سفوح الجبال وعلى الجبال نفسها ، فقد اعتنوا بتربية الحيوانات ، مثل : الأبقار والأغنام والماعز والخيول والبغال والخنازير.

كما استغل اليونان أخشاب الغابات المحلية لسد احتياجاتهم ولكن بمرور الوقت قلت مساحة الغابات إذ امتدت يد الإنسان اليوناني واجتثت جانبا منها وأحلت زراعة الحاصلات محلها كما كان للماعز دور كبير في إتلاف الكثير منها ، وأمام نقص الأخشاب فقد استوردوها من البلاد المجاورة.

أما عن ثروة بلاد اليونان من المعادن والأحجار ، فهي متعددة الأنواع وإن كانت غير وفيرة ، فكان الرخام المتعدد الأنواع يتم قطعه من باروس بكميات كبيرة، كما كان يتم استخراج الذهب من مناجمه في تراقيا ومقدونيا وجزيرة ثاسوس Thasos ، والفضة من مناجمها في لوريوم Laurium في أتيكا ، والنحاس من مناجمه بالقرب من خالكيس بجزيرة يوبويا وقبرص ، والحديد من مناجمه في

لاكونيا. وهذه المعادن كما نرى كانت تستخرج من بعض المدن الدول وتصدر إلى دول مدن أخرى وكان يسد النقص بالاستيراد من خارج المدن الدول .

قصارى القول أنه في ضوء ما فرضته الظروف الجغرافية – التضاريسية والمناخية – وفي ضوء نقص الموارد نجد أن اليونان قد كان عليهم العيش في جماعات صغيرة ، يعرف كل جماعة بعضهم بعضا ، وتعيش هذه الجماعة حياة منطلقة يتبادلون الرأي والمشورة في كافة القضايا التى تواجههم أو تعن لهم ، وأمام سياسة الاكتفاء الذاتي لكل جماعة ، فإن هذا سيؤدي إلى ترسيخ الروح الفردية الانعزالية لدى كل جماعة بمرور الوقت ، وصارت هذه الجماعات لاتقبل العيش إلا في جماعات صغيرة وهذا ما ستؤكده حركة الاستعمار والهجرة عندما ضاقت عليهم الأرض وأصبحت لا تفي باحتياجاتهم الضرورية في أحايين كثيرة ، فهاجروا إلى مناطق جديدة نقلوا إليها نظمهم وأفكارهم التى اعتادوها في مواطنهم أو مساقط رأسهم ، وأقاموا تنظيمات وكيانات منفصلة بشكل تام عن مدنهم الأم المنحدرين منها ، وهذا ما سنشرحه في الفصول التالية.

* * * * * * *

بداية التاريخ اليونانى :

كان اليونانى فى العصور القديمة يعتبر أن التاريخ محفـــوظ فـــى ملحمتـــى الاليـــاذة والأوديسة ، وفى القصص والأساطير ، التى وصلت إليه مـــن المـــاضى البعيـــد ، الخاصة ببعض مراكز الحضارة التى مازالت بعـــض آثارهـــا شـــاخصة للعيان أمامه وتذكره بمجدها الآفل ، مثل موكيناى وتزينس ، ولم يضع المفكـــرون القـــدماء حـــداً فاصلاً بين الماضى الأسطورى والأحداث الواقعية الملموســـة فـــى التاريخ ، فعلى سبيل المثال يقص علينا هيرودوت أن حرب طروادة قد اندلعت فـــى زمن الجيل الثالث بعد وفاة الملك مينوس . وكانت الحرب بالنسبة له حدثاً تاريخيـــاً غير قابل للجدل ، كما كان الحال عليه بالنسبة لحملة ياسون إلى كولخيس لاحضـــار الفروة الذهبية ، وحتى المؤرخ الناقد والمدقق ثيوكيديديس قد افتتح روايته للتـــاريخ اليونانى بالإشارة إلى الملك مينوس ؛ إذ يقول " مينوس هو أول من اشـــتهر عندنـــا عن طريق الروايات المأثورة . بأنه أنشأ أسطولاً ، إذ جعل نفسه سيداً على جـــزء كبير مما يسمى الآن البحر الهلينى ، وصار سيد الكوكلاديس وهو أول من اســـتعمر معظمها وذلك بأن طرد الكاريين ونصب أبناءه حكاماً لها . وعمل مينـــوس طبعـــاً على تطهير البحر من القراصنة قدر استطاعته ، لكى يصل إليـــه خـــراج مملكتـــه بسهولة ، مع ادراك ثيوكيديديس المؤرخ الناقد والمدقق أن اشعار هوميروس تـــؤرخ بفترة متأخرة عن الأحداث المحيطة والمفترض حدوثها بسقوط طروادة ، نجـــده لا يشك فى أصالة الشاعر قط ، أو فى أن أجاممنون كان ملكاً على موكيناى ، كما نجد المؤرخ الموسوعى أراتوسثتنيس القورينى قد بدأ مسحه للأحداث التاريخية فى بـــلاد اليونان بحرب طروادة والتى أرخها بعام ١١٨٤ ق.م " . ومن الكتّاب القدامى الذين خصوا كريت وحضارتها بالذكر والتقدير ، هوميروس ، وهيرودوت ، وثيوكيديديس وافلاطون وأرسطو ، وكانت معلوماتهم عنها مقتضبة ولكنها دقيقة فى تفاصيلـــها .

فمن أقوال هوميروس فى الالياذة أن الجزيرة كان بها ١٠٠ مدينة وسبع منها أورد ذكرها فى قلب الجزيرة وهى كنوسوس ، وجورتين ، وليكتوس ، وميلتوس وفايستوس وريتيون Rhytion ، كما نجده يذكرها فى الأوديسة قائلاً : " فى قلب البحر القانى فى لون النبيذ توجد أرض تسمى كريت ، وهى واسعة وخصبة ، ومحاطة بالبحر ، ويستمر فى القول أن إناس كثيرين يعيشون هناك ، وأن بها ٩٠ مدينة ولغات مختلطة ، وهؤلاء الناس كانوا من الاخيين ، والايتوكريتيين (Etocretans) والكيدونيين (Kydonians) والدوريين والبلاسيجيين ، وأيضاً توجد مدينة كنوسوس حيث مينوس ، رفيق الإله الأكبر زيوس قد اعتاد أن يكون ملكاً لمدة تسع سنوات ، كما نجد أن الكتّاب اليونانيين ومنهم افلاطون يذكرون أن مينوس كان يذهب كل تسع سنوات إلى كهف زيوس حتى يمكنه تجديد الرفقة والصحبة سواء مع زيوس أو مع الالهة الأم كى يتسلم سلطته منها . وقد أشاد أرسطو فى كتاباته بنظم كريت وحضارتها . وهكذا نجد أن الشعراء والكتّاب والفلاسفة امنوا إيماناً صادقاً بوجود هذه الحضارات ، فما هو موقف المفكرين والدارسين المحدثين فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من الحضارات السالفة الذكر ؟ لقد اتخذ المؤرخون المحدثون موقفاً ناقداً من الحقائق المأخوذة من الملاحم وكتب المؤرخين القدامى ومن الاساطير ورفضوا أن يقبلوا العصر البطولى كعصر تاريخى واعتادوا أن يبدأوا كتبهم بقسم يخصصونه لدراسة الاساطير اليونانية التى كتبها الكتّاب القدامى ، وعمدة هذا الاتجاه هو المؤرخ الانجليزى جورج جورنى G. Grote الذى كتب فى منتصف القرن التاسع عشر سفراً ضخماً عن التاريخ اليونانى ، وميز فيه بين الأسطورة والتاريخ الحقيقى ويعتقد أن التاريخ اليونانى يبدأ بالهجرة الدورية ، وان كان قد بدأ تاريخه بأول دورة للألعاب الاوليمبية عام ٧٧٦ ق.م لكون تلك الالعاب تمثل نقطة انتقال من عالم الأسطورة والخرافة إلى التاريخ الحقيقى ، ولم

تكن الحفائر الاثرية قد بدأت بعد بشكل منتظم وعلمى ، وبدأ العلماء فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر تنقيباتهم الأثرية ، والتى ما تزال مستمرة ، وقد اتت أكُلها وما تزال تجود بالكشف عن جوانب من حضارات عتيقة " ابتداء من العصور الحجرية والبرونزية " غير مشكوك فى صحة وجودها ، وهذه الحضارات قامت ووصلت ذروة مجدها فى المنطقة الايجية وبلاد اليونان القارية ، كما كشفت لنا عن أن حضارات عصر البرونز قد عرفت الكتابة وتركت لنا رقماً مكتوباً ، ومن هذه الحضارات حضارة جزر الكوكلاديس ، والحضارة الهيلادية .

وقد بدأت الحفائر فى عالم بحر إيجه تميط اللثام عن حضارة رائعة على يد المنقب الألمانى هينرش شليمان (Heinrich Schliemann) . إذ كشفت تنقيباته عن وجود حضارات سابقة بزمن طويل عن التاريخ المتعارف عليه عند المؤرخين المحدثين وهو ٧٧٦ ق.م . لقد قام هذا الرجل العظيم بعد جمعه ثروة طائلة من أعماله التجارية والتى مكنته من الانفاق على إجراء حفائر فى منطقة طروادة وفى مناطق أخرى من بلاد اليونان مسترشداً بالوصف المسجل فى الإلياذة والاوديسة ، وكان يؤمن بهما ايماناً عميقاً ويوقن أنهما يعكسان تاريخاً لحضارات قديمة ولاحداث تاريخية حقيقية ولا تمثلان أساطير ، وكان يؤمن أن حرب طروادة كانت واقعاً لا خيالاً . وقد بدأ حفائره فى طيبة فى عام ١٨٧٠ وفى موكيناى ١٨٧٤ ، وفى أورخومينوس Orchomenenos عام ١٨٨٠ ، وفى ترينس عام ١٨٨٥ . وكان من ثمار حفائره أنها كشفت عن دول قوية زاهرة لقرون قبل التاريخ المقبول لبداية التاريخ اليونانى وأن بعض اللقى والمخلفات الأثرية كانت متطابقة مع وصف هوميروس وأن حرب طروادة كانت حقيقية وواقعاً فى حياة اليونان ، وتحت تأثير الروايات المتواترة فى العصور القديمة لهوميروس والكتّاب الآخرين عن قوة الملك مينوس Minos ملك كريت وأنه قد حكم وسيطر على البحر الإيجى ؛ فقد حاول

هنيرش شليمان الكشف عن الحضارة المينوية ، ولكنه فشل فى شراء الأرض من مالكها والتي كان يرى أنها تخفى بقايا قصر كنوسوس وكان على حق فى اعتقاده ، وإذا كان شليمان قد فشل فى شراء هذه الأرض ، فإن محاولات وجهود العالم الانجليزى أرثر ايفانز قد نجحت وتوجت بشراء الأرض من مالكها ، وبدأ فى إجراء حفائره فى المنطقة عام ١٨٩٩ م. وكانت نتائجها رائعة إذ كشفت عن حضارة زاهرة فى كريت وأنها كانت أكثر رقياً وازدهاراً وروعة من تلك التى عرفتها بلاد اليونان الهيلادية ، وأنها كانت سابقة عليها وأن الحضارة الهيلادية قد تأثرت بها فى مجالى الفكر والدين ، وكان ذلك خلال الألف الثانية قبل الميلاد . وكان لهذه الكشوف الأثرية فى الدوائر العلمية صداها الكبير إذ حفزت الجمعيات العلمية والجامعات على إجراء الحفائر فى كريت ومنطقة بحر إيجة واسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان والمناطق المجاورة ، وكان ثمرة كل هذا نتائج رائعة غيرت لنا الكثير من الآراء ومازالت تغير مع كل نشر جديد وكل كشف جديد عن حضارة اليونان وأصولهم . وهكذا فقد نسخت نتائج الحفائر الأثرية اراء مؤرخى القرنين الثامن والتاسع عشر ، وكان لابد من إعادة كتابة فصول تاريخ هذه الفترة فى ضوء اللقى الأثرية والآثار المعمارية . فتحركت الهمم والاقلام واثمر هذا عن كتب ومقالات بلغات شتى عن هذه الحقبة . وبعد أن عرضنا فى عجالة لبداية التاريخ اليونانى ننتقل الآن للحديث عن أصول الشعب اليونانى :

أصل الشعب اليونانى :

من هم سكان بلاد اليونان والجزر وكريت الأول؟ وهل كانوا ينتمون لجنس واحد أم عدة أجناس ؟ وهل كانوا أجداداً لليونان ؟ وهل كانوا يتكلمون لغة هندواوربية أم لغة أو لغات أخرى ؟ وهل نزلوا المنطقة فى موجة واحدة من الهجرة أم فى موجات متتالية أم متقطعة من الهجرات ؟

كشفت لنا التنقيبات الأثرية أن بلاد اليونان والجزر قد شهدت سكنى الانسان من العصر الحجرى القديم ، إذ سكن الإنسان مناطق تساليا فى وادى نهر بنيوس Peneus ، وفى مناطق شمال ووسط اليونان والجزر ، وزادت مستوطناته فى هذه المناطق فى العصر الحجرى الوسيط ، وفى الفترة الانتقالية بين العصر الحجرى الوسيط والعصر الحجرى الحديث زادت أعداده عندما عرف الزراعة واستأنس الحيوان وصار زارعاً مستقراً وراعياً لقطعان وأعداد كبيرة من الحيوانات ، وزادت محلات سكناه فى العصر الحجرى الحديث ، ويرى البعض أن هذه الزيادة فى عدد المستوطنات فى تلك المناطق ناتج عن موجات من الهجرة وفدت إلى تلك المناطق ، وبعد الاستقرار فقد طور الإنسان أدواته الحجرية وصنع فخاره ، وأطلق كتاب اليونان القدامى على أصحاب حضارة العصر الحجرى الحديث البلاسيجيين Pelasgoi أو الليلجيين Leleges ، والكاريين ، ويرجح أن هؤلاء قد وفدوا من جنوب غرب اسيا الصغرى ، ودخلوا عبر الجزر اليونان من سواحلها الشرقية والجنوبية ، ولعلهم كانوا يمتون بالصلة للسكان الأوائل فى كريت وجزر البحر الايجى ، ولم تكن لغة البلاسيجيين تنتمى إلى العائلة الهندواوربية ، ويتضح ذلك من نهايات أسماء كثير من الأماكن والنباتات والطيور والملاحة وصيد الأسماك ، ومن هذه النهايات ، النهاية (SOS) والنهاية "ene" والنهاية thos مثل كورنيثوس وموكينى ، برناسوس ... الخ . ومما هو جدير بالذكر أن الكثير من مفرداتهم قد تبناها مهاجرون هنداوربيون جدد وفدوا أو توافدوا على المنطقة – فى رأى بعض الباحثين – فى خواتيم الالف الثالثة أو فى بداية الالف الثانية بعد الميلاد ، ولكن لا نعرف من أين أتوا ، فلعلهم وفدوا من منطقة حوض الدانوب أو شمال أوربا الشرقى أو من منطقة أكثر بعداً من ذلك ، وأغلب الظن أنهم لم يدخلوا فى هجرة واحدة ، وإنما دخلوها فى أفواج متعاقبة وأن هجرتهم قد استغرقت عدة قرون ،

وكان ثمرة هذه الهجرة أن عناصرها قد طغت على السكان القدامى وأصبحوا الطبقة الحاكمة بفضل تفوقهم العسكرى ، ولكنهم فى نفس الوقت قد امتزجوا بالسكان الأصليين ، وسنحاول أن نلقى الضوء على تاريخ وصولهم الدقيق قدر ما تمكننا به المصادر الوثائقية ، يرى العالم نلسون أن هذه الهجرات لم تتوافد على العالم اليونانى قبل عام ١٦٠٠ ق.م ولكن جل الآثاريين والمؤرخين يرون أنهم توافدوا على المنطقة مع فاتحة الالف الثانية ، وأن هذه المرحلة تمثل مرحلة العصر الهيلادى الوسيط فى بلاد اليونان ويرى بول كرتشمر P. Kertschmer أن الهجرات الهنداوربية إلى بلاد اليونان كانت توافدت فى ثلاث موجات من الهجرة وهى الايونية والآخية والدورية ، والايونيون هم الذين توافدت هجرتهم فى القرن العشرين ، بينما توافدت جموع الآخيين فى القرن السادس عشر والدوريون فى القرن الثانى عشر(*) . فماذا عما تنبئنا به المصادر الوثائقية ؟ تقدم لنا الألواح المكتوبة التى تم العثور عليها فى مناطق مختلفة من كريت وبلاد اليونان . معلومات عن وجود العنصر اليونانى فى بلاد اليونان والجزر وكريت ولكن فى فترة متأخرة فقد وجدت أعداد وفيرة من المجموعة الخطية الثانية ، فقد عثر على ٣٠٠٠ لوح منها فى كنوسوس ويعود تاريخها إلى عام ١٤٠٠ ق.م ، وفى بيلوس تم العثور عام ١٩٣٩ م. على حوالى ١٢٥٠ لوحاً منها وعثر على ٥٠ لوحاً فى موكيناى فى علم ١٩٥٢م. ويعود تارخها إلى عام ١٢٠٠ ق.م وعثر على ٢٠ لوحاً فى طيبة سنة ١٩٦٤ ويعود تاريخها إلى حوالى عام ١٣٢٠ ق.م .

وفى ضوء هذه الألواح نعرف أن اليونان كانوا يعيشون فى بلاد اليونان فى القرن الرابع عشر ، فماذا عن الفترة السابقة ؟ لعل نقص المادة المكتوبة من نفس المجموعة للفترة السابقة راجع إلى أنَّ أصحاب الحضارة اليونانية كانوا يستخدمون

(*) هذا الرأى يشوبه بعض الأخطاء والتى سنصححها فى الصفحات التالية .

رقماً طينية غير محروقة وبعد الانتهاء من أغراضهم منها كانوا يعيدون استخدامها بعد نقعها فى الماء مرات ومرات ، وما وصلنا من رقمهم فقد وصلنا نتيجة لحرائق شبت فى العصور المختلفة ومن ثم حفظتها لنا . فقد شبت حرائق هائلة فى كفوسوس عام ١٤٠٠ وفى طيبة عام ١٣٢٠ ق.م وفى بيلوس عام ١٢٠٠ ق.م .

وإذا كان أقدم الرقم من المجموعة الخطية الثانية يعود تاريخه إلى عام ١٤٠٠ ق.م فهو لا يقدم لنا معلومات عن موعد وتاريخ وصول هؤلاء الناس إلى بلاد اليونان ، ولعلهم قد استخدموا المجموعة الخطية الأولى (Linear A) والتى يعود تاريخها إلى الفترة ما بين ١٧٥٠ - ١٤٠٠ ق.م ، وهذه المجموعة ماتزال لسوء الحظ مُغلَقة على العلماء فلم يتم قراءتها بعد ولم تفك طلاسمها الأمر الذى يدعونا إلى الأخذ بالدليل الاثرى واللقى الاثرية فى المواقع المختلفة التى عاش فيها هؤلاء القوم . لقد سبق أن ذكرنا أن اللقى الاثرية فى تلك المواقع يعود بنا إلى أن سكنى الإنسان فى بلاد اليونان إلى العصور الحجرية ، ونضيف هنا أن فترة التحول من العصر الحجرى الحديث إلى عصر البرونز العتيق قد حدثت فى بداية الألف الثالثة ق.م . فى منطقة بحر إيجة ومن المرجح أن مهاجرين من وسط اسيا الصغرى ومن سكان منطقة البحر المتوسط قد حملوا معهم معدن النحاس أولاً ثم البرونز إلى بلاد اليونان الأم والكوكلاديس وكريت واستمر العصر البرونزى الباكر لمدة ألف عام تقريباً . وفى نهاية هذه الفترة أو بداية الألف الثانية وفقاً لأغلب العلماء كان أول ظهور لهجرة هنداوروبية فى المنطقة والمناطق المجاورة فالالواح المكتوبة التى تم العثور عليها فى كانش (كولتيتى) فى قلب أسيا الصغرى تكشف عن أن عناصر هنداوربية عاشت فى القرن العشرين والقرن التاسع عشر وربما فى فترة أسبق ، ربما فى أواخر الألف الثالثة ، وأن هؤلاء الجائلين من العناصر الناطقة باللغة الهنداوربية قد بدأوا فى الهجرة ، لأسباب عديدة ، وفى أوقات مختلفة إلى

الهند وهضبة إيران واسيا الصغرى والبلقان بما فيها اليونان وإيطاليا وأجزاء أخرى من أوربا . وبعد استقرار تلك الجماعات بدأت تنفصل عن بعضها البعض وتطورت لغتها بشكل منفصل ومختلف عن الجماعات الأخرى ، وكان أول وصول لليونان فى عام ٢٠٠٠ ق.م تقريباً . وفى غضون بضعة قرون فقد انتشروا فى بلاد اليونان . ويكشف علم الآثار عن وجود العديد من التجمعات السكانية فى هذه الفترة فى البلوبونيز ووسط بلاد اليونان وتساليا . ونذكر مثالاً واحداً من موكيناى حيث كشف شليمان عن ست مقابر تحتوى على ست عشرة جثة لرجال ونساء وأطفال ودفن معهم لقى ذهبية وتحتوى على أقنعة ذهبية للرجال . ويرجع تاريخ هذه المقابر إلى القرن السابع عشر والسادس عشر ، ويكشف لنا هذا عن تواجدهم فى القرن السابع عشر ومن المؤكد أنهم تواجدوا فى موكيناى من عدة أجيال سابقة ومن المرجح أنها نزلت بأرض اليونان فى خواتيم الألف الثالثة ؟؟- وفاتحة الألف الثانية قبل الميلاد ؟؟. وجملة القول أن العناصر الهنداوربية قد تواجدت في بلاد اليونان فى الفترة السابقة على القرن السابع عشر . فى ضوء ما لدينا من أدلة أثرية ، وهذه العناصر كانت تتكلم لغة يونانية عتيقة .

وإذا كان من الثابت أن بلاد اليونان قد عرفت عنصر البحر الأبيض المتوسط والعنصر الهندوأوربى ، فإن البعض يفترض أنها قد عرفت هجرات سامية افريقية أو غزاة شرقيين ارفع حضارة وأعلى شأناً فى نهاية العصر الهيلادى العتيق أى حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م ووفقاً لهذا الرأى فقد غشت موكيناى وغيرها من مراكز الحضارة الهيلادية هجرة أو هجرات سامية وأقامت أسر حاكمة بتلك المناطق . وهذا ما تعضده الروايات اليونانية المتواترة ، فكان من بين القصص الرائجة فى القرن الخامس عند الكتّاب القدامى قصة تقول إن زعيماً من زعماء عصر البطولة الباكر يُدعى دناؤس جاء من مصر إلى بلاد اليونان ونزل بمدينة أرجوس حيث

أصبح ملكاً عليها فيما بعد ، وهناك قصة أخرى تقـــرن بيـــن دنـــاؤس وكــــادموس وبيلوبس بوصفهم جميعاً أجانب . فالأول من مصر والثانى من فينيقيا والثالث مــــن أسيا الصغرى ، ان مثل هذا القصص عن الغزو والهجرة الأجنبية لا يمكن أن يكون خيالاً ، إذ تذكر المصادر الأدبية أن دناؤس كان جداً لدناءى Danae وهـــى والـــدة برسيوس مؤسس موكيناى وهو جد هيراكليس ويورستيوس Euryotheus ، وانـــــه عاش فى القرن السادس عشر ونقش باروس يضع عام ١٥١١ كتاريخ لحكم دناؤس. كما أن ابن عمه الأمير كادموس الفينيقى هو الآخر قد جاء إلى بؤوتيا واستقر فـــى طيبة – وأسس أسرة حاكمة بها – وأصبحت طيبة تعرف فى الأساطير القديمة باسم كادميا أى مدينة كادموس ويعرف أهلها بالكـــادميين . ويـــرى البعـــض أن هجـــرة كادموس قد خرجت من أسيا الصغرى ، كما أن الحفائر الاثرية قد كشفت منطقـــة سكنية تحمل الطابع المصرى ، فى عمارة مبانيها من أشكال هرمية وأبار وهميـــة سحيقة فى نفس منطقة كادميا ، وتؤرخ بنهايات الألف لثة قبل الميـــلاد كمـــا أن اللقى الاثرية من المزهريات تكشف لنا عن صور أيور Europa فى لباس شرقى، وهناك صور للدائيين مشابهة لها . وهكذا على ما يبدو ان بلاد اليونان قد عرفـــت حركة هجرة شرقية سامية وربما يكون ذلك فى بداية الالف الثانية وربمـــا تكـــون هجرة أخرى فى القرن السادس عشر ، ولعل ما ذكره الكتّاب اليونان بشأن هذا هـــو خير دليل على هذه الهجرة ، لأنهم عاشوا فترة كانت فترة نضج وتفـــاخر الكتّـــاب اليونان بثقافتهم وحضارتهم ، وأنه كان الأجدر بهم أن يرفضـــوا التـــأثير الشـــرقى والاستيطان من الشرق ، ولكن نجدهم مع تعصبـــهم القومـــى يقـــررون أن هنـــاك هجرات شرقية وفدت إلى بلاد اليونان ، وبعد اندمـــاج هـــذه العنـــاصر المختلفـــة واستقرارها لفترة طويلة علا أو سما نجم حضارتها وأصبحت هى السائدة فى بـــلاد اليونان وفى منطقة بحر إيجه وجزره . ولكن مع مطلع القرن الحادى عشر وجدنـــا

موجة من الهجرات الجديدة من العناصر الهنداوربية – التسالية و الأرنية والدورية – تغشى بلاد اليونان وتسيطر على مناطق واسعة منها ، من بلاد اليونان ومنطقة بحر إيجة ، وكان لقدومها وسيطرتها أن هاجرت عناصر اخية سواء من الأيوليين أو الأيونيين إلى منطقة الجزر وسواحل اسيا الصغرى ، كما أن هذه الفترة شهدت اندماج وامتزاج العناصر اليونانية المختلفة وكونت الأمة اليونانية ، وصار لدينا ثلاث لهجات رئيسية هى الأيولية والايونية والدورية للغة اليونانية .

وبعد أن عرضنا لأصل الاغريق وهجراتهم ابان العصور الحجرية والبرونزية ننتقل لدراسة حضارات عصر البرنز .

عالم بحر ايجه وحضارته فى عصر البرنز

نعتمد فى دراستنا لهذه الحضارة على المصادر الأدبية بمعلوماتها المتقصية والمصادر الوثائقية التى جادت علينا التنقيبات الأثرية وما تزال تجود بها . لقد كانت ثمرتها اكداس من اللقى الأثرية والاف الألواح المكتوبة التى كشفت عن جانب من حضارة هذا العصر العتيق الذى أسماه العلماء حضارة بحر ايجة لأنها نشأت وتطورت بشكل رئيسى فى كريت وجزر الكوكلاديس وطروادة على الساحل الأسيوى وموكيناى ومراكز أخرى فى بلاد اليونان .

ومعلوماتنا عن هذه الحضارة تبدأ من الألف الثالثة قبل الميلاد . إذْ قامت أطوارها الأولى على أكتاف عناصر بشرية من جنس البحر المتوسط إلى أن بدأت موجات من الهجرات الهندوأوروبية ، ومن المرجح ايضاً هجرات سامية افريقية غشت المنطقة بشكل تدريجى من خواتيم الألف الثالثة وبداية الألف الثانية قبل الميلاد . وسنحاول أن نلقى الضوء على أهم مراكز هذه الحضارة .

١ - الحضارة الكريتية

أطلق السير أرثر إيفانز تسمية الحضارة المينوية نسبة إلى مينـــوس ، بينمـــا يطلق عليها اخرون الحضارة الكريتية التى استمر ازدهارها قرابـــة ١٥٠٠ عـــام . وتقدم لنا المصادر الأدبية نتفاً من المعلومات عن الجزيرة إذ نجد أول ذكر لها عنـــد هوميروس فى رائعتيه الإلياذة والأوديسة ، فنجده يذكرها تلميحا . لقـــد أورد فـــى الالياذة بعض الذكر عنها ومنه أن الجزيرة كان بها ١٠٠ مدينة ويذكر سبعاً منها فى قلب الجزيرة وهى كنوسوس وجورتين وليكتوس وميلتـــوس وفايســـتوس واخـــيراً ريتيون ، ويذكر فى مكان اخر أن كريت قدمت ٨٠ سفينة عســكرية فـــى الحملـــة الطروادية ، ويتناولها بالذكر فى الأوديسة إذ يصف الجزيرة بما يلى "فى قلب البحر ذات اللون القانى فى لون النبيذ توجد أرض محاطة بالبحر تسمى كريـــت، فســـيحة وخصبة ، ويسكنها أناس كثيرون مختلطى الأعراق ، وأن بها ٩٠ مدينـــة ولغاتـــها مختلطة ، وسكانها من الآخين والايتوكرتيين والكيدنيين والدوريين والبلاســـيجيين ، وأيضاً توجد مدينة كنوسوس حيث مينوس ، رفيق الاله الأكبر زيوس ، الذى اعتـــاد أن يكون ملكاً لمدة تسع سنوات " ، وهكذا نجد أن هوميروس يؤكد على كثافة وغنى وثراء وازدهار كريت فى نهاية عصر البرنز .

ويقدم لنا كتاب العصر الكلاسيكى والهلنيستى – مـــن شـــعراء ومؤرخيـــن وفلاســـفة – معلومـــات تكون فى بعض الأحيـــان دقيقـــة فى تفصيلاتها ولكنـــها مقتضبة عموماً اى أنها لا تقـــدم لنا تفصيـــلات مسهبة لأوجه الحيـــاة الكريتيـــة المختلفة . فيذكر هيردوت أن الحرب الطرواديـــة قد اندلعت فـــى زمـــن الجيـــل الثالث بعد موت مينوس . كما يستهل ثيوكيديديـــس روايتـــه التاريخيـــة لبدايـــة التـــاريخ اليونانى بالاشارة إلى مينوس ، إذ يقول "مينوس هو أول من اشتهر عندنـــا عن طريق الروايات المأثورة أنه أنشـــأ أسطولاً ، إذ يجعل نفسه سيداً على جـــزء

كبير مما يسمى الآن البحر الهلينى ، وصار سيد الكوكلاديس ، وهو اول من استعمر معظمها ، وذلك بأن طرد الكاريين ونصب أبناءه حكاماً لها ، وعمل مينوس طبعاً على تطهير البحر من القراصنة قدر استطاعته لكى يصل إليه خراج مملكته بسهولة" . وهكذا نجد أن كلاً من هيردوت وثيوكيديديس يوافقان على أنه كان هناك ملك قوى يدعى مينوس كان لديه أسطول قوى وملك متين ويمتد نفوذه على المناطق المجاورة ، ويخبرنا أفلاطون عن كيفية ذهاب الملك مينوس كل تسع سنوات إلى كهف زيوس حيث يمكنه تجديد الرفقة والصحبة مع الاله زيوس ومن بعده الألهة الأم . ويرى البعض أن افلاطون قد وضع مؤسسات كريت فى قالب مثالى فى كثير من أعماله ويرى الكثير من الباحثين أن ما قدمه من وصف لحضارة الجزيرة المفقودة هى "اطلنتيس" وأنه اعتمد على الأساطير حول كريت المينوية . وأن كتابه القوانين احتوى على بعض المؤسسات الاجتماعية الكريتية . كما يشير الفيلسوف أرسطو عن نظام الحكم الطبقى الذى كان يوجد فى كريت فى عصره والذى استقر لأول مرة بتشريعات مينوس .

وتقدم لنا الاساطير معلومات قيمة عن كريت وتؤكد قوة ملكها وامتداد نفوذه ، فنجد الملك مينوس زوج الملكة باسيفاى إبنة إله الشمس ، ووالد كل من ديوكللون ، اندروجينوس ، أريادنى وفايدرا . وتذكر الروايات أن أندروجينوس تغلب على كل منافسيه فى الألعاب فى أثينا وتم قتله وفقاً لأمر الملك الأثينى إيجوس ، وللانتقام من هذه الجريمة البشعة ، فقد اشعل الملك مينوس الحرب ضد الأثينيين ، وأجبرهم على أن يرسلوا إلى كريت على فترات جزية مكونة من سبع فتيات وسبعة فتيان لتقديمها ضحية للمينتوروس (المخلوق النصف إنسانى النصف ثور) وهو ثمرة العلاقة الاثمة بين الملكة باسيفاى والثور الذى وهبه الاله بوسيدون للملك مينوس كى يقدمه أضحية لتوكيد سلطانه الدينى ، ولكن الملك حنث وأخلف الوعد واحتفظ بالثور وكان الانتقام

الالهى هو تلك العلاقة الآثمة التى كانت ثمرتها مخيفة مرعبة ، ووفقاً للأسطورة فقد تم بناء قصر التيه على يد المهندس ديدالوس ليحفظ فيه هذا المخلوق والمسخ البشع ولم تتخلص أثينا من هذه الجزية الثقيلة إلا بعد أن رحل ثيسيوس ابن الملك إيجوس إلى كريت ونجح فى قتل المينتوروس بمساعدة أدريانى إبنة الملك التى أحبته حباً جما فأعطته لفافة من الخيط وسلاحاً ، ومن خلال الخيط الذى استخدمه كى يعرف طريقة خروجه بعد انجاز مهمته بالخلاص من المينوتوروس والخروج من القصر. وكان الأثينيون يحتفلون بذكرى خلاصهم من الجزية الثقيلة التى كان قد فرضها عليهم الملك مينوس بالحج إلى ديلوس ، كما أن الاساطير والقصص الشعبية حول دايدالوس المعمارى والفنان الداهية تكشف لنا عن مدى ما وصلت اليه الفنون التشكيلية والمعمارية فى عصره .

هذا ما تقدمه المصادر الأدبية من أخبار ومعلومات عن كريت والتى نستشف منها معلومات قيمة عن كريت وقوتها ورخائها الاقتصادى وارتقاء فنونها . ولكنها معلومات غير كاملة وسنحاول أن نستخدم المصادر الوثائقية لإكمال النقص فى معلوماتنا عن تلك الحضارة قدر ما نستطيع .

كان لعلم الآثار الفضل الأكبر فى توكيد بعض المعلومات الواردة عند مفكرى اليونان القدماء ، بل نقضت اراء العلماء المحدثين الذين كانوا قد شككوا فى الروايات القديمة والأساطير . لقد كان ثمرة جهد الآثاريين وضربات معاولهم أن زاد كم المعلومات عن كريت وحضارتها التى بدونها لا يمكننا إلا أن نرى بعض الاشارات والمعلومات القليلة عن كريت فى عصر البرنز والعصور التاريخية التالية عندما بدأت المصادر المكتوبة فى الوفرة ومن ثم فإن أهمية الاكتشافات الأثرية ليس فقط للحضارة الكريتية بل ايضاً للحضارة الأوربية عموماً ، لقد كشفت أعمال الحفائر الاثرية ، التى كانت قد بدأت فى السبعينيات من القرن التاسع عشر فى

كريت ، عندما زار العالم كالوكـــابرينوس Kalokairinos موقـــع قصـــر مينـــوس بكنوسوس ، وأتى هينرش شليمان من بعده إلى المنطقة وعاين منطقة القصر وساوم مالك الأرض على شرائها ولكن محاولاته باءت بالفشل ، وأتى أرثر إيفـــانز مـــن بعـــده ، الذى كان قد زار الجزيرة لأول مـــرة ١٨٩٣ لبحـــث الاختـــام الحجريـــة ولفحص الكتابات عليها ، ونجح فى شراء الأرض من مالكها وبدأ فى إجراء حفائره والتي أثمرت عن كشف رائع وهو العثور على بقايا قصر كنوسوس واستمر العمـــل الرئيسى فى الحفائر فى الفترة مابين ١٩٠٠ -١٩٠٥م أى لمدة ســـتة مواســـم وإن استمرت حفائره وتنقيباته سنوياً حتى عام ١٩١٤ ثم توقفت بسبب الحرب العالميـــة الأولى ، وبعد توقف الحرب استأنف ارثر إيفانز من جديد تنقيباته فى الفترة ما بيـــن عام ١٩٢٠ و ١٩٣٢ وقد أخرج لنا نتائج دراسته الرائعة فى سفر مفصل من أربعة أجزاء وهو بعنوان قصر مينوس "The palace of Minos" وقد بدأ نشره فى الفـــترة ما بين عام ١٩٢٠ و ١٩٣٥م .

شارك ارثـــر إيفانز علماء اخرون فى الريـــادة والكشف عـــن مواطـــن الحضارة الكريتية فى عصر البرنز فى جزيرة كريت ومن بيـــن هـــؤلاء العلمـــاء جوزيف هـــتزيداكيس Joseph Hazzidakis مؤســـس جمعيـــة الآثـــار الكريتيـــة وسيللوجوس Syllogos والعالم الإيطالى فيدريجو هالبـــهير Federigo Halbaheer وكانت تنقيباتهم ملهمة لغيرهم ثم توالت البعثات الأثرية وأجرت تنقيباتها فى أنحـــاء الجزيرة المختلفة وأضافت نتائج حفائرها أبعاداً جديدة لمعلوماتنا عن عصر الـــبرنز وسجلاته .

وقد واجهت السير ارثر إيفانز معضلة تأريخ اللقى الأثريـــة الكثـــيرة العـــدد والتى عثر عليها فى حفائره ولجأ إلى منهج فريد فذ فى عصره وهو تقسيمها إلـــى مراحل وانتهج الأسلوب التالى :

أولاً : تاريخ اللقى الأثرية وفقاً لطبقات الأرض Strata وذلك بترتيبها ترتيباً تاريخياً حسب عمق الطبقات الأرضية التى عثر عليها فيها ، فالطبقة الأعمق هى الأقدم بطبيعة الحال ، وحسبما طرأ على صناعة الفخار من تطور ، فمن أوانى بداية مصنوعة باليد إلى أوانى مصنوعة بعجلة الفاخورى ، إلى أوانى متقنة الصنع والزينة .

ثانياً : لقد ربط بين مراحل الحضارة الكريتية المجهولة التاريخ وبين تواريخ معلومة ومدروسة لحضارات شعوب ثبت قيام علاقات بينها وبين كريت ، إذْ لجأ إلى استخدام اللقى المصرية المعروف تاريخها ، التى عثر عليها فى كريت واللقى الكريتية المجهول تاريخها التى عثر عليها فى مواقع أثرية مصرية معروفة التاريخ . ولنضرب على هذا مثالين متقابلين ؛ المثال الأول أنه عثر فى مقبرة الفرعون سيزوستريس الثانى على انية كريتية ملونة وهو واحد من فراعنة الأسرة الثانية عشر وقد مات فى عام ١٨٨٠ ق.م . وعندما نقارن هذه الآنية مع مثيلاتها من حيث الغرض الذى تستخدم فيه ومن حيث الدقة فى الصنع والإتقان الفنى . أما التى تم الكشف عنها فى كنوسوس فيمكن أن نرجع الطبقة الأرضية التى عثر فيها عليها إلى عهد الفرعون سيزوستريس أى أوائل القرن التاسع عشر ق.م . والمثال الآخر المقابل . فقد تم العثور على ختم وجعران للملكة تى امرأة الفرعون امنحتب الثالث الذى حكم فى الفترة ما بين (١٤١٢ – ١٣٧٦ ق.م) ومن ثم فإن الطبقة التى عثر فيها على الختم والجعران تعود إلى التاريخ المذكور تقريباً .

ووفقاً لهذا المنهج الذى اتبعه ايفانز ومقارناته ،والذى توصل إليه بعد ست سنوات (١٩٠٠ – ١٩٠٥) من تنقيباته المتواصلة . فقد وصل إلى تقسيم حضارة

عصر البرنز فى كريت إلى ثلاث فترات ونود أن نشير إلى أن تواريخ هذه المراحل والفترات تكون تقريبية .

والعصور المينوية فى عصر البرنز هى :

أولاً : العصر المينوى العتيق ٣٠٠٠ – ٢١٠٠

وينقسم هذا العصر إلى الفترات التالية :

العصر المينوى العتيق الأول ٣٠٠٠ – ٢٨٠٠

العصر المينوى العتيق الثانى ٢٨٠٠ – ٢٤٠٠

العصر المينوى العتيق الثالث ٢٤٠٠ – ٢١٠٠

ثانياً العصر المينوى الوسيط ٢١٠٠ – ١٥٨٠

وينقسم هذا العصر أيضا ثلاث أقسام هى

العصر المينوى الوسيط الأول ٢١٠٠ – ١٩٠٠

العصر المينوى الوسيط الثانى ١٩٠٠ – ١٧٥٠

العصر المينوى الوسيط الثالث ١٧٥٠ – ١٥٨٠

ثالثاً : العصر المينوى الحديث ١٥٨٠ – ١٢٠٠

وينقسم هذا العصر إلى الفترات التالية :

العصر المينوى الحديث الأول ١٥٨٠ – ١٤٥٠

العصر المينوى الحديث الثانى ١٤٥٠ – ١٤٠٠

العصر المينوى الحديث الثالث ١٤٠٠ – ١٢٠٠

ولكن التقسيمات التى توصل إليها ارثر إيفانز يعيبها أنه اعتمد على موقع واحد ومن شواهده أنه عمم نتائجه على الحضارة بالجزيرة .

وفى ضوء التقسيمات السالفة الذكر سنحاول أن نرسم صورة للحضارة الكريتية من خلال هذه الفترة ولكننا لن نستطيع كتابة تاريخ كريت السياسى نظراً لأننا لا نملك وقائعه ،أو حينما تكون المعلومات متوافرة من خلال وثائق "مثل: الجدران ، الرسوم ، الأوانى ، أو بعض النصوص التى لم تحل طلاسمها ، لقد تم تقسيم الفخار إلى مجموعات ، ولكن هذا التقسيم ، . سعاية فى تصنيف وعرض تلك الاكتشافات إلا أنها اصطلاحية بطبيعة الحال كما لا يوجد ما يثبت تطابقها مع أحداث محددة ، ولذا سنحاول أن نرسم السمات الحضارية التى تميزت بها الحضارة الكريتية فى عصر البرنز بعصوره الثلاثة .

أولاً : السمات الحضارية لعصر البرنز العتيق هى :

١- أن هذه الفترة قد شهدت التحول من العصر الحجرى الحديث إلى العصر الحجرى النحاسى ثم البرنز .

٢- لقد اثبت نفر من العلماء أن هناك علاقات بين كريت والحضارة المصرية فى عصر الدولة القديمة ، ولم يكن الاتصال مباشراً بين الحضارتين وانما من خلال وسيط ، وهو الفينيقيون والمدن السورية الساحلية .

٣- أن الحضارة الكريتية تمثل الطرف المتلقى والمتأثر والمقتبس من الحضارة المصرية ومن الحضارات الشرقية ، وكان من اقتباساتها المصنوعات من النحاس والبرنز والفخار . وقد بدأت العلاقات وفقاً لرأى ارثر ايفانز لفترة عصر ما قبل الاسرات حيث خرجت هجرة من غرب الدلتا حوالى ٣٠٠٠ ق.م أو قبل ذلك إلى كريت فراراً وتخوفاً من بطش الملك نارمر موحد القطرين وعقب سيطرته على الدلتا ، ويرى البعض أيضاً أن هجرة أخرى خرجت من فلسطين إلى كريت فراراً من غزو نارمر .

رابعاً : إن أهم مراكز الحضارة الكريتية فى هذا العصر يقع فى الطرف الشـــرقى للجزيرة .

ثانياً : أهم سمات عصر البرنز الوسيط

١- أن هذه الفترة تتزامن مع عصر الدولة الوسطى وفترة حكم الهكسوس فى مصر

٢- نلاحظ أن مراكز الثقل الحضارى قد انتقلت رويداً رويداً من الطرف الشـــرقى للجزيرة إلى الوسط حيث بدأت كنوسوس وفايســـتوس وتيليســـوس (Tylissos) وماليا (Mallia) وبناء القصور الضخمة فى مدن الجزيرة المختلفة .

٣- نلاحظ أن سلطة الملك مينوس بكنوسوس ، وهو صاحب قصر اللابرانث ، قـد زادت إذ تكشف السجلات الاثرية الصامتة كما لو كان هناك نوع مـــن الاتحــاد الثقافى والسياسى قد شد الجزيرة تحت زعامة الملك مينوس .

٤- نلاحظ انتشار الرخاء والترف نتيجة لظهور طبقة من التجـــار والأغنيـــاء ، إذ كشفت التنقيبات الأثرية في المقابر الكريتية عن وجود صلات كثيرة لـــهم مــع حضارات الشرق القديم ومنها مصر وسوريا والأناضول ، فعلى سبيل المثال فقد كشفت البعثة الفرنسية عن مدينة مارى " تل الحريرى " فـــى منطقـــة الفـــرات الوسطى ، ومن خلال نتائج تنقيباتها عرفنا أن هناك صلات بين مدينـــة مـــارى ومدينة والالاخ وكريت ، إذ كانت خطة القصر فى كل من مارى والألاخ معقدة، فكانت الأقسام الملكية ضخمة للغاية ، وكانت المكاتب الادارية والورش مشـــابهة بصورة مدهشة لقصر كنوسوس في خطته العامة وفى الكثـــير مـــن المظـــاهر المعمارية ، وعلاوة على ذلك فإن لرسوم الفرسك المحفوظة فى قصـــر مـــارى كان قد اتبع الفنان فيها نفس الاساليب والطرق المستعملة فى قصر كنوســـوس ؛ وإذا كان قصر مارى قد دمره الملك حمورابى فى عام ١٧٥٩ ق.م، بينما قصـــو كنوسوس وزخرفته الرائعة لم يتم بناؤه قبل القرن السابع عشر ، ومن هنا يبـــدو

التأثير الشرقى واضحاً ، ولعل مدن شرقية أخرى قد تجود علينا بأدلة علمية جديدة ، وعلى ما يبدو فان هذا التأثير أتى عبر أوجاريت ، على الساحل السورى ، والتى كانت بمثابة همزة الوصل بين حضارات الشرق والحضارة الكريتية ، فقد كانت نقطة تلاقى لمنتجات وافكار المصريين والحيثيين والسوريين والكريتيين والموكينيين .

٥- فى عام ١٤٥٠ حدث زلزال مدمر أدى إلى تدمير قصور وبيوت كنوسوس تدميراً جزئياً والتى أعيد ترميمها ، ويرى البعض أن اضطرابات اجتماعية كانت سبباً فى هذا التدمير الذى لحق ببيوت الطبقة الحاكمة ، ولكن العلماء أثبتوا أن الدمار كان بسبب كارثة طبيعية ولم يكن الدمار متعمداً وأنه لم يكن هناك مثل هذه الاضطرابات .

ثالثاً : أهم سمات وملامح عصر البرنز الحديث

١- يتزامن هذا العصر مع فترة حكم الأسرة الثامنة عشرة - الدولة الحديثة - فى مصر .

٢- زيادة الاتصالات بين مصر من جهة والكريتيين من جهة أخرى والذين اسمتهم الوثائق المصرية " حاو - نبوت " و " كيفتو " ويحل محلهم فيما بعد الآخايوشا "Akawsha" بعد أن غشى الموكينيون جزيرة كريت .

٣- تبرز الوثائق والرسوم الجدارية الهيمنة المصرية وما فرضته من سلام على منطقة شرق البحر المتوسط وجزره ؛ إذ اعترف الكريتيون بقوة مصر وسيطرتها فنجدهم يقدمون الهدايا للفرعون المصرى رمزاً للسلام وحفاظاً على تجارتهم سواء مع مصر أو مع مناطق النفوذ المصرى .

٤- سيطرة الملك مينوس على جزر بحر إيجة وموانى بلاد اليونان وذلك من خلال اسطوله القوى .

٥- تكشف التقنيات الاثرية عن ان الحضارة الكريتية كانت قد بلغت ذروة رقيها ومجدها . وامتد تأثيرها إلى جزر الكوكلاديس والبلوبونيز وسط بلاد اليونان ، فهل هذا التأثير ناتج عن غزو كريتى كما يرى ايفانز أم انه يعود إلى رغبة سادة مملكة موكيناى والممالك الأخرى الاقوياء فى تقليد الفن الكريتى الذى بهرهم فاستخدموا الفنانيين والحرفيين الكريتيين وجعلوهم يعلمون السكان المحليين .

٦- تعرض الجزيرة للدمار الشامل والمتعمد ويعزو العلماء هذا الدمار والتخريب لهجوم شعب معاد من شعوب البحر ويرى البعض أن الموكينيين هم المسئولون عن هذا الخراب والدمار الذى حل بكريت . ولكن هذا الدمار والخراب قد ربطه علماء آخرون بكارثة الانفجار البركانى بجزيرة ثيرا علم ١٤٥٠ ق.م فمن الثابت أنه نتيجة للحمم البركانية العارمة وأيضاً نتيجة للرماد البركانى فقد تحطمت السفن الكريتية فى المياه الضحلة فى الموانى الشمالية وقضت على الملاحة لعدد من السنين فيها .

٧- لقد بدأت قوة الموكينيين فى التنامى ابتداء من القرن الخامس عشر فى المناطق التى كانت تضعف فيها السيطرة الكريتية ؛ وهذا ما توضحه الكشوف الأثرية فى ميلتوس على ساحل اسيا الصغرى والمستعمرات الكريتية فى رودس فى القرن السادس عشر قد صارت هذه المناطق محلات ومستوطنات موكينية فى القرن الخامس عشر . فإبان هذا القرن حدث تحول فى ميزان القوى بين الكريتيين والموكينيين ولعل سبب ما حاق من ضعف بكريت هو نتيجة لكارثة الانفجار البركانى المدمر فى جزيرة ثيرا والتى انتهزها الموكينيون للسيطرة على كريت

نفسها . ومن السهل أن نناقش فى ضوئها اسطورة البطل ثيسيوس وانعتاق اليونان من سيطرة كريت وحتى فقدان كريت لسيطرتها البحرية . وهنا أنتهز الموكينيون هذه الظروف فغزوا الجزيرة بعد عام ١٤٥٠ ودمروا الكثير من المدن وأقاموا هم أنفسهم فى كنوسوس ولأسباب غير معروفة فقد دمرت كنوسوس كلية عام ١٤٠٠ ق.م أو بعد ذلك بقليل ، فالبعض يرى أن حريقاً ناتجاً عن هزة أرضية سبب دمارها والبعض الآخر يرى أن الحريق ناجم عن غزو مدمر .

٨- تكشف الحفائر عن أن مركز الثقل والتأثير فى عالم البحر الإيجى قد انتقل من أيدى الكريتيين إلى أيدى الموكينيين إبَّان القرنين الرابع عشر والثالث عشر ، فقد انتشرت السلع الموكينية فى رودس وقبرص وأوجاريت وبيبلوس بل وصلت سلعهم إلى مصر .

٩- شهدت نهاية الفترة الموكينية قدوم القبائل الدورية وسيطرتها على الجزيرة .

الأصل العرقى للكريتيين

يواجه الدارس مشكلة أصل هذا الشعب من أين أتى ؟ لقد كشفت الحفائر الاثرية عن سكنى الإنسان الكهوف الكريتية فى الفترة ما بين ٦٠٠٠ و ٥٠٠٠ ق.م وكان يعيش إنسان هذا العصر فى أسر كبيرة العدد . وكانت مواطن سكناه فى الغالب فى شرق الجزيرة ، وينتمى إنسان ذلك العصر إلى عنصر البحر الأبيض المتوسط ، إذ وفدت هجراته للجزيرة من منطقة شرق البحر الابيض وجلبوا معهم الخنازير والأغنام والماشية وكانوا يدفنون موتاهم فى الكهوف وخارجها ،.ومع نهاية العصر الحجرى الحديث فقد وفدت جماعة بشرية إلى الجزيرة لعلها تكون قد جاءت من شمال سوريا أو من أسيا الصغرى ودخلت إلى الجزيرة فى موجات متتالية .

ويرى البعض أن هناك هجرة خرجت من غرب دلتا النيل حوالى ٣٠٠٠ ق.م هرباً وخوفاً من بطش نارمر موحد القطرين عقب سيطرته على الدلتا ، ويرى البعض الآخر أن هناك هجرة أخرى خرجت من فلسطين فى نفس الوقت وأبحرت إلى كريت فراراً من غزو نارمر . ويرى باحث اخر أن هجرة من سوريا وفلسطين قد خرجت إلى كريت أمام غزو من آسيا الصغرى لبلادهم . ويرى باحثون اخرون أن هجرة جديدة قد خرجت من ليبيا حوالى ٢٣٠٠ ق.م أى فى عصر البرنز العتيق وأقام المهاجرون فى جنوب الجزيرة فى منطقة فالشيوس . وفى الفترة الأخيرة من عصر البرنز وفى عصر الحديد وفدت هجرات هندواوربية إلى الجزيرة إذ توافدت هجرات الآخيين والموكينيين فى الفترة ١٤٥٠ - ١٢٠٠ ق.م على الجزيرة ثم كانت موجة الهجرة الدورية التى اعقبتها . وسيطرت العناصر الهنداوربية على الجزيرة بعد أن زادت أعدادهم فيها وأصبح التكوين العرقى فى الجزيرة مكوناً من عناصر من البحر الابيض المتوسط وعناصر هندوأوربية ، وربما عناصر سامية حامية . ولعل وصف هوميروس للتركيبة السكانية الكريتية هو خير عون لمعرفة اعراق سكان الجزيرة إذ يذكر أن هناك ٩٠ مدينة ولغاتها مختلطة وسكانها من الآخيين والايتوكريتيين والكيدنيونيين والدوريين والبلاسيجيين .

أما عن لغة أهل كريت الأولى فلا نعرف عنها شيئاً ، وهى ليست لغة هندوأوربية ولا سامية ، ويبدو أنها قريبة من لغة الليكيين ومن جاورهم من الشعوب القديمة بآسيا الصغرى وتذكر الروايات ان قسماً كبيراً من سكان شرق كريت كانوا يتكلمون لغة فى العصر الكلاسيكى غريبة ، وليس من المستبعد أن تكون لغة الكريتيين القدماء . ونحن فى انتظار فك طلاسم مجموعة الخطوط التى لم يتم قراءتها حتى اليوم من الالواح الكريتية ، فلعلها تنير الطريق وتكشف عن لغة هؤلاء القوم ، ومع قدوم الآخيين والدوريين من بعدهم فقد عرفت الجزيرة اللغة اليونانية

وهذا ما كشفت عنه قراءة ألواح المجموعة الخطية الثانية . وبعد أن عرضنا لأصل هذا الشعب ننتقل الآن للحديث عن المجتمع الكريتى .

المجتمع الكريتى :

لقد رأينا أن المجتمع المينوى كان يتكون من أعراق شتى ، فكيف كانت حياة هذا المجتمع ؟ فى ضوء ما جادت به الحفائر الأثرية نلاحظ ما يأتى :

أولاً : أن المجتمع الكريتى فى عصور ازدهاره كان مجتمعاً عرف الغنى والفقر ، فكان به أناس أغنياء واخرون فقراء . الأول يعيشون فى بيوت أو قصور رحبة فسيحة زاخرة بكل ألوان الترف ووسائل اللهو ، وكانت هذه البيوت والقصور تحيط وتجاور قصر الحاكم أى أنها منطقة يسكنها علية القوم وسراته ، بينما بيوت الآخرين هى بيوت حضرية فقيرة مكدسة على جانبى الشوارع والأزقة وتكون مكتظة بالسكان . أما عن البيوت الريفية فقد وجدت بعض القرى التى تحتوى على بضعة بيوت ، بينما قرى أخرى تحتوى على بيوت كثيرة ، وعموماً فإن هذه البيوت الريفية كانت فقيرة وإن وجدت فى الريف فيلات لكبار الملاك أصحاب الضياع وكانت هذه الضياع تضم بجوار الفيلات ورشاً ومصانع وقد وجد عدد من هذه الفيلات فى منطقة بالقرب ارخانس (Arkhanes) ، كما وجدت قصور ريفية بالقرب من جورتين وكان هذا القصر يحتوى على مخازن وحجرة عبادة أو محراب .

ثانياً : عرف المجتمع الكريتى فى بواكير تاريخه العائلات الممتدة والأسر الكبيرة وكلما تقدم بنا الزمن وجدنا تضاؤل وصغر حجم هذه العائلات ، وهذا ما تؤكده الكشوف الأثرية بالنسبة للمنازل والمقابر أما عن المنازل فقد كشف الآثاريون عن بيت فى فاسيليكى يعود تاريخه إلى عام ٢٨٠٠ قبل الميلاد

مكون من عشرين غرفة ، ومن المؤكد أنه كان من طابقين ، وبعد مضى ثلاثمائة عام نجد بيوتاً أخرى تم الكشف عنها كانت أصغر مساحة وأقل غرفاً ، وتتكون من حوالى اثنتى عشرة حجرة ، وفى العصر المينوى الحديث نرى البيوت قد أعيد بناؤها على مساحة أقل وأصبح عدد الغرف لا يزيد على بضع غرف . اما عن المقابر كشفت لنا معاول المنقبين على أكثر من عشرين قبراً ، فى مدينة مسارا ، يبلغ قطر الواحد منها عشرة أمتار ونصف المتر ويضم عدداً كبيراً من الهياكل العظمية وأوانى ، بينما نجد أن مقابر العصر المينوى المتأخر فى رامز بابورا لا يضم الواحد منها أكثر من ثلاثة أشخاص .

ثالثاً : كانت الأسرة هى نواة المجتمع الكريتى وكان للأب والأم مكانة متميزة فى الأسرة ، فإذا كان للأب سلطة مطلقة فإن للأم مكانة اجتماعية سامية ، ولعل وجود حجرات خاصة فى المنازل التى تحتوى على عمدان قصيرة كان على رب الأسرة وربما الأسرة هى الأخرى تقديم القرابين للآلهة والأرواح التى تسكن فى هذه الأعمدة حسبما كان يعتقد الكريتيون القدماء . وهذا يسوقنا إلى دور ومكانة المرأة فى المجتمع الكريتى . ترينا اللقى الأثرية والآثار والرسوم الجدارية أن المرأة الكريتية من مختلف الطبقات احتلت مكانة عُليا فى المجتمع الكريتى ، وأنها كانت تدانى مكانة الرجل إن لم تكن أفضل منها، فترينا الرسوم الجدارية أن النساء كن يقعدن فى المقاعد الأمامية فى المسارح وأنهن كن يشاركن الرجال فى رحلات الصيد والقنص ويركبن العجلات فى السباقات يقمن ببعض الألعاب الرياضية والبهلوانية ومصارعة الثيران ، كما نجد المرأة التى تقوم بالمهام الأسرية من نسج الملابس ، وطحن الحبوب ، وعجن الدقيق وصنع الخبز ، بالإضافة إلى مشاركتها للرجال فى الأعمال

الزراعية والصناعية مثل صناعة الفخار . ويتضح سمو مكانة المرأة الكريتية فى أن المعبود الرئيسى للجزيرة كان الالهة الأم ، وكانت الكاهنات يقمن بالدور الأول فى إقامة الطقوس والشعائر الدينية وفى الاحتفالات وفى الرسوم الجدارية يمكننا القول أن المرأة الكريتية كانت تهتم بأناقتها ، إذ شاع بين النساء الكريتيات ارتداء التنورات ذات الاطار الواسع والقمصان التى تكشف عن العنق والكتفين والنحور ، كما كانت الأكمام فضفاضة ومنتفخة. وتغطى ثلاثة أرباع الذراع ، وأحزمة أحكم شدها حول الوسط حتى يبدو الخصر نحيلاً بصورة كبيرة ، وتبدو النساء فى المناظر مصففات الشعر تصفيفاً دقيقاً ويكثرن من لبس الحلى والزينة، وقد أطلق الآثاريون على صورة لإحدى السيدات الكريتيات اسم " الباريزية " لرشاقتها وأناقتها فى زينتها وزيها وكأنها إحدى بنات باريس المتأنقات .

رابعاً : كانت حياة المجتمع الكريتى حياة منطلقة سعيدة هانئة . يخالط فيها الرجال النساء ، فترينا الرسوم الجدارية حفلات الرقص والألعاب البهلوانية ومصارعة الثيران بينما يجلس مئات المشاهدين والمتفرجين بين أشجار الزيتون يراقبون الألعاب والرقصات المختلفة على أنغام الموسيقى . وبعد أن عرضنا لحياة المجتمع ننتقل الآن للحديث عن معتقداته وديانته التى آمن بها .

الديانة الكريتية :

تكشف لنا الآثار والرسوم الجدارية واللقى الأثرية عن جانب من ديانة المينويين . وقد تساعد الألواح المكتوبة والتى لم تفك طلاسمها بعد فى إضفاء المزيد من الوضوح على تلك الديانة وتعطينا معلومات لتأكيد ما نعرف من الآثار والأساطير . ويتبادر إلى ذهننا الأسئلة التالية : ما هى آلهتهم ؟ كيف حاولوا إرضاءها وجلب عطفها ، وما هى طقوسهم وشعائرهم ؟ فى ضوء ما لدينا من آثار

يمكننا القول أن الكريتيين قد عبدوا الهة عديدة مرتبطة بالطبيعة فنجدهم قد قدسوا الجبال والمغارات والاحجار ، والشمس والقمر ، والماعز والافاعى والثيران والحمام ، وقدسوا العدد ٣ واعتقدوا بوجود الأرواح فى كل شىء ومجدوا القوى الخفية وقسموا الأرواح إلى طيبة خيرة وشريرة خبيثة ،واعتقدوا فى وجود الجن والعفاريت وعرائس البحر ..وعندما صوروا آلهتهم فقد صوروها فى ثوب إنسانى ، فقد صوروا الآلهة الأم فى ثوب امرأة ذات ثديين بارزين تمسك بالأفاعى ومحاطة بأفاعى كثيرة تتلوى على ذراعيها وتتسلل إلى ثدييها وتختلط بشعرها وتتدلى من رأسها وكان الكريتيون يرون ربتهم أنها ربة شاملة فهى رمز الخصوبة ،حامية الحرب ، ملكة الأرض والسماء سيدة الخلق ... الخ ، كانوا يرون فى الأمومة سر الطبيعة وقوة سحر المرأة فى قدرتها على الإنجاب مما جعلهم يقومون بتأليه هذه القوة التى هى ينبوع الحياة فى النبات والحيوان والإنسان وقد صوروها وبين ذراعيها ابنها الالهى وفى البداية كانوا يعدونه تابعاً لها ودونها فى المرتبة ، ولكنه بمرور الوقت زادت مكانته وأصبح رمزاً لقوة الخصب وهو يموت ويعود إلى الحياة ، وكانوا يصورونه أحياناً متجسداً فى الثور المقدس الذى يتجلى فيه الخصب، وقد لعب الثور دوراً كبيراً فى الديانة الكريتية إذ تظهر قرونه فى الرسومات ، كما وجدت فى العديد من مقاصير أو محاريب العبادة ، وكان حيواناً مقدساً ، ومؤلهاً أيضاً ورمزاً للخصوبة ، وهو الذى استمد منه اليونان فيما بعد شخصية الملك مينوس وأيضاً وبالتأكيد المسخ البشع المينوكوروس . وقد أطلق اليونان فيما بعد على الالهة الأم " ريا " والابن " زيوس "

كما تكشف الآثار عن تقديس الكريتيين للأعمدة والأشجار وأن الهة الطبيعة يعيشون فيها . وأن الإنسان فى وسعه أن يناديهم بواسطة الرقص والطقوس الدينية الأخرى .

وكانت البلطة المزدوجة Labru ترمز " كأداة فى ذبح القرابين المقدسة " إلى روح إله معين أو إلهة ويعتقد أنها ربة الأرض أو " الأرض الأم " وعبادتها منقولة من ليديا ، كما ساد الاعتقاد بينهم بأن البلطة المزدوجة تبسط على البيوت وغيرها من الأشكال نوعاً من الحماية .

وكانت الأفعى فى نظر الكريتى بمثابة حارسة البيت وجالبة الحظ .

ويرى البعض أن بعض الآلهة قد دخلت كريت " من ليديا والشرق " مثل عبادة الثور والبلطة وعبادة الأفاعى ، ويرى البعض الآخر أن بعض الآلهة والمعتقدات المصرية قد وصلت إلى كريت ، ومنها باستت ويرى ايفانز وهو أن الختم المنقوش عليه صورة القطة اتخذت كتميمة لحماية حملها من الشرور وبالذات من لدغ العقارب . ويلاحظ أيضاً أنّ هناك تشابهاً فى طقوس الدفن ومنها تقديم القرابين للميت عند المصريين والكريتيين . وتقديم أضحية أمام الميت وهى عادة شرقية ومصرية كذلك . كما أن تقديم مركب للميت إذ ستساعده فى رحلة العالم السفلى ، وهى عادة مصرية تتعلق برحلة الميت فى موكب الشمس . كما أن وقوف الميت فى شكل أوزيرى ، على هيئة مومياء وهى عادة مصرية ، كما أننا نجد الكهنة المشرفين على اقامة واتمام طقوس الدفن وتقديم القرابين يلبسون جلود حيوانات . كما أن التأثير الشرقى والمصرى نجده فى دفن الموتى فى توابيت خاصة ، كما نجد أن عمارة المقابر تشبه عمارة المقابر المصرية .

وكان الكريتى يلجأ لارضاء الآلهة من خلال الأدعية والطقوس والشعائر والتعاويذ ، ويقومون بطقوس خاصة تحت إشراف الكاهنات ، كما كانوا يستخدمون البخور لطرد الأرواح الشريرة وكانوا يقيمون شعائرهم وطقوسهم فى محاريب أو مقاصير فى كهوف على قمم الجبال وفى المغارات المقدسة ، وفى حجرات خاصة

بمنازلهم الخاصة تحتوى على عمدان قصيرة ، وفى محاريب القصور . ويلاحظ أن محاريب المنازل الصغيرة يتوسطها منضدة مستديرة مثلثة الأرجل توضع فوقها القرابين ، كما كان يوجد فى خلفها بجوار الحائط مقعد ربما كان يوضع عليه تماثيل على هيئة الأجراس وبلطة مزدوجة بين قرنى التقديس وعثر على محراب فى قصر مينوس بكنوسوس على صورة جميلة من القيشانى تمثل " الربة الأفعى " وفيها تظهر الكاهنة وهى ممسكة فى يديها بثعابين وحولها صور الملابس المختلفة وأصداف ملونة وثلاث حمامات وصليب رخامى وحوض تطهير ولوحات من القيشانى على تصاوير عنزة وبقرة وصغارها .

وفى ضوء هذه الشواهد من رسوم الافرسك ومن المنظر الفريد المصور على تابوت ملون تم العثور عليه فى هاجيا تريادا نجد أن النساء كن يقمن بدور رئيسى فى إقامة الطقوس والشعائر الدينية الكريتية ، هذا فضلاً عن دور الكهنة ودور الملك الكاهن وما كان يجريه من طقوس وشعائر .

أما الأعياد الدينية فهى تظهر فى المراحل الكبرى من الحياة الزراعية ولاسيما الحصاد وجنى الثمار ، وتتخللها الرقصات الدينية العنيفة أحياناً على أنغام الموسيقى ، وكان يتخلل الأعياد والاحتفالات الدينية الألعاب الشعبية مع ما يرافقها من مباريات فى الملاكمة والمصارعة وسباق الثيران .

وكان الكريتى يظهر عناية خاصة بموتاه ، فقد كان يدفن موتاه (ولا يحرقها) ويضعهم فى توابيت من الفخار ويضعون معهم كميات من الأطعمة وبعض المتعلقات الشخصية التى كان الميت يستعملها ويحبها مثل لوحة الشطرنج أو آلة موسيقية أو تماثيل نسائية صغيرة أو تماثيل حيوانات . كما أن هناك مناظر تقديم القرابين للمتوفى ، ففى إحدى الصور نجد المتوفى منتصباً أمام قبره ناظراً إلى

حاملى القرابين وهم يتقدمون نحوه ، ونرى أيضاً فى الصورة عربة قُطر بها أحصنة من جهة والعنقاوات من جهة أخرى . وفى ضوء ما سبق عرضه يمكننا القول أن الكريتى كان يؤمن باستمرار الحياة بعد الموت .

وكان الكريتى يقدم قرابين من السوائل والأضاحى من الحيوانات ، وعرف الكريتى أيضاً تقديم القرابين البشرية فقد عثر الأثرى وارن P. Warren فى منطقة برايترا بجنوب كريت على اثار داخل مكان مقدس ، لتقديم قرابين بشرية ويعود تاريخ هذه الآثار إلى حوالى الألف الثانية قبل الميلاد ، كما عثر الآثارى ساكيللاراكيس على قرائن جديدة حول تقديم القرابين البشرية فى منطقة أرخانيس فى كريت ، وهذا يؤكد ما ورد فى الأساطير القديمة من تقديم قرابين بشرية وأنه كان من عادة أهل كريت ما ورد فى الأساطير القديمة من تقديم قرابين من البشر ووفقاً لاسطورة المينتور وفرض الجزية على أثينا من قبل مينوس . فقد كانت تقدم سبع فتيات وسبع فتيان لتقديمهم للمسخ الخرافى كى يلتهمهم فلماذا كان يتم تقديم قرابين من البشر ؟ يرى العالم نيلسون أن القرابين البشرية هى أغلى أنواع القرابين ولا تدانيه أى صور لقرابين من الحيوانات ولجأ اليونانيون إليه عند الشدة أو عند اتخاذ القرارات المصيرية .

وبعد أن عرضنا لآلهة الكريتيين ومعتقداتهم وطقوسهم وشعائرهم وأفكارهم عن الموت . وننتقل الآن للحديث عن نظامهم السياسى فى ضوء ما يتاح لنا من مصادر .

النظام السياسى :

عُرفت كريت بكثرة مدنها وضخامتها وازدهارها ، ويظهر من النصوص الأدبية والحفائر الأثرية أن عددها كان يزيد على مائة مدينة وانها كانت مكتظة

بالسكان الذين كانوا يتجمعون أو يسيرون فى الأسولق ، وكانت بيوتها مكدسة على جانبى الشوارع والأزقة لمسافات بعيدة وكانت شوارع تلك المدن ممهدة ومعبدة بالحجارة والحصى كما حفرت المجارى على جانبيها لتصريف المياه ، كما كانت الطرق بين المدن المختلفة معبدة وممهدة .

كانت السلطة الحاكمة فى هذه المدن سلطة ملكية ، وتعدد القصور فى النصف الأول من الألف الثانية يحدو بنا إلى الاعتقاد بتعدد الممالك ومع ذلك فليس من مدينة احيطت بالأسوار ، ولم تظهر القصور بمظهر الحصون إلا لفترة قصيرة، حيث كانت السلطة هناك بأيدى أمراء القصور الذين يحكمون البلاد حكماً اقطاعياً ، وتظهر رسوم العصر البرنزى الوسيط فى عصره الأول كيف كان أفراد طبقة الأشراف والأمراء لا يخرجون بين الناس إلا وهم يحملون الخناجر ، ولكن على ما يبدو فى العصر المينوى الحديث أن مدينة كنوسوس كان لها اليد العليا فى شئون الجزيرة فقد امتد سلطان ملكها على بقية المدن الكريتية الأخرى ولم يعد للأمراء والاشراف إلا سيطرة اسمية ؛ ولم يمد ملك كنوسوس سيطرته وهيمنته على مدن الجزيرة فحسب بل أيضاً امتد نفوذه فى البحر الإيجى وسواحله وذلك من خلال اسطوله القوى .

وترينا المصادر الأدبية والروايات المأثورة أن اليونان قد أطلقوا على ملك كريت ، ولا ندرى ماذا تعنى الكلمة " مينوس " فهل تعنى اسم ملك معين وسلالته أم لقباً مثل فرعون ؛ والأرجح أن تكون كلمة مينوس لقباً وليست اسماً ، وأن اللقب كان يحمله كل من يجلس على عرش كنوسوس كما هو الحال بالنسبة لكلمة فرعون، وفى ضوء المصادر الأدبية واللقى والاكتشافات الاثرية يمكننا القول أن سلطة مينوس كانت مستمدة من الاله فهو الكاهن الأعظم للاله الثور وشاراته هى : العصا وزهرة الزنبق والبلطة المزدوجة ، وتشير الاساطير إلى أنه ابن الاله زيوس ، ولما

كان من نسل الاله فانه لا ينطق عن الهوى ، إنما تُوحى إليه القوانين من الاله ، كما أنه كان قاضياً على الجحيم . وكان عليه أن يجدد سلطته الإلهية مـــرة كـل تسـع سنوات وذلك بأن يصعد إلى الجبل المقدس ويدخل مغارة الإله زيوس الثور ويتصل به ، وفى غضون هذه الفترة كانت جموع الشعب تجتمع عند مدخل المغارة يبتهلون ويقيمون الشعائر ويقدمون القرابين ، فإذا كان الملك قديراً وكريماً يخرج من المغارة إلى جموع الشعب وقد أصبح مقدساً لدورة جديدة ، وإذا ما كان العكس فـــإن أثـــره يزول ، ويتولى غيره العرش . ولا ندرى ما هى سلطته المدنية والعسكرية وذلـــك لنقص المعلومات وإنْ كان أرثر ايفانز يصف الملك بالحاكم المحسن وحامى الفنـون ومؤسس القصـــور وواضع أسس الحضارة ومن جهة أخـــرى يصفـــه بالطاغيـــة والمدمر ، ولا ندرى ما هو وضع الملكة وكيفية وراثة العرش .وتكشف لنا المصادر أن الملك كان يعاونه فى إدارة شئون قصره ومملكته عدد كبير من الموظفين والكتبة الذين يشرفون على مصانعه وورشه ومخازنه ، وكان عليهم أن يقومـــوا بتســجيل الأعمال اليومية وتصريف شئون المواطنين وينهون الأعمال الصغيرة والبت فيـــها دون الرجوع للملك وكان لكبار الموظفين أختامهم التى يستعملونها فى ختـــم تلـــك المعاملات ، بيد أن المشاكل والقضايا والمعاملات الهامة كان يرجـــع فيـــها للملـــك والتى كان يختمها بختمه . وتكشف لنا الآثار والألواح المكتوبة بالمجموعة الخطيـــة الأولى والثانيـــة عن معاملات مالية معقدة وأن الاقتصاد الكريتـــى كـــان اقتصـــاداً قصرياً .

وتكشف الرسوم عن أن للملك جيشاً دائماً يلبس أفراده الخـــوذات ، ويحمـــل بعضهم الحراب وبعضهم القسى ، كما كان يضم الجيش فرقة العجلات الحربيـــة ، وكان له قوة بحرية لا يستهان بها إذ بدونها يصبـــح تحصيـــن الموانـــى والمـــدن والقصور أمراً لا غنى عنه ، ويعد مينوس وفقاً للروايـــات المـــأثورة أول مؤســـس

لامبراطورية بحرية إيجية ، وأنه قد طهر البحر من القراصنة وبعد طرده للكاريين ولي أبناءه على الجزر ، ولعل أسطورة ثيسيوس والمينتور هي خير دليل على اتساع نفوذ كريت في حوض بحر إيجة وسواحله . وهذا قد ساعد على انتشار السلع والمواد الكريتية في جزر بحر ايجة وفي الساحل السوري ومصر وفي بلاد اليونان القارية . وبعد أن عرضنا السلطة الملكية والنظام السياسي ننتقل الآن للحديث عن الاقتصاد الكريتي .

الحياة الاقتصادية :

ا- **الزراعة :** كانت الزراعة هي الحرفة الأساسية في كريت وازدهرت في الأودية النهرية والمناطق السهلية ، بينما كانت نسبة كبيرة من مساحة كريت جبلية ويُغطى جانب منها بالغابات . وفي المناطق السهلية وأودية الأنهار فقد زرع الكريتي الحبوب وغرس الأعناب والزيتون والتين وحدائق الأزهار ، وكان إنتاج كريت من الحبوب لا يكفي احتياجات السكان ، بينما إنتاجها من النبيذ وزيت الزيتون يفيض عن استهلاك السكان ، ولذا سنجد كريت تستورد الحبوب وتصدر في المقابل زيت الزيتون والنبيذ إلى أسواق الاستهلاك في المناطق المجاورة ، وكان لتصدير زيت الزيتون والنبيذ أعظم الأثر في ازدهار صناعة الفخار .

ب- **تربية الحيوان :** فقد قام الكريتي بتربية الماشية والأغنام والماعز والخنازير والطيور الداجنة ، وعرف سكان الجزيرة الحمار منذ زمن بعيد ، كما عرف الكريتي الحصان قبيل الألف الثانية قبل الميلاد وإن كان استخدامه على نطاق ضيق .

جـ- **الصيد** : تكشف لنا المصادر الوثائقية أن الكريتى كان يمارس حرفة الصيد والقنص، فنرينا الرسوم الجدارية صور صائدى الاسماك بأنواعها العديدة ، والحصول على الأصداف ، ونجد الرسوم الجدارية تظهر صور القنص للارانب البرية والظباء والخنازير والطيور .

د- **الصناعة** : كما تكشف الحفائر واللقى الاثرية أن الورش كانت ملحقة بالقصور والفيلات وضياعها ، وأيضاً فى مدينة الحرفيين فى جرونيا الواقعة فى أقصى طرف الخليج الشمالى الشرقى للجزيرة وقد وصل الحرفيون إلى درجة عالية من المهارة والاتقان ، وانتجوا الآنية الفخارية والمزهريات الجميلة الصنع والزخرفة، وعرفوا استخدموا عجلة الفخرانى ، كما عرفوا استخدام المعادن وصهرها فسبكوا البرنز وتشكيل وصياغة الحلى والمجوهرات ، وصناعة الاسلحة التى شهدت تطورات مطردة فكانت الخناجر فى البداية لا يزيد طولها عن ١٢ سم بلغت فى العصر المينوى الوسيط ٣١ سم وفى العصر المينوى الحديث بلغت طولها ٤٢سم ، وفى هذا العصر أيضاً انتجوا سيوفاً حسنة الصنعة ويبلغ طولها ٩٥سم وصدروها إلى البلدان المجاورة ، ورصعوا السيوف والخناجر والحلى بالذهب والفضة ، والأحجار الكريمة ، كما شكلوا التماثيل من المعادن النفيسة ومن العاج ومن أشهر هذه التماثيل تمثال الالهة الأفعى المصنوع من الذهب والعاج . وصنعوا الأكواب والكؤوس من المعادن . كما نجدهم قد صنعوا القوارب والسفن الحربية .

هـ - التجارة : كان لموقع كريت الهام والقريب من بلاد شرق البحر المتوسط والساحل الأفريقى وبلاد اليونان عظيم الأثر فى ازدهار علاقاتها مع شعوب وحضارات تلك المناطق سواء أكانت متفوقة عليها فى السبق والازدهار أم أدنى منها فى الرقى والتقدم . فنجدها تقتبس من فنون الشرق وصناعاته وتطور ما

تقتبسه وتصبغه بمذاقها الفنى الخاص ، وتنقل ما طورته وصبغته بشخصيتها إلى بلاد اليونان الأدنى منها حضارة ورقياً .

وإذا كان موقع كريت قد جعلها قريبة من مراكز الحضارة فى الشرق أو الجنوب ، فإنها قد ملكت أسطولاً قوياً مكنها من الاتصال بسهولة ويسر ببلدان الشرق وخاصة الساحل السورى وبلاد اليونان أو أن أساطيل الدول الأخرى الفينيقيين والأسطول المصرى فى عصر الدولة الحديثة وافرغت شحناتها بالجزيرة، ونقلت ما يفيض من إنتاجها إلى مصر وبلاد الشام وشواطئ آسيا الصغرى وجزر بحر إيجة ، وبلاد اليونان القارية وفى نفس الوقت حملت ما تحتاجه الجزر من مواد وسلع تحتاجها لصناعتها أو لاستهلاكها الغذائى .

هذا فيما يتعلق بالتجارة الخارجية وعلى ما يبدو أن التجارة الداخلية كانت رائجة وذلك لأن الجزيرة قد بنت شبكة طرق ممهدة ومعبدة بين المدن وهذه الشبكة قد سهلت الاتصال بين مدن الجزيرة فى سهولة ويسر ، كما أن الأمن والأمان كان قد انتشر فى ربوع الجزيرة وسهل هذا حركة الانتقال بين ربوع الجزيرة وليس أدل على انتشار السلام والأمان من أن مدن الجزيرة لم تكن محصنة ولا مسورة . وفى ظلال السلام والأمان راجت التجارة الداخلية فى الجزيرة .

وتكشف الآثار لنا عن استخدام الكريتيين لموازين ومكاييل إذ كانت هناك سبائك واسطوانات من معدن نفيس تسهل المقايضات ، وقد وسمت هذه السبائك أحياناً بعلامات للدلالة على قانونيتها .

و – **العمارة الكريتية** : تكشف لنا الحفائر الاثرية وما تزال تكشف عن مخلفات المبانى من منازل وفيلات وقصور وقبور ، وترينا أن المعمارى أو البناء الكريتى قد استخدم الحجارة والطوب اللبن والأخشاب فى البناء فقد استخدم

الحجارة فى إقامة قواعد المنازل ، وأما بقية جدران المنازل فكان يشيدها من الطوب اللبن ، وكان يقوم بنبليط المنزل ، وكما سبق أن ذكرنا أن الفيلات الريفية انتشرت فى الضياع الكبيرة ، أما عن القصور فقد شيد منها ما هو فى المدينة أو فى الريف أحياناً .

وكانت المنازل تتفاوت مساحتها وعدد غرفها وفقاً للمستوى الاجتماعى والاقتصادى لملاكها سواء كانوا فى الريف أو الحضر ، وكانت الفيلات الريفية هى الأخرى تختلف فى رحابتها وفخامتها من فيلا إلى فيلا ، كما أن هذه الفيلات تضم بجانبها ورش للحرفيين .

وكانت القصور تنتشر فى أرجاء الجزيرة ، فنجدها فى زاكرو ، وتيليسوس وماليا وفايستوس وهاجياترياداا وكنوسوس . فقد بدأ المعماريون الكريتيون فى تشييد القصور ابتداء من العصر المينوى الوسيط فى حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م فقد شُيد قصر كنوسوس على منحدر أحد التلال ، ولكن هذا القصر تعرض لكارثة زلزال مدمر فى عام ١٧٠٠ واعيد بناؤه حوالى عام ١٦٠٠ ق.م على مساحة اكبر إذ بلغت مساحته خمسة أفدنة ونصف فدان ، وحدثت تغيرات أخرى فى هذا القصر فى العصر المينوى الحديث على يد الموكينيين بعد تعرضه لدمار جزئى بعد كارثة الانفجار البركانى فى ثيرا حوالى ١٤٥٠ ق.م .

والقصر يتألف من فناء كبير مساحته ٢٠٠ قدم وعرضه ٨٥ قدماً تقريباً يحيط به فى عدة محاور عدد من الأبهاء التى تضم عدداً كبيراً من الممرات والغرف ، ولم يكن القصر مسوراً ؛ ويضم القصر معصرة زيت الزيتون ومصانع ومخازن ودار للسلاح ، وحمامات ودورات مياه وحجرة مدرسية وعدد من الغرف الفخمة سواء لكبار الموظفين أو للانتظار أو للنوم ومسرح وجناح خاص للملكة

وحجرات للعبادة ، والقصر كان يتكون من أكثر من طابق . ولعل أهـم مـا يثـير عجب المعمارى المعاصر فى هذا القصر هو نظام صرف المياه وتغذيتـه بالميـاه النقية فقد كانت تجلب المياه من الينابيع فـى الجبـال وتمـدد إلـى دورات الميـاه والحمامات داخل القصر كما وجدت بالوعات لتصريف مياه الأمطار .

وكانت جدران القصور تزدان برسوم الافرسـك وحـاول الفنـان أن يقـوم بتصوير المناظر الطبيعية ، فنجده يصور الحيوانات والأسماك والزهور ومن ابـدع رسوم الافرسك منظر قطف الزعفران من روض مليئ بـالكركم والطـائر الازرق وسط الصخور والورود ، ومنظر قطة تزحف بين البوص لتصيد ديكاً برياً . وهناك منظر اخر لرسم بارز يمثل الملك الكاهن نفسه ومنظر الساقى ومنظر اخـر يمثـل سمكة طائرة .

ويرى فريق من الباحثين وعلى رأسهم أرثر ايفانز أن أصول هذه القصـور ينبغى البحث عنها خارج كريت ، وقد وجد الآثاريون فى الألاخ وفـى بيسـولتان Beyceoultan فى غرب تركيا وفى مارى تشابهاً مع القصور الكريتية وهذا التشابه يوجد أيضاً مع العمارة المصرية سواء فى خطتها أو فى رسوم الافرسك بها . ولكن يقول الباحث جرام J.W Graham أنه على الرغم من امكانيـة تتبـع التـأثيرات الشرقية إلا أن القصور الكريتية كانت ابتكاراً كريتياً اصيلاً وأن بها سمات لا توجـد فى سواها الا أنه يستطرد قائلاً أن المعمارى الكريتى عندما بدأ يشيد القصور كـان على علم بعمارة القصور فى أماكن أخرى ، وأنه قد استخدم اساليب وتقنيات البنـاء الشرقية التقليدية التى كان على دراية وعلم تام بها .

وبعد أن تناولنا العمارة الكريتية ننتقل الأن إلى علاقة كريت بجيرانها ومـا قدموه لها فى مجال الحضارة وما قدمته لهم .

العلاقات المصرية الكريتية :

تكشف لنا الآثار واللقى الأثرية والسجلات المكتوبة في كل من مصر والمنطقة الايجية عن عمق العلاقات بينهما وأنها كانت ضاربة في القدم ، ويرى نفر من الباحثين وعمدتهم أرثر ايفانز أن العلاقات الثقافية والحضارية بين مصر وكريت تعود إلى خواتيم العصر الحجرى الحديث (٣٠٠٠ق.م) . وبرروا رأيهم بما يأتى :-

١- وجود حقائق وأدلة أثرية من عصر ما قبل وبداية الأسرات (آخر الالف الرابع وبداية الالف الثالث) فى مصر وفى نفس الوقت الذى كانت توجد فى كريت. ويرى البعض أنه لا يمكن تفسير هذه الحقائق إلا بالهجرة من أفريقيا إلى كريت.

٢- تشير النصوص المصرية من عصر الدولة القديمة إلى سكان المنطقة الإيجية ، والذين يتم وصفهم فى تلك النصوص بلفظتى "حانيبوت" و "كفيتو" من عام ٢٢٠٠ ق.م .

٣- وجود أوانى حجرية صلبة فى كريت مصنوعة على غرار الأوانى المصرية ، ووجود تشابه بين طراز المقابر المستديرة فى البلدين وأيضاً الجعارين والاختام.

ولدينا رأى يقول أن هذه الآنية الحجرية قد وصلت إلى كريت فى عصر الانتقال الأول ٢٣٠٠ ق.م عندما هوجمت مصر وغزاها معتدون من الشمال ونهبت مقابر ملوكها ونبلائها فى عصر الدولة القديمة . ويرى جان فركوتيه أن الاوانى المصرية الموجودة فى طبقات ليس لها تاريخ فى كنوسوس من الممكن أن تكون قد حملت إلى كريت ولكنها لم تصل إليها فى عهد ما قبل الأسرات أو بداية الدولة القديمة ، بل فى نهاية الدولة القديمة وبداية عصر الانتقال الأول أى فى الفترة التى بدأ فيها الصناع الكريتيون يصنعون بأنفسهم أوانى من الحجر ، ويقول ان التأثير

المصرى على كريت أتى عن طريق الساحل السورى ، كما يبدو أن الأوانى التى عثر عليها فى مقابر ملوك الأسرة الأولى فى أبيدوس والتى تنتمى إلى الحضارة الإيجية كان مصدرها فى الغالب سوريا ، ويستطرد قائلاً أنه على ما يبدو أنّ بداية العلاقات والاتصالات بين كل من مصر وكريت قد بدأت فى سوريا وأن النصوص المصرية تؤكد ذلك الاحتمال ، ويقر أنّ كل من مصر وكريت كان على دراية ومعرفة كل منهما بالآخر فى نهاية عصر الدولة القديمة من خلال الساحل السورى، وان كان لا يستبعد تصور أنّ الملاحين المصريين قد عملوا كوسطاء بين كريت وسوريا . وجملة القول أنّ جان فوكوتيه يميل إلى القول بأن العلاقات المصرية الكريتية لم تكن مباشرة وذلك لصعوبة الملاحة والإبحار فى تلك الأزمنة الباكرة ولذا كان الاتصال بصورة غير مباشرة عبر سوريا ، فنقلت السلع والأدوات المصرية والمتمصرة من سوريا إلى كريت .

واستمرت العلاقات وتوثقت عراها بين البلدين إبان عصر الدولة الوسطى فى صر المقابل للعصر المينوى الوسيط الأول والثانى . فكانت احوال كلا البلدين مزدهرة ، ففى كريت كانت هناك فترة العصور الأولى وتلتها فترة العصور الثانية ، وفى مصر كانت الملكية قد استردت قوتها ودخل الفن المصرى مرحلته الثانية الكبرى أى فى الفترة ما بين عام ٢٠٠٠ و ١٧٥٠ ق.م . فقد وجد فى كريت اوانى من احجار صلبة مستوردة من مصر أو مقلدة من نماذج مصرية وعلى كثير من الجعارين وتمثال صغير من الديوريت لموظف مصرى يسمى أويسر Ouser وفى المقابل وجد الآثاريون أوانى كريتية من طراز كاماريس Kamares ، ونتساءل كيف وصلت هذه السلع لكل من البلدين ؟ وهل ما تزال العلاقة غير مباشرة مثل الحقبة السابقة ؟ أن اللقى الاثرية فى البلدين لا تنهض دليلاً على أن الكريتيين قد جاءوا إلى مصر أو أن المصريين ذهبوا إلى كريت فى عهد الأسرة الثانية عشرة أو أن أويسر

الموظف المذكور قام بدور هام فى محيط العلاقات الدولية بيـــن البلديـــن ، وإنمـــا القضية أبسط من هذا ، إذ نجد أن فراعنة الأسرة الثانية عشرة قد مدوا نفوذهم إلـــى فلسطين وفينيقيا ، واقاموا علاقات مع سوريا ، ونتيجة لهذا فقـــد انتشـــرت الســـلع المصرية الرخيصة والمتقنة الصنع فى فلسطين والمـــدن الفينيقيـــة وفـــى ســـوريا وبخاصة الجعارين والتماثيل الصغيرة من أحجار الديوريت والجرانيت ، ولما كـــان الإبحار المباشر بين مصر وكريت فى ذلك الوقت ما يزال صعباً ، فإنه من المرجح أن تكون سوريا قد لعبت دور الوسيط بين كل من كريت ومصر ولذا فقـــد كـــانت العلاقات بينهما ما تزال غير مباشـــرة وإنْ كـــان لا يســـتبعد تلاقـــى المصرييـــن والكريتيين فى سوريا أو فى كريت أو فى مصر .

استمرت العلاقات الحضارية والتجارية بين البلدين إبَّان عصـــر الهكســـوس ١٧٥٠ – ١٥٨٠ ق.م فقد عثر فى كنوسوس على إناء من الحجر يحمل شارة الملك الهكسوسى خيان من عام ١٦٦٣ ق.م ، وفى هذه الفترة كانت كريت قـــد ظـــهرت كقوة بحرية كبيرة ، وهى تقابل فترة القصور الثانية ، ويـــرى جـــان فوكوتيـــه أن العلاقة إبان هذه الفترة بين كل من مصر وكريت كانت مباشرة ، وأنها قد تمت مـــن قبل البحارة الكريتيين وليس من قبل الهكسوس .

وفى عصر الدولة الحديثة أى فى عصر الأسرة الثامنـــة عشـــرة (١٥٨٠ – ١٢٦٠ ق.م) فقد زادت العلاقات بشكل كبير وصارت علاقة مصر مباشـــرة ليـــس فقط بجزيرة كريت بل بكثير من الجزر وبلاد اليونـــان نفســـها . ويذهـــب بعـــض المؤرخين إلى أن كريت كانت تابعة لمصر ، ويستند هؤلاء إلى صورة مـــن عـــهد تحتمس الثالث (١٤٧٥ – ١٤٣٥) تمثل وفود الأمم الاجنبيـــة التـــى جـــاءت تقـــدم للفرعون الهدايا الثمينة من مصنوعات بلادها وبينها وفد كريت ، ويمكن التعـــرف عليه بسهولة من سيماء وجوه الاعضاء وملابسهم ونوع الهدايا التى كانوا يحملونـــها

والكتابة بجانب الصورة تذكر بين الوفود.وفداً من أمراء جزر كفيتــو فــى وسـط البحر، والمقصود بالاسم هو جزيرة كريت وتوابعها ، وتذكــر هــذه الكتابــات أن اسطول كفيتو قد اشترك مع اسطول بيبلوس فى نقل الاخشاب إلى مصر لحســاب الفرعون .

انتظمت العلاقات المباشرة بين البلدين بفضل قوة الاسطول المصرى الــذى جاب منطقة شرق البحر الابيض وفرض السلام فيها كما وصلت الســفن الكريتيــة والفينيقية إلى مصر كما شاهدنا . وسنجد أن تطوراً قد حدث ابتــداء مــن القــرن الخامس عشر فقد بدأت قوة الموكينيين الآخيين فى الظهور فى عــالم بحــر ايجــة وحلوا محل الكريتيين فى كثير من المناطق ، وأيضاً فى التجارة مع مصر وبـــلاد الشام . وتظهر الآثار انهم كانوا يحضرون مع الكريتيين فى العصر المينوى الحديث " الثانى " عام ١٤٥٠ ق.م . ولم يقض توسع الموكينيين فى العصر المينوى الحديث مطلقاً على التجارة الكريتية فى الشرق ومصر ، بل يبدو أنه لم يكن هناك كما كــان يظن احتكار مينوى أو موكينى فى العلاقات التجارية بين مدن بحر إيجــة واســيا الصغرى وافريقيا ، لأن التوسع الموكينى استند فيما يبدو إلى الســيطرة البحريــة الميفوية ولم يتغلب عليها أو يحطمها . فقد وجدت لقى أثرية مصرية من نفس الفترة فى هاجيا ترياداً . ففى العصر المينــوى الحديــث الأول والثــانى فقــد انتشــرت الصادرات المصرية فى كريت انتشاراً واسعاً . ومنذ بداية عصر المينوى الحديــث الثالث فقد انتشرت السلع المصرية على نطاق واسع فى بلاد اليونان .

وفى ضوء ما عرضناه سابقاً يمكننا القــول أيضــاً أن العلاقــات الكريتيــة السورية والساحل الفينيقى وفلسطين استمرت منذ فترة باكرة ، ولعبت بــلاد الشــام دور الوسيط بين الكريتيين والمصريين ونقل الكريتيون كثيراً من فنون بلاد الشــام ومنها فن عمارة القصور الذى تحدثنا عنه سابقاً هذا فضلاً عن الفنون الصغرى .

وإذا كانت كريت قد تأثرت بالشرق بصورة كبيرة فنجد أنها أثرت فى بلاد اليونان تأثيراً بالغاً فى كافة المجالات سواء أكان ذلك عن طريق السيطرة المباشرة أو بالاقتباس من قبل تلك المناطق أو باستقدام واستخدام الفنانين الكريتيين .

أفول نجم كريت السياسى :

تقدم لنا المواد الاثرية والروايات المأثورة معلومات قيمة عن العوامل الخارجية والداخلية التى ادت إلى انهيار وافول نجم كريت السياسى . فى نفس الوقت الذى بدأ فيه نجم الموكينيين الآخيين فى الصعود ونتحدث الآن عن عوامل ضعفها وهى :

أ- العوامل الخارجية فيمكن إيجازها فى النقاط الآتية :

أولاً : بروز الموكينيين كقوة بحرية وعسكرية لا يستهان بها فى القرون الخامس والرابع والثالث عشر ، وقد اتسعت مناطق نفوذهم فى بلاد اليونان الأم وجزر البحر الايجى ، بل نجدهم قد حلوا محل الكريتيين فى الكثير من الجزر مثل رودس وقبرص ، وراجت تجارتهم وصناعاتهم وانتشرت فى تلك المناطق ومع كل من سوريا ومصر ، وكان ذلك على حساب تجارة وصناعة كريت .

ثانياً : أن الصدام والتنافس بين القوى الكبرى فى الشام أى بين الإمبراطورية الحيثية ومصر قد أدى إلى اضطراب الأحوال ليس فى شرق البحر المتوسط فحسب بل سنجد أثار هذا واضحة على مصر أيضاً وبالتالى فإن هذه الأحوال قد أثرت على تجارة الكريتيين.

ثالثاً : كان لكارثة الانفجار البركانى المروع فى جزيرة ثيرا حوالى ١٤٥٠ ق.م أثره البالغ ليس على حركة الملاحة والإبحار فى المنطقة فحسب بل أدى

على الأرجح إلى توقف التجارة وقضى على الكثير من السفن الكرينية ذلــك للحمم البركانية الهائلة التى قذف بها البركان ، هذا فضلاً عن الرماد البركانى الذى انطلق من فوهة البركان كان له اثره على الحياة فى المنطقة هو الأخر.

ب- أما العوامل الداخلية ونجملها فى النقاط الآتية :

أولاً : تعرضت الجزيرة لكارثة طبيعية فى الغالب الأعم فى حوالى عام ١٤٥٠ ادت إلى تدمير كل مدن الجزيرة تدميراً شاملاً عدا كنوسوس الذى دمر قصرهـــا بشكل جزئى .

ثانياً : كان لزيادة الثروة والرفاهية والانصراف إلى الترف والملـــذات أثــره فــى ضعف النفوس والانحلال والتفسخ .

ثالثاً : ضعف موارد كريت سواء فى الزراعة أو تدهور وتراجع كل من الصناعــة والتجارة ، وذلك نظراً لبروز قوة اساطيل الموكينيين التى تنقـــل تجارتـــهم وسلعهم والتى زاحمت الأساطيل والسلع والبضائع الكريتية .

رابعاً : أن كريت كانت تعتمد على قوة أسطولها فى حماية مدنها غير المحصنة فلما ضعف هذا الاسطول أصبحت الفرصة سانحة لشـــعوب مقاتلـــة لمهاجمـــة الجزيرة ودخول موجات من الهجرة الموكينية الآخية إلى الجزيرة . وبمرور الوقت صار المهاجرون يمثلون اكثرية عددية بالنســـبة للســـكان الأصلييـــن والذين صاروا أقلية ، ونتيجة هذا الأمر أن أمسك الآخيون بزمام السلطة فـــى قصر كنوسوس وتم ترميمه بعد ادخال بعـــض التعديـــلات وفقـــاً للطـــراز الموكينى فى عمارته . ولكن تعرض هذا القصر لكارثة مدمـــرة إذ تعـــرض القصر للحريق ، ولا ندرى هل كان سبب ذلك الزلزال كما يرى البعـــض أم كان نتيجة لغزو مدمر كان سبباً فى حريق القصر ونهب بعـــض محتوياتـــه حسب رأى البعض الآخر ، ولم يرمم القصر مرة أخرى ، وعلى الرغم مـــن

هذه الاحداث يحدثنا هوميروس عن إسهام كريت بثمانين سفينة حربيـــة فـــى حملة الآخيين ضد طروادة ، وتعرضت الجزيرة بعد ذلك لموجة من الـــهجرة الدورية غشت الجزيرة ضمن موجة الهجرة الدورية الكـــبرى فـــى القـــرن الحادى عشر قبل الميلاد .

ب ـ حضارة بلاد اليونان القارية فى عصر البرنز

نعتمد فى دراستنا لهذه الحضارة على ما تقدمه المصادر الأدبية من معلومات وخاصة أشعار الشاعر هوميروس (الإلياذة والأوديسة) والتى تقدم لنا أوصافاً وأخباراً عن العصر الآخى سواء فيما يتعلق بطرق الحياة وأساليب العمارة والبناء ، والديانة ، وبعض سمات نظم الحكم ، وقد استخدم المنقبون هذه الأشعار كهادى لهم فى تنقيباتهم ، وعمدة هؤلاء ورائدهم الالمانى الشهير هيرش شليمان الذى نجح فى الكشف عن طروادة وموكيناى وتيرنيس ... الخ وقد أثبتت تنقيباته أن بعض الأوصاف الهوميرية قد صدقت على جانب من هذا العصر وأدواته . كما يقدم لنا كتاب قدامى اخرون أخباراً عن تلك الحقبة ، مثل الحرب بين آرجوس وطيبة وتدمير طيبة ، ووصفاً لخرائب طيبة وعن أخبار الأسر الحاكمة فى ذلك العصر وعلاقتها مع بعضها بعضاً سواء أكانت علاقات ود ووئام أم حرب وخصام . كما يردد الكتّاب القدامى ، - اساطير وروايات - بشأن نشأة بعض مدن هذا العصر ، والصراع بين الحكام المحليين، وكثير من المعلومات الواردة فى المصادر الأدبية اكدتها التنقيبات الأثرية والمصادر الوثائقية وإن كنا أحياناً نجد هذه المعلومات تنقضها وتدحضها نتائج الحفائر والمصادر الوثائقية . أو بعبارة أخرى ينقض بعضها بعضاً .

وتقدم لنا المصادر الوثائقية فيضاً من الأدلة والقرائن لهذه الحضارة وتطورها ، فيقدم لنا علم الآثار بقايا قصور وبيوت ومقابر وقلاع ، ومن اللقى الأثرية الكثير من الأدوات التى استخدمها الناس فى حياتهم اليومية مثل المصنوعات المعدنية أو الفخارية وأدوات الزينة ، وتماثيل ... الخ . والألواح المكتوبة وخاصة الواح المجموعة الخطية الثانية (Linear B) وإن كان أقدم هذه الألواح لدينا يعود تاريخه إلى القرن الرابع عشر،

وكان لقراءة هذه الألواح الفضل فى إعطائنا معلومات كثيرة عن هذه الحضارة ، كما أنها غيرت الكثير من مفاهيمنا عنها ، وأكدت أيضاً معلومات وردت فى المصادر الأدبية وقدمت لنا معلومات عن القصور وحكامها ومعاونيها ومعلومات عسكرية ودينية واقتصادية سنتحدث عنها فى الصفحات التالية .

ويطلق العلماء المحدثون على هذه الحضارة " الحضارة الموكينية " نسبة إلى مدينة موكيناى في سهل أرجوليس ، لأنها كانت أقوى المدن فى العصر البرنزى المتأخر ، وأيضاً لأنها أول مدينة أجرى بها تنقيبات كشفت عن جانب من حضارة هذا العصر ونقضت آراء مؤرخى القرن التاسع عشر ، بيد أن نفراً من الباحثين وهم على حق يفضلون اطلاق اسم الحضارة الهيلادية على حضارة بلاد اليونان القارية فى عصر البرنز نسبة إلى هيلاس . وقد درج هؤلاء العلماء على تقسيم هذه الحضارة إلى ثلاثة عصور وقسموا كل عصر إلى ثلاث فترات . وإن اختلفوا فيما بينهم حول بداية ونهاية كل عصر وكل فترة . ومن بين هذه التقسيمات التقسيم الآتى :

العصر الهيلادى العتيق :	٣٠٠٠ – ٢٠٠٠	قبل الميلاد
العصر الهيلادى الوسيط :	٢٠٠٠ – ١٦٠٠	قبل الميلاد
العصر الهيلادى الحديث :	١٦٠٠ – ١١٠٠	قبل الميلاد

ولما كان العصر الهيلادى الحديث يمثل أزهى تلك العصور إذ بلغت فيه اليونان ذروة قوتها ومجدها فإننا نذكر تقسيماته إذ ينقسم إلى :

العصر الهيلادى الحديث الأول : ١٦٠٠ – ١٥٥٠

- العصر الهيلادى الحديث الثانى : ١٥٥٠ – ١٤٠٠

- العصر الهيلادى الحديث الثالث : ١٤٠٠ – ١١٠٠

وسنحاول أن نوجز أهم السمات والملامح الخاصة بكل عصر من العصور السالفة الذكر . ونبدأ الآن بذكر أهم سمات العصر الهيلادى القديم هى :-

أولاً : وصول هجرة جديدة مع مطلع هذا العصر من الشعوب التى أطلق عليها الكتّاب القدامى اسم البلاسيجيين ، وقد وفدوا من جنوب غرب اسيا الصغرى ، وكانوا يمتون بصلة القربى لسكان منطقة طروادة ، وجزر الكوكلاديس وكريت ، وهؤلاء المهاجرون كما لاحظنا من قبل لا يمتون بصلة للعناصر الهندوأوربية انما ينتمون إلى شعوب البحر المتوسط ، وكانوا يتكلمون لغة لا تنتمى إلى عائلة اللغات الهندأوربية وإن بقيت اثارها فى اللغة اليونانية فى شكل مفردات كثيرة منها ما يخص اسماء المدن والأماكن مثل كورينثوس وبرناسوس وهيمتوس ، وأخرنا ، وميكينى ، وأثينى (فى بلاد اليونان) وكاليندا واسبندلوس (فى اسيا الصغرى) ، وأسماء الأفراد مثل : اخيللوس ، وتثيوس وأتريوس ، وأسماء لبعض النباتات والزهور والطيور جذورها غريبة عن اليونانيين مثل أشجار الكروم والزيتون والتين والسرو والغار والنرجس . narkissos ، وأسماء بعض المعادن مثل : البرنز والقصدير والرصاص والحديد وكلمة منجم metillon والكثير من هذه المفردات السالفة نجدها فى جنوب غرب أسيا الصغرى .

ثانياً : امتزج واختلط هؤلاء المهاجرون الجدد بالسكان الأصليين (من العصر الحجرى الحديث) وعلموهم أساليب صناعة المعادن وحرق الآنية الفخارية فى أفران و هذه

الاساليب كانوا قد جلبوها معهم ، وإن كان انتاج الفخار قد شهد اختلافات فى طرزه بين مناطق اليونان المختلفة والجزر ، كما نجدهم قد استزرعوا بعض النباتات والأشجار مثل غرس الأعناب فى أتيكا ، وأدخلوا معهم استعمال الخيل .

ثالثاً : عاش هؤلاء فى البداية فى منازل ريفية متناثرة ، وبمرور الوقت فقد مالوا للعيش فى تجمعات ، وبدأوا يميلون نحو التحضر والتمدين ، إذ نجدهم قد بنوا قراهم أو مدنهم على سفوح التلال ، ثم أحاطوها بالأسوار ، كما شهدت الفترة بناء بعض القصور ، ولعل إحاطتهم لمدنهم بالأسوار كان بسبب هجوم من قبل جماعات مجاورة عليهم أو حروب فيما بينهم أو لهجرة وفدت إلى تلك المناطق وكان مهاجروها يخربون ويسلبون وينهبون فلجأت جماعات السكان إلى تحصين قراهم ومدنهم .

رابعاً : كان السكان يتعبدون إلى إلهة أنثى شاملة الخصائص مثلما كان الحال فى كريت .

وبعد أن عرضنا لأهم سمات العصر الهيلادى العتيق ننتقل إلى الحديث عن العصر الهيلادى الوسيط مع الأخذ فى الاعتبار استمرار السمات السالفة فى هذا العصر مع بروز سمات جديدة :

أولها : وصول أولى موجات الهجرة الهندوأوربية إلى بلاد اليونان والتى على ما يبدو أنها قد بدأت فى القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد واستمرت فى شكل موجات غازية ومتقطعة ، وأهم هذه الهجرات الآيونية والأيولية وأخيراً الآخية وسبق أن ذكرنا هذه الهجرات عند الحديث عن أصل اليونان .

ثانيها : يمثل هذا العصر أول ظهور للعناصر اليونانية فى بلاد اليونان والذين سيطلق عليهم هوميروس الآخيين وتسميات أخرى سبق ذكرها .

ثالثها : كان مستوى التحضر والتمدين لهؤلاء المهاجرين أدنى من السكان الأصليين الذين استقروا بينهم ، فإخذوا بأساليب حضارتهم وإن أدخلوا بعض السمات الجديدة إذ تكشف لنا التنقيبات الأثرية عن استمرار التطور الحضارى وظهور عناصر جديدة فى صناعة الآنية الفخارية وأشهرها الفخار المينواسى Menyas ، كما شهد العصر استخدام عجلة الفاخورى على نطاق واسع ، ثم اتمام عملية حرق الآنية الفخارية فى أفران . وشهد هذا العصر أيضاً طرازاً جديداً فى عمارة المنازل إذ جلبه المهاجرون معهم وهذا الطراز كان يتلاءم مع مواطنهم الأولى إذ كانت أسقف المنازل تبنى من القرميد بشكل مائل على الجانبين حتى لا تبقى عليه مياه الأمطار والثلوج ، وكانت عمارة منازلهم بسيطة وكانت حجرات المنزل تفتح على فناء megorwn ، كما نجد أن مقابرهم قد حدث بها تطور وتغير إذ نجد فى البداية مقابر فردية وكان منها لحود كالصناديق من طراز الناووس وتخلوا من القرابين الجنائزية . ونجد أيضاً تطوراً اخر إذ ظهرت مقابر جماعية أودعوا فيها أدوات بسيطة بجانب موتاهم مثل إناء واحد أو اثنين وبعض السكاكين الصغيرة والحلى الرخيصة . ونجد تطوراً آخر فى طراز المقابر خواتيم الفترة إذ انتشر استخدام المقابر البئرية أو العمودية وكانت مقابر فردية ويلاحظ أن الجثث كانت تدفن فى وضع متقلص ، ، ومودع معها بعض الأوانى الفخارية من الطراز المنواسى .

رابعها : شهد هذا العصر وضع اللبنات الأولى من قبل الملوك الممالك فى ارخومينوس وطيبة و أثينا وموكيناى وتيرنيس وميديا وبروسينا وأسينى. (فى اقليم ارجوليس)، وفى بيلوس (غرب مسينيا) وغيرها من مدن البلوبونيز وكذلك فى جزيرة ايجينا وغيرها من الجزر .

وبعد أن عرضنا لأهم سمات العصر الوسيط ننتقل للحديث إلى العصر الهيلادى الحديث وهو أزهى فترات العصر البرنزى وسنجد فى هذه الفترة أن نجم ممالك بلاد اليونان القارية فى صعود وازدهار ، بينما كان نجم كريت السياسى يتجه نحو الأفول والانحدار . ويطلق نفر من العلماء على حضارة هذه الفترة عصر الأبطال ويطلق نفر اخر عليها الحضارة الموكينية نسبة إلى موكيناى وهم على حق وذلك لانتشار مظاهر حضارتها فى داخل بلاد ابيونان فى تيرينيس وأسينى Asine وميديا (فى إقليم ارجوليس) وفى كورينثة وكوراكو ، وليرنا (بمنطقة البرزخ الكورينثى) وفى بيلوس (غرب مسينيا) وفى كاكوفاتوس (باقليم إيليس)وفى أثينا وإليوسيس وثوريكوس (باتيكا) وفى طيبة وأرخومينوس وجلا (فى بؤونيا) وفى ايوبكوس (بتساليا) وانتشرت هذه الحضارة فى معظم جزر البحر الايجى وبعدئذ إلى جزر البحر الأيونى ثم امتدت إلى مناطق أبعد . وتتمثل مظاهر الحضارة فى القصور والمقابر والآنية الفخارية والقرائن واللقى الأثرية الأخرى التى تكشف عن حضارة متجانسة وثقافة مشتركة . ومن سمات هذه الفترة :

أولاً : شهدت هذه الفترة هجرة جديدة اختلف الباحثون بشأن منبعها فالبعض رأى أنها هجرة شمالية والبعض الآخر رأى أنها هجرة سامية والبعض الآخر رأى أنها هجرة مصرية والبعض الآخر يرى أن الفترة لم تشهد هجرة وانما قامت

الحضارة فى مركزها موكيناى على يد حكام وطنيين استغلوا المناجم المجـــاورة وكانت سبباً فى ثروتهم وسبق لنا أن عرضنا لهذا الأمر عند حديثنا عـــن أصـــل اليونان .

ثانياً : شهدت هذه الفترة أيضاً ممالك قوية وقصوراً ضخمة فى مناطق مختلفة من بلاد اليونان والتى سبق أن ذكرنا أنها كانت قد بدأت فى التشكل مع نهايـــــة العصـــر الهيلادى الوسيط .

ثالثاً : يلاحظ أن بلاد اليونان قد شهدت أنواعاً جديدة من المقابر فقـــد اخـــذت المقـــابر البئرية أو العمودية فى الانتشار بكثرة ، وقد كشف المنقبون فى هذه المقابر عـــن كنوز ثمينة ، إذ كانت هذه المقابر غنية بمتعلقات الموتى مثل الأوانــــى البديعـــة الفخارية والبرنزية والفضية والذهبية ومن الالبستر ، والحلى الذهبية أو المشـــكلة من الذهب والفضة " الاليكترون " ومنها أقراط وأساور وأختام وتيجـــان وأقنعـــة والأسلحة ومنها الأسلحة البرنزية مثل الحراب والسيوف والخناجر ذات المقابض الذهبية والعاجية والدروع ومنها أدوات من البلور والقيشانى . ويلاحظ أن الموتى كانوا يرقدون ممددى القامة ويدفنون بكامل ملابسهم وقد زينت رؤوسهم ورقابـــهم وأذرعتهم فى كثير من الأحيان بحلى من الذهب .

نلاحظ أيضاً ظهور طراز جديد من المقابر وانتشاره فى حوالى عـــام ١٥٠٠ ق.م وهى مقابر الغرف المستديرة ذات القباب Thalos Tombs أو مقابر خليّـــــة النحـــل ، ويرى البعض أنها تمثل مجيء اسرة جديدة ، ولكن البعض يرى أنه اختلاف فقط فـــــى الطراز المعمارى ، وأنه كان ابتكار موكينى ، ولا يوجد تأثير خارجى عليهم فيه ، كمـــا

يرى البعض بأن هناك تأثير مينوى قوى . وقد عثر المنقبون على عدد منها فى كاردتسا بتساليا ، وفى كورينا سيون وموريرا بمسينيا وفى بؤوتيـــا ومنـــاطق بأتيكـــا واســـبرطة وأرجوس .

ونلاحظ أيضاً أنه وجد نوع اخر من القبور ذات الغرف المستديرة محفورة فـــى الصخر وهى مقابر ذات القباب وإن كانت أصغر حجماً وهى مقابر عائلية اســـتخدمت لأجيال فى أرجوليس وبروسيمنا ويوبويا ورودس . وكان أصحاب هذه القبور يســرفون فى وضع الهدايا مع الموتى وهذه الهدايا من الأوانـــى الفخاريـــة والمعدنيـــة والأدوات البرنزية والحلى الذهبية أو من الأحجار شبه الكريمة أو من العاج ومن الأسلحة .

رابعاً : تأثرت حضارة بلاد اليونان القارية فى هذا العصر بحضارات أرقى منها وأعلى مرتبة ومنها الحضارة الكريتية والتى كان تأثيرها الطاغى قد امتـــد إلـــى كافـــة جوانب الحياة فى بلاد اليونان فقد تأثرت بالفكر الدينى والعقائد المينوية وأيضـــاً امتد إلى زخرفة وتزيين الحلى الموكينية وصناعة الأوانى المعدنية والأوانى مـــن القيشانى وفن صناعة الأختام . وامتد أيضاً إلى فن العمارة إذ تم اقتباس بعـــض طرزهم المعمارية واستخدام الأحجار والأعمدة وطلاء المدخل والحفر الزخرفـــى واستعمال الجص والألوان المتعددة والافرسك فى زخرفة الجدران باسلوب فنـــى وقد شهدت حضارة بلاد اليونان تأثيرات مصرية واضحة فـــى طـــراز المقـــابر البئرية وتقاليد الدفن واستخدام الأقنعة وفى عمارة القصور واستعمال العجـــلات الحربية هذا فضلاً عن أدوات ومواد مصرية تم استيرادها من مواقع قريبة منـــها لعلها كريت .

خامساً : شهدت هذه الفترة بناء القصور الملكية على نطاق واسع فى بلاد اليونـــان ، إذ نجدها فى موكيناى وتيرنيس وأرخومينوس وبيلوس وطيبة ... الخ . وكانت هـذه القصور تبنى داخل قلاع وحصون شيدت فى موقع تسهل طبيعته الدفاع عنـــها . وغالباً ما يكون هذا الموقع مشرفاً على السهل المحيط ويصعـــد إليـــها بســلالم خارجية تتخللها العراقيل والأبواب ، وبسلالم محفورة فى الصخــر وقــد بنيــت الجدران بالصخور الضخمة وكان يبلغ سمك الجدران ستة أمتار وبها ســـراديب كما هو الحال فى قصر تيرنيس ، وهذه التحصينات للقصور الموكينيـــة كــانت عكس القصور المينوية غير المحصنة ، كما أن خطتها مخالفة لخطــة القصــور المينوية . وكانت القلعة تضم إلى جانب القصر بيوت الأتباع والمقربين من الملك مثل القادة العسكريين وكبار رجالات القصر . وكانت القصور الحصينة تلعـــب دوراً دفاعياً فهى تحمى الثروات الملكية المكدسة من حلى ومجوهرات وكـــؤوس وركائز وسبائك معدنية وقدور معدنية وأسلحة ومخازن مكتظة بمواد الاعاشة من حبوب وزيوت ونبيذ معتق ، وجدير بالقول أن هذه الثروات كانت تمثــل الغنـــى والثراء وكمظهر ملكى صرف ، فكانت مادة للتجارة تتعدى جدود المملكة ومــادة للهبات والهبات المقابلة وتؤدى إلى عقد تحالفات وزيجـــات سياســـية ، وتنشـــئ واجبات الخدمة وتكافئ الاتباع وتقيم روابط الضيافة بين أبعد البلدان والممـــالك ، وهى كذلك موضوع للتنافس والنزاع فكما يتم تلقيها كهدايا يتم اكتسابها بواســـطة السلاح فكانت تجرد الحملات الحربية وتدمر المدن بسببها وتستمر أيضاً حيازتها بعد الممات فتودع بجانب الجثث كملكية فردية تتبع صاحبها فى قبره . وقد اتخــذ ملوك هذه الفترة من هذه القصور مكاناً لسكناهم ومقراً لحكمهم وإداراتهم لتســيير

وإدارة شئون ممالكهم .

سادساً : ان كثرة القصور والقلاع الحصينة يكشف عن قيام ممالك قوية كل منها مستقل عن الآخر وكان البعض منها يصارع وينافس الآخر وتكشف لنا اللقى والمخلفات الأثرية أن أمراء وملوك هذا العصر كانوا يهوون الحرب ويخوضون غمارها فى ظروف كثيرة ويدفنون مع أسلحتهم وسيوفهم وخناجرهم وحرابهم كما أتاحت لنا رسومهم الجدارية معرفة دروعهم وثروتهم أيضاً ، وكانوا فى فترات السلم والاسترخاء يمارسون عادة القنص ويعتمدون على النهب والسلب كمصدر لجمع ثرواتهم .

سابعاً : تصور الاشعار الهومرية أحوال الملوك العظام وأتباعهم وبطانتهم فى بعض الممالك مثل موكيناى وأميكلاى وبيلوس وأرجوس ... الخ فترسم لهم صورة كطبقة متميزة مستأثرة بالامتيازات ، كطبقة وراثية يعتز أفرادها بمكانتهم ويتفاخرون بالأنساب . ويعيشون على الثروة الموروثة وقد يدينون بولاء متين أو ولاء لملك أقوى وأعظم سطوة منهم ، ويلتزمون بقواعد الشرف ويوصفون بالشجاعة الشخصية والنبالة فى المقام الأول فكان عليهم أن يكونوا سباقين لصنع الجميل ومساعدة المحتاجين بمروءة وبشهامة والمبادرة إلى حمل السلاح فى ساعة الخطر دون تردد وتقدم صفوف المقاتلين بشجاعة .

ولدينا رواية قوية عن ولاء المدن لموكيناى على الأقل فى زمن الحرب الطروادية ؛ إذ كان منيلاوس ملك اسبرطة حليفاً لأخيه أجاممنون ملك موكيناى وكذلك نستور ملك بيلوس ، بالرغم من انتسابه إلى أسرة أخرى ، حليفاً لموكيناى عن طيب

خاطر وبالمثل كان موقف بقية الأمراء والملوك فى عصر البطولة نحــو أجـامنون ، ولكننا لا نعرف مدى احتفاظ هؤلاء الحكام بالاستقلال وبالعلاقات الودية فيما بينهم زمـن السلم كما أنه ليس من المحتمل أن موكيناى كانت تمارس أى سلطة مركزيـــة محكمــة على الأصقاع النائية حتى فى البلوبونيز ذاتها حيث أن المواصلات لم تكن داخل بــلاد اليونان سهلة ميسورة .

ثامناً : تكشف لنا الألواح المكتوبة عن بعض المعلومات عن إدارة شئون الممــالك وأداة الحكم ويأتى فى المقام الأول الملك الذى كان يأتى على رأس التنظيم السياســى والاجتماعى وكان يحمل لقب wanax وكان له سلطة فردية مطلقة فى المجــالات العسكرية ، فالقصر هو الذى ينظم طلبات الأسلحة وتجـهيز العربــات وتجنيـد الرجال وتعيين الضباط والتشكيلات وحركة القوات ، وهو المسئول عن الحيــاة الدينية فهو بمثابة الكاهن الأعظم ، فكان عليه أن ينظم ويشــرف علــى إقامــة الشعائر والطقوس والاحتفالات فى الأعياد المقامة للآلهـــة ويحـدد الأضـاحى والقرابين بمختلف أنواعها ويحدد معدل التقدمات المطلوبة من كل فــرد حسـب مركزه ويعاونه فى هذه المهام جماعة مكونة من عدد كبير من الكهان والكاهنات. وقد بقيت ذكرى السلطة الدينية للملك إذ كان مقدساً وســاحراً وسـيد الأزمــان وموزع الخصوبة فى إطار دولة المدينة فى العصور التالية ، كما أن الاســطورة الكريتية الخاصة بمينوس والذى كان يخضع كل تسع سنوات فــى كـهف ايـدا للامتحان الذى ينبغى أن يجدد سلطته الملكية عبر اتصال مباشر بالالــه زيـوس ويمكننا ربطها ومقارنتها بالمحاكمة التى كان يتعرض لها الملوك الاسبرطيون كل تسع سنوات من توليهم لسلطتهم فقد كان الاسبرطيــون يتفحصون الســماء فــى

جوف الليل ليقرءوا فيها ما إذا كان الملكان لم يرتكبا إثماً ينزع عنهما صفة ممارسة الوظيفة الملكية . وكان الملك أيضاً فى ظل نظام الاقتصاد القصرى يركز كل مظاهر السلطة والسلطان فى يديه فكان يراقب وينظم جميع قطاعات الحياة الاقتصادية وكل مجالات النشاط الاجتماعى . وكان يعاونه حكومة بيروقراطية مركزية وجهاز ادارى فى إدارة شئون البلاد ويأتى على رأس هذه الحكومة بعد الملك فى المرتبة قائد الشعب (اللاجيتاس) la – wa – je – tas وهو قائد "الشعب المسلح أو مجموعة من المحاربين " "Laos" ورفاق السلاح equeta وأغلب الظن أن مهمته هى حماية الشعب والمملكة من خطر الغزاة ، وكان له حاشية وإقطاع temenso وكان هناك كبار رجالات الدولة والقصر ويشكلون حاشية للملك وكانوا قادة للوحدات العسكرية (okha) أو ضباطاً يؤمنون الاتصال بين البلاط والقادة المحليين ، وكان هناك الجنود te – re – ta أصحاب الاقطاعات . وكان يعاون الملك فى تنظيم شئون اقتصاده القصرى جيش من الكتبة وكبار الموظفين والمشرفين والمفتشين وكان الكتبة الكريتيون الذين نقلوا معارفهم وتجاربهم إلى القصور الملكية الموكينية التى خدموا فيها ، مثل استخدامهم للسجلات ونقلهم للأساليب والطرق الادارية المينوية إلى بلاد اليونان ، وقد مكن هذا النظام المقتبس من الاشراف الدقيق من قبل الدولة على اقليم واسع ، وتكشف لنا الوثائق أن هؤلاء الكتبة كانوا ينظمون سجلات الحسابات الخاصة بالحيوانات والمزروعات والاقطاعات ومختلف المهن والحرف مع تقديم الحصص الواجب تقديمها من مواد أولية والطلبيات من المنتجات المصنعة والأيدى العاملة والأرقاء من الرجال والنساء والأولاد ،

ويدونون أيضاً فى سجلات كل القروض المحصلة من الأفـــراد والجماعـــات ، وتسجيل قوائم بالأفراد الذين ستقدمهم قراهم لتجهيز السفن الملكية بـــالمجدفين ، وتشكيل الوحدات العسكرية وقيادتها وحركتها وسجلات بالتقدمات للآلهة . كمـــا نجدهم يقومون بمسح الأرض ، وإحصاء كل شيء ، وتوزيع الأجور النوعيـــة ، وإصدار الأوامر لمرءوسيهم . وتكشف لنا وثائق بيلوس عن وجود جيـــش مـــن الأواريين الذين كانوا يرفعون تقارير دورية إلى رؤســـائهم ، وتقديـــم البيانـــات والاحصاءات إلى سكرتير مقيم فى القصر يتولى قيدها فى السجلات .

هذا عن القصر وأجهزته الادارية أما عن الريف وإدارة شئونه قد تطالعنا الألواح بجهاز ادارى خاص بالقرى يأتى على رأسه رئيس القرية ولقبه "pa - si - re - u" (وهذه الكلمة يقابلها Basileus الهومرية وتعنى ملك فى قصر) وهو بمثابة ســـيد تمتـــد سلطته على منطقة ريفية وهو من أتباع الملك ومسئول أمامه من الناحية الاداريـــة ، إذ كان عليه مراقبة توزيع حصص البرنز المخصصة للحدادين الذيـــن يعملـــون لصـــالح القصر فى منطقته ، وكان يساهم هو وأثرياء منطقته فى هذه الفروض من المعادن وفقـــاً لحصص محددة .

ويعاون رئيس القرية موظف اخر يحمل لقب "ko - re - tc" ، وهـــو بمثابـــة النقيب ، وربما مارس هذا الموظف سلطات ومسئوليات عسكرية مثل اللاواجيتـــاس ، إذ يرينا لوح من بيلوس أن أحد "الكورتى" كان قائداً لكتيبة ، بينما فى لوح اخر نجده يتـــم وصفه بلفظة "mo - ro - pa" (وهى مالك الإقطاع) ، ويعاون رئيـــس القريـــة أيضـــاً مجلس الشيوخ "ke - ro - si - ja" "Gerousia" ، وكان مكوناً من أربـــاب الأســـر

الشريفة ، بينما بقية الشعب Damas كانوا مشاهدين ومستمعين فقط ليس لهم حق الحديث ولا يعبرون عن آرائهم ومشاعرهم سوى بضوضاء مؤيدة أو مستنكرة .

تاسعاً : تكشف لنا الوثائق والآثار عن بعض المعلومات عن المجتمع وطبقاته ، وان كنا لا نعرف شيئاً عن العلاقة بين السكان الأصليين الذين لا يعقل أن يكون المهاجرون والمستوطنون الهندواوربيون قد قضوا عليهم ، ويرى البعض أنهم قد استغلوا من قبل هؤلاء المهاجرين فى زراعة الأرض وكانوا مربوطين بها ، ولعل الفئات العليا منهم قد امتزجت بالمهاجرين . وتمدنا الوثائق بمعلومات منها: (١) أن جانباً من السكان كان يقيم فى المدن أو القلاع وهم حاشية الملك ورفاقه وجهاز إدارته وأقاربه والكهان والكاهنات . (٢) أن جانباً أخر من السكان كان يعيش فى تجمعات ريفية أو محلات ويقيمون بالقرب من القلعة ويلجأون إليها عند الشعور بالخطر وطلباً للأمان . وكان السكان ينقسمون إلى قسمين الأحرار منهم والعبيد ، أما عن الأحرار فكانوا ينقسمون إلى طبقات والطبقات إلى طوائف حرفية ولكل طائفة اسم يميزها عن غيرها ولكل منها نصيب معين من القوت يوزع عليها بدقة ، ولكل منها تخصص دقيق معروف فى العمل ومن هؤلاء الحرفيين صناع السفن والفاخورية والغزالين والنساجين والقصارين وصناع العطور وصائغى الذهب والبرنز . ومن المهنيين الأطباء أو الحجاب ، أما عن العبيد فقد كانوا مملوكين للأفراد والجانب الأكبر مملوكاً للإله أو الآلهة .

وكان النظام السائد فى موكيناى نظاماً اقطاعياً إذ كان يسود فيه طبقة من الاقطاعيين الذين كان لكل منهم جيش خاص يرفد جيش الملك عند الحاجة ويؤدى بعض الواجبات الضرورية للصالح العام .

وتكشف لنا رسوم الافرسك أو الرسوم الجدارية عن أن النساء فى المجتمع الموكينى قد ظهرن فى ملابسهن الأنيقة وترتيب شعرهن وحليهن مثلما كانت تظهر المرأة الكريتية وفى أحد الرسوم من موكيناى نجد بعض النساء يتبخترن فى المسرح عند مقدمة مقصورتهن ولكنهن على ما يبدو قد أهملن التمارين الرياضية وأثر هذا على قوامهن وحرية سلوكهن الخارجى .

عاشراً : تقدم لنا الوثائق والآثار بعض المعلومات عن أماكن العبادة وأدوات الشعائر والطقوس وصور الآلهة المصورة على الأختام أو رسوم الافرسك أو على الفخار أو شواهد القبور . كما تقدم لنا الرقم المكتوبة أسماء آلهتهم ومنها بعض الهة الاوليمبوس مقرونة بالقرابين المقدمة إليهم ، وإن كانت لا تتضمن أى نصوص دينية أو فى سجلات معابد . ونستخلص من مصادرنا الوثائقية المعلومات الآتية :

١- هناك تشابه بين الديانة الموكينية والديانة الكريتية فمناظر الشعائر وأدوات العبادة تكاد تكون واحدة ومن مظاهر الوحدة والتماثل بينهما أن الاله الأكبر فى كلتيهما أنثى ويأتى بعدها ذكر أقل منها مرتبة وكان يُذكر كشقيق لها حيناً ويُذكر كزوج لها حيناً آخر .

٢- اعتقد أهل كل من كريت وموكيناى فى عبادة الأشجار والتنسك للأعمدة وأن الآلهة تتجسد وتحل فيها كما سبق أن ذكرنا عند الحديث عن الديانة المينوية .

٣- كانت الديانة الموكينية والكريتية تقدس قوى الطبيعة ، وتحتوى على أفكار نابعة من البيئة الزراعية ، فقد اعتاد الكريتيون والموكينيون الاحتفال وإقامة الطقوس والشعائر بمناسبة وفاة الاله الزوج فى ريعان شبابه مقدماً نفسه قرباناً من أجل رفاهية شعبه

الذى من أجله جاء ، وبمناسبة زواجه المقدس بعد بعثه من الالهة الأم حيث يتم اللقاء ويجتمع الشمل وكانت شعائر الموت والزواج التمثيلية من أهم ملامح الديانتين .

٤- كانت الالهة الأم عند الكريتيين إلهة شاملة وجامعة لكـل الخصـائص بينمـا وزع الموكينيون هذه الخصائص على الهة أخرى كثير ومن هذه الآلهة ديمتر (ربة الزرع والحرث) التى ورثت عنها أسرار ضاحية اليوسس فى أثينا وورثت عنها ارتيميـس (ربة الصيد والحيوان) ظهورها فى رفقة الحيوانات المفترسة وكربـة للـبرارى ، وورثت عنها أثينا (حامية الدار) الثعبان واليمامة والدرع الذى كانت تحمى به القلعـة والأبطال الصناضيد .

٥- تكشف لنا الرُقم المكتوبة عن بعض أسماء الآلهة ومنها الآلهة : زيوس وهيرا وأثينا وارتيميس وأبوللون وبوسيدون واريس (انواليوس Enualios) . ويتردد فى الرقـم ذكر إلهة كبيرة الشأن ، ولكنها لا تذكر بالاسم بل بلقب po - te - ni - ja بمعنـى السيدة هذا فضلاً عن الهة وإلهات صغيرات قليلات الشأن . وتمدنا اللقـى الأثريـة والآثار أيضاً ببعض المعلومات عن عبادة الهة أخرى ، مثل سيدة الحيوانات وربـة الثعبان وربة البركة وربة الشجرة وربة الحرب .

٦- كانت أماكن العبادة عند الموكينيين والمينويين عبارة عن محاريب صغيرة تقدم فيـها القرابين والتى ستتحول فيما بعد إلى معابد وهذا ما أظهرته التنقيبات الأثرية .

٧- أولى الموكينيون عبادة الأموات اهتماماً كبيراً لاسيما ما يتعلق منها بأموات عـائلات الأمراء والملوك وأدى هذا إلى تطور فى المدافن وكان الميت فى نظرهم يستمر فـى الحياة بعد الممات ويرى البعض أن الملوك رفعوا إلى مصاف الآلهة اما أثناء حياتهم

أو بعد مماتهم . وان كان البعض يرى أنه لم يكن لديهم فكرة عن الحياة الآخرة بعد الموت . وقد وجدت أضاحى وتقديمات من الحيوانات من الكلاب والخيول والانعام كشف الآثاريون عن تقديم أضاحى بشرية فى أنحاء متفرقة من بلاد اليونان فى موكيناى وبروسيمنا وأرجوس ودندرا وكازاراما وتساليا وأثينا ومسينيا واليارتوس ولينكاوا واسبرطة وارخومينوس .

٨- كشف الآثاريون لنا عن أكداس من المتعلقات الشخصية التى كانت تودع مع الموتى ولعل هذا يؤكد اعتقادهم فى حياة أخرى .

حادى عشر : تقدم لنا الآثار والرُقم المكتوبة معلومات كثيرة إلى حد ما بشأن أوجه الحياة الاقتصادية وهى :

١- **الزراعة ونظام ملكية الأرض** : تكشف لنا الرقم المكتوبة أن نظام ملكية الأرض الزراعية كان معقداً للغاية إذ تقدم بعض المصطلحات الخاصة بالأرض والتى هى محل نقاش وجدل بين الدارسين ومنها (أ) ko - to - no - o - ko ، (ب) kama (حـ) wo – wo ، (د) on a – to والأخيرة تعنى الايجار . وتقدم لنا أيضاً مصطلحات قد أمكن للعلماء تعريفها وهى ""kitimena والتى يحسبون أنها تعنى الأرض الخاصة والتى يمتلكها الأفراد . ويترجم العلماء مصطلح kikemena بالأرض العامة . أما عن الأرض الخاصة فقد نشأت من الاقطاعات الممنوحة والتى كان يتم امتلاكها ملكية رقبة وحيازة فى نفس الوقت وكان يقابل تملكها وحيازتها خدمات يقدمها المقطع ونظيرها يحصل على الاقطاع "ko-to- na" وتقدم لنا الرقم المكتوبة بعض المعلومات عن الأرض الخاصة إذ نجدها مقسمة إلى

اقطاعات ويأتى على رأس هذه الاقطاعات : ١-إقطاع الملك temenas وهو مكـون من الاراضى الزراعية وأراضى الحدائق ٢- إقطاعات الآلهة ٣- إقطاعات كبـار رجال الدولة والجنود . وكانت تمنح لهم نظير خدماتـهم الاسـتثنائية وانجازاتـهم الحربية . وكانت هذه الأراضى تمنح للمقطع مع مزارعيها وكان يمكن لأصحابـها تأجيرها لآخرين والانتفاع بما يحصلوا من ايجار لسد حاجاتهم الشخصية .

وتكشف لنا الرُقم المكتوبة أيضاً بعض المعلومات الخاصة بـالأرض العامـة أو الأرض المملوكة للشعب "damus" وأطلق عليها فى السجلات أيضاً لفظـة kl- tl- one- na- ko- to- na وهذه الأراضى كانت مملوكة ملكية عامة للجماعـات القرويـة وكانت تزرع وفقاً لنظام الحقول المفتوحة والتى ربما كان يجرى توزيعها دورياً وتنظـم أعمالها الزراعية وأنشطتها الرعوية .

وقد كشفت لنا الحفائر الأثرية عن أن الموكينيين قد بذلوا جهوداً كبيرة من أجـل تنمية الموارد الطبيعية فى بلاد اليونان ومن بينها حفر الآبار وإنشاء نظام للرى فى سهل أرجوس حيث وجدت قنوات تصريف مياه وتجفيف بحيرة كوباتيس وقـد اسـتصلحوا واستزرعوها أرضها المجففة .

وقد شكلت الزراعة الحرفة الأساسية لشعوب الممالك فى بلاد اليونان إذ عمل بها جل السكان وتقدم لنا الرقم المكتوبة سجلات سجل بها المحاصيل وأنواعـها ونصيـب القصور والآلهة منها وأهم المحاصيل القمح والشعير والأعناب والزيتون .

٢- الرعـى : اشتغل نفر من سكان ممالك هذا العصر برعى الثيران والأبقار والأغنـام والماعز والخنازير وكان الثور يستخدم كوحدة التعامل الـذى يقـوم علـى نظـام

المقايضة. وكان الرعاة يرعون فى الأراضى العامة التى لا تزرع .

٣- **الصناعة** : اشتغل نفر آخر من السكان فى الحرف والصناعات المختلفة من صناعة الأوانى الفخارية والحجرية والمعدنية البرنزية والذهبية وصناعة الغزل والنسيج والتقصير وخاصة صناعة الملابس الصوفية وعصر الزيوت وعصر النبيذ . وصياغة وسبك المعادن من حلى وسيوف وخناجر ورؤوس الحراب والدروع من الذهب والفضة والبرنز ، وصناعة العطور والدهون والمستحضرات الطبية وبناء السفن .

٤- **التجارة** : تكشف لنا مصادرنا الوثائقية عن اهتمام الممالك المختلفة بانشاء وبناء شبكات الطرق التى تربط بين ممالكهم وبعضها البعض وبين المدن الكبرى وبين المراكز التجارية والثقافية التابعة فى المملكة الواحدة . وكان الغرض من بناء وتعبيد الطرق هو تسهيل حركة التجارة وتسيير الجيوش الحربية . وكشفت لنا التنقيبات الأثرية عن بعض هذه الطرق وأشهرها الطريق الواصل بين بلدة بردسيمنا حيث يوجد معبد الربة هيرا وبين موكيناى وكورينثة ، وقد أقام الموكينيون قلاعاً للحراسة على جانبى الطريق الرئيسية ضماناً لسلامة القوافل التجارية والمسافرين ومن أشهر هذه القلاع قلعة جبل الياس المطل على موكيناى هذا فيما يخص التجارة الداخلية البرية ، أما عن التجارة البحرية فقد اهتمت الممالك المختلفة بإنشاء الموانئ البحرية ومارسوا الابحار والملاحة والقرصنة . ونجح الموكينيون فى السيطرة على البحر بعد انحسار السيادة والهيمنة الكريتية ، فحلت الأسفار والرحلات التجارية محل الغزو والسلب والقرصنة ، ونجحوا فى الوصول إلى أماكن بعيدة وأقاموا معها علاقات تجارية ناجحة. وجابت السفن الموكينية البحار البعيدة والقريبة فنقلت السلع

الموكينية من مصنوعات معدنية وانية فخارية إلى صقلية وجنوب إيطاليا وجزر ليبارى وأغلب الظن أن السفن الموكينية كانت قد وصلت إلى شواطئ جزيرة ايبريا، وقد أمكن التعرف على بعض شذرات الفخار والآثار الموكينية فى شمال وجنوب فرنسا وبريطانيا ومنطقة وسط أوربا . ووصلت سفنهم أيضاً إلى سواحل آسيا الصغرى وفينيقيا وأوجاريت والمنيا مع سواحل بلاد الشام حيث وجدت لقى أثرية موكينية فى هذه المناطق وخاصة الآنية الفخارية حيث أن الصادرات الموكينية من زيوت ونبيذ كانت توضع فى جرار ، وقد عثر على شذرات من هذه الجرار فى فينيقيا وفلسطين ومصر ، ويرجح أنهم قد صدروا الصوف والمنسوجات والمصنوعات النحاسية ، كما كانت هناك تجارة العبيد ، ولتأمين التجارة والتجار أقام الموكينيون عدداً من المحطات التجارية لتوزيع الصادرات وشحن الواردات ، وقد أمكن التعرف على بعض هذه المحطات فى ميلتوس ورودس وقبرص وأورجاريت . والتى كانت قد نجحت فى تقليد الأوانى الموكينية بشكل متقن . وإذا كان الانتاج الصناعى الموكينى قد انتشر على نطاق واسع وبلغ أبعد الأصقاع ، فإن الموكينيين قد استوردوا النحاس من اتروريا وجزيرة سردينيا ، والتوابل والعاج من بلدان الشرق الأوسط ، كما استوردوا الأوانى المرمرية المصرية .

وتكشف لنا ألواح كنوسوس المكتوبة بالمجموعة الخطية الثانية من هذا العصر عن عدد من أسماء الشعوب الشرقية ومن بينها مصرى Misiraya ومرادفها Ackapitayo وقبرص (Arasiya) وأرادى (Aradayo) وبيروتى (Perita) وصورى (Tariyo) وفينيقى po - ni - koi (po - ni - ki - ya) وتعرف علماء اللغة على عدد كبير من أسماء ذات الأصول السامية خاصة اسماء التوابل .

جملة القول أن الموكينيين قد بلغوا اوج مجدهم وقوتهم في العصر الميلادى الحديث وحلوا محل الكريتيين فى كثير من المناطق بل انطلقوا شرقاً نحو اسيا الصغرى بل سيطروا على كريت نفسها . وهذا بفضل قوتهم العسكرة وميلهم وحبهم للقتال والنزال وعن شخصيتهم العدوانية وهذا ما تظهره وتؤكده :

١- اللقى الأثرية بالمقابر من أسلحة من دروع وسيوف وحراب ونبال وسهام وخناجر مطعمة بالعاج والذهب .

٢- الرسوم الجدرانية بالقصور والرسومات على الآنية التى تبرز وتسجل جانباً من معارك حامية الوطيس .

٣- ترينا الرُقم المكتوبة أهمية الجيش والأسطول واستخدام العربات الحربية والارستقراطية العسكرية فى المجتمع الموكينى .

٤- تكشف الأشعار الهومرية عن الروح القتال والنزعة العدوانية للآخيين وهذا ما سنوضحه فى الحديث عن حرب طروادة .

جـ - حرب طروادة وعصر الأبطال

طروادة :

يطلق هوميروس عليها عدة تسميات هى إليوس واليون وطروية (Thaie) وبعد عصر هوميروس اشتهرت المدينة ومنطقتها باسم طرواس Traos وأسماها الرومان طرويا ، ومن اللفظة طرواس اقتبس الجزع Troad ومنه الاسم العربى الشائع طروادة.

تقع طروادة فى إقليم ميسيا Mysia شمال غرب اسيا الصغرى ويحدها غرباً البحر الايجى وشرقاً جبل ايدا وشمالاً غرب مضيق الهلليسبونت وجنوباً خليج أدراميثيوم . وتقع المدينة على بعد حوالى أربعة أميال من البحر .

وقد أجريت عدة تنقيبات أثرية للكشف عن طروادة وكان الرائد فى هذا المجال الالمانى هينرش شليمان وحقق نتائج رائعة فى الكشف عن المدينة وإثبات أن طروادة حقيقية لا خيال كما كان يزعم البعض ، بيد أن كشفه أثار العديد من القضايا حول تحديد أى المدن التسع التى نشأت فى الموقع هى التى شهدت الحرب ، فقد نشأ فى الموقع تسع طروادات يعلو بعضها بعضاً وكشفت التنقيبات أنها كانت مطمورة واحدة تحت الأخرى وأقدمها هى الأولى ويرجع تاريخها إلى أوائل عصر البرنز وقد ظن شليمان أن طروادة الثانية التى تعلو الأولى والتى يعود تاريخها إلى حوالى ٢٥٠٠ – ٢٢٥٠ هى طروادة التى أتى وصفها فى الالياذة ، لكن العالم الالمانى والآثارى دربفلد W. Doerpfeld ومساعد شليمان فى حفائره قد نجح فى اثبات أن طروادة الثانية ليست هى التى شهدت الحرب وإنما طروادة السادسة (١٨٠٠ – ١٣٠٠) وأورد أدلة وبراهين كثيرة على رأيه، بيد أن العالم كارل بلجن قد نجح فى الوصول إلى أن طروادة السابعة (ا) هى طروادة التى شهدت الحرب والتى حاصرها الآخيون لمدة تسع سنوات ثم نهبوها بعد سقوطها فى السنة العاشرة واضرموا فيها النيران .

ويختلف الباحثون أيضاً حول بداية ونهاية تواريخ المدن التسع ويمتد تاريخ طروادة الأولى ما بين ٢٩٠٠ – ٢٤٠٠ ق.م ، تقريباً وطروادة الثانية ما بين ٢٤٠٠ – ٢٢٠٠ تقريباً ... الخ ، وقد قامت حضارة طروادة الأولى والثانية على أكتاف الآسيويين الذين تأثروا بحضارة بلاد الرافدين ، وقد نمت وتطورت كل من طروادة الأولى والثانية وذلك لسيطرتها على الطريق البحرى المار بالدردنيل والطرق التجارية التى تربط بين بلاد اليونان وآسيا الصغرى ، وبسبب قربها من مناجم الفضة ، فقد نشطت تجارتها فى المعادن النفيسة والأحجار الكريمة . ولكن يبدو أن طروادة الثانية قد سقطت لمجئ الفوج الأول من الهجرات الهندأوربية والمعروفة باسم اللوفيين أو اللوبين الذين جاءوا من مناطق الاستبس المتاخمة لبحر قزوين والبحر الأسود واقتحموا أسيا الصغرى واستقروا فى ليكيا وبامفيليا وكيليكيا حوالى عام ٢٢٠٠ وهم الذين بنوا طروادة الثالثة وتوالت موجات الهجرة من العناصر الهندأوربية إلى المنطقة ، ومن هذه الهجرات هجرة عناصر جلبت معها الخيول وأسست طروادة السادسة التى كانت قلعة حصينة ذات أسوار متينة ضخمة وتمتعت بقدر كبير من السيطرة والثراء وأحرزت تقدماً مطرداً وعلى الأخص فى فن العمارة وأقامت علاقات قوية مع بلاد اليونان وجزر البحر الايجى وأقاموا علاقات تجارية مع الموكينيين ، فاستوردوا الأوانى الفخارية من كؤوس وجرار وخناجر برنزية ... الخ . وكانت حضارتها تشابه حضارة الموكينيين ولعل السبب فى ذلك أن المهاجرين إلى كل من منطقة طروادة وبلاد اليونان ينتمون إلى أصل واحد ، وقد تعرضت المدينة للدمار بسبب الزلازل . وسرعان ما نشأت طروادة السابعة فى نفس الموقع وان كانت أقل حجماً وثراء من سابقتها وكانت على صلات قوية باليونان ووفقاً للأخبار المتواترة فى الالياذة ، فقد كانت تتشابه فى حضارتها المادية وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها ولغتها مع بلاد اليونان كما أن الآخيين تتشابه أيضاً حيث

أنها كانت مزيجاً من عناصر يونانية وأجنبية ، فقد ظهرت فى ألــواح بيلــوس أســماء طروادية مثل هكتور وأنتينور كما أن الالهة الرئيسية فى المدينة وربتها الحارسة هـــى أثينا كما هو الحال فى مدينة أثينا . وإذا كانت هناك اختلافات بينهما فلعـــل ســببها أن طروادة كانت محاطة بشعوب أسيوية وتأثرت بها .

وقد أطلق هوميروس على الطرواديين اسم الدردنوى Dardenoi وورد ذكرهم فى الوثائق المصرية كحلفاء للحيثيين بنفس الاسم " دردنوى " ويطلــق عليــهم هــيرودوت "تومريان" . ويسمون أيضاً بالتيوكريين نسبة لأقدم ملوكها تيوكــروس Teukros الــذى تزوجت ابنته من دردانوس الذى ارتقى العرش بعد تيوكروس وأسس مدينـــة دردانيــا Dardania وسميت منطقة طروادة نسبة إليه وخلفه ابنه اليوس الذى أســس اليــوس أو اليون التى صارت أعظم مدينة فى المنطقة وخلفه لاؤميدون الذى شيد أسوار طـــروادة الضخمة وأنجب ابنة هى هيسيونى وإبنا هو برياموس الذى خلفه على عرش طـــروادة والذى قامت الحرب الشهيرة فى أواخر سنى حكمه وكان هذا الملك يحكم شعبه بطريقــة عشائرية فكان لديه عدد كبير من الزوجات اقترن بهن لزيادة النســل وتقويــة رابطــة العصبية ، أما أولاده فكان كل واحد منهم يقتصر على امرأة واحدة ويعيش بعيــداً عــن الملذات والملاهى عدا باريس الذى لم يتمسك بقواعد الاخلاق . وكان الطرواديون ألطف معشراً وأكثر نبلاً وأقرب إلى الفضيلة من اليونانيين الذين أغاروا عليــهم فــى حــرب طويلة ، فما هى قصة هذه الحرب وما هى الدوافع الحقيقية لها ؟ هل نشــبت لأســباب أخلاقية أم عرقية أم تحت تأثير عومل أخرى ؟

مرجعنا الأول فى هذه الحرب هو أشعار هوميروس إذ تحدثنا أن حرباً نشبت بين الآخيين وبين مدينة طروادة من أجل سبب أخلاقى ، ذلك أن أميراً طروادياً هو بــاريس نزل ضيفاً على منيلاوس ملك اسبرطة ، وهناك وقع نظر الأمير الطروادى على هيلينــا

زوجة الملك وأجمل نساء الأرض فى زمانه . فهام بها حباً وصمم على أن يستأثر بـــها لنفسه ، وهامت هى الأخرى به حباً وفرا هاربين إلى طروادة ، منتهزين غياب الملــك مينلاوس ولما علم هذا الملك المطعون فى شرفه بهذه الفعلة النكراء استشـــاط غضبـاً واستصرخ ملوك الآخيين للانتقام بالغادر وأهله والرحيل لطروادة لتدميرها وتكون حلف عسكرى من الملوك والأمراء الآخيين لنصرة منيلاوس ولاسترداد زوجته الجميلة بقيـادة أجاممنون ملك موكيناى الذى قاد حملة عسكرية ضد طروادة والتى تم محاصرتها لمــدة تسع سنوات ودمرت فى السنة العاشرة من الحصار . ولكن يبدو أن السبب الذى ســاقه هوميروس للحرب كان سبباً واهياً لنشوبها وهو خطف امرأة ، حقاً أن حرباً قــد تقـع بسبب اختطاف امرأة جميلة ليست أمراً مستبعد الحدوث ، ولكن هذا الســبب العــاطفى يبدو أقرب إلى حكايات التسرية خاصة إذا ساق لنا الشاعر هذا السبب مقترناً بحديــث أسطورى عن خلاف وقع بين الاهات يونانية ثلاث حول تفاحة ذهبية وأقحم فيه بــاريس ليفصل بينهن وانتهى بأن الالهة أفروديتى هى التى حظيت بها مقابل وعد قطعته علــى نفسها لباريس بأن تمنحه أجمل نساء الأرض . كما أن هذا السبب قد شكك فيه هيردوت ويقول هل من المعقول أن يحارب الطرواديون مدة عشر سنوات فــى ســبيل امــرأة ؟ ويعلل يوربيديس حرب طروادة بأنها نتيجة لتضخم وتكاثر السكان فــى بــلاد اليونــان وحاجتهم إلى التوسع . ويرى العلماء المحدثون أن هناك تأثيراً لملحمة جلجاميس علــى الالياذة حيث يوجد فيها عناصر قصصية واردة فى الالياذة ومنها اختطاف المرأة التــى تثير ثائرة المدينة ويحرك رغبتها فى الانتقام ومعنى هذا أن السبب العاطفى والاخلاقــى غير مقبول من الناحية المنطقية . وإذا كنا لا نقبل أن نعتبر حادث اختطاف هيلينا ســبباً لوقوع حرب طروادة ، فعلينا أن نبحث عن أسباب أخرى لوقوعها فى مصادر أخـــرى

غير الاشعار الهوميرية مثل الألواح الحيثية التى تم العثور عليها فى بلدة بوغاز كـــوى فى اسيا الصغرى ومن الافتراضات العلمية التى تقدمها الدراســـات الاثريـــة واللغويـــة وبعض الأساطير ومن مشاهدات فى الظروف الجغرافية لشمال بحر ايجة .

ونستخلص من الوثائق الحيثية أن الآخيين قد زادت قوتهم وسطوتهم فى منتصف القرن الثالث عشر وبدأوا يعتدون على أملاك الامبراطورية الحيثية فى المنطقة الساحلية لأسيا الصغرى ومنها اعتداءات المغامر ارتاريسياس الآخى ومادوراتاس كما نجـد أن تلك الألواح تذكر اسم أخيا فى صورة أهياوا أو أهيا Ahhiyawa = Ahhia ، واختلـف الباحثون حول موقع هذه المملكة فالبعض رأى أنها مملكة أجاممنون فى بـلاد اليونـان نفسها ، ويرى البعض أن أهيا ليست أخيا وأنها تقع فى اسيا الصغرى فـى كليكيـا أو طروادة وأنها كانت تمثل جزءاً من الامبراطورية الحيثية . والبعض الآخر يرى أنها تقع فى جزيرة قبرص أو كريت ، ويرى البعض أنها جزيرة رودس وكان الآخيون قد أقاموا بها وشيدوا بها قلعة تسمى قلعة آخيا ، وأنها سيطرت على جـزء مـن سـاحل آسـيا الصغرى ، وكان لانهيار الامبراطورية الحيثية مع خواتيم القرن الثالث عشر أثره فـى تشجيع الهجوم على طروادة وتدميرها ، وكانت طروادة مدينة تجاريـة ذات مصـالح تجارية فى المنطقة الايجية ، إذ كان إنتاجها الزراعى يفيـض عـن احتياجاتـها ويتـم تصديره كما اشتهرت المدينة بجيادها السريعة وبأصوافها وهذا ما أكدته الحفائر الأثرية، فلابد أن يكون هناك تنافس بين الطرفين وما يجره صراع المصالح فى مجال صـادرات الأصواف التى كانت تنتجها بلاد اليونان . ولعل من الأسباب الحقيقيـة للحـرب هـو محاولة السيطرة على المضايق والطريق إلى السهول الغنية فى البحر الأسود ، إذ كانت مدينة طروادة تقف حجر عثرة فى سبيل مشروعات الآخيين التجارية فى منطقة البحـر

الأسود وبحر مرمرة وسواحل اسيا الصغرى وبعض الجزر القريبة من تلك السواحل حيث أغلق حكام اسيا الصغرى أيام الآخيين باب التجارة فى منطقتهم ، وخير شاهد على هذا هو أن الفخار الموكينى انتشر فى المناطق الواقعة جنوب طروادة بعد سقوطها، وتدميرها على يد الآخيين . كما أن موقع طروادة الاستراتيجى جعلها تتحكم فى الطريق البرى المار بها حيث أجبر التجار على أن يسلكوه وذلك لخطورة ومشقة الإبحار حول رأس سجيوم حيث تشتد سرعة التيارات المائية اشتداداً يجعل السفن الصغيرة لا تقوى على الاستدارة حول هذا الرأس . ومن ثم فقد كانت تفرغ شحناتها فى الخليج الصغير المواجه لجزيرة تنيدوس ثم تنقل الشحنات بطريق البر إلى الخليج الواقع على الجانب الآخر . وكانت طروادة بحكم موقعها يمكنها فرض المكوس على تجارة العبور المارة بأراضيها كما استفادت المدينة من الظروف المناخية على ما يبدو إذ أن الرياح كانت تحتجز السفن عند مدخل الدردنيل فتعوق رحلتها أياماً وربما أسابيع وفى خلال هذه الفترة كان البحارة يرسون بسفنهم على الساحل الاسيوى ويحتاجون للمئونة ومياه الشرب . والتى كانت تتحكم فيها طروادة ، ولعل هذه الأسباب جميعها أوغرت صدر الآخيين ضد طروادة ودفعتهم دفعاً لحربها وتدميرها ولعل قصة هرقل التى هاجم فيها طروادة وتخريبه إياها فى عهد ملكها لايوميدون تعكس مشاعر اليونان تجاه طروادة واعتبارها عقبة كؤود فى سبيل مغامراتهم ومشروعاتهم فى البحار فى منطقة بالغة الحيوية بالنسبة لهم ولابد من السيطرة عليها وإرسال حملة عسكرية لتحقيق هذا الأمر .

وهكذا عقد الآخيون العزم على شن الحرب ضد طروادة بقيادة أجاممنون واستغرقت استعداداتهم للحرب امداً طويلاً يصل إلى عشر سنين وأبحروا من ميناء أوليس Aulis فى وسط البلقان وشرقاً وضربوا حصاراً دام عشر سنين . ويختلف

الباحثون حول بداية ونهاية الحملة فيذكر ايراتوستيفيس Eratosthenes العالم الموسوعى السكندرى استناداً على شجرة الانساب التى نقلها عنه المؤرخ اليونانى هيكاتيوس ، أن الآخيين قد حاصروا المدينة ١١٩٤ - ١١٨٤ ق.م ويقول المؤرخ الرومانى بلينى أن طروادة قد سقطت فى عهد رمسيس الثالث (١١٩٨ - ١١٦٦ ق.م) إذ تشير السجلات المصرية من عهد هذا الفرعون إلى أن الجزر كانت فى حالة اضطراب وحركة ، وقد يشير هذا إلى حرب طروادة . ويؤرخ بعض الباحثين المحدثين حرب طروادة فى ضوء التنقيبات الأثرية والدراسات المقارنة إذ يرى كارل باريس أنها سقطت ١٢٣٠ ق.م ويرى المؤرخ فاين أنها سقطت عام ١٢٠٠ ق.م وإن كان لدينا بعض الآراء غير المقبولة التى تقول أن سقوط طروادة قد حدث فى الفترة ما بين ١٣٣٠-١١٣٠ ق.م.

وبعد تدمير طروادة وحرقها لم يستقر الآخيون بها وهذا ما تؤكده الروايات اليونانية والتى أكدته التنقيبات الأثرية ، فقد كشفت لنا الحفريات أنه لمدة جيل بعد تدمير القلعة استمر الأحياء الناجين من الطرواديين فى العيش بين خرائبها ، وفى بداية القرن الثانى عشر وفد إليها اناس مجهولون جلبوا معهم فخاراً غير جيد الصنع اندمجوا مع بقية الطرواديين ، وهاتان الفترتان تعرفان بعصر طروادة السابعة (ب) وبعد عام ١١٠٠ ق.م يبدو أن المكان قد هجر ولكن فى فترة الاستعمار اليونانى وحركة الهجرة فى القرنين الثامن والسابع صارت طروادة الثامنة مستوطنة كبيرة وهذه المدينة هى التى زارها الاسكندر الاكبر عند قيامه بحملته الآسيوية ثم أعاد الرومان بناء المدينة مرة أخرى وهذه هى طروادة التاسعة .

وقد كان لهذه الحرب آثارها على الآخيين أنفسهم إذ كان لغيبة الملوك والأمراء أثرها بالنسبة لممالكهم فقد طمع البعض فى اعتلاء كرسى العرش لطول الغياب ولعل ما

يرويه هوميروس بشأن أوديسيوس خير شاهد على ذلك وما حدث لأجاممنون بعد عودته.

كما بدأت حضارة الآخيين وممالكهم فى التدهور والانحدار ، وهذا التدهور يمكن تتبعه بسهولة فى تدهور الجودة الفنية والتقنية للفخار كما كشف لنا الآثاريون عن أن هناك نشاطاً عمرانياً كبيراً وكان غرضه تقوية حوائط القلاع فى موكيناى وترنيس وأثينا وتأمين وصول إمدادات المياه إلى القلاع ومثل هذه الإجراءات تشير إلى احتياطات ضد غزاة يمكن توقعهم . ولكن من هم هؤلاء الغزاة ؟ وفقاً للروايات اليونانية فإن الدوريين لم يكونوا قد وصلوا إلا بعد قرن من الزمان تقريباً ومن الملائم أن نتذكر أن هذه الفترة قد شهدت توافد شعوب البحر والشمال من كل الأراضى التى سببت فوضى واضطراباً فى منطقة البحر الإيجى وسوريا ومصر ، إن هذه الفوضى والاضطرابات ربما تكون قد أقنعت حكام بلاد اليونان فى ضرورة تقوية دفاعاتهم . وكان لهذه الفوضى أيضاً على ما يبدو أثرها على التجارة الموكينية إذ تدهورت مما سبب ضغطاً كبيراً على الممالك الآخية ، ومع مطلع القرن الثانى عشر نجد هناك اضطرابات شهدتها بلاد اليونان ، فقد هجر العديد من الأماكن والمواقع مثل المنازل خارج أسوار أثينا كما أنّ الكثير من القصور ومنازل موكيناى قد احترقت فى أولكوس Ialcus فى تساليا وبيلوس وتيرنيس واسبرطة وفى وقت متأخر إلى حد ما دمرت القلعة ، فما هو سبب هذه الاضطرابات وهجر المواقع فى بلاد اليونان ؟ إن الاجابة ما تزال غامضة . فمن المرجح أن العداء بين الممالك والصراع بينها ومحاولة كل مملكة أن تسلب وتنهب الممالك الأخرى مثل الحرب بين أرجوس وطيبة قد يكون هذا سبب الكارثة ، ويرى البعض أن سبب التدهور هو أنه بعد عودة الهلينيين من طروادة وتدميرها نتج عنه ثورات كثيرة وحروب وجدت

فى كل مكان من بلاد اليونان خاصة بعد أن عم القحط والمجاعة نتيجة لسوء الأحوال الطبيعية ، إذ يرى كاربنتر Carpenter أن هذا أدى بسكان آسيا الصغرى وبلاد اليونان إلى هجرها والبحث عن ملاذ آمن بيد أن هذا الرأى فيه اسراف وجرأة ، فالتنقيبات الأثرية كشفت لنا عن أن القلاع الموكينية فى البلوبونيز ووسط بلاد اليونان قد أعيد تحصينها وأن الحكام كانوا يخشون الهجوم المفاجئ من شعوب البحر التى تحركت على طول السواحل الشرقية للمنطقة الإيجية والبحر المتوسط وأن هؤلاء قد اخترقوا وتغلغلوا فى وسط بلاد اليونان والبلوبونيز من الشمال ، وكان غرض هؤلاء الغزاة على ما يبدو ليس غزوها واستيطانها ، ولكن الحصول على الغنائم والأسلاب من القلاع والقصور الموكينية . وعلى الرغم من انسحابهم بعد تحقيق مآربهم خلفوا خراباً ودماراً وتشير الحفائر إلى أن الهجوم من قبل شعوب البحر قد تكرر على مراكز الحضارة الموكينية وأدى هذا إلى ضعف وتدهور الممالك الموكينية إذ يكشف لنا الدليل الأثرى عن نقص كبير فى عدد السكان فى منطقة البلوبونيز فقد كان يوجد فى كل من ميسينيا وتريفيليا Triphylia ١٥٠ مستوطنة فى القرن الثالث عشر بينما لا يوجد فى المنطقتين إلا ١٤ مستوطنة فى القرن الثانى عشر . ونفس النقص الحاد يكون فى بؤوتيا ، ونقص عدد المستوطنات إلى الربع فى أرجوليس وفى اقليم كورينثة نقص إلى أقل من الثلث ، وبجانب الدمار ونقص السكان نلاحظ ظاهرة أخرى وهى هجرة وتجرك السكان من المناطق المخربة إلى مناطق أخرى وأن الاستقرار قد صار أكثر كثافة فى أخيا الجبلية فى شمال البلوبونيز وفى جزيرة كيفاللينا Cephallenia ومن المرجح على الساحل الشرقى لآتيكا ايضاً . وهاجر الناس أيضاً إلى جزر البحر الايجى ناكسوس وربما رودس ثم إلى كريت وقبرص .

العصر المظلم والهجرة الدورية

يتبادر إلى الذهن السؤال الآتى : لماذا سُميت الفترة التى أعقبت العصر الموكينى فى التاريخ اليونانى بعصر الظلام ؟ يمكن تبرير هذه التسمية بالأسباب الآتية :

١- انخفاض وهبوط مستوى الحضارة فى بعض المناطق وتوقفها وانقطاعها فى الكثير من المناطق اليونانية .

٢- قلة وشحة المصادر الخاصة بهذا العصر .

٣- الهجرات المشهورة بالهجرات الدورية التى غشت الجانب الأكبر من اليونان .

والواقع أن دراسة تاريخ هذا العصر له أهميته الخاصة لدارس تاريخ اليونان إذ شهد هذا العصر وضع اللبنات الأولى وأسس حضارتها فى العصر الكلاسيكى . وسنحاول أن نعرض لأهم المصادر التى يمكن أن تلقى أضواء على تاريخ هذه الفترة وأول هذه المصادر أشعار هوميروس والتى تعد مصدراً أساسياً لها ، فعلى الرغم من أن الإلياذة تعالج فترة قصيرة من حرب طروادة والأوديسة تعالج عودة أوديسيوس والمتاعب والاضطرابات فى مملكته خلال فترة غيابه ، فانهما تعكسان الظروف والأحوال والأعراف والعادات والتقاليد فى بلاد اليونان وتقديم صورة للحياة بشكل أولى فى هذه الفترة خاصة أن العرف والتقاليد والعادات تستمر عبر الأجيال ، فأعراف وتقاليد وعادات اليوم تحتوى على تقاليد وأعراف وعادات الأمس وبالمقابل سوف تنتقل فى تقاليد وأعراف وعادات الغد . وفى ضوء هذا يمكننا القول أن الإلياذة والأوديسة لا تعكسان الأحوال فى تاريخ بعينه وإنما تعكس طريقة الحياة التى تمتد جذورها فى الماضى بل تستمر بشكل كبير بدون تغيير كبير فى المستقبل . وإن كان علينا أن نتذكر

أن هوميروس وسابقيه كانوا شعراء ولم يكونوا مؤرخين ، ومن ثم لن نجد فى الاشعار الملحمية مناقشات منظمة للقضايا التاريخية ، ولكن القارئ الممحص لها ، سوف يجد أنها تحتوى على مستودع غنى بالمعلومات حول التقاليد والأحوال الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية خاصة التى تنتشر بين الطبقات العليا فى المقام الأول وبقية طبقات المجتمع فى المقام الثانى . ومن المصادر التى تمدنا ببعض المعلومات أشعار هيسيود الشاعر البؤوتى الذى عاش فى فترة لاحقة مباشرة للعصور المظلمة ولأن هيسيود عاش فى منطقة بؤوتيا المتخلفة ولكونه شاعراً ومنشداً وراوية فانه أعطى نظرة حول طرق الحياة وعقائد خاصة بعصره وجيله والتى امتدت من أجيال سابقة عليه والذين كانت أعرافهم وتقاليدهم مشابهة ، وأهمية قصائده تعد مصدراً نفسياً لأنها تعكس صوراً لحياة مزارع صغير ولمشاكله كما أن قصيدته عن أصل الآلهة تعكس معتقدات قومه واسلافهم .

وتقدم المصادر الأدبية اللاحقة معلومات أيضاً عن هذا العصر ، فالشعراء قد استخدموا الأساطير المبكرة التى تناقلتها الأجيال وبعض الفلاسفة قد اعتمدوا على المراحل الأولى للحياة السياسية والاجتماعية فى هذا العصر ، وكتاب القرنين السادس والخامس كتبوا عن أنساب العائلات المالكة والتواريخ المحلية وتأسيس المدن . وإن كانت كتاباتهم لم تبق فى كتب مستقلة ولكن الكثير من مادتها التاريخية قد وجدت طريقها إلينا من خلال أعمال الكتّاب المتأخرين مثل استرابون (٦٤ق.م – ٢١م.) وبوسينياس (القرن الثانى) . لقد كتبا عن التاريخ المبكر للعديد من المدن اليونانية ، والأسر الحاكمة بها . وجملة القول أن المصادر الأدبية لا تقدم لنا صورة زاهية عن هذا العصر بل ما تقدمه صورة باهتة له .

والمصدر الأساسى والموثوق فيه هو المخلفات واللقى الأثرية الخاصة بهذا العصر إذْ كشف الآثاريون والمنقبون لنا عن بعض مناطق الاستقرار والتجمع من هذا العصر وكشفوا الكثير من اللقى الأثرية وخاصة الفخار الذى يقاوم عوادى الزمن وله أهميته الكبرى فى تحديد تطور الحضارة فمثلاً تعد وحدة الطراز فى الفخار فى العصر الموكينى فى بلاد اليونان وخارجها دليلاً على الوحدة الثقافية والحضارية فى بلاد اليونان والدارس لفخار عصر الظلام يشهد تنوعاً كبيراً وخاصة للفترة المبكرة منه وهذا يشير ، بشكل مقنع ، إلى انكسار الوحدة الحضارية لبلاد اليونان فى العصر السابق ، وإنْ كان من الملاحظ أنَّ الفخار الأتيكى شهد استمراراً من العصر الموكينى ويمكن تتبع تطور أعمال صناع الفخار الأثينيين ، ومن دراسة طراز الآنية والمزهريات الخاصة بالعصر يمكن استخراج عدة نتائج حول طريقة تفكير الحرفيين والناس الذين عاشوا بينهم ، فهناك تأثيرات شرقية نجمت عن علاقات وصلات تجارية مع الشرق ، ووجود كميات كبيرة من فخار مدينة فى مدينة أخرى خير دليل على الصلات التجارية وإن وجد تقليد لفخار مدينة فى مدن أخرى فهذا يكشف عن التأثر بأساليب وتقنيات صنع الفخار فى مدينة أخرى .

ويمكن للباحث أن يستقى بعض المعلومات عن هذا العصر وأنْ يرسم صورة له فى ضوء التقاليد والمؤسسات فى العصر التاريخى فقد كانت هذه التقاليد والمؤسسات استمراراً لمؤسسات لعلها نشأت فى العصر المظلم ، ولما كان الإغريق محافظين فى كثير من النواحى ، فقد ظلوا مرتبطين بالأسماء القديمة والطقوس العتيقة حتى على الرغم من أنها لا تتناسب مع عصرهم ففى أثينا الديموقراطية ، على سبيل المثال ، كان هناك حاكم ينتخب كل عام يسمى الملك الكاهن Basileus والذى كانت وظيفته الأساسية

دينية . وهذه الوظيفة فى ضوء ما سبق تعطى دليلاً واضحاً على أنه فى وقت سابق ما من تاريخ أثينا الباكر كان يحكمها ملك والذى كان شامل الاختصاصات ومن بينها الاهتمام ورعاية الشئون الدينية فى الدولة . انّ دراسة الأشياء الحية فى أى فترة من فترات التاريخ تكشف الكثير عن الماضى ودراسة وتحليل المعتقدات والصيغ القانونية والمصطلحات يمكن أن تلقى الضوء على المراحل الباكرة فى تطوير الديانة والقانون إذ ما كانت المصادر الأخرى غير متاحة . وجملة القول أن المصادر تقدم لنا مادة علمية قليلة عن هذه الفترة . ومن ثم فاننا لا نعلم عنها إلا القدر اليسير .

والعصور المظلمة تمتد لفترة أربعة قرون على الأقل ، وذلك لأنه حتى نهاية القرن التاسع لا توجد معلومات تاريخية واقعية والتى أصبحت متاحة فى القرن الثامن .

وإذا ما استعرضنا الهجرات التى غشت بلاد اليونان بعد تدهور مراكز الحضارة الموكينية ، فإن هذه الهجرات أو موجات من الهجرة دخلت بلاد اليونان على فترات متقطعة استمرت فترة طويلة من الزمن أى من القرن الحادى عشر إلى القرن التاسع وأطلق عليها المؤرخون الهجرة الدورية على أساس أن تحركاتها هى الأكثر نشاطاً . إذ نجد ثيوكيديديس يقول أنه فى السنة الثمانين بعد نهاية حرب طروادة غزا الدوريون منطقة البلوبونيز بزعامة ابناء هرقل الذين طردوا من البلوبونيز وحرموا حقهم الشرعى فى العودة إليه فعملوا على استرداد هذا الحق بقوة سواعدهم وهذه الأسطورة المغلفة بالوطنية والدعاية تشير إلى أن وصول الدوريين لم يفسر على أنه غزو لشعوب جديدة ولكن عودة البلوبونيز لحكامها الشرعيين . وقد أصبحت هذه الأسطورة مقبولة كحقيقة لكاتب مدقق مثل ثيوكيديديس . ولما كان وصف القدماء لمجىء الدوريين على أنه عودة

للهرقليين فإن مصطلح الغزو الدورى يكون مصطلحاً حديثاً . ولكن يغلب على الظن أن موجة جديدة من الهجرة الهندوأوربية قد بدأت فى وقت ما من القرن الثالث عشر بانحدار مجموعات من القبائل الهندوأوربية من مناطق الدانوب إلى شمال غرب البلقان ونزلت أولاً حول مرتفعات ايبروس واستقرت هناك بعض الوقت ثم خرجت منها فى موجات متتالية لغزو بلاد اليونان بعد أن بدى عليها مظاهر الاضمحلال والضعف وبعد الخراب الذى أحدثه فيها هجوم شعوب البحر والشمال نهاية العصر الموكينيى ، وقد بدأت أولى موجات الهجرة عبر جبال بندوس Pindos متجهة إلى السهل الواقع شرقى هذه الجبال فى وسط البلقان وهو سهل تساليا الذى سمى بهذا الاسم نسبة إلى المهاجرين التساليين الذين احتلوه ونتج عن هذه الموجة من الهجرة أن بعض السكان قد اندفع مولياً الأدبار إلى وسط وجنوب البلقان والبعض الآخر منهم قد هاجر من اليونان كلية واتجه شرقاً وبعضهم الآخر قد استمر فى العيش فى مواطنهم وخضع لحكم الغزاة التساليين ورضى حياة العبودية .

وهناك موجة أخرى من المهاجرين قد غشت منطقة بؤوتيا وهؤلاء المهاجرون الجدد قد أطلق عليهم اسم الارنيين (Arnaians) وكانوا قد توغلوا أكثر نحو الجنوب وعبروا ممر ثرموبيلاى واحتلوا منطقة بؤوتيا ، وحاولوا بعد احتلالهم لها التقدم صوب الشرق فهاجموا منطقة أتيكا لكنهم عجزوا عن الاستيلاء عليها ، وبمرور الوقت تألف فيما بينهم حلف ضم ثلاث عشرة مستوطنة تزعمته مدينة حملت فيما بعد اسم طيبة . وكان لاحتلال هؤلاء الارنيين لمنطقة بؤوتيا نفس الآثار التى أحدثها التساليون فى منطقة تساليا ، فهاجر من هاجر من السكان الآخيين وبقى من بقى منهم وتعرض للنزول إلى مرتبة العبودية .

أما مجموعة القبائل التى عرفت باسم الدوريين والتى يخلع الباحثون اسمها على موجات الهجرة والاستيطان على أساس أن تحركاتها هى الأكثر نشاطاً . فقد نزلوا بمنطقة دوريس Doris أولاً وعندما ضاقت عليهم المنطقة اندفعوا جنوباً نحو البلوبونيز وسيطروا على أغلب أجزائه ، فنجدهم قد احتلوا سهل ارجوليس ، ودكوا البقية الباقية من مراكز الحضارة الموكينية ، واحتلوا بعد ذلك وادى نهر يوروتاس Eurotas وفى هذه المنطقة نمت بمرور الوقت مدينة اسبرطة . ثم استولوا على منطقة اليس Elis أغنى مناطق البلوبونيز واستولوا بعد ذلك على ميسينيا إلي الغرب من لاكونيا وفى شمال البلوبونيز اقاموا مدينة كورينثة . وقد حاولوا غزو منطقة أتيكا من البلوبونيز ولكنهم صدوا عنها وإن كانوا قد تمكنوا من اقتطاع الأجزاء الجنوبية منها إذ قامت فيما بعد مدينة ميجارا Megara . ثم عبر فريق منهم البحر واستولى على مناطق فى آسيا الصغرى وبعض الجزر فى بحر إيجة .وأمام توافد موجات الهجرة الدورية إلى منطقة البلوبونيز والمناطق التى احتلوها فقد اندفع نفر من السكان الأصليين خارج المنطقة إلى شبه جزيرة أتيكا ، أو إلى خارج البلوبونيز وبلاد اليونان وبقى نفر آخر اندمج بعضهم مع الغزاة والبعض الآخر منهم قد نزل إلى مرتبة العبودية .

قصارى القول أن هذه الموجات من الهجرة التى دخلت بلاد اليونان قد سببت حالة من الفوضى والاضطراب من تساليا شمالاً إلى البلوبونيز جنوباً والتى استمرت لعدة قرون ولم تستقر تلك القبائل إلا عند القرن التاسع فى المناطق التى أصبحت وطناً لها فى التاريخ اليونانى . أما السكان الأصليون من الآخيين فإن الكثير منهم قد نزل إلى مرتبة العبودية والبعض الآخر كان وضعه أدنى من أعضاء تلك القبائل والبعض الآخر

قد وجد ملاذاً فى الجبال المحيطة بتساليا وأركاديا بينما فضل الكثير منهم الهجرة خارج اليونان إلى جزر بحر إيجة وسواحل اسيا الصغرى .

وكانت هناك عدة عوامل ساعدتهم على التوجه إلى تلك المناطق التى كانوا على دراية ومعرفة تامة بها وبأراضيها الخصبة وغلاتها الوفيرة ، كما أن طبيعة بلاد اليونان الجغرافية والمناخية لا تختلف عن طبيعة السواحل الغربية لآسيا الصغرى . كما أن كثرة الجزر فى البحر الايجى جعلت المهاجرين فى أمان دائم أثناء إبحارهم صوب الساحل الآسيوى الذى كان يقطنه مجموعة من الشعوب المتناحرة والمتنافسة مثل الفريجيون فى الشمال والكاريون فى الوسط والليكيون فى الجنوب .

وهذا يعنى أنه لم تكن هناك دولة قوية فى الشرق ، بيد أنهم لم يتجهوا شمالاً وذلك لأن المناطق الشمالية كانت مسكونة من قبل قبائل جبلية شديدة المراس يصعب على اليونانيين المنهكين مواجهتها . ولم يتجهوا غرباً وذلك لأنه كان مجهولاً إلى حد ما وكان الإبحار فى البحار الغريبة يُعد مخاطرة عظيمة .

ولما كانت هذه الهجرات قد حدثت فى العصر المظلم فإن معلوماتنا حولها مثل المشكلة الدورية أتت واستمدت من الأساطير ولكن مما لا شك فيه أن الهجرة قد حدثت إذ نجد أن الإغريق ابتداء من الفترة التاريخية يعيشون على ساحل اسيا الصغرى والجزر المتاخمة لمضيق اللهليسبونت إلى رودس . وفى الواقع في ضوء ما سبق لا يمكننا أن نحدد تاريخ كل هجرة من هجرات اليونان التى أعقبت الغزو الدورى ابتداء من القرن الحادى عشر ولكن يمكننا أن نقول إنَّ حركة الهجرة والاستيطان اليونانية قد

استمرت حتى منتصف القرن العاشر . ويمكن أن نميز من حركـــات الـــهجرة ثـلاث هجرات أساسية إلى سواحل اسيا الصغرى والجزر هى : -

١- **الهجرة الايولية** : قام بها الأيوليون Iolians الذين كانوا ينزلون فى تساليا وبؤوتيـا وفى أجزاء أخرى بوسط البلقان فراراً من التساليين وخرجوا من البلقان عند مضيـق يوبويا وعبروا البحر حتى وصلوا إلى جزيرة لسبوس المتاخمة للشاطئ الآسيوى ثـم نزلوا إلى الشاطئ وأسسوا مدينة كيمى وانتشروا فى المنطقة الممتدة من شمال غرب ساحل آسيا الصغرى حتى سميرنا Smyrna ونهر هيرموس Hermus وأقاموا اثنتـا عشرة مستوطنة على ساحل اسيا الصغرى والتى كان يجمع بينها حلف دينى وأهـم هذه المدن سمرنا ، ووفقاً للروايات فإن المهاجرين الأول كانوا تحت قيادة بنثيلـوس بن اوريستيس . وكانت هجرة الايوليين تقصد الاستيطان الدائم أساساً بدليـل أنـهم اصطحبوا معهم نساءهم وأطفالهم .

٢- **الهجرة الأيونية** : قام بها الأيونيون Ionians بعد أربعـة أجيـال مـن اسـتقرار الايوليين فى أسيا الصغرى ومن المستحيل أن نحدد تاريخ استقرارهم زمنياً بدقـة . وتكشف لنا المصادر أن أثينا قد قامت بدور بارز فـى تنظيـم وتـهجير العنـاصر المهاجرة إليها من مناطق بلاد اليونان المختلفة من شمالها ووسطها وجنوبـها أمـام الغزو الدورى ، وأمام قصور موارد أتيكا فقد قام الأثينيون بارسال هذه الزيادة مـن السكان إلى أيونيا . وقد وردت روايات عند الكتّاب القدامى مثل استرابون وبوسنياس حول أسرة نيلوس Neleus التى تم طردها من بيلوس بمسينيا على يد الغزاة إلى أثينا حول ميلانثوس زعيم هذه الأسرة فى اعتلاء عرش أثينا وأن ابنـه كـودروس قـد ضحى بحياته لانقاذ أثينا من الهجوم الدورى . وأن صراعاً نشب على خلافته بيـن

ثلاثة من أبنائه وخلافته فى الحكم وكان النجاح حليفاً لابنه ميــدون بينمــا نجــد أن الأخوين أندروكلوس ونيلوس قد قادا مجموعات مختلفة من المهاجرين إلـــى اسـيا الصغرى حيث نجح اندروكلوس فى تأسيس افسوس ، بينما نجد أن نيلوس قد نجــح فى تأسيس مدينة ميليتوس .

ويرى البعض أن الدور الهام الذى قامت به أثينا فى تقديم قادة للمهاجرين وإنـــها المكان الذى خرج منه المهاجرون قد روجت له بدون شك الدعاية الاستعمارية لاثينا فى القرن الخامس ولذا يرون أن المهاجرين قد خرجوا من أكثر من مكان وموقع . ولكـــن هناك قرائن كافية تجعلنا نفترض أن هناك جانب من الحقيقة فى هذه الروايــات ، ففــى بداية القرن السابع نجد الشاعر ميمــيرموس Memmermos الايونـــى مــن كولوفــون Colophon يتحدث عن مؤسس مدينته بأنه انحدر من أســـرة نيلــوس ، وفــى أثينــا الكلاسيكية كانت أسرة ميدون مشهورة وفى افسوس نجد أخلاف أندروكلـــوس يلقــون التكريم حتى العصور الميلادية .

وخلال الهجرة الايونية كان يقيم فى المناطق التـــى هــاجروا اليــها الليجيــون والبلاسيجيون والكاريون . ولدينا رواية عن حروب خاضوها ضد السكان المحليين فقــد حاربوا الكاريين وحملوا النساء الكاريات واتخذوهن زوجات . وهكذا فإن هذه الـــهجرة كانت هجرة عسكرية إذ أنهم لم يصطحبوا معهم نساءهم فاضطروا للتزاوج بالآسـيويات بعد استقرارهم .

وفى القرن التاسع نجد أن اثنتى عشرة مدينة أو مســـتوطنة مـــن المســتوطنات الايونية قد شكلت حلفاً أيونياً وأعضاء هذا الحلف هــم : ميليتــوس وميــوس Myos ،

وافسوس ، وكولوفون ، وليبيدوس Lebedos ، وتيوس Teos ، وكلازومينای Clazommenae ، وفوقيا Phocea ، واريثرای Erythrae ، وخيوس ، وكان هناك مركز دينى مشترك لتكريم الاله بوسيدون هيليكونيوس Helikonios فى بانيونيون Panionion الواقعة على نتوء جبل ميكالى Mycale ولا نعرف إلا القليل حول الفترة الباكرة لهذا الحلف ولكنه قد ساعد على اعطاء الشعور بالوحدة للايونيين اليونان الذين كانوا مختلفي الجذور ، وهناك عامل آخر نمى الشعور بالوحدة هو الاحتفال بالعيد المعروف بالاباتوريا Apaturia وبمرور الزمن فان الاحتفال بهذا العيد أصبح علامة على عضوية الفرع الأيونى من اليونان ولاسباب غير معروفة استثنى منه عضويته كل من افسوس وكولوفون .

٣- **الهجرة الدورية** : فقد قام بها الدوريون بعد أن استولوا على مناطق كبيرة من اليونان وضاقت بهم المناطق التى استولوا عليها فاتجهوا شرقاً وجنوباً فوصلت جحافلهم إلى كريت واحتلوها واستولوا على عدد من جزر بحر ايجة أهمها جزيرة ثيرا ورودس ثم بلغوا الشاطئ الآسيوى واحتلوا الجزء الجنوبى منه والجزر المتاخمة له وأهم مستعمراتهم هى هالكارناسوس . ويرى البعض أن هجرة الدوريين إلى تلك المناطق قد تمت خلال القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد . وإذا كان قد ورد ذكر الدوريين فى الابيات فى كتالوج السفن والتى تتحدث عن أبناء وأحفاد هرقل الذين قادوا السفن من رودس وكوس فانها بالتأكيد إضافات متأخرة أقحمت على الملحمة لأن الدوريين الرودسيين والكوسيين لم يشاركوا فى الحرب الطروادية ولعل هذا يمثل دعوى زعم متأخرة للمشاركة فى الحرب الطروادية لأن هاتين الجزيرتين كانتا فى زمن الحرب الطروادية خاضعتين للموكينيين .

وهكذا نرى أن الهجرة الدورية قد سببت هجرة أعداد كبيرة من الآخيين إلى خارج بلاد اليونان كما أن جانباً من الدوريين أنفسهم قد هاجر إلى خارجها . وقد وجد المهاجرون إلى سواحل آسيا الصغرى وجزر بحر ايجة مستوطنات سابقة تعود للعصر الموكيني الباكر ، فى جزيرة رودس ، وفى ميليتوس ؛ وقد عُثر فى المستوطنات فى منطقة كاريا على آنية فخارية مينوية وموكينية خاصة فى مناطق ميليتوس ، دافوس ، وافسوس ، وكولوفون ، وتكشف الآثار عن استمرار الحضارة الموكينية فى هذه المناطق وأن صلاتهم قد استمرت بشرق ووسط بلاد اليونان ، وجزيرة يوبويا ، وأتيكا التى تقدم خير انموذج لهذا الارتباط ففى بداية القرن السادس نجد أن صولون ما يزال يشير إلى مواطنيه على أن مدينتهم هى أقدم أرض أيونية ، كما أن النظام القبلى فى أثينا قبيل اصلاح كليستينيس يقدم معلومات عن الأثينيين وأنهم كانوا مرتبطين بالأيونيين سكان الجزر وساحل اسيا الصغرى . فقد كان سكان اتيكا ينقسمون بين أربعة قبائل هى : Glaontes و Aigikerces و Argadeis و Hopletcs وتكشف لنا نقوش ميليتوس من القرن الخامس عن وجود قبيلتين منها هناك . وسجلت قبيلتين اخرتين هما : قبيلة الاوينوبيين Oinopes وقبيلة البوريين Boreis ، ولعل قبيلة الاونيوبيين كانت تتكون من السكان المحليين من اسيا الصغرى ، بينما القبيلة الثانية Boreis قد ذكرت الروايات المأثورة أنها قد أتت من البلوبونيز ودليل رائع اتى من أفسوس ، على الرغم من أنه يعود إلى تاريخ متأخر عندما كانت المدينة عاصمة لولاية آسيا الرومانية ، فقد انقسم سكان افسوس إلى ثمانى قبائل محلية وواحد منها تحمل اسم Epheseis وقد وجدت بعض اسماء القبائل الآتيكية فى تيوس وبرنيثوس Perinthos ونجد أن هناك تشابه بين كل من اللهجة الايونية والاثينية وان كان هناك اختلافات بينهما

فهذه الاختلافات تعود إلى أن الأيونيين قد تأثروا بلغات السكان الأصليين فى آسيا الصغرى ، بينما نجد بعض ملامح اللهجة الدورية فى الاثينية ولكن شرح سبب هذا بالاتصال بالدوريين .

ويرى البعض أيضاً أن الهجرات قد صاحبها دخول عنصر حضارى جديد إلى بلاد اليونان فى هذه الحقبة وهو عنصر الحديد الذى أدخله المهاجرون الدوريون والشماليون إلى بلاد اليونان ، وأيضاً انتشار عادة حرق جثث الموتى بدلاً من دفنهم . ولكن عادة حرق الموتى واستخدام الجديد لا تنسب للدوريين ، فقد وجد فى أثينا وفى مناطق مختلفة من أتيكا ومناطق أخرى من العالم اليونانى ، والتى لم يكن لها صلة بالدوريين ، عادة حرق الموتى وأيضاً استخدام الحديد والأسلحة الحديدية ويعود تاريخ هذه الأمور إلى القرن الثالث عشر . وفى ضوء هذا فإنه من المرجح أن هذه الظواهر قد دخلت اليونان من الشرق . ولا وجود لتأثير دورى فى هذا المجال . وما يمكن قوله هنا أنهم استخدموه على نطاق واسع .

ومن الملاحظ أيضاً أن منطقة أتيكا قد شهدت استمرار وتطور الحضارة الموكينية فى خلال فترة الغزو والهجرات الدورية ، فقد توافد عليها أعداد كبيرة من السكان الفارين من بطش القبائل الدورية من الشمال والوسط ومن البلوبونيز وقد نجحت بفضل هذه الهجرة وكثافة سكانها فى أن تصد غارات الأرنيين وأن تمنع تقدمها فيها كما نجدها تنجح فى صد الدوريين من بعدهم عندما هاجموها من البلوبونيز .

وقد استمرت تقاليد الفن الموكينى حية فى الفنون الاثينية فى العصر الكلاسيكى . وهناك مناطق أخرى خاصة منطقة الجبال المحيطة بتساليا وأركاديا والتى لجأ إليها

الموكينيون فراراً من التساليين أو من الدوريين ، قد حافظت على التراث الموكينــــى ، كما أن المهاجرين إلى منطقة سواحل آسيا الصغرى وجزر بحر ايجة مــــن الأيوليين والأيونيين قد نقلوا معهم جانباً من تراثهم الحضارى الموكينى . وهكذا فــــإن حضـــارة الموكينيين لم تزل نهائياً وإنما قل مستواها عن ذى قبل . ويمكننا تتبع الاستمرار حتى لو كان باهتاً فى هذا الوقت بين الحضارة الموكينية الأخية وبين الحضارة اليونانيـــــة فــى العصر المظلم والتى بدأت تتطور عند نهاية الالف الثانية قبل الميلاد فبجانب اســـتمرار الطرز فى الفخار نجد فن بناء السفن قد استمر فالصور للسفن المرسومة على الفخار ما قبل الهندسى والهندسى تظهر نفس السمات والملامح الأساسية التى كانت تزين الفخـــار الموكينى وما بعد الموكينى .

وفى بداية القرن التاسع فقد بدأ الطراز الهندسى فى الفخار فى الظهور فى أتيكـــا وفى سهل أرجوليس وكورينثة وبؤوتيا وتساليا وجزر بحر ايجة والشاطئ الغربى لآسيا الصغرى فقد تطورت أشكال وزخرفة الآنية بشكل طبيعى جديد دون أن يكون لها أثـــر فى الموروث ، ويلاحظ أن أنواع الآنية قد زادت وتطور فن الزخرفة كثيراً مع إضافـــة عناصر حقيقية للرسوم الهدسية . ويمكن تقسيم فترة الفخار الهندسى إلى ثلاث أو أربـــع فترات وبلغت أوجها فى القرن الثامن وبداية العصر العتيق .

وقد حققت أيضاً صناعة المعادن فى هذا العصر تقدماً كما يُرى من اللقى الأثرية من سيوف حديدة ورؤوس الحراب واللقى ، كما أن صناعة الحلى تكشف عـــن مـــهارة فائقة إذ وجدت حلى فى مقبرة سيدة فى منطقة السوق بأثينا ، من المرجح أنــــها يرجـــع تاريخها إلى منتصف القرن التاسع ، وهى تكشف عن حذق ومهارة صناع الحلى ، بينما

تكشف الحفائر عن ما وصلت إليه العمارة من تقدم ، إذ نجد سميرنا القديمة على وجه الخصوص مدينة ذات أسوار دفاعية من بداية القرن التاسع .

وعند نهاية القرن التاسع فان اليونان قد بدأوا في الاتصال بالشرق الأدنى ، وقد لعبت قبرص دوراً هاماً كوسيط بين اليونان والشرق ، وكان لها علاقاتها مع كريت والمنطقة الإيجية وبلاد اليونان القارية هذا من جهة ، ومع سوريا وفينيقيا من جهة أخرى ، إن التنقيبات الأثرية في الميناء عند مصب نهر أورونتيس قد كشفت عن أدلة وقرائن رائعة لتغلغل وانتشار اليونان على الساحل الشرقي للبحر المتوسط . وقد تأسست المدينة حوالي منتصف القرن التاسع ، وتؤكد اللقى الأثرية أن اليونان قد أقاموا علاقات مع فينيقيا وشمال فلسطين وقبرص . ويبدو أن الفخار الهندسي قد بدأ في الظهور في المنيا من نهاية القرن التاسع وفي القرن الثامن أصبحت الميناء تحت سيطرة التأثير لمملكة أورارتو Urartu وتقع في هضبة أرمينيا وكانت غنية بالمناجم وقد حققت نجاحاً في صناعة المعادن التي وصلت إلى أعلى قمتها كما يرى في الأعمال الفنية لصناعها في صناعات البرنز والذهب .

وهكذا فقد فتح عالم جديد غير معروف أبوابه لليونان عندما وصلوا إلى السواحل السورية ومثل الكريتيين والموكينيين الذين مزجوا عناصر الثقافة الفنية الشرقية مع ثقافتهم .

ومن هنا نجد أن العصر المظلم الطويل قد وصل إلى نهايته وأن حركة عظيمة من النشاط قد بدأت بين المجتمعات اليونانية . ان المرحلة الجديدة من الحضارة اليونانية لا تنعكس من خلال اللقى الأثرية فقط ولكن من حقيقة اقتباس اليونان للأبجدية .

ان كتابات المجموعة الخطية الثانية وقعت فى طى النسيان مع تدمـــير مراكـــز الحضارة الموكينية الآخية واقتصاد القصور ، إن الأبجدية الجديدة المستقاة من الشـــرق أسهل فى التعلم وأكثر ملاءمة لمتطلبات اللغة اليونانية وأكثر يسراً من الخط المقطعـــى المبهم الذى غالباً ما يعبر بشكل جزئى عن الأصوات فى اليونانية ، لقد كان يستخدم فى النصوص الاقتصادية والإدارية فى العصر الموكينـــى . ويـــرى الكتّـــاب القدامـــى أن الإغريق قد اقتبسوا أبجديتهم من جيرانهم الشرقيين إذ نجد هيرودوت يقول إن اليونان قد تعلموا الكتابة من الفينيقيين الذين غزوا بؤوتيا مع كادموس مؤسس مدينة طيبـــة ووفقـــاً لهيرودوت فإنّ اليونان اسموا الأبجدية التى اقتبسوها بالحروف الفينيقية . وحتى فـــترة قريبة فإنّ هذا الرأى كان راسخاً بيد أن الدراسة الدقيقة للأبجديـــة الســامية وعلاقتــها بالأبجدية اليونانية ترى أن أصل الأبجدية اليونانية لم يكن سهلاً ويبدو أن اليونـــان قـــد اعتمدوا بشكل رئيسى على الأبجدية الآرامية فى شمال سوريا التـــى كـــانت تســتخدم الحروف المتحركة والساكنة وهذا الملمح له أهميته لتكوين الأبجدية اليونانية وأخيراً فان العلماء يشيرون إلى صلات القربى بين الصيغ الباكرة من الأبجدية اليونانية وما يعــرف بالأبجدية الكنعانية الباكرة من فلسطين والتى على ما يبدو أنها كانت مصدراً للأبجديــات السامية .

أن الوثائق الباكـــرة اليونانيـــة التـــى كتبـــت بهذه الأبجدية يرجع تاريخها إلـــى النصف الثانى من القرن الثامن ق.م ومن ثم يمكن الافتراض أن هذه الأبجدية قد وجدت فى حوالى منتصف القرن الثامن أو من المرجح وجدت فى فترة سابقة إلى حـــد مـــا . ويـــرى البعض أن التجار الفينيقيين الذين ارتادوا البحار والمناطق اليونانية هـــم الذيـــن نقلـــوا الأبجدية إلى بلاد اليونان . ويرى البعض الآخر أن اليونان الذين ترددوا علـــى

الميناعلى الساحل السورى بغرض التجارة قد عرفوا الأبجدية الآرامية السامية هناك ونقلوها ، ولكن نجد أن الأبجدية اليونانية قد تأثرت بالأبجدية الفينقية فى الحروف ks (ξ) ,kh (χ) ,ph (φ) واسماء الحروف اليونانية قد اقتبست من أسماء الحروف الفينيقية .

ان الأبجدية اليونانية الجديدة استخدمت على نطاق واسع لخدمة الأغراض التجارية ثم لتدوين وتسجيل الأعمال الأدبية وأول دليل لاستخدامها يأتى من النقوش المدونة على المزهريات ، وتسجيل القصائد الساخرة يعود تاريخها إلى العشرينات من القرن الثامن .

وهذه الفترة من المرجح هى الفترة التى أنشدت فيها الملاحم الهومرية . والتى سنتحدث عنها كمصدر تاريخى فى الفصل التالى .

الأشعار الهومرية مصدر تاريخى للعصور الباكرة
العصر الموكينى وعصر الهجرات وعصر الشاعر

لم يحتل شاعر آخر فى جميع العصور التاريخية مكانة فى حياة شـــعبه كمكانـــة هوميروس عند اليونان فهو الرمز الأعلى للوطنية والمصدر الموثوق به لتاريخهم القديـم وللشخصية الفعالة فى خلق آلهتهم ، فضلاً عن أنه أحب الشعراء إلى قلوبهم وأعظم مـن يستشهد بأشعاره ، ويخبرنا أفلاطون بأن بعض الإغريق يعتقدون اعتقـــاداً راســـخاً أن هوميروس علم بلاد اليونان ويستحق أن ينظر إليه كعلم فى مجال إدارة الشئون الإنسانية وتهذيبها ، وأن على المرء أن ينسق حياته كلها مترسماً خطى هذا الشاعر . وعندما يقرأ المرء قول افلاطــون حول ملحمتى هوميروس فإنه يتوقع كتاباً مقدســاً أو مُؤلفــاً فــى الفلسفة ، بيد أنه يجد نفسه أمام قصيدتين طويلتين من الشعر ، أولـــهما الإليـــاذة التـــى خصصت لوصف أحداث العشرة أيام الأخيرة فى العام العاشر من زمن الحـــرب بيـــن الآخيين والطرواديين وتصف لنا غضبة أخيل ، وثانيهما الأوديســـة التـــى خصصـــت لوصف المتاعب والأهوال التى واجهها أوديسيوس فى أثناء عودته إلى وطنه اثيكا .

وإذا كان هوميروس قد نال شهرة ذاعت فى الآفاق فإن خلافاً وجـــدلاً دب ومـــا يزال مُثاراً حول شخصيته ومولده وأصله وحياته ومماته وموطنه والعصر الذى عـــاش فيه ، ويختلف الباحثون أيضاً حول نظمه لكل من الإلياذة والأوديسة فهل هو ناظمـــهما الوحيد أم نظم جانباً منهما أم أنه نظم الإلياذة ولم ينظم الأوديسة ؟ ولـــن نخـــوض فـــى مناقشة هذه القضايا فهى فى باب الأدب أَوْلى منها فى باب التاريخ .

إن ما يهم المؤرخ منها هو تحديد العصر الذى عاش فيه الشاعر والفترة الزمنية التى يقع فيها ذلك العصر الذى تصور هذه الأشعار حضارته ونظمه . يرى هيكاتيوس وتبعه نفر من الدارسين المحدثين أن هوميروس كان معاصراً لحرب طروادة . ولكن هيردوت خالفه الرأى فى ذلك وأكد أن الشاعر ظهر قبله بما لا يزيد عن أربعة قرون أى فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد وقد وافق على هذا الرأى ثيوكيديس المؤرخ المدقق والذى اشتهر بأمانته العلمية ، وسار على نهجيهما كتّاب محدثون ثم جاء ثيوبومبوس (Theopompas) وجعل هوميروس معاصراً للشاعر الغنائى والهجاء أرخيلوخوس الذى ذاعت شهرته فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد . فأى الآراء السابقة أدنى إلى الحقيقة ؟

إن الدارس الممحص لمفردات الملحمتين يجد أن لغتهما ولهجتهما هى اللغة اليونانية باللهجة الأيونية المتضمنة لبعض المفردات من اللهجة الأيولية ولا يمكن أن تكون هذه اللغة هى التى تكلم بها الآخيون لأن لغة الآخيين صورة عتيقة من اليونانية وهى مليئة بالكلمات العتيقة والمصطلحات والعبارات غير المألوفة وهذا ما كشفت عنه الواح المجموعة الخطية الثانية ، ولهذا فإنه من غير الممكن أن هوميروس قد عاصر أحداث حرب طروادة ، كما أن هوميروس فى وصفه لأحداث الحرب يتحدث عنها على أنها ذكريات ماضى بعيد . أما عن معاصرته للشاعر الغنائى أرخيلوخوس فهذا مردود عليه إذ أن هناك فروقاً واضحة بين لغة هوميروس ولغة الشعر الغنائى التى ازدهرت فى القرن السابع بما فيها من حيوية وايقاع موسيقى ، كما أنّ الخصائص الأدبية تنفى معاصرته للشاعر أرخيلوخوس وذلك أن ثمة فروقاً جوهرية بين مزاج الشعر الملحمى ومزاج الشعر الغنائى فالشعر الملحمى لا تظهر فيه ذاتية الشاعر بينما تظهر ذاتيته فى

الشعر الغنائى ، كما أن دارسى تاريخ الأدب يرصدون أن شعر الملاحم قد ازدهر وزال قبل أن يصبح الشعر الغنائى فناً قائماً بذاته . والرأى الأقرب للحقيقة هو رأى هيردوت ومن شايعه والقائل بأن هوميروس قد عاش قبله بأربعة قرون أى أنه قد ظهر فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد وذلك لأن لغة هوميروس هى لغة القرن التاسع والثامن قبل الميلاد وليست لغة العصر الموكينى ولا هى لغة الشعر الغنائى كما سبق أن ذكرنا . واعتمد فى وصفه لحوادث حرب طروادة على الروايات التى سمعها والآثار التى شاهدها فى ربوع اليونان . والسؤال الآن هو هل الحضارة والمجتمع ونظمه التى تصفها الملحمتان هى الحضارة الموكينية فى فترتها الأخيرة أم أنها تمثل فترة العصر المظلم ككل أم أنها تمثل فترة القرن التاسع والثامن ق.م بها .

ان مسألة تقرير ما هى الفترة التاريخية التى تشير إليها أشعار هوميروس كانت وما تزال محل جدل ونقاش مطول والتى ما تزال بعيدة عن وضع حد لها .

فقد رأى عدد كبير من الدارسين والباحثين أن القصائد الهومرية تعطى بشكل ، كبير أو قليل ، صورة صادقة للعالم الموكينى وأن هوميروس يُسجل جنباً إلى جنب مع الاكتشافات الأثرية الحديثة والمجموعة الخطية الثانية كمصدر رئيسى لتاريخ اليونان فى عصر البرنز ، فالأشعار الهومرية فى رأيهم تصف الحياة اليومية فى القرنين الثانى عشر والحادى عشر ، وأنها تصور مظاهر الحضارة التى سادت بلاد اليونان وقتئذ واستشهدوا على ذلك بأن الأسلحة والمنازل والملابس والحلى التى وضعها هوميروس فى أشعاره تشبه إلى حد كبير ما عرفه اليونان فى تلك الفترة وهذا ما كشفت عنه التنقيبات الأثرية فهناك دروع تشبه درع أياس وكئوس مثل كأس نستور .

ويرى فريق آخر أن هذا التشابه لا يكفى لإثبات هذا الرأى لأن هذه التنقيبات نفسها كشفت عن فروق واضحة بين ما وصفه هوميروس وبين ما عرفه اليونان فى منتصف القرن الثانى عشر ، فأبطاله كانوا يعيشون لا يلبسون من ثياب العصر الآخى كما أن يونان هذا العصر لم يكونوا قد عرفوا المعابد ، وعندما يصف هوميروس ويتحدث عن الحرب يصف لنا أحداثاً مضت قبل ظهوره بوقت طويل . ويرى نفر من هذا الفريق أن أشعار هوميروس تصف حضارة القرنين العاشر والتاسع ويصورها فى إطار مملوء بصور وذكريات من العصر الموكينى والعصر الكريتى وقد عرف الشاعر هذه الذكريات والصور من الآثار التى خلفتها تلك العصور من الروايات التى توارثتها وتناقلتها الأجيال . بينما يرى نفر آخر أن الأشعار تصف العصر الذى أنشد فيه الشاعر أشعاره أى فى القرن الثامن إذْ أنشد الإلياذة فى بداية هذا القرن والأوديسة فى النصف الثانى من القرن .

والرأى الأقرب للصحة هو أن وصف الشاعر به ثلاثة عصور تاريخية هى : العصر الموكينى ، والعصر المظلم ، وعصره الذى عاش فيه هو نفسه . إن القصائد الهومرية تبحث عن إعادة تسجيل العالم المفقود فى العصور السابقة للشاعر . لقد ثبت أنها تشير إلى عدد من المظاهر الموكينية التى اختفت مع سقوط القصور من أسماء الأماكن موكيناى ، تيرنيس ، بيلوس ، أثيكا .... الخ والعادات والتقاليد ... الخ ومع ذلك فان ما تذكره يعد قليلاً جداً إذا قورن بكل ما طواه النسيان بين العالم الموكينى وعالم هوميروس بشأن المؤسسات والعناصر الثقافية ، كما أن القصائد تحتوى على عدد من المفارقات التاريخية التى لا تتناسب مع إطار العالم الموكينى ولكنها تتناسب فى الواقع مع الفترة اللاحقة . ان نجاح العلماء فى قراءة المجموعة الخطية الثانية قد كشفت لنا

عن الاختلاف بين العالم الموكينى وعالم هوميروس فهناك فجوة بين العصور الموكينية مع أجهزتها الإدارية وقصور الملوك الهوميريين التى كانت أقل تعقيداً فى تنظيماتها التى كانت الكتابة بها مفقودة كلية التى كانت عنصراً أساسياً فى العالم الموكينى فبين عالم هوميروس والعالم الموكينى اختلافات ، كما أن البعض يحاول الربط بين الأوديسة وبين بداية حركة الاستعمار فى الغرب فى النصف الثانى من القرن الثامن ، وقد كان الشاعر يحاول جاهداً النظر للوراء إلى عصر مفقود حاول أن يعيد الحياة إليه ولكنه كان مدركاً لعمق التغييرات التى حدثت فى العصور المتأخرة ، إذ تجنب الإشارة إليها فلم يقل شيئاً تقريباً عن الدوريين الذين استقروا فى بلاد اليونان بعد سقوط الممالك والقصور الموكينية ، ولم يذكر شيئاً عن هجرة الإغريق إلى اسيا الصغرى إبّان عصر الظلام ، فقد كان يسعى إلى استدعاء مجتمع مفقود ولكن لم تكن هناك علاقات أو مادة يهتدى بها إلا الروايات والآثار . كما نجد أنه يشير مرة واحدة إلى معرفة اليونان للابجدية اليونانية وفن الكتابة الذى اقتبسه اليونان من الشرق ويشير أيضاً إلى الفينيقيين الذين بلغوا ذروة مجدهم فى القرنين التاسع والثامن ق.م وهذا يشير إلى حضارة ونظم القرن التاسع والثامن .

وسنحاول أن نرسم صورة لمجتمع كما تصوره الإلياذة والأوديسة فنجد هناك تفريقاً وتمييزاً بين المتحضرين الذين يأكلون الخبز ويزرعون الأرض ويرعون الماشية ويقدمون الأضاحى ويخشون الآلهة ويعطفون على الغريب ، وبين غير المتحضرين المتوحشين الذين لا يعرفون النظام أو القانون .

كما نجد أن هوميروس كان مدركا لحقيقة أن العصر الموكينى كان أكثر ثراء وقوة من العصر الذى يعيش فيه ، إذ حاول أن يستعيد خلق هذا العالم كما تصوره هو ولهذا بالغ كثيراً فى ثروة ملوكه ، ولا يمكن أن يأخذ الباحث الوصف الأدبى للقصور الهومرية مع كنوزها الكبيرة وعبيدها كثيرى العدد . إن دقة المادة العددية تؤدى إلى الضلال ، ولذا على الدارس أن يبحث من خلال الحفائر الخاصة بالقرنين العاشر والتاسع التى كشفت عن صورة العالم اليونانى ولا تكون مؤثرة على نحو كبير ، فالكثير من المواقع قد هجرت ودمرت والصلات بالعالم الخارجى كانت قد تقطعت ولم يسترد العالم اليونانى عافيته إلا بعد انتهاء فترة الاضطرابات التى أعقبت العصر الموكينى .

وصورة المجتمع عند هوميروس كما تصورها الإلياذة والأوديسة تشير إلى مجتمعين : مجتمع الإلياذة ومجتمع الأوديسة ، فهناك اختلافات فى الزمن فالإلياذة تعكس صورة مجتمع أكثر قدماً وأقل انفتاحاً عن مجتمع الأوديسة ، كما توجد اختلافات فى الموضوع فالإلياذة تقدم مجتمعاً فى حالة حرب والتى لعبت الأرستقراطية دوراً قيادياً فيه وكان لها السيادة والسمو العسكرى ، بينما تقدم صورة للطبقة الدنيا فى الظل حيث إنها لا تمثل شيئاً فى الحرب ولا فى المجلس وعلى العكس من ذلك فان الأوديسة تعطى صورة أكثر تفصيلاً للمجتمع واقتصادياته خاصة وأنها تخصص مساحة كبيرة لأفراد الطبقة الدنيا التى يكون دورها محدوداً فى الإلياذة ونجد أن الشاعر هنا يظهر اهتماماً كبيراً بمصيرهم وسنحاول أن نذكر أهم سمات المجتمع الهومرى وتنظيماته وحضارته .

النظم والحياة السياسية والاجتماعية

إن الدولة والنظام السياسى تظهر عند هوميروس بشكل غامض ، فمفهوم كل من

المدينة Polis والجماعة السياسية ليس هو المفهوم نفسه للمدينة فى العصر الكلاسيك تكون مستقلة ولها سيادتها وأجهزتها السياسية ، أن المصطلحات مثل tac , demos تختلف فى فحواها ومعناها عن دلالتها فيما بعد فى العصر الكلاسيكى .

تكشف لنا الاشعار الهومرية عن أن بلاد اليونان كانت مقسمة إلى ممالك عد بعضها كانت كبيرة المساحة وبعضها كانت صغيرة المساحة . ومن الممالك الكب مملكة موكيناى ، بقيادة ملكها أجاممنون قائد الحملة الطروادية ، وعلى ما يبدو كانت مملكة اقليمية تشتمل على مدن كثيرة . وهذا ما يؤكده عرض الملك أجاممن لترضية أخيل وتسوية الخلاف بينهما ، بأن يزوجه إحدى بناته ويمنحه سبع مدن ممتلكاته وأشياء أخرى . ومن الممالك الصغيرة مملكة بيلوس ومملكة إيثاكا ومم اسبرطة ، عرف العالم الهومرى الأحلاف فقد كان يجمع بين هذه الممالك – ما يبدو – رابطة من نوع ما أو حلف تحت رياسة موكيناى ، فقد استجاب ملوك الممالك لنداء أجاممنون حين أهاب بهم أن يسيروا تحت لوائه فى الحرب ضد طرو وإن كان هذا الحلف لا يتعدى حدود الولاء العام لملك موكيناى فى الحرب دون أن على ذلك . بل أن هذا الولاء يتم نقضه من قبل بعض الملوك وخير أنموذج على ذل هو النزاع بين أخيل وأجاممنون والذى هدد فيه أخيل بالعودة إلى وطنه إذا ما كانت هى رغبته وإرادته بينما نجد دور بقية الملوك – حاضرى المشادة – يقتصر ع محاولة بذل المساعى لاصلاح ما بينهما ، محاولين إرضاء كل من الملكين لتوح الصف فى مواجهة الطرواديين وحلفائهم عدوهم المشترك. وأمام هذا التحالف الآخ الموكينى نجد التحالف الطروادى والممالك على الساحل الأسيوى والذين تحالفوا طروادة لرد عدوان وهجوم الآخيين ليس على طروادة فحسب بل على المدن الأسيو

وهكذا فإننا نجد أن الحرب هى التى توحد الصفوف . وعندما انتهت عاد الملوك إلى ممالكهم . ونسمع عن زيارات قام بها الأمراء والملوك للمالك المجاورة لهم . وهذا يشير إلى أن بلاد اليونان كانت مقسمة إلى ممالك ذات سيادة ومكتفية ذاتياً إلى حد ما .

كانت المملكة عبارة عن تجمع سياسى واقتصادى للأسر النبيلة الكبيرة . ويأتى الملك على رأس تنظيماتها . فقد كان أقوى الأبطال أو الأقوى بين أقرانه من الأبطال ، وكانت اسرته تمثل أقوى أسر المملكة وأغناها . كانت سلطة الملك شبيهة بسلطة رب العائلة الممتدة ، ففى الواقع فإن كل من الملك ورب العائلة النبيلة قد حمل لقب Basileus وهذا اللقب يعنى الملك كرئيس للمدينة أو المملكة ككل ، وفى نفس الوقت فهو رب لأسرته يخدمها هى وأتباعها . وكان هذا اللقب يعنى لرب الأسرة النبيلة أنه سيدها وراعيها وحاكمها ومصرف شئونها . كان الملك يحكم حكماً مطلقاً ، ويتمتع بسلطات عسكرية ودينية وقضائية واسعة . أما عن سلطته العسكرية والمدنية فكان من حقه قيادة الجيش فى القتال ، وكان ينزل عن سلطة القيادة لأحد أبنائه مثلما فعل بريام مع ابنه هكتور ، وكان له سلطة اتخاذ القرار فى الحرب وفى تصريف شئونه دون استشارة أحد من النبلاء من أقرانه والذين كان دورهم ، فى الغالب ، هو اسداء النصح إليه ، كما كان له الحق أحياناً فى تجاهل اراء الجمعية الشعبية فى المعسكر إذا ما تعلق الأمر به ، وخير أنموذج على ذلك ، هو موقف أجاممنون من رد الأسيرة ابنة كاهن الإله أبوللو والتى كانت من نصيب أجاممنون . فعندما أتى أبوها إلى معسكر الآخيين ليفتدى ابنته ، وتقدم برجاء وافق عليه الآخيون الآخرون جميعاً احتراماً وتكريماً له ككاهن ، وقبول الفدية الباهرة ، لكن ذلك لم يُدخل السرور على قلب أجاممنون ورده بجفوة . أما عن سلطة الملك الدينية : فقد بُجل الملوك كما تبجل الآلهة على الرغم من أن بعض الملوك

قد زعموا أنهم ينحدرون مباشرة من نسل الآلهة أو أن أجدادهم كانوا آلهة ، فإنهم لم يكونوا موضع عبادة كبشر ، لقد عضدت الآلهة حكمهم وشدت من أزرهم ضد من يعارضهم وفى حروبهم . فقد كان الحق المقدس هو العماد الأساسى للنظام الملكى ولعل قول أنتينوس ، أحد الخطاب ، لتليماخوس أن الآلهة تشد من أزره وأنه يتوجه إلى الآلهة مرة أخرى فى توسله ألا يكون ملكاً ، ونلمس المساندة الالهية دائماً للملوك والأمراء كما هو الحال بالنسبة لكل من أوديسيوس وتليماخوس فقد شملتهما الربة أثينا بتأييدها ومساندتها فى حلهم وترحالهم ،كما نجدهما قد حظيا بعطف الإله زيوس رب الأرباب . فعلى سبيل المثال قد خاطبت أثينا أوديسيوس بقولها "من المؤكد أنى سأقف إلى جانبك وأنى لن أنساك حتى يأتى الوقت الذى تُقضى فيه مهمتنا هذه ، أما أولئك الذين يطاردون زوجك ويبعثرون ثروتك فإنى أراهم الآن وقد صبغت دماؤهم ورءوسهم المهشمة أرض قصرك" .

كان الملك بمثابة الكاهن الأكبر ، فكان عليه أن يقوم بتقديم الأضاحى الدينية فى المناسبات والأعياد الدينية المختلفة وذلك لتكريم الآلهة الكبرى بغرض رفع الضر عن شعب مملكته وازالة العقبات التى تعترضهم . وكانت الأضاحى فى الغالب من الحيوانات وإن كانت هناك أضاحى بشرية فى بعض الأحيان . والجدير بالذكر أن رب كل أسرة كان هو الآخر يقوم بتقديم القرابين فى الأعياد والمناسبات لتكريم الآلهة كما فعل نستور فى بيته بتقديمه الأضاحى فى مناسبة دينية .

وأما عن سلطة الملك القضائية : فقد كان الملك هو القاضى الأعلى فى مملكته ولكنه كان يقاسمه فى تنفيذ العدالة أرباب الأسر النبيلة داخل أسرهم دون عودة فى ذلك

إلى الملك . وتوجد بعض الاشارات فى الأشعار – خاصة فى الأوديسة – تشـير إلـى العدالة والظلم الملكى . ففى إحدى الفقرات نجد ما يأتى : أيتها السـيدة بينلوبـى لـن يستطيع أحد من البشر فى الأرض التى لا حدود لها أن يلومك . فقد وصلـت شـهرتك أجواء الفضاء ، كشهرة أفضل الملوك ، ذلك الذى يخشى الآلهة ويحكـم بيـن النـاس العديدين والأقوياء ، يدعم العدل ، والأرض السوداء تحمل القمح والشعير ، والأشـجار مثقلة بالفاكهة ، وتنتج القطعان دون فشل ، ويزخر البحر بالأسـماك ، بفضـل القيـادة الرشيدة ويصلح حال الشعب تحت زعامته .

وإذا كانت بعض الأبيات تكشف لنا عن قوة ، وسطوة الملوك ، فإن لدينا أبيـات أخرى تشير إلى أن سلطة بعض الملوك قد بدأت فى الضعف والتدهور نتيجة ازدياد قوة الأسر النبيلة . إذ نجد أن أرباب الأسر يناقشون الملك فى أفعاله وتصرفاته ويشـاركونه فى اتخاذ القرارات فى بعض القضايا ليس هذا فحسب بل أيضاً نجدهم قد تجرأوا علـى النظام الملكى ونظام وراثة الحكم الذى يعتبر اساس النظـام الملكـى . فيكشـف لنـا هوميروس عن مشهد نجد فيه "أرباب الأسر النبيلة قد شاركوا الملك فى سلطة اصـدار الأحكام والفصل فى القضايا " فقد تجمهر الناس فى مكان الاجتماع إذ قامت مشادة بيـن رجلين من أجل دية قتيل وقد أخذ أحد الرجلين يعلن أمام الجميع أن دفع كـل شـىء ، بينما أنكر الآخر أنه لم يتسلم شيئاً على الاطلاق ، وكل منهما يرغب أن يفصل الحكـم لصالحه ، وقد أحاط بكل من الخصمين أنصاره ، وهم يلغطون ويثرثرون ، ولقد حـاول المنادون فرض السكون والنظام ، وقد حبس النبلاء فى هيئة نصف دائرة على مقـاعد من الحجارة المصقولة يحملون فى أيديهم الصولجانات وكل منهم يقف فى دوره ليدلـى بحكمه فى القضية . ونستخلص من هذا المشهد أنه لم يعد من حق الملك وحده الفصـل

فى القضايا وإنما يشاركه فى ذلك أرباب الأسر النبيلة وأن دورهم لم يعد دوراً استشارياً وإنما أصبح لهم دور رئيسى فى الفصل فى الأمور ، بل نجد البعض منهم قد تطلع إلى تولى الحكم وذلك للغيبة الطويلة للملوك ، وقد نجح البعض منهم فى ذلك كما هو الحال بالنسبة لأجاممنون فقد كان المت ينتظره فى قصره، بينما فشل البعض الآخر فى محاولته وهذا ما حدث مع أرباب الأسر النبيلة فى إيثاكا فقد تطلع البعض منهم لتولى عرش المملكة بعد غيبة أوديسيوس الطويلة وعدم معرفة مصيره وتركه لولده وهو فى المهد صبياً . فقد حاول بعض النبلاء انكار حق تليماخوس فى تولى عرش المملكة بعد أبيه ولعل قول أنتينوس ، أحد خطاب بينلوبى ، لتليماخوس "يبدو أن الآلهة قد بدأت تشد من أزرك ، إنك بحكم بنوتك لأبيك وريث لعرش هذه المملكة ، وإن كنت أبتهل إلى الآلهة ألا تصبح ملكاً فى يوم من الأيام" .

ورد عليه تليماخوس بقوله قد يسوءك أن تعرف أنى سأكون مسروراً بقبول منصب الملك من يدى زيوس وقد تقول أنت إن أسوأ ما يمكن أن يصيب المرء هو أن يصبح ملكاً ، أما أنا فعلى العكس من هذا أرى أن منصب الملك ليس شراً فهو يزيد من سطوة من تقلده ويوفر الثروة فى بيته ، ولكن مع ذلك ، فإن بين الأخيين عدد وافر من النبلاء سواء منهم الملوك أو الشباب وأن واحداً منهم لابد وأن يصبح ملكاً على إيثاكا . . . بعد أن مات أوديسيوس الطيب " ورد عليه يوريماخوس ـ أحد الخطاب ـ أى تليماخوس ، أن الآلهة هى التى ستقرر من من الآخيين سيصبح ملكاً على إيثاكا " نستخلص من الفقرة السابقة ان السلطة الملكية كان يتولاها الخلف، عن السلف بتعضيد من الآلهة ولكن هذا الحق بدء يتطلع إليه أبناء الأسر النبيلة الأخرى فى المملكة نتيجة لغيبة الملك الطويلة ولضعف الوريث الشرعى وعدم أهليته القانونية نظراً لأنه لم يبلغ

سن الرشد وأمام كثرة المتطلعين للعرش نجد أن أوديسيوس عندما عـاد إلـى أرضه ومملكته قد تخفى فى زى شحاذ حتى يتدبر أمره ويتخلص من هؤلاء النبـلاء ويسترد عرشه وملكه ، فقوة الملك إذن هى التى تمكنه من أن يملك زمام الأمور بالقوة . ويؤكد هذا العراف لوكريتوس بقوله "لو قدر لأوديسيوس نفسه أن يعود وتاق قلبـه أن يطـرد الخطاب النبلاء من قصره الذين يأكلون على موائده ، فلن تجد مع ذلك زوجته أى متعة فى عودته على الرغم من أنها تتحرق شوقاً إليه ، وعلى العكس فسيلقى مصيراً مؤلمـاً لو حارب ضد أعداء أكثر عدداً" وهكذا لقد كان على أوديسيوس أن يحارب ضد قـوى أكثر عدداً بكل قوته ومكره كى يستعيد عرشه ولعل كلماته فى ابتهاله للربة أثينا خـير شاهد على دقة وضعه ."إذ يقول : كان من المحتوم بكل تأكيـد أن أهلك فى قصـرى ، وأن ألقى مصيراً بشعاً كمصير أجاممنون لو لم تنبئينى أيتها الربة بكل شيء بالحق".

كان بعض الملوك ينزلون عن سلطاتهم لأبنائهم نتيجة لعجزهم الجسـدى وعـدم قدرتهم على القيام بالمهام المنوطة بهم ومن الأمثلة على ذلك فى أن الابن يشغل العـوش فى حياة أبيه أوديسيوس الذى خلف أباه لأراتيس على عرش ايثاكا وأيضاً حديث أخيـل لأوديسيوس فى العالم السفلى إذ نجده يقول لأوديسيوس "أخبرنى عن بيلبوس الممتـلز إن كنت قد سمعت عنه شيئاً أم لا ، ألا يزال يحتل مركزه الشرعى أم هل نحى عنه جانبـاً لهرمه واختلاج أعضائه ، ولأنى لم أعد عوناً تحت أشعة الشمس أحمى سلطاننا بقوتى " ولكن القاعدة هى أن يخلف الابناء أباءهم فى الملك بعد موتهم ، وكان الملك يؤول إلـى أكبر الأبناء الشرعيين سناً وذريته من بعده وإذا لم يوجد أبناء شرعيون فإن الحكم كـان يتولاه ابن غير شرعى ، ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك منها "دعاء هيكتور لولده أن يحكم بالقوة فى طروادة ، ونقاش انتينوس مع تليماخوس ولد أوديسيوس والذى سـبق ذكـره

ويؤكد على حق تليماخوس فى أن يرث عرش والده ، كما تكشف لنــــا مقولـــة أخيـــل لاينياس " لماذا ؟ هل أملى عليك قلبك أن تشتبك معى فى معركـــة ، أملاً فى أن تنـــتزع سيادة بريام على الطروادين مروضى الخيول ، كلا ، حتى لو قتلتنى فلن يضع بريـــلم ، بسبب ذلك ، زمام السلطة فى يديك ، فلديه أبناؤه وهو رجل حازم ولم يعثرا لوهم عقله. وأيضاً محاولة منيلاوس أن يكون له ولد غير شرعى يخلفه فى الملك . وتكشـــف لنـــا الأشعار أيضاً عن أن العرش كان يؤول إلى زوج ابنة الملك الذى لا ولد له ولعل تولــى منيلاوس عرش اسبرطة بعد زواجه من هيلينا خير شاهد على ذلك ، وأيضاً من يـتزوج زوجة الملك الميت ، فقد جعلت غيبة أوديسيوس الطويلة النبلاء فـــى مملكتـــه يرنـــون ببصرهم إلى الزواج من زوجته بنيلوبى فمن يفوز بيدها منهم قد يصبح ملكــــاً ، ففـــى تقريع تليماخوس لانتينوس السابق الذكر خير دليل على ذلك إذ نجده يقول "هنا فى ايثاكا التى تحيطها المياه من كل جانب ، ملوك اخرون عديدون بين الآخيين شـــباب وشـــيوخ ومن الممكن أن يعتلى أحدهم العرش، مادام أوديسيوس قد مات . وأيضاً يؤكد هـــذا رد يوريماخوس على تليماخوس إذ يقول "إن ذلك فى علم الآلهة من ســـيكون ملكـــاً مـــن الآخيين على ايثاكا ، ولكن يمكنك أن تحتفظ بأملاكك وأن تصبح سيداً فـــى بيتـــك ، دع بنيلوبى تختار خليفة أوديسيوس كملك وزوج وسوف يسود السلام كل ايثاكة ، وسيحصل الخاطب الموفق على العرش، ويمكن له "تليماخوس" أن يتمتع بكل ميراثه فـــى ســـرور وأن يأكل ويشرب فى حين ترعى هى منزل رجل اخر" . ولعل طمع هؤلاء الخطـــاب فى عرش ايثاكا مرجعه طول غيبة أوديسيوس والفراغ السياسى الذى تركه ، هذا مـــن جهة ، ومن جهة أخرى إن ولده كان ضعيفاً فقد تركه وهو فى المـــهد صبيـــاً . ولكـــن عندما اشتد عوده وقوى نجد أن الخطاب بدأوا يخشونه بل نجدهم قد تآمروا على قتلـــه .

ولكن الأحداث تكشف أن أسرة أوديسيوس هى أقوى الأسر وأن ملكها سيدوم . وقد سبق أن ذكرنا نبوءة العراف ثيوكليمنتوس .

تطالعنا الأشعار الهومرية أيضاً بأن ممالك ودويلات بلاد اليونان قد عرفت نوعين من المجالس أو الجمعيات أولهما مجلس أو جمعية شيوخ ونبلاء الأسر وثانيهما الجمعية العمومية الشعبية التى تضم جميع المواطنين من النبلاء والعامة . أما عن جمعية شيوخ الأسر النبيلة فقد كانت تجتمع بناءً على دعوة الملك لأخذ مشورة اعضائها والاستماع لآرائهم وللحصول على موافقتهم على ما يتخذه من قرارات وأحياناً لابلاغهم ما اتخذه هو من قرارات ، فقد كان دور القادة والنبلاء ينحصر فى اسداء النصح للملك وتقديم الاقتراحات له ، فقد قال الملك نستور لأجاممنون فى أثناء اجتماع الشيوخ ما يأتى "خليق بك أكثر من أى انسان اخر أن تتكلم وأن تستمع" على أى الأحوال كان رأى جمعية الشيوخ غير ملزم للملك فقد يأخذ أو لا يأخذ به ولدينا مثال لدعوة موجهة من الملك للقادة والنبلاء لابلاغهم بقرار اتخذه ، فقد جمع الملك الكينوس القادة والرؤساء فى مملكته وعددهم اثنى عشر رجلاً يطلق على كل واحد منهم لقب Basileus وأخبرهم بقراره بارسال حرس مع أوديسيوس فى رحلته إلى ايثاكا ، ثم اقتاد أوديسيوس إلى الوليمة المعدة على شرفه دون أن يقف لحظة واحدة للاستماع إلى تعليقاتهم أو معرفة رد فعلهم . ولا يوجد دليل بأن لهم سلطة تشريعية .

وكان هؤلاء القادة والشيوخ يصحبون الملك إلى مكان عقد الجمعية الشعبية التى يدعوها الملك للانعقاد حيث تتلى القرارات . وكانت الجمعية الشعبية تجمع المواطنين جميعاً وتعقد فى السوق Agora وكان يدعوها الملك أو ابن الملك متى شاء ودون إعلان

سابق ولم تكن هناك تواريخ محددة لمناقشة الشئون والقضايا العامة ؛ وخير أنموذج على ذلك دعوة تليماخوس لعقد الجمعية العمومية لمناقشة عدم عودة أوديسيوس وجيشه وفي نفس الوقت مناقشة ما يحيق به وبيته من شر مستطير من قبل الخطاب .

وتكشف لنا الأشعار أيضاً عن أنه كان يمكن لأحد الملوك فى معسكر الحملة على طروادة أن يدعو الجمعية أو الجيش للاجتماع لمناقشة أمر وشأن من شئون الجيش مثلما فعل أخيل عندما حلت نقمة الإله أبوللو بالآخيين ورغبته فى معرفة السبب ولرفع الضر عنهم .

تكشف لنا الأشعار عن أن الاجتماع ينعقد عند الفجر إذ نجد هوميروس يقول "عندما ظهر الفجر ذو الأصابع الوردية ، ابن الصباح ، نهض تليماخوس من فراشه وارتدى ملابسه وفى التو أمر الرسل ذوو النبرات القوية الواضحة بدعوة الآخيين للاجتماع ، وقد قاموا بالنداء وسرعان ما تجمع الآخرون حقاً ، وعندما يكتمل الاجتماع كان يفتتحه أكبر الأعضاء سناً وبعد ذلك يحدد سير النقاش نظام التتابع أكثر من تحديده نظام أقدمية محددة ، حتى إذا لم يبق متحدث انفض الاجتماع ، ومن يريد التحدث كان ينهض من مكانه ويمسك بصولجان يقدمه إليه الرسول ، وهو عصا سحرية بالمعنى الحرفى الدقيق تمنح للمتكلم حصانة وقدسية . وكان المتحدثون فى الاجتماع من شيوخ الأسر والنبلاء ، كما كان تقديم الاقتراحات من حق الصفوة لا العامة . فقد كان على العامة عدم ابداء الآراء فى حضرة القادة والنبلاء الأشراف ، فعندما تجرأ رجل من العامة يدعى ثرستيس على أن يقف خطيباً فى الجمعية العمومية ويوجه اللوم والتقريع إلى أجاممنون الذى كان السبب فيما دب بين الصفوف من خلاف . وكان الملوك

والنبلاء لا يشجعون هذا الموقف على الرغم من معرفتهم مقدار الخطأ الذى يحيط بتصرفات أجاممنون . ولذا نجد الملك أوديسيوس ينهض ويوجه حديثه إليه قائلاً "إن حديثك قد يكون فيه فصاحة ولكن وقتنا ليس به متسع لفصاحتك أيها المعتوه ، يا أحقر من تبع آل أتريوس ، كيف تجرؤ على أن تتلفظ بأسماء الملوك أو توجه التقريع ... فلتنصت إذن لقولى . وأنها ليست تهديداً أجوف : أنى إذا أمسكت بك مرة أخرى وأنت متلبس بمثل هذا التهريج الذى قمت به اليوم ... فلن يكون تليماخوس من صبى إن لم أنزع ملابسك حتى تبدو عارياً ثم ألهب ظهرك وأقذف بك إلى حيث تولول بجانب السفن. ثم ضربه بعصاه على ظهره وكتفه ، فانفجر باكياً والتهب ظهره من أثر الضرب وحبس وقد بدا عليه الذعر وغلبه الألم ، بينما طفرت الدموع من عينيه وجعل ينظر حوله فى حالة تدعو للرثاء " وهذه الفقرات من الالياذة تشير إلى عدم قبول النقد من قبل طبقة العامة والحديث بغير استئذان وعدم اتباع القواعد ، ولكن فى الأوديسة نجد أن القادة النبلاء كانوا يتوقون إلى سماع حديث العامة وابداء آرائهم فيما يعن من مشاكل ولضمان تأييدهم . إذ نجد أن منتور قد شكا قرب نهاية الاجتماع الذى دعا إليه تليماخوس من صمت العامة إذ نجده يقول "والآن فإنى غاضب حقاً على بقية الشعب لأنكم جميعاً تجلسون يخيم السكون ولم تعنفوا الخطاب وتضعوا حداً لتصرفاتهم ، على الرغم من أنهم قلة وأنتم الكثرة ، ولكن لوكريتوس العراف رد عليه بسخرية بقوله "لا فالكثرة ليس لها مصلحة وهم على الحياد ، وعلى هذا فنحن وأقاربنا واتباعنا نفوقكم أنتم وكل قوة تستطيعون جمعها ، وأوديسيوس نفسه سوف يلقى مصيراً مؤلماً إذا حارب ضد أعداء يفوقونه . ولكن نستشف من عبارات انتينوس التى قالها بعد محاولة قتل تليماخوس الفاشلة والتى حض فيها الخطاب على استدراج تليماخوس لقتله فى الحقول

خشية أن يدعو الجمعية العمومية للانعقاد لأخبارها بتآمر الخطاب ، فإن اعضاءها لـــن يوافقوا إن سمعوا بكل هذه الأعمال الشريرة فاحذروا إذن حتى لا يضيرون ويطردونــــا من أرضنا فنذهب إلى بلاد الآخرين ، ونجد فى قول نستور لتليماخوس تعبيراً واضحـــاً عن أن الشعب كان يمثل السند والعضد للحاكم وأنه قد بدأ يأخذ دوراً فى شئون الممـــالك إذ نجده يقول "خبرنى هل ترضخ طائعاً مختاراً ، أو أن الشعب يكرهك فى كل أنحـــاء الأرض ، ملبياً نداء الدار ونجد فى موضع آخر أن الشعب قد تحرك بالفعل وثار علـــى بعض القادة ، فوالد انتينوس كاد أن يفتك به الشعب لولا انقاذ أوديسيوس له وذلك لذهابه مع القراصنة التافنيين للاغارة على التسبروكيانين الذين كانت تربطهم بهم مودة .

وإذا كان اجتماع الجمعية العمومية لا يكون للتصويت أو اصدار القرارات ، فقـد كانت وظائفه ذات شقين : عرض الآراء المعارضة والمؤيدة مـــن قبـل الأشـــراف . وتوضيح الشعور السائد لدى الجميع للملك أو القائد الأعلى والذى وجدناه فى الاوديســة يعمل له القادة حساباً .

وهذا يعد تطوراً وهو رغبة القادة فى تأييد الشعب لما يعرضـــون عليـــهم مـــن قضايا، وكان العامة يعبرون عن تأييدهم للفكرة أو الموضـــوع المعـــروض بـــالتصفيق والذى كثيراً ما كان يتم بشكل غير منتظم ، بينما كانت صيحات الاستهجان هى المعيـار لرفض واستهجان الموضوع المعروض من قبل العامة .

ويرى البعض أن التنظيمات الاجتماعية ذات الصفة شبه السياسية كانت أساســية فى حياة المجتمع الهومرى مثل القبائل Phylai والبطون (الأخوة) Phratries والعشـــائر gene والعائلات وممتلكاتهم Oikoi . ويرى بعض الباحثين أن اليونان الذين هاجروا فى حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م كانوا ينظمون فى جماعات تجمعها أواصر الـــدم والقرابـــة أو

القرابة الصورية وهذه الجماعات كانت تنقسم إلى قبائل وعشائر gene ، ويـــرون أنــه على الرغم من عدم ذكر القبائل والعشائر فى وثائق المجموعـــة الخطيـــة الثانيـــة ذات الطبيعة الادارية والاقتصادية فان القبائل كانت موجودة . بينما يرى البعض الآخـــر أن القبائل والعشائر كان أول ظهور لها فى العصر المظلم. وأول ذكر للقبائل الدورية نجـده عند تيرتايوس (Tyrtaeeos (Fig. 1 فى العصور التاريخية فى أسبرطة وقد وجدت هذه القبائل فى المدن الدورية الأخرى بالاضافة إلى قبائل محلية ، كما أن النقوش تكشف عن وجود القبائل الاتيكية الأربع فى أثينا وفى منطقة ايونيا فى ساموس وميليتوس وافســوس وتيوس هذا بالإضافة إلى قبائل محلية وقد خدمت هذه القبائل كوحدات إدارية وعسـكرية فى المجتمعات المتطورة . ومن المرجح أن هذه القبائل كانت موجودة فى فترة الغزوات الدورية والعصر المظلم فى منطقة أتيكا وأثينا التى نظمت هجرة أعداد كبيرة إلى منطقة أيونيا وفى ضوء ما سبق يمكننا القول أن النظام القبلـــى كـــان معروفـــاً فـــى عصـــر هوميروس .

وتنظيم اجتماعى اخر ورد ذكره عند هوميروس هو تنظيـــم (Phratry) ويـــرى العلماء أن تحديد ماهية Phratry يمثل معضلة ومن أعقد المشاكل بالنســـبة للتنظيمـــات الاجتماعية اليونانية . ويرى البعض أنها وجدت فى التنظيم الاجتماعى منـــذ عصـــور مبكرة واستمرت حتى القرن الثانى الميلادى ، إذ تكشف لنا النقوش أنها ازدهرت فـــى المجتمعات الأيولية والدورية . كما أن القرائن اللغوية تشير إلى أن اليونـــان الأول قـــد عرفوا نظام phratries عندما دخلوا بلاد اليونان حوالى ٢٠٠٠ ق.م وكلمة phrater مع تصحيف بسيط تعنى الأخ فى المعنى الأدبى فى كثير من اللغات الأوربيـــة الحديثـــة ، ولكن فى الواقع ابتداء من عصر هوميروس فإن اليونان استخدموا الفاظاً أخرى للتعبـــير

عن معنى الأخ مثل adelphas و kasignotes ويبدو أنهم استخدموا phrater بمعنى الأخ ولكن وسعوا معناها وأصبحت تعنى الأخوة أو مجموعة من الناس تجمعهم رابطة الدم . وقد وجدت كلمة phratry جنباً إلى جنب مع القبيلة فى الإلياذة إذ نجد نستور العجوز ينصح أجاممنون أن يقسم رجاله إلى قبائل و phratry . ولعل هوميروس يشير إلى فترة القرن التاسع عندما بدأ الأرستقراط يجمعون حولهم مجموعات من ذوى القربى ويجمعها أواصر الدم وهى phratry التى قد تكون تحت إشرافهم ويشير إلى ذلك مجموعة من قرائن العصر المظلم إذ تظهر الطبقة العليا متحكمة فى كل مناحى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . وملاحظة نستور تكشف لنا أن الشخص الذى لا ينتمى فى عصره إلى مجموعة يكون فى وضع خطر .

أما عن genos فقد كان المؤرخون فى الماضى يعتقدون أنgenos اليونانية هى الأسرة بأوسع معنى للكلمة ، ورأوا أن genos هى مجموعة من الأفراد تجمعهم أواصر القربى ورابطة الدم عند اليونان الذين هاجروا فى حوالى ٢٠٠٠ ق.م . ويرى نفر آخر أن genos لم تظهر فى عصور ما قبل التاريخ والفترة الباكرة من العصر المظلم ، وقد وردت اللفظة عند هوميروس كثيراً ، ولكن فى رأى البعض أنها على ما يبدو لم تكن العشيرة أو الأسرة الممتدة ، ويرى نفر اخر أن العشيرة وجدت عند هوميروس ويدللون على ذلك بعائلة برياموس ملك طروادة إذ كان عنده خمسون ولداً واثنتا عشرة بنتاً وأزواجهم وأبناؤهم ويعيشون جميعاً سوياً فى قصر . فالعشيرة تتكون بشكل رئيسى من مجموع الأسرة والتى يدعى أعضاؤها أنهم ينحدرون من جد مشترك وكلهم يحمل نفس الاسم وهو اسم الجد وعلى الجميع أن يكرسوا لعبادة الجد المشترك .

ويرى علماء اخرون أن العشيرة قد وجدت نتيجة اتحاد عدد من الأسر الغريبة بعضـــها عن بعض لأسباب اقتصادية وسياسية وأدى هذا الاتحاد إلى قيام العشيرة .

ونواة المجتمع الهومرى هى الأسرة والتى أطلق عليها مصطلـــح oikos والـــذى يعنى الأسرة وممتلكاتها الثابتة والمنقولة من كل نوع . وهذا المجتمع كان يتكـــون مـــن عدد من الأسر وعلى رأس كل oikos بطل وكان هذا البطل مسئولاً عن تصريف شئون الـــ oikos جميعها ، سواء بالنسبة للأفراد أو الممتلكات ، وكان الأفراد يتكونـــون مـــن الزوجة والابناء والأحفاد والعبيد والاتباع . وكان العبيد من الذكور والنساء ، وكان يتـــم شراؤهم ، ومنهم يومايوس Eumaeos والذى أخذ رهينة وبيع لأسرة اوديسيوس ، كمـــا أن مصطلح Therapon الوارد فى الإلياذة والأوديسة له معانى كثـــيرة ومنـــها التـــابع والصديق ، ومن أمثال هؤلاء فونكس Phoenix وباتروكلوس كانا صديقين لأخيل ، كما نجد أن أغلب هؤلاء الأتباع غير معروف الأصل فيما عدا قلة منهم كانوا من الفـــارين من عائلاتهم وأغلبهم كانوا ضحية سوء الحظ وحصلوا على الأمن والأمـــان والمكانـــة عندما الحقوا أنفسهم كأتباع لبعض العائلات الثرية (oikoi) وفى أغلب الأحوال كـــانت العائلة تقبلهم فى oikos بغرض الوجاهة وزيادة قوتها العسكرية فكلما زاد عدد الاتبـــاع زادت قوتهم العسكرية .

وهكذا نجد أن معنى oikos يغطى أكثر من مظهر فله مظهر انســـانى ومظـــهر اقتصادى وكان من الناحية الاقتصادية من الافضل أن يكون الـــ oikos مكتفيـــاً ذاتيـــاً وانتاج كل ما يحتاج إليه ، والإنتاج كان يوضع بين يدى رب oikos والذى كان عليه أن يوزعه حسب رغبته وهواه . ولهذا فان الـــ oikos يكون وحدة إنتاجية واستهلاكية وأن

أغلب احتياجاته كان يتم تلبيتها من موارده ، دون الحاجة إلى إقامة علاقات خارجية وبعيدة عن المقايضة التجارية وسنعود للحديث عن ذلك عند الحديث عن اقتصاديات الأسرة . وهكذا فقد كان لأرباب الأسر سلطة مطلقة فى تصريف شئون oikos الاقتصادية . أما المظهر الإنسانى فكان لكل من رب oikos ورب العشيرة سلطات واسعة من الناحية الدينية والقضائية أيضاً .

فرب الأسرة أو رب العشيرة هو كاهنها الذى عليه أن يقيم الاحتفالات ويقدم أو يشرف على تقديم الأضاحى ، أيضاً هو التقاضى بين أفراد بيته وعشيرته فيما ينشب بينهم من نزاع وخلاف ويحكم فى قضايا القتل وأيضاً فى الجرائم الأخلاقية خاصة العلاقات غير الشرعية الآثمة . وكان يحكم بالإعدام على مقترف الإثم فسوء سلوك الابنة والأتباع والخدم كانت عقوبته الموت أو الطرد ، فقد شنق أودبسيوس الإماء اللواتى أقمن علاقات جنسية مع الخطاب وعصوا سلطة بينلوبى زوجته ومديرة البيت ، كما أنَّ راعى الماعز ميلانثوس الذى ثار ضد سادته كانت عقوبته التشويه وفى حالة ارتكاب الزوجة لجريمة الزنا كان يحكم عليها بالموت أحياناً وبالطرد أحياناً أخرى ، وجريمة قتل الزوج من قبل الزوجة هى القتل . إن عقوبة الطرد كانت موتاً نظرياً وكان الطرد مصحوباً أحياناً باللكمات والرجم بالحجارة وكان يخرج من موطنه . وكانت هناك عقوبة معتدلة وكانت تأخذ شكل atimia أى الحرمان من الحقوق المدنية وكان يعزل فى مكان ما بالضيعة ويعيش على الصدقات . كما أن المنتحر الذى أجرم بإراقة دماء العشيرة كان يعامل مثل الأحياء فكان لا يدفن جسده وكان يشوه بقسوة أحياناً .

وإذا كانت سلطة الأب (رب الـ οἶκος) مطلقة فى تصريـف شـئونه ، فـإن الأشعار تكشف لنا عن قلق واهتمام بعض أرباب الأسر حول نسائهم ، وأبنائهم الذين كانوا مصدراً للسعادة وضماناً لاستمرار العائلة وأتباعهم وأخيراً ممتلكاتهم .

ففى الأوديسة نجد أوديسيوس يشكر الملك الكينوس على حُسن وكـرم ضيافتـه وعلى الترتيبات التى أعدها له من أجل عودته إلى وطنه إيثاكا بتلك الكلمـات "فحينمـا أعود أتمنى أن أجد زوجى الطيبة بالمنزل ومن أعزهم فى صحة جيـدة ، وأتمنـى أن تكونوا أنتم الفاكيين مصدراً لسعادة أسركم وزوجاتكم الطيبات وأطفالكم ، أتمنـى مـن الإلهة أن يمدوكم بكل البركات وألا يمسس أهليكم الضـر" . وفـى الإليـاذة نجـد أن المتعاهدين من الطرواديين والآخيين قد استنزلوا اللعنات على من يخرق شروط الاتفـاق بأن تشق عقولهم وعقول أبنائهم أيضاً ، وأن تسترق زوجاتهم لآخرين . ولما كان الأبناء زينة الحياة الدنيا ، فإننا نجد أن والد فونيكس قد لعنه عندما أغوى عشيقته بتحريض من أمه فقد تمنى ألا تكون له أبناء مدى الحياة ومن ثم مدمراً لآماله بألا تكون لـه ذريـة . ويعبر نستور العجوز عن سعادته بأبنائه بقوله "إن هبة العمر الأخضر والمديد للرجـل فى منزله أن يكون له بنون أذكياء وفرسان شجعان" . وقد تضرع أوديسيوس للآلهة بأن يصل إلى سن كبير مزدهر وأن يكون له ولد طيب صالح" . وقيل أن والد أخيـل قـد حصل على هبات طيبة وخبيثة من الإلهة ، فقد كان أكثر الرجال ثروة وحظاً ومع أنـه قد تزوج من زوجة إلهة إلا أن الإلهة قد مسته بالشر فلم يرزق إلا ولد واحد والذى قُـدر عليه أن يموت شاباً مما كان يعنى نكبة فى أسرته وذلك لعدم وجود خلف يعقبه فى ملكه وثروته . ويعبر أخيل عن حزنه العميق على موت رفيقه وصديقه باتروكلوس بقوله "فلا شيء أسوء من ذلك الذى أتحمله ، إلا إذا ما سمعت بموت والدى . . . ولا حتى إبنـى

المحبوب الذى يربى الآن فى اسكيروس Scyros . فقد امنت اننى الوحيد سأفنى ، ولكن باتروكلوس سيحضر نيوبطوليموس إلى فثيا Phthia ويريه كل شىء : كنوزى ، خدمى، وصالتى ذات السقف الساحق .

وإذا كان الأبطال حريصين على أسرهم وممتلكاتهم فقد كان موت البطل دفاعاً عن أسرته وذماره يمكن احتماله فيقول هيكتور "قاتلوا جميعكم بالسفن ، فإذا ما ضرب واحد منكم بسهم أو بحربة فيلقى حتفه ، ينبغى أن يموت أنه لشىء محمود أن يموت الرجل وهو يدافع عن وطنه ولكنه سيترك خلفه زوجة وابناء امنين مع بيته وأرضه عندما يبحر الآخيون إلى أوطانهم فى سفنهم .

ويخاطب هيكتور زوجته أندروماخى قائلاً :"اننى لموثق بأن بريام وقومه وطروادة المقدسة سيكون نصيبهم الهلاك ، ولكن لا طروادة ولا القوم فيها حتى ولا أمى وأبى مما يشغل قلبى بقدر ما يشغله ذلك اليوم الذى قد يأتى عليك ، وفيه يحملك أحد الأخيين أسيرة تكدحين فى النسج فى أرض الأخيين ، فيراك أحد الناس فيقول هذه امرأة هيكتور . . ليت الأرض تطبق علىّ قبل ذلك اليوم" . ثم نجد أندروماخى وهى ترثى زوجها بقولها "لقد قتلت وأنت فى ميعة شبابك وتركتنى للأيم . أما ولدك وولدى فلا يزال طفلاً ، وأخاف ألا يدرك الشباب ، فتسقط هذه المدينة قبل ذاك . وقد ذهبت عنها ، وانت حامى ذمارها ، وسيحملوننا قريباً أمهات وإطفالاً إلى السفن . وستكون أنت يا ولدى معنا نقوم على خدمة الغريب فى أسر شائن . ولعل أحد الأخيين يصرعك ثم يمسك ويقذف بك من فوق السور ، أجل أحد الآخيين الذين قتل لهم هيكتور فى الحرب أباً أو ابناً أو أخاً . . . "فمصير المدينة المستولى عليها يمكن أن يستحضر أسوأ الصور – كما سبق أن ذكرنا

وما ستؤكده قصة البطل ميلياجر نجده لا يصغى لمناشدات والده وأمه وأخوته وأقرانه وأصدقائه الذين شعر نحوهم بالحب ، كى يقاتل ، حتى توسلت إليه زوجته كليوباترا وهى دامعة بكلمات تذكره بكل أنواع المعاناة والمآسى التى تحل بالرجال الذين يتم الاستيلاء على مدنهم فى الحرب والنزال فيقتل الرجال وتأتى النيران على القلعة ويحمل المنتصرون الأطفال والزوجات المملوءة بالصحة سبايا .

ولم تكن العلاقات الزوجية هى موضع الاهتمام الوحيد للأبطال الهومريين فقد كان نسبهم وشجرة عائلتهم مهماً أيضاً ، فالأبطال كانوا يعرفون بأسماء أسرهم ، والبعض منهم ذكر بأسمائهم وأسماء ابائهم . والبعض الأخر يذكر عدداً من الأجداد . فالبطل جلاوكوس يعدد شجرة نسبه عبر خمسة أجيال من الأسرة . وبطل اخر هو أوخثيوس يتتبع شجرة عائلته عبر ستة أجيال . ونجد بعض الأبطال يحبون أن يعودون بنسبهم إلى إله مثل أخيل وأيدمونيس ومثل أهل فاكيا الذين أغضبوا بوسيدون غضباً يفوق الحد لأنهم أنقذوا أوديسيوس وأعادوه إلى إيثاكا محملاً بالهدايا . ومما ضاعف من حزنه وغضبه – على حد قوله – أن أهل فاكيا ينتمون إلى سلالته . ويقدم لنا أوديسيوس، فى وصفه لرحلته إلى العالم الآخر ، فصلاً طويلاً يستعرض فيه نساء يتفاخرن بأنهن أنجبن أبناء من زيوس أو بوسيدون .لكن العكس نادراً – حتى أن كاليبسو احتجت " أيها الإلهة انكم غير رحماء ، تغارون بصورة لا تبارى فتنقمون على الهات يتصلن بالرجال صراحة ، إذا اتخذت واحدة منهن من رجل عزيز على قلبها شريكاً فى فراشها . وكان التفاخر بشجرة النسب والعائلة يلزم البطل بأن يتصرف على نحو بطولى مشرف فإدعاء البطولة فضيلة ، فأوديسيوس المتنكر طلب من ولده تليماخوس ألا يخزى جنس والده الذى كان فى الماضى يتفوق بفضل شجاعته ورجولته

فى كل الأوقات وكما ناشد نستور الآخيين بأن يتصرفوا بشكل سوى فطلب منهم أن يضعوا ايدوس فى قلوبهم وأن يتذكروا أسرهم وأطفالهم وممتلكاتهم وابائهم ولم يكن المولد النبيل كافياً للمحافظة على ادعاء البطولة فكان يجب على البطل أن يتوفر له شروط أحرى ومن أهمها القوة والمقدرة القتالية الضرورية ليس لحماية أسرته وممتلكاته من المغيرين فحسب بل أيضاً لزيادتها عن طريق السلب والنهب كما كان على البطل أن يكون قادراً على الثأر والانتقام بنفسه من الأشخاص الذين يتحرشون به وأهل منزله وممتلكاته . وكانت مكانة البطل تعتمد على عدد أفراد أسرته ونوعيتهم واتباعه . فخطاب بينلوبى لم ينكروا على تليماخوس أن يكون سيداً لمنزله ومن ثم عضواً فى دائرة الأبطال ، فقد كان مصدر خطر عليهم ، وذلك من خلال دعوته الجمعية الشعبية الانعقاد مما أكد تفوقه وامتيازه ، خاصة وأن دعوة الجمعية الشعبية على ما يبدو كانت قاصرة على الملك وحده ، وأيضاً من خلال تكوينه لنفسه اتباعاً وتجهيزه سفينة ببحارتها واقلاعه إلى كل من مملكة بيلوس واسبرطة متحدياً بذلك رغبات الخطاب الذين تسأل البعض منهم عن نوعية الاتباع هل هم من أخيار نبلاء أتيكا أم من اتباعه الشخصيين ؟ فكانت الإجابة هى أنهم من أخيار الناس من بعدهم . ولذا فقد بدأ بعض الخطاب يشعر بالخطر وبدأوا فى تدبير مؤامرة لقتله والخلاص منه.

لقد كان الشغل الشاغل لرب الأسرة "البطل" أن يحافظ على رخائها وحماية ممتلكاتها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فإذا ما فشل فى حماية ممتلكاته فإن ذلك يعنى الخراب المالى له ولأسرته وفقده لكرامته ووضعه البطولى . وتكشف لنا الأشعار أن الأسرة النبيلة التى ليس لديها القدرة على الدفاع عن أملاكها قد تكون فريسة للأسر الأكثر قوة . فممتلكات أوديسيوس كانت تستنزف وتهدر من قبل خطاب بنيلوبى التى

تخاطبهم بعد أن نفذ صبرها . "أيها الخطاب الذين تلتهمون ما فى المنزل بحجة أنكم تريدون الزواج بى ، هاكم الآن محكاً لمهارتكم هاكم قوس أوديسيوس فمن استطاع منكم أن يحنيها بيديه فى سهولة ويرمى منها سهماً . . . . فهو الذى سأتبعه مغادرة هذا المنزل الذى لن أذكره إلا فى الأحلام ، ويقول أوديسيوس للخطاب بعد أن كشف عن نفسه : ظننتم أيها الكلاب أننى لن أعود ، فالتهمتم منزلى وخطبتم ود امرأتى ، وأنا لا أزال حياً ، ولم تخشوا الأرباب ولم تحسبوا للناس حساباً ولهذا أتاكم جميعاً الهلاك بغتة. ولعل رد ايوريماخوس ، أحد الخطاب ، يعبر خير تعبير عن ذلك عندما يخاطب أوديسيوس بقوله فقد أسيء إليك اساءة فاضحة ، سواء أكان ذلك فى البيت أم فى الحقل، ولكن هو ذا الذى أثار كل هذا قد سقط أمامك ، وهو انطونيوس ، ولا أحد سواه ، ولم يكن يقصد إلى الزواج فقط بل كان قصده أن يملك على هذه الجزيرة ، بعد أن يدمر بيتك تدميراً ، ولكننا سنعيد إليك ما التهمنا من مالك عشرين ضعفاً . وإذا كانت عودة أوديسيوس قد أنقذت ملكه وماله من أيدى الطامعين فيهما ، فإن مخاوف اندروماخى إلى اسرتها إلى زوجها هيكتور قد تحققت .

وبعد أن عرضنا لقلق الأبطال على أسرهم وأولادهم وممتلكاتهم وتفاخرهم بأنسابهم وما ينبغى أن يكون عليه تصرف الأبطال لمواجهة المشاكل ننتقل للحديث عن وضع المرأة فى الأشعار الهومرية .

لقد تمتعت المرأة بمكانة اجتماعية عُليا وعلى الرغم من أن الإلياذة ملحمة قتال وحرب وسجال ، وتزخر بصور الشجاعة ، والبطولة وتمجد الرجل إلا أن الشاعر قد أفسح فيها مواضع لإبراز دور المرأة . وأما الأوديسة فهى : ملحمة طويلة حافلة

بالمغامرات ، وقصص البحار ودور النساء فيها أبرز منه فى الإلياذة حتى لقد قيل أنها كتبت لتمجيد المرأة . فالحرب الطروادية نشبت بسبب إغراء هيلينى ، والعريقة النسب، لغز الأنوثة ذات جمال أخاذ ، وكان الزواج منها سنداً قوياً ، إن لم يكن سنداً شرعياً ، لمنيلاوس .[وكان النسب إلى الأم أمراً مألوفاً فى بلاد اليونان خلال عصرها القديم بل إن الانتساب إليها كان يعد شرفاً كبيراً] . وكانت ولاية العرش تتحقق بالزواج من الملكة . إذ صار إيجستوس Aegisthus ملكاً على موكيناى بزواجه من كليتمنسترا وفى أتيكا كان تليماخوس بن أوديسيوس يقوم بدور الوصى على أمه بينلوبى ، فيما يبدو، غير أن العرش كان سيؤول حتماً إلى من تختاره الأم زوجاً من بين الخطاب .

كانت زوجات الأبطال تعامل باحترام ، ويتمتعن بحرية الاختلاط بالرجال دون قيود وتجالس بينلوبى رجال البلاط فى غياب زوجها أوديسيوس وتحظى بالحفاوة والتكريم حتى من هؤلاء الخطاب الذين طارحوها الغرام وعرضوا عليها الزواج والذين لم يتحرجوا من العبث باماء القصر ، ويصور الشاعر بينلوبى على أنها رمز للقلق والوفاء الشديد ، وتعيش حياة الذكريات والآمال بعودة زوجها ، لذا فهى ماكرة وجسورة، وتدبر كل من هيكابى زوجة بريام ، وأرتى زوجة الكينوس ملك فياكيا شئون بيتهما كما تدبر الملكات وكل منهما صديقة لزوجها وناصحة له ولعل الأخيرة أقوى مركزاً من الأولى لأن أوديسيوس يُنصح بأن يحوز رضاها قبل أى شىء آخر ، وهى تشترك فى الحديث فى البهو الكبير بالقصر مع زوجها الملك على قدم المساواة .

كانت هيلينى تحضر مجلس بريام ومستشاريه فوق أسوار طروادة وحتى عندما عادت إلى زوجها منيلاوس فى أسبرطة غُفرت لها زلتها وعاشت معززة دون انتقاص

من سمعتها أو مساس بكرامتها . قد ظهرت فى البهو بعد انتهاء كـل مـن تليمـاخوس وبيزاستراتوس من طعامهما ، وجلست على كرسيها الكبير ، وأمطرت زوجها بالأسـئلة عن الزوار ، ومثل سيدة مجتمع فقد بدأت تسترجع ذكرياتها بسـرعة والتـى تضفـى التكريم على أوديسيوس والد تليماخوس .

وكانت المرأة الهومرية تتحرك بغير قيود ولم تكن حبيسة المنزل كربة بيـت ـ فنجد أن هيليني ووصيفاتها كن يتحركن بحرية ، فعندما أخبرت ايريس Iris بشأن اقتتال زوجيها منيلاوس ، وبارس أسرعت بمغادرة منزلها وتسلقت جدران المدينة حيث يجتمع الشيوخ ، لتشاهد النزال بينهما . وعندما سمعت اندروماخى زوج هيكتـور بانسـحاب الجيش الطروادى اندفعت بجنون إلى جوار السكانيين ومعها مربيتها ، وطفلها الصغـير استياناكس Astyanax . وعندما سقط هيكتور تحت ضربات أخيل فإن والدته هيكوبـى كانت على سور المدينة وتلتف من حولها النسوة الطرواديات التى أعطت إليهن إشـارة النواح والنحيب ، وأريتى Arete كانت تنتقل بحرية حول المدينة والكل يحيونها . ونجد ابنتها ناوسيكا Nausicaa تخرج إلى أطراف المدينة فى صحبة وصيفاتها ، لغسل كتـان القصر .

ويصور الشاعر صيحات النساء التى تسمع خارج أسوار طروادة كما أن النسـاء كن يتشاجرن فى الطرقات . وتكشف لنا الصور على درع أخيل النساء وهـن واقفـات بأبواب منازلهن لمشاهدة حفل زفاف .

كانت النساء تتزاورن إذ توضح الإلياذة لنا زيارةً من هذا النوع فى الكتاب الثالث عشر نجد ثيتيس Thetes ، والدة أخيل ، تذهب إلى بيت هيفايستوس الحداد ، لتطلـب

منه أن يضع أسلحة لابنها ، وتستقبلها زوجنه خاريس فتأخذ بيدها لادخالها وإجلاسها بعد أن خاطبتها باسمائها وألقابها المقدسة . وعلى الرغم من أن هذه الصورة لمجتمع الآلهة ، إلا أن حياة الآلهة تكون عند هوميروس صورة مطابقة لحياة البشر . إذ نجد أن أندروماخى كانت تزور أقاربها .

وإذا كانت المرأة لم تكن مقيدة الحركة وتمتعت بمكانة سامية فى المجتمع الهومرى ، إلا أن هوميروس لم يقدم لنا صورة للمساواة بين الرجال والنساء أو إمكانية ممارسة أو المشاركة فى الحياة العامة فلا يشتركن فى الحرب أو السياسة أو الحكم أو الإدارة . فمناقشة الأمور العامة كانت شأن الرجال . فقد أمر تليماخوس والدته أن تنسحب من الحجرة فى مناسبتين : أولهما : عندما قرر أن يدعو الجمعية الشعبية للانعقاد ، وثانيها : عندما أكد حقوقه فى التخلص من القوس فقد أمرها بالذهاب إلى الداخل للقيام بأعمالها ἔργα ومنها النسج على نولها وأن تأمر إماءها بأن يقمن بأعمالهن بهمة . أن المناقشة μῦθος من شأن الرجال منهم ومنى فأنا صاحب السلطة فى السيطرة (κράτος) فى هذا المنزل .

وتكشف لنا الأشعار الهومرية أن النسوة من بطلات وملكات كن نسوة محبات للمنزل . وكان لهن أجنحة خاصة بهن بينما كان للأزواج أجنحتهم ، فكان للزوج حجرته الخاصة والتى كان يدعو زوجته بها ، وأيضاً بعض الخليلات . ففى منزل أوديسيوس كانت هذه الحجرة فى الطابق الأرضى ، بينما كانت حجرة بنيلوبى Thalama على التراس . فوق البهو ، والتى كان يمكن الوصول إليها عبر سلالم المنزل. وكانت حجرات النساء مزودة بمدفأة حيث توقد النار بها فى ليل الشتاء وحتى

فى الصيف ليحصلن منها ليس على الدفء فحسب بل أيضاً على الضوء . وكانت النساء تستخدم أحواض معدنية للاستحمام فى حجراتهن ففى أثناء إقامة منيلاوس فى مصر بطيبة فإنه قد أهداه مضيفة بوليبوس Polybus حوضين من الفضة ، وكانت النساء يحصلن على وجباتهن فى حجراتهن ولا يشاركن الرجال فى وجباتهم ولا مآدب الضيوف فى البهو . وكن عندما ينتهى الرجال من طعامهم ومآدبهم كانت النساء تلحقن بهم وحتى أكثر من ذلك فقد جلس بعضهن على رأس الجموع وهذا ما فعلته أريتى . وعندما أقبلت هيلينى بعد انتهاء الضيفين من طعامهما وجلست فى كرسيها الكبير فى البهو .

ونساء الشعر الهومرى قد قمن بالغزل والنسج والتطريز والاشراف على إماء وخادمات المنزل بمساعدة واحدة منهن أو أكثر . فكن يشرفن على صنع وتنظيف الملابس لكل الأسرة ، الرجال والنساء ، وكن يقمن بعمل الخبز ، والكعك المستدير ، وطهى الخضر من الفاصوليا والعدس وعمل الشربة والحلوى ، بينما كان الرجال فى المناسبات والاحتفالات والولائم يقومون بتقطيع اللحم وشوائه ، وقد رأت أن من الواجب عليهن استقبال الضيوف بكرم ومودة فكن يشرفن على ترتيب سرير مريح فى المدخل للضيف .

وتكشف لنا الأشعار الهومرية أن نساء الطبقة العليا كن يولين اهتماماً كبيراً بزينتهن ، وكن يقمن بذلك فى حجراتهن ، فعندما كانت ترغب الإلهة هيرا فى زيارة زوجها الإله زيوس ، كانت تتزين بكل ما يجعلها جذابة وفاتنة إذ نجدها عطرت جسمها الجميل بعد أن تنظفه من الأوساخ والشوائب وارتدت Inos وهو رداء طويل ذات ثنايا وكسر ، وتزينت بمجوهراتها . وكان صندوق الحلى والمجوهرات لسيدة نبيلة هاماً

وهذا ما يظهر من الهدايا التى قدمها الخطاب لبينلوبى فبجانب الرداء peplos * . كما أنه كان يطلق على القماش العريض المطرز ، ويطلق أيضا على مفرش المنضدة الطويل المطرز والمحلى باثنى عشر دبوساً ذهبياً ذات أسنان ملتوية ، ونجد سلسلة من خرز الكهرمان ذات خلفية ذهبية عتيقة الطراز مثل تلك التى قدمها التجار الفينيقيون لوالد يومايوس عندما كان طفلاً . وكانت نساء الطبقة العليا فى طروادة يلبسن Inos وكان ثوباً رسمياً يرتدى فى المناسبات ، بينما كان الزى اليومى بسيطاً فقد احتوى على رداء مستقيم "الخيتون" وبقدر ما كان طويلاً وفقاً للسن والمقام ، وكان يلبسه الرجال والنساء على حد سواء وكان هذا الرداء مقلماً أحياناً وفى أحيان أخرى كانت ألوانه زاهية للغاية . وهناك نوع آخر من القماش يمتاز بنفس الألوان الزاهية وإن كان نسيجه أفضل وأرق وكان يوضع على الأكتاف ، وكان هناك pharas الذى يلف حول الوسط ويشد بحزام ويخدم كمعطف للرأس .

ويبدو من الوهلة الأولى أن أردية النساء كانت مصممة لتغطيتها بدلاً من التأكيد على تقاسيم جسدها ، وكانت الأناقة عموماً فى نوعية الملابس الكتانية أو الصوفية الراقية أكثر مما هو فى التفصيلة . وكانت النساء يستخدمن الصنادل ذات النعال الجلدية البسيطة وتربط بشرائط جلدية منمقة حول مفصل القدم .

---

* Peplos هو رداء دورى عريض خارجى للنساء يتكون من قطعة واحدة ويشبك بدبابيس عند الكتفين ولطول حسب الرغبة . ويطلق الفيا على الثوب الذى تطرزه الفتيات الأثينيات ليحمل فى موكب فاخر إلى معبد البارثيون لإهدائه للربة أثينا فى عيدها

وتكشف لنا الأشعار عن أنه كان لبعض الأبطال عشيقات من العبيد أو من أسيرات الحرب ، بجانب زوجة واحدة فقط أو زوجات وهى أو هن اللواتى عقد عليها أو عليهن الزواج . لقد كان هدف الأبطال هو إنجاب الأطفال ولذا فقد كانوا مستعدين لتربية أطفالهم من أكثر من زوجة ، كما أن الخط الفاصل بين الزوجة والخليلة كان رقيقاً للغاية فالزواج كان حقيقة وليس قانوناً فى الواقع . إن رجلاً وامرأة يعيشان معاً فى منزل ومعلنون زواجهم للناس كانا يعدان بمثابة أزواج والزواج بين العائلات كان حقيقة معترف بها وله سمات العقد المقدس . والزواج لم يكن عملاً شرائياً فكان الزواج مصحوباً ببساطة باجراءات تبادل الهدايا ، ولم تكن المرأة كما يردد بعض الكتاب مملوكة كأى شىء لزوجها ، ولكن كان سيدها فيمكنه أن يعاقبها أو يطلقها إذا ما عرضت منزله لفضيحة كبيرة ، وكان يمكنه قتلها فى حالة الزنا وإن كان حذراً فى عدم فعله لأن هذا قد يؤدى إلى الثأر منه من قبل أسرتها . وهكذا فإن الخوف من غضب والد الزوجة قد يؤمن وضع الزوجة . ومع ذلك فقد كان للزوجة حقوقاً مسلم بها وغير قابلة للنقاش ولكنها غامضة ، فعقب انتهاء الاحتفالات المحددة للزواج كان يصبح من حق الزوجة الشرعية **أولاً** : أن تحصل على مكان منفصل فى القصر أو منزل زوجها . وأن يكون لها مكانة علية مثلما الحال بالنسبة لأريتى عند الملك الكينوس . فقد أكرمها الكينوس خير إكرام ، وقدرها تقديراً عظيماً ، كما نظر إليها ابناؤها وذويها على أنها إلهة يلقون عليها بالتحية والسلام ، وغدوها ورواحها إلى أى مكان فى المدينة . ولم يكن ينقصها الحكم فقد كانت تقوم باصلاح ذات البين بين صديقاتها وازواجهن . لقد كانت أريتى زوجة مثالية لسيد عظيم مثالى ، وبالمثل بينلوبى التى كان لها سلطتها فى منزلها عندما لم يبلغ ابنها سن الرشد . **ثانياً** : ألا يكون لزوجها خليلة : فقد كان بعض

الأزواج يخشى غضب زوجاتهم إذا ما أقمن علاقة غرامية مع أخريات . فقد كانت والدة أوديسيوس أنتيكليا Anticlia سيدة قوية الشخصية وتملك بناصية الأمور فى بيتها ، فعلى الرغم من إعجاب زوجها لأرتيس بالأمة يوريكليا Euryclia الشـابة فكـان لأرتيـس يخشى غضب زوجته إذا ما ضاجع يوريكليا . وتكشف لنا قصة أخرى عن عدم رضاء الزوجة عن سلوك زوجها ففى الالياذة نجد امينتور Amyntor قد فتن بأمة شابة وأهمل زوجه والدة ولده فونيكس ، فحرضت الأم ابنها على أن يقوم بغواية عشـيقة والـده ، فأطاعها ابنها ونجح فى أن يوقع عشيقة والده فى شباك حبه فاعرضت عن والـده مما أثار غضبه ولعنه اياه .

وإذا كانت بعض الزوجات قد ثرن على العلاقات غير الشرعية لأزواجهن فـإن البعض الآخر منهن قد وافق على تلك العلاقة أو غضضن الطرف عنها ، لقـد كـانت الخيانة الزوجية شائعة حتى تحت سقف الأسرة وسهلة المنال لأن حجرة السـيد كـانت وسط أجنحة الحريم بينما كانت حجرة الزوجة فى جزء اخر مـن المـنزل . وبعـض الأبطال كان يفضل الخليلة على الزوجة فكان أجاممنون يفضل أسيرته خريسيس كعشيقة على زوجته كليتمنسترا ، ويقول أخيل لقد أحببت بريسيس أسيرة رمحى من كل قلبـى ، والتى فى رثائها على باتروكلوس نجدها تقول "أنه كان يواسيها حتى عندما قتل أخيـل السريع زوجى واستولى على مدينتنا فإنك يا بتروكلوس لم تسمح لى بالبكاء وكنت تقول لى إنك سوف تجعلنى الزوجة النبيلة لأخيل العظيم ، وسيبحر معى إلـى فثيـا Phthia ونحتفل بالزفاف ". لقد كان وجود خليلات ومحظيات جزءاً من سياسة الأسـرة، فمـن الحكمة فى بعض الحالات أن يكون للمرء أبناء غير شرعيين والذين يرثونه فى حالـة عدم وجود ابن غير شرعى . وخير نموذج على ذلك هو أن هيلينى ، التى لم تنجب ولداً

ذكراً ، قد وافقت منيلاوس على تطلعه أن يكون له ولد ، ولذا نجدها قد اشرفت بنفسها على زواجه أو علاقته بأمة وكان ثمرة هذه العلاقة انجاب ابنه غير الشرعى ميجابنثيس Megapenthes . ثالثاً : أن بعض الزوجات قد حصلن على رعاية شئون الأسرة فى غياب الزوج وعدم وجود ولد قد بلغ سن الرشد وإذا ما حاولنا تذكر قول أوديسيوس لزوجه عندما كان يجهز نفسه للذهاب للحرب فقد تصور إمكانية عدم عودته تماماً ولذا نجده قد أعطاها المسئولية عن الميراث وعن أقاربه وابنه حتى يبلغ سن الرشد إذ يقول " عندما تنظرين إلى ابنك ويصير رجلاً ذا لحية وتزوجيه المرأة التى يريدها ويترك منزلك ، فالأرملة تكون بمثابة سيدة الميراث وأن لم تكن وريثته ، طالما أن ابنها قاصر، فإذا ما بلغ سن الرشد ينقل إليه الميراث . وحتى على الرغم من بلوغ تليماخوس لسن الرشد فإننا نجد بنيلوبى تعطى لنفسها الحق فى توبيخه.

وتكشف لنا الأشعار عن دوافع الزواج السائدة فى المجتمع الهومرى ، فنجد أن بعض الآباء من الأبطال الهومريين قد سعوا إلى تأمين قوة حربية إضافية وذلك بزيادة أتباعهم من الفرسان للدفاع عن أسرهم وممتلكاتهم وغالباً ما كان يتم تزويج هؤلاء الفرسان من بناتهم الكريمات المحتد لضمان ولائهم . فنجد أن أزواج بنات بريام الإثنى عشر قد التفوا حوله وكانوا يسكنون قصره ولذا نجد اسبرتون يزعم أن هيكتور كان يمكنه أن يحكم طروادة ويمسك بزمام الأمور بها دون حاجة إلى تجنيد قوات أو حلفاء ولكن فقط بأخوته وأزواج أخواته .

ونجد بعض القادة "الملوك" يقدمون وعوداً بتزويج بناتهم لمحاربين أفذاذ مقابل خدماتهم مثلما فعل بريام مع أورثنيوس ، وكما فعل أجاممنون فقد وعد أن يزوج أخيل

إحدى بناته بعد الحرب . وأبطال اخرون قد تم إهدائهم عرائس من قبل ابائهن لشجاعتهم مثل بيلليفرون ، وأوديسيوس الذى عرض عليه الكينوس أن يزوجه ابنته ناوسيكا .

ودافع آخر للبحث عن زوج للابنة هو الحرمان من الوالد سواء أكان شـــرعياً أم غير شرعى ، فقد سعى كيسيس Cisses والذى على ما يبدو لم يكن له ولد ، وقد ســعى للحصول على وريث له وذلك بتربية حفيده إفيداماس Iphidumas وتزويجه إياه لابنتـــه الثانية .

وتكشف لنا الأشعار عن أنماط للزواج ومنها :

١- أن والد البطل كان يذهب يبحث لابنه عن عروس ، وهذا ما قام به الملك منيـلاوس من أجل ابنه ميجابنثيس ، ويدعى أخيل أن أباه سوف يبحث له عن عروس عندمــــا يعود إلى وطنه بعد الحرب ، فهناك العديد من بنات القادة ، الذين يحكمون القــلاع ، سوف أتزوج واحدة منهن والتى أرغبها ويقع عليها اختيارى ولكن من المفـترض أن والد العروس فى هذه الحالة سيكون سعيداً لأن يعطى ابنته لأخيل كزوجة ونلاحـــظ هنا أن أراء البنات لم تذكر قط فى أى موقع .

٢- أن والد العروس كان يمنحها لقائد عظيم لتكون إحدى زوجاته وهذا النمط على مـــا يبدو كان قاصراً على طروادة وعلى الملك بريام وحده ، فقد أعطــــاه والـــد التيــس Altes كزوجة له ولم تكن الزوجة الوحيدة . وقد قدم والدها لها الكثير من الهدايا .

٣- الزواج من السبايا مثل بريسيس Brises وأيضاً هيلينى وكليتمنسترا اللتــــان كانتـــا متزوجتين لازواج زناة هما باريس وأجاثيوس .

٤- الزواج من خلال المنافسة بين الخطاب ، فكان على الخاطب لنيل يـد ابنـة أحـد الأبطال ، أو زوجة بطل مجهول المصير أن يتنافس مع منافسيه فى مسـابقة مـن المسابقات . ومن الأمثلة على هذا حصول ميلبوس على بيرو Pero فى فوزه فـى المنافسة التى أعدها نيلوس والدها ، ومع ذلك لم يتزوجها ، بـل زوجـها لأخيـه . وكان على بنيلوبى أن تختار زوجها الثانى من خلال التنافس فى المسابقة بـالقوس بين ما يزيد على مائة خاطب والذين كانوا قد مكثوا فى بيتها أملين أن تختار واحـداً منهم . ويبدو أن العادة هى أن والد العروس عندما يقرر زواج ابنتـه فإنـه يعلـن الأمر ويدعو الخطاب كى يتقدموا لخطب ابنته ، وكان الخطاب من كافـة المنـاطق يزورون والد العروس الذى كان عليه أن يسكنهم ويستقبلهم كضيـوف ويقيـم لـهم وليمة ، وبالطبع لن يحضروا خالى الأيدى ، فقد يحضرون الطعـام لـرب البيـت وهدايا شخصية للخطيبة "ملابس وأغطية ، وحلى" . ويختلف كـم وكيـف الـهدايا والحفلات وفقاً للوضع الاجتماعى للأطراف صاحبة المصلحة . فنجـد أن بنيلوبـى تذكر خطابها بكل ما سبق ذكره بالتفصيل إذ تقول : " إن الرجـال الذيـن يـودون كسب ود امرأة نبيلة ، ابنة رجل ثرى ، يتنافسون مع بعضـهم بعضـاً ، ويجلبـون معهم من انعامهم ، ومن خرافهم وثيرانهم دون أن يطلب منهم ، حتى يقيموا الولائـم ويحتفلوا بأصدقاء السيدة ويقدمون لها الـهدايا الرائعـة . فأجابـها أحـد الخطـاب "أنطيتوس" تقبلى الهدايا التى نحضرها لك يا بنيلوبى إذ لا يليق أن ترفضى الهديـة ، ولكن اعلمى أننا لن نبرح ساحتك حتى تختارى أفضلنا زوجاً لك . وافق الخُطَّـاب على كلامه وأرسل كل رجل منهم تابعه ليأتى بهديته ، فكانت هدية أنطينوس ثوبـاً موشى فضفاضاً فى غاية الجمال ، مع اثنى عشر مشبكاً واثنى عشـرة رصيعـة ،

بينما كانت هدية أوريماخ سلسلة بديعة الصنع انتظمت فيها خرزات من الكهرمان ، وقدم أوريداموس قرطين تدلت منهما ثلاث حبات من اللؤلؤ ، وأهداها آخر حلية نفيسة ... الخ.

إن إدخال البهجة ، والسرور فى بيت العروس لم يكن إشارة مجاملة ، أو وسيلة للحصول على ثروة فحسب بل أيضاً كانت مناسبة للتنافس الحقيقى بين الخطاب ، فكانوا يلقون الخطب أو يغنون ، ويرقصون أو يتحدى بعضهم بعضاً فى الألعاب الرياضية لإبراز قوتهم العضلية ، ومهاراتهم الشخصية . ويبدو أن هذه العادة استمرت فى بلاد اليونان فيما بعد إذ يروى لنا هيرودوت أن كليسثينس Cleisthenes طاغية سيكيون Sicyon بعد انتصاره فى سباق العربات التى يجرها أربعة خيول فى أوليمبيا جعل منادياً يعلن أن كل الرجال الشباب الذين يرون فى أنفسهم أنهم يستحقون الزواج من ابنته أجاريستى Agareste ، فإنه سوف يستقبلهم بعد ستة أيام ، وبالفعل توافد عليه اثنى عشر خاطباً من زهرة شباب اليونان ، وحلوا ضيوفاً عليه لمدة عام أبهجهم فيها كليسثنيس ، فكان قد جهز حلبة المنافسات للمصارعة والجرى ، وكان غرضه من ذلك أن يدرسهم ويراقب تصرفاتهم ــ خاصة على المائدة ــ وشهامتهم وشخصيتهم ، وأحلامهم وتعليمهم . وفى نهاية العام فقد انحصر اختياره بين اثنين منهم هما ميجاكليس Megacles وهيبوكليديس Heppoclides مع ميله للأخير ، وعندما اقترب موعد إعلان اختياره النهائى ، فقد أقام وليمة رائعة ذبح فيها مائة ثور ؛ دعا فيها الخطاب ورجالات سيكيون وبعد شرب الخمر ، بدأوا يرقصون على أنغام الموسيقى ، ورقص هيبوكليديس الثمل على أنغام الفلوت ، وأخذ يقلد الاسبرطيين والأثينيين ، ثم قام بعمل نوع من الجسر بجسده ، بينما كان رأسه مستنداً على المنضدة وبدأ يومئ

برجليه فى الهواء ، ونتيجة رقصه وحركاته الماجنة أن صاح كليسثنيس لقد فقدت زواجك . وبعد ذلك طلب الهدوء وألقى خطبة قصيرة شكر فيها الخطاب وتأسف لمن لم يقع عليه اختياره منهم واعداً إياهم بأن كل واحد منهم سيحصل على مبلغاً قدره تالنتاً واحداً من الفضة . وأخيراً أعلن أنه اختار ميجاكليس ليكون زوجاً لابنته .

أما عن المهر ، والدوطة ، فكان الخاطب الذى يطلب يد خطيبة كريمة المحتد وابنة النبيل والمليحة الذكية ، من والدها ويتم الموافقة عليه ، كان يقدم مهرها ، أو هديتها Hedna ، وبعد أن يصحبها إلى داره الخاصة ، كان فى المقابل يتلقى من والدها دوطة (meilia) تناسب مركز الأسرة .

وكانت هذه الدوطة فى حالة طلاق ورجوع الزوجة إلى بيت أسرتها أو فى حالة وفاة زوجها وعودتها إلى بيت أهلها أيضاً من حق الزوجة ، فلم يهمل تليماخوس أن يذكر هذه الحقيقة إلى الخطاب الذين طلبوا منه أن يرسل أمه إلى أبيها .

إن الفتاة ، أو السيدة ذات الحسب ، والنسب ، والمواهب العظيمة كانت محل منافسة بين الخطاب ونسمع عن خطاب يتنافسون بالهدايا خاصة فى الأوديسة سعياً لطلب يد بنيلوبى . ولكن يجب أن نذكر أنه عندما تذكر hedna لبنيلوبى وبعد أن قال ابنها إن من يريد الزواج منها فليذهب إلى أبيها ليطلب منه . ومن المستنتج أنها ستذهب إلى منزل زوجها الجديد وأن هذا الزوج لن ينتقل إلى منزلها هى (أو منزل أوديسيوس).

وهكذا فمن الواضح أن مناسبة الزواج من هذا النوع كانت بالنسبة للأبطال الهومريين مماثلة لأى مناسبة من المناسبات الاجتماعية الأخرى والتى يتم فيها تبادل الهدايا .

ولكن عندما يكون البحث عن العريس من قبل والد العروس لابنته ، ففي هذه الحالة فإننا لا نسمع عن أن العريس قد قدم hedna . ولعل مساهمة العريس بخدماته أو بمساعدة أسرته لأهل عروسه كانت أكثر قيمة من الهدية hedna . ولعل عرض أجاممنون على أخيل أن يزوجه إحدى بناته ويعطيه الكثير من المدن دوطة لها خير انموذج على هذا النوع من العلاقة .

وكانت مراسم الزواج تتكون بشكل رئيسي من النقل المقدس للعروس من منزل والدها إلى منزل زوجها . وكان يسبق هذا الانتقال وليمة بهيجة eilepine يقيمها والد العروس ، وعندما يأتي المساء ، على الأقل بالنسبة للأسر الثرية ، تنتقل العروس إلى عربة على ضوء المشاعل ويصاحبها موكب ملائم لطبقة العروسين ، وقد قدم هيفايستوس عدداً من هذه المواكب في منظر من المناظر التي نقشها على درع أخيل ، والتي تقودنا إلى افتراض أنه ينبغي الاحتفال بالزواج ، ففي أحد المناظر نجد حفلة زواج قد زين فيها مدينتان ، ففي إحداها كانت احتفالات الزواج تتم على أضواء المشاعل المتوقدة ، وقد تم مصاحبة العروسين في موكب عبر المدينة ، وكانوا يغنون فيه أغاني الزواج بصوت مرتفع ، بينما كان الفتيان يرقصون في حلقات على أنغام المزمار والقيثارة ، وبينما كان الموكب يمر عبر الشارع كانت النساء يقفن في شرفات منازلهن .

وبعد انتهاء موكب الزواج والوصول إلى بيت العريس كانت الخطوة الأخيرة هي إدخالها إلى حجرة زفاف العريس .

وتكشف لنا الأشعار عن خيانات بعض زوجات الأبطال وتصفها بأنها فعل سيئ،

فنجد أن انتقاداً قد وجه إلى كليتمنسترا زوجة أجاممنون لعلاقتها الآثمة بأخى زوجها وزواجها منه فقد كانت زوجة لأخوين أجاممنون وأجاسيثوس Agesthus فى وقت واحد. بل أنها تآمرت مع الأخير على قتل أجاممنون أخيه بعد عودته من حرب طروادة. وكان هذا الزواج يعد قبيح مقارنة بما حدث لهيلينى فى الالياذة وزواجها من باريس . ولم تكن الخيانة قاصرة على البشر فحسب بل نجدها بين الآلهة فقد قام الإله أريس Ares باغراء الإلهة افروديتى وكان هذا فعلاً فاضحاً ومشيناً . وكانت عقوبة جريمة الزنا هى القتل ، ولذا نجد أن العقوبة قد طبقت على اثنتى عشرة أمة من إماء أوديسيوس واللواتى أقمن علاقات آثمة مع خطاب بنيلوبى ولم يكن هذا الفعل المشين يشرف بيت أوديسيوس وأثار غضبه وأنزل بهم العقاب بعد ذبحه للخطاب الذين قيل عنهم أنهم ارتكبوا أعمالاً سيئة باغتصاب النساء . ومن الواضح أن بنيلوبى كانت ترى أن حب الخطاب كان يعد خطأ لأن زوجها لم يكن معروفاً إذا ما كان على قيد الحياة أم لا وكانت ترى أنها إذا ما تزوجت سترتكب خطأ آخر فى نظرها وفى نظر الناس ، وأن الخطاب يرتكبون الخطأ عندما يحاولون غوايتها وخاصة أن كل الدلائل قد أتت إليها مؤكدة العودة الآمنة لزوجها .ومن ثم كانت مماطلتها لهم مستخدمة فى ذلك الحيلة . ولعل تأكدها من أن زوجها مايزال على قيد الحياة هو الذى دفعها إلى ذلك ، وخاصة لم يكن هناك ما يمنعها من الزواج من رجل آخر لأن أوديسيوس نفسه عند وداعها وهو ذاهب إلى طروادة وأوصاها بالزواج بمن ترتضيه إذا لم يعد بعد مدة معينة ، وذلك عندما يشب وليدها ويصير رجلاً راشداً .

كان الغرض من الزواج أو اتخاذ خليلات عموماً هو إنجاب الأبناء الذكور الشرعيين وغير الشرعيين ، فقد كان واجب الزوجين هو تأكيد بقاء سرمدية الأسرة

بإنجابهما أبناء شرعيين ومن المفضل أن يكونوا أولاداً . إن دخول طفل جديد فى عالم الأسرة لم يكن عملاً بسيطاً ، فقد كان يصاحبه عدد من الطقوس والتى كان الغرض منها هو التأكيد ، فى حضور شهود ، على اندماجه فى الأسرة وقبوله للعبادة المنزلية فبعد أن تتم ولادة الطفل كان يتم غسله ، وهذه كانت عقيدة التطهير ، ويلف فى كتان أبيض جديد ويربط بقماط ويوضع فى مهد فى شكل سلة المحصول . وكان الطفل الوليد يقدم لوالده بعد ذلك والذى كان يمكن أن يرفضه لعجز جسدى به وذلك لأن العيوب تجعل الرجل غير مناسب لممارسة الطقوس الدينية المنزلية . وفى اليوم العاشر كان هناك احتفال آخر ، إذ تقدم فيه الكثير من الهدايا وتقام فيه وليمة ويتم تسمية الوليد فيها . ولدينا مقال على ذلك فعندما أتى أوتوكيكوس Autolycus لزيارة ابنته وزوجها لأرتيس بمناسبة ميلاد أوديسيوس ، فبعد المأدبة قامت ابنته انتيكليا بوضع وليدها على ركبتيه وسألته أن يسمسه وهكذا فإن ابن لأرتيس قد تم تسميته بأوديسيوس وقد تم إدخاله أخيراً وبشكل رسمى فى الأسرة ، والمدينة مع وعد بهدايا رائعة من جده الذى صار كافلاً godfather (أى فى العمادة) .

كان رب الأسرة هو القيم على الأسرة ولكن إذا ما غاب عنها لسفر ، أو لقتال فلمن كانت الوصاية ، أو الولاية ؟ إن غياب رب الأسرة لا يفقد الوصاية والقوامة طالما أنه ليس له ولد قد بلغ سن الرشد وله أتباع . فعلى الرغم من غياب أوديسيوس فإنه ظل قيم الأسرة وذلك لأنه لم يكن لتليماخوس اتباع وغير معروف إذا ما كان أوديسيوس حياً . فقد بقيت زوجه بنيلوبى بناء على طلبه فى منزله ، وكان من الممكن لها أن تعود إلى بيت أبيها وتدخل تحت وصايته . وعندما كبر تليماخوس وصار قادر على ادعائه بأنه قيم لبيت أوديسيوس فقد كان يمكنه أن يبعث بأمه إلى بيت أبيها "جده":

ولكن كان عليه إذا ما فعل ذلك أن يرد لها دوطتها ، كما كان يمكنـــــه أن يســمح لـــها بالبقاء والعيش فى منزله وهذا ما حدث بالفعل ، ولكن إذا ما ثبت أن والده أوديســـيوس ليس حياً ومن ثم فإن بنيلوبى أرملة فكان لتليماخوس السلطة الكاملة فــــى أن يتخلــص منها بالزواج كوصى عليها .

وعلى الرغم من انتقال الوصاية إلى الزوج عند زواج البنات ، فإنهن لا يفقـــدن الاتصال تماماً بأسرهن ، فقد كان كل من البنت وأسرتها تحافظ علـــى بقـــاء الصـــلات المتبادلة والاهتمام بشئون بعضهما البعض . إذ نجد أن جد أندروماخى يفتـــدى ابنتـــه ، فقد تم إرسال بيلليروفون Bellerphon لأسرة انتيـــا Antia للعقـــاب ؛ واللعنـــة التـــى استنزلتها أم مليجار عليه لقتل أخوتها .

لقد كانت عودة فارس غائب تمثل فرحة ما يعدلها فرحة أخرى ، فكـــان الفـــرح يعم جميع أفراد الأسرة فى الغالب الأعم وخير قصة على ذلك عودة أوديســـيوس بعـــد طول غياب وبعد مغامرات عديدة ، فقد كانت بنيلوبى امرأته تتحرق شـــوقاً لرؤيـــاه ، فحسب قولها لقد ذهب روانها يوم سافر زوجها وزوى جمالها يوم مبارحة زوجها إلـــى طروادة، ووالده الذى كان يأسى من أجل فراق ابنه ، وأمه التى ماتت غماً وحزناً علـــى ولدها ؛ وابنه الذى أثقلت كاهله هموم الحزن .

وقد سر أوديسيوس عندما وجد أسرته بخير وسره ما سمعه من زوجته بنيلوبـــى كى تحتال على الخطاب الذين تمنت لهم الموت والخلاص منهم فقد روت لأوديســـيوس "المتنكر" حلمها . فكانت قد رأت سرباً من الإوز فى قصرها انقض عليه نســـر وفتـــك بـــه، ولما جعلت تندب الأمر سمعت صوتاً يقول "ما الإوز إلا الخطاب وما النســـر إلا

زوجك" . وعندما تعرّف تليماخوس على والده سر وارتمى علــى عنــق أبيــه يبكــى ويذرف الدمع الغزير ، وسرت المربية أوريكليا هى الأخرى بالتعرف على أوديســيوس ولكنها كتمت سرورها بناء على طلب سيدها أوديســيوس . وانتظــرت إلــى أن قتــل الخطاب وذهبت إلى مخدع سيدتها تحمل البشائر السارة وخاطبتها قائلــة انــهضى يــا ابنتى العزيزة وانظرى بعينى رأسك ما أملته طويلاً فقد عاد أوديسيوس وفتك بالرجــال الذين عاثوا فى ملكه ، وبعد حديث طويل بينهما تأكدت بنيلوبى مــن صــدق المربيــة فابتهجت ووثبت على عنق المرأة العجوز وهى تبكى وتقول "أصدقينى الخبر الآن هــل رجع حقاً إلى بيته وفتك بالخطاب وهو فرد وهم كثر ، وتستطرد قائلة إنك تعلميــن أى سرور أجده بلقياه ، وبعد أن رأت أوديسيوس وتأكدت أنه هو ركضــت إليــه وطوقتــه بذراعيها وقبلته قائلة عفواً يا مولاى إذا كنت قد أبطأت التعرف إليــك ، فــإن للرجــال مكايد كثيرة ، وكنت أخشى دائماً أن يخدعنى أحدهم ، فيزعم أنه زوجــى ، وأمــا الآن فإنى أعلم إنك زوجى ولا أحد سواه وبكيا وهما متعانقان وتبادلا القبلات ...

وتكشف لنا الأشعار أنه عندما يموت الرجل فكان من حقه أن يدفن وأن تقام لــه جنازة ، فقد كانت الأسرة مكلفة بها فى الغالب الأعم ويقع عبئها على عــاتق الزوجــة والأم والابن والأب ، فكانوا يأخذون الأدوار الرئيسية فى الاجراءات الجنائزية والتــى كانت تتباين بصورة كبيرة وذلك وفقاً لحالة الأسرة ومكانتها فكــانت الأســر الكبــيرة تعتبرها موكباً أو مسيرة عامة والتى تبرز فيها ثروتها وقوتها وكثرة أتباعها .

إن عدم دفن الميت والفشل فى أن يسترد الأقران وأهل المتوفى جثته يمثل عــدم احترام لأقربائه وأصدقائه . وقد حفلت المبارزات الهومرية المصحوبة بالتهديد والوعيد

والسخرية وهى أن الكلاب (والنسور) سوف تحضر جثتك . فقد كان نكران الدفن يمثل أقصى عقوبة توقع على المتوفى وهى عقوبة كانت تفرض على الخونة والذين دنسوا المقدسات والمنتحرين . فأرواحهم أو أشباحهم قد حُكم عليها بالتجول والهيام دون راحة ، وقد تصبح خطرة فى بعض الأحيان .

فقد كان من الشعائر الجنائزية الشائعة حرق الجثة ، فقد كانت أرواح الموتى تتوسل من الركب بأن يتم حرق جثتهم ، فقد توسل شبح البنور وكان قد تكسرت رقبته نتيجة لسقوطه من شرفة منزل كيركى Circe لأنه كان ثملاً إلى أوديسيوس أن يحرق جثته وكل ما يملك عندما زار الأخير مملكة الموتى الواقعة خلف المحيط . وبنفس الطريقة فإن روح باتروكلوس تظهر لأخيل فى الحلم وتتوسل إليه أن يسارع فى حرق جثمانه . فالحرق وحده يعطى الراحة الأبدية لأرواح الراحلين حيث تفتح لهم أبواب هاديس ، وتشرح روح باتروكلوس ذلك الأمر على النحو التالى . فقد رأى أخيل فى منامه روح باتروكلوس التى خاطبته قائلة أتنام يا أخيل وتنسانى ! ألا ادفنى سريعاً ، إنهم يحجزوننى بعيداً ، إن أرواح الموتى لا تحتمل بقائى ولن تدعنى أختلط بهم فيما وراء النهر ، وأنا أهيم فى هاديس وحدى ، ساعدنى أتوسل إليك ، حيث أننى لن أعود مرة أخرى من هاديس ، عندما تحرقنى" . إن حرق الجثة يعنى أن الروح تترك عالم الأحياء وأصبح لا يخشى منها مرة أخرى .

ومما هو جدير بالقول أنه إذا ما كان الحرق هو الشائع عند هوميروس ، فإن الحفائر الأثرية قد كشفت أن بلاد اليونان فى العصور الهومرية قد عرفت عادة الدفن على نطاق واسع أيضاً ، فمقابر ديبلون Diplon فى أثينا كانت مخصصة لدفن الموتى،

ومن الجدير بالذكر أن الأسرة الكبيرة قد تحولت من عادة الدفن إلى الحرق .

ويقدم لنا هوميروس ثلاثة مشاهد لاجراءات الجنازة قبل حرق الجثة أولها : جنازة باتروكلوس فى الكتابين الثالث والرابع والعشرين من الالياذة وجنازة أخيل التى يصفها لنا أجاممنون فى الكتاب الأخير من الأوديسة وجنازة هيكتور ، وهذه المشاهد قد أكدتها رسوم المزهريات الجنائزية التى عثر عليها فى ديبلون . وكان هذا الطقس يتكون من المشاهد الآتية وهى غسل الجسد ودهنه وتغطيته بالكتان ووضعه على سرير ، وفرق المنشدين والأقارب من الرجال والنساء والأصدقاء والرفاق ، وغناء أنشودة حزينة والتى كان أثرها على الحضور الأنين ، والبكاء ، ففى جنازة هيكتور نجد أن اندروماخى زوجه تبدأ اللحن الحزين بالعويل قائلة : إيه زوجى ! لقد هلكت وأنت فى ميعة شبابك وتركتنى للأيم ... الخ ثم تولول أمه بقولها يا أحب أبنائى ... وبعد ذلك تبدأ هيلينى عويلها بقولها " يا أفضل من أحببت من أخوة زوجى .. " . وكانت النادبات النائحات تعول عويلاً طويلاً مع نهاية إنشاد كل بيتين من الأنشودة الحزينة .

وكان دفن الجثة يأخذ بعض الوقت ، فشبح باتروكلوس قد طلب ألا يكون الوقت طويلاً ، وجثة هيكتور قد ظلت تسعة أيام قبل حرقها بينما بقيت جثة أخيل سبعة عشر يوماً . وفى هذه الحالات فإن الجثث كانت تضمخ ، وكان يتم تقديم أضحية للميت وكان يسكب دمها فى أكواب حول الجثة . أما عن لحمها فكان يتم أكله فى مأدبة كبيرة . **والطقس الثانى** : كان يتمثل فى نقل الجثة فى موكب جنائزى إلى مكان الدفن ، فكانت الجثة توضع على عربة ذات عجلات أربع ، وتصاحبها النائحات السائرات على

الأقــدام ، بينما كان الرجال المصاحبون يركبون العربات إلى أن يصلوا إلــى مكــان الدفن . والطقس الثالث : وهو الحرق ، والدفن : فكان يأتى دور الأقــارب المقربيـن للمتوفى، فكانوا هم الذين يقومون بهذا الواجب ، فأقرب الناس وأحبهم للمتوفى هم الذيـن يجمعون الحطب ويعدون المحرقة ، ثم يضعون الجثة على كومــة الخشــب . وتقـدم الأضاحى مرة أخرى التى كانوا يأخذون دهنها لتغطية الجثة بينمــا يضعــون لحزمــها وجرار العسل والزيت حول الجثة . فعند حرق جثة باتروكلوس فقــد ضحـى أخيـل بأربعة جياد واثنين من كلابه وباثنى عشر شاباً طروادياً وألقى بهم فى النـــار . وبعــد انتهاء حرق الجثة فإن الخمر كان ينثر على الرماد لإخماده ، ثم تجمــع العظـام معـاً وتلف فى طبقتين من الدهن ثم توضع فى جرة ، وبعد لفها فى الثياب الأرجوانيــة يتـم وضعها فى المقبرة وتغطى المقبرة بالأحجار الكبيرة ثم يهال التراب عليها .

بعدها يعود أفراد الأسرة إلى منازلهم بعد أن يطهروا أنفسهم كانوا يشاركون فــى المأدبة الجنائزية التى يعدونها وكانوا يتصورون أن روح الميت تحضر هذه المأدبـــة . وفى اليوم الثالث ، والتاسع كانت تقام مأدبة عند المقبرة للمتوفى نفسه . وهــذه كــانت نهاية فترة الحداد وهنا حسب تصورهم فإن روح المتوفى تكون قد أخذت مكانــها فــى العالم الآخر .

وقد جرت العادة أيضاً إقامة الألعاب العامة ، والجنائزية بمناسبة موت بطل مــن الأبطال فقد كان الناس مغرمين بالألعاب ، والمنافسات الرياضية ، أما عن المنافســات الرياضية والبدنية فكانت تتكون من سباق العربــات ، وركــوب الخيــل ، والملاكمـة والمصارعة ورمى القرص ، والاقتتال مثل المبارزة ورمى السهام والرماح ، أما عــن

المنافسات الفنية فكانت تتكون . وتصور لنا الأشعار الهومرية أن سباق العربات كان يمثل الملمح الرئيسى فى اللعاب الجنائزية لباتروكلوس ، وكانت الآلهة تتدخل فيه وتتنافس مع بعضها البعض برعاية كل منها لبطل من الأبطال المتنافسين . والفنية من الغناء والرقص وقرض الشعر . والجزء الأكبر من الكتاب الثالث والعشرين من الالياذة يقدم لنا وصفاً حياً للألعاب التى أقامها أخيل بمناسبة موت رفيقه باتروكلوس ، كما يحتوى الكتاب الثامن من الأوديسة على وصف للألعاب العامة التى كان يصاحبها الرقص والغناء والتى حضرها أوديسيوس فى فياكيا . وتقدم لنا الأوديسة أيضاً الحديث بين شبحى كل من أجاممنون وأخيل والذى روى فيه شبح أجاممنون الألعاب التى عقدت بمناسبة موت أخيل وذكر فيه أن الشباب كانوا يتنافسون ويتبارون فى الرقص والملاكمة من أجل الحصول على الجوائز ، وأنه شهد الكثير من مآتم الأبطال والملوك ، ولكنه لم يشهد قط مأتماً يشبه مأتمه وفى سخاء الجوائز التى جاءت بها أمه ثيتيس . وتكشف لنا هذه الكلمات عن أن ممارسة اللعاب الجنائزية كانت عادة منتشرة فى بلاد اليونان ولعل أحاديث نستور فى الكتاب الثالث والعشرين من الالياذة تؤكد هذا فنجده يذكر انتصاراته عندما كان شاباً فى الألعاب التى أقيمت فى تكريم امارنيكيوس Amaryncus ملك الابيانيين وفى نفس الكتاب أيضاً اشارات إلى الألعاب التى تم الاحتفال بها فى طيبة بعد موت أوديب .

ومما هو جدير بالذكر أن إقامة الاحتفالات الجنائزية وما يصاحبها من منافسات لتكريم المتوفى كانت تسمح لأهله ولأخلافه وأصدقائه بأن يظهروا قوتهم وثروتهم وعظمتهم .

وتكشف لنا الأشعار الهومرية أن الثأر من القاتل أو المعتدى على شرف الأسـرة كان من الأمور والقضايا العائلية ، وهذا الثأر يمتد إلى من قتلوا فـي المعـارك وكـان على أقارب القتلى أن يأخذوا بثأرهم حيث كان من الأفضل أن القريب $\gamma\nu\omega\tau o\nu$ هـو الذى ينتقم . بثأره من القاتل ، لقد كانت أندروماخى تخشى أن ابنها قد يقتله أحد أقـارب من قاتلهم والده هيكتور وقتلهم . بل أن هيكتور نفسه بقتله لباتروكلوس قد أثـار ثـائرة أخيل رفيقه وجعله يخرج من عزلته وعزوفه عن القتال ويـنزل للثـأر مـن هيكتـور ويصرعه بالفعل انتقاماً لقتل رفيقه ، وربما يمتد الثأر إلى من قتلوا سـواء مصادفـة أو غير مصادفة، مثل قول نيستور لتليماخوس إنه لشىء محمود أن يكون هناك ابن يحيـى رجلاً مات مثل أوريستيس الذى أخذ بثأره من قاتل والده .

وكان يمكن للرجل القاتل أن يدفع فدية لأقارب القتيل إذا ما قبلوا ونظـير دفعـه لها يحصل على سماحهم وعفوهم ومن ثم يمكنه العيش فى جماعتـه ، وكـان الانتقـام لانتهاك حرمة وشرف الأسرة من الأمور العائلية فقد انتقم أوديسيوس لانتـهاك حرمـة بيته واستنزاف موارده من قبل الخطاب . ورفض عرضهم بتعويضه عمـا اسـتنزفوه والتهموه عشرين ضعفاً بل قال إن يدىّ لن تكفا عن الفتك حتى أخذ بثأرى منكم جميعـاً، وعندما ذهب إلى والده كاشفاً له عن شخصيته ومخبراً إياه بنبأ قتله للخطـاب فكـانت فرحة والده غامرة ولكن كان يخشى أن تثير قبائلهم أهـل إثياكـا والجـزر المجـاورة عليـهم . وبالفعل لما علم أهل الخطاب القتلى تنادوا للاجتماع فى ساحة السوق ووقـف والد أنطينوس القتيل يخطب فيهم قائلاً "لا ريب فى أن هذا الرجل قد أنزل بـهذه الأرض شراً عظيماً ، إذ استصحب كثيرين من الرفاق البسلاء إلى طروادة ، فأضاعهم جميعـاً مع سفنهم وقد عاد الآن وقتل أمراء الشعب . وذلك عار علينا ، تصمنـا بـه الأجيـال

القادمة إذا لم ننتقم من هؤلاء الذين فتكوا بأبنائنا وأخوتنا . حقا إننى لا أرغب فى الحيلة إذا بقى عمل كهذا بلا انتقام . فتعالوا إذن نسرع لئلا يركبوا البحر وينجو بأنفسهم ، وبالفعل اقتتل أهل الخطاب من اثيكا مع أوديسيوس وصحبه ولكن أوقف الاقتتال بأمر من الربة أثينا . إذ صاحت عالياً وقالت كفوا عن القتال يا رجال اثيكا فإنه لشديد عليكم" .

ومثال آخر على ثورة الرجل لشرفه وكرامته . فعندما أخذت بريسيس من أخيل أهينت كرامته علانية ، وإذا ما ضاعت الكرامة مرة واحدة ، ضاع الوجود الأخلاقى لمن ضاعت كرامته . فالشرف لا يقاس كما تقاس البضائع فى السوق . والإهانة كانت تساوى ما تساويه الحرب ، فلم تكن بريسيس تساوى شيئاً .

ولكن أخذها من أخيل يساوى سبعة مقاعد لم توضع على النار اطلاقاً . وعشر تالنتات ذهبية ، وعشرين وعاء لامعاً واثنى عشر جواداً من تلك التى تفوز فى سباق الخيل ، وعشرين أسيراً طروادياً وسبع مدن وزوجة من إحدى بنات أجاممنون وبعض أشياء أخرى ، وهذا هو تقدير أجاممنون ولكن هل قبل أخيل هذه الترضية ؟ الإجابة أنه رفض الترضية والهدية . وذلك لأن شرفه وكرامته قد أهينت .

كما كان النفى بمحض الاختيار يمثل عقوبة للقتلة ويكون له اثار اقتصادية على أسرة المنفى ، فقد أصبح لا يعيل ولا يحمى أسرته ، وإذا ما كان صاحب مواهب ومهارات خاصة فأنه يمكنه أن يحيا حياة سعيدة مثل باتروكلوس كمقاتل ومثل كليمنوس كعراف. إن المنفى قد يمكن أن يكون كالغريب Xenus أو Xeinas ، ومن ثم يمكنه أن ينضم إلى أسرة جديدة قد تقبله نظير ما يقدمه لها من خدمات . وكان هؤلاء الغرباء

يتكونون من مقاتلين وعرافين وأطباء وصناع ومنشدين . وكانوا يمنحون الطعام والكساء نظير ما يقدمونه من خدمات . ويقول تليماخوس إن الشحاذ سوف يعمل لحسابه ، وأوديسيوس المتنكر فى ثوب شحاذ عجوز يمكنه أن يكسب قوت يومه من العمل الزراعى ، ولعل تحديه لأحد الخطاب فى أن يباريه فى العمل الزراعى من حرث وحصاد . هو خير شاهد على ذلك ، كما أنه فى تحديه يقول له أيضاً "إذا ما أثار زيوس معارك فى أى بقعة وكان لى درع ورمحين وخوذة برنزية لأضعها على وجنتى ومن ثم فسترانى فى مقدمتها بين القادة الأفذاذ . وهذا يعنى أيضاً أنه يمكنه أن يكون مقاتلاً . ومن الواضح أن الرجال المسلحين كانوا فئة هامة من الغرباء وكانوا يحصلون على ملبسهم وسكنهم لقاء خدماتهم . وحتى عابرى السبيل من الغرباء من السائلين المعونة مثل أوديسيوس والشحاذين مثل أوديسيوس المتنكر . كان يمكنهم أن يحصلوا على مأوى ومأكل إذا ما وصلوا إلى سيد البيت ، وإذا ما كانوا يحملون أنباء سارة فإنهم فضلاً من المبيت والمأكل كانوا يحصلون على هدايا من ملابس وأحذية وأى شيء قد يحتاجونه للطريق ، وكانت هناك شريحة عريضة من الغرباء وهم المسافرون من النبلاء . المسافرون فى أراض ليست أرضهم ، حلفاء حقيقيين فى الحرب ، وجرت عادة الأبطال الهومريين أن يوفروا أماكن لاراحة نبيل من النبلاء الذى يكون بعيداً عن وطنه فى زيارة عائلية أو لتجارة أو لأعمال قرصنة أو فى مهمة رسمية .لقد كان لأوديسيوس دائرة كاملة من الرفاق الذين يبادلهم الزيارات ، وكان تليماخوس قد استثمر هذه العلاقات عندما قام بسفرته باحثاً ومتقصياً لأخبار والده فقد استقبله كل من ملكى بيلوس واسبرطة بترحاب ، وفى اثيكا فقد استقبل تليماخوس مينتيس Mentes الكريتى وأوديسيوس المتنكر . وفى أسبرطة كان على كل من الملك منيلاوس

واتيونيوس Eteoncus تابعه أن يدخلا البهجة على الغرباء لأنهم كانوا غالباً ما يبهجونهم فى أسفارهم .

وتكشف لنا الأشعار عن أن الشك كان يراود بعض بيوت الأبطال فى الزوار وذلك لظروفها الخاصة ، فنجد أن عدم وجود سيد البيت ، كما هو الحال بالنسبة لأوديسيوس قد جعل ربة البيت بنيلوبى تتجاهل الزوار ، لقد كان الشك فى الزوار ليس غريباً فى عصر كان يصعب التمييز فيه بين التجار والقراصنة ، فبعض الأشخاص المسافرين "الغرباء" كانوا يعتبرون أن العنف شرعى للحصول على ممتلكات ، وحتى هؤلاء الذين استقبلوا بحفاوة وترحاب كان يمكنهم أن يغدروا بمن استقبلهم كما هو الحال بالنسبة لبارس ، فقد غادر أسبرطة ومعه زوجة مضيفة ونصف ممتلكاته ، كما أن التاجر الفينيقى قد حصل على ثلاثة كؤوس وأمة وابن الملك وولى الأدبار ، وكان نتيجة هذا بيع ابن الملك كعبد لأوديسيوس .

وكانت الضيافة محكومة بقوانين ثابتة ، فعندما يقدم غريب حسن الملامح نفسه ، فإن أحد أفراد الأسرة يقابله ويريحه من الرمح الذى يحمله الضيف الكريم دائماً ، ويمسك بيده اليمنى ويقوده إلى البهو حيث يجلسه على عرش يواجه الموقد . وتأتى امرأة ومعها إبريق وحوض لغسل يدى الضيف ، ثم تضع منضدة أمامه وتضع عليها خادمة كوب وسلة خبز ، ويحضر مقطع اللحم طبق لحم ، ويملئ حامل الكأس الكوب، وبعد أن يتناول وجبته يتم سؤال الزائر عن اسمه وأسرته وعن وطنه ، وغرض الرحلة، وإذا ما تملص الزائر من السؤال فإن مضيفه يكون حذراً فى ألا يصر على السؤال فى الحال حيث ستتم الاستفسارات فى ظروف أفضل فيما بعد مثلما حدث مع

أوديسيوس فى قصر الكينوس وكان الضيف يشارك الأسرة حياتها طوال فترة بقائه معها . فكان يتم إعداد سرير له فى المدخل المؤدى إلى البهو ، وعندما يغادر ، كان يحصل على هدايا تتلاءم مع مركزه ، ويقدم له كأس الرحيل ، وتسكب السوائل لإرضاء الآلهة ويتم توفير الوسائل والأدوات التى تمكنه من مواصلة الرحلة سواء بالعربة أو بالسفينة وأحياناً ما كان يصاحبه أحد أبناء الأسرة كما رتب نستور لتليماخوس أو بواسطة خادم .

لقد شاع فى المجتمع الهومرى عادة إقامة الولائم والمآدب والاحتفالات ، فقد كان من واجبات الأبطال دعوة ذوى القربى والجيران والأصدقاء ورجال من نفس الطبقة ، لحضور احتفالات الأسرة أو العامة أو بمناسبة زيارة ضيف هام ، فإقامة مثل هذه الحفلات كان يسبغ على السيد الهيبة والاحترام ، كما كان كرم الضيافة يمثل نوعاً من الاستثمار بالنسبة لبعض الأسر. كما نجد أن بعض نبلاء اتيكا والجزر المجاورة فرضوا أنفسهم على بيت أوديسيوس المفترض أنه قد مات وبينلوبى المفترض أنها أرملة . لقد تصرفوا كخطاب دائمين والذين تمت دعوتهم من قبل سيد البيت . لقد كانوا يحتفون ويقيمون الولائم طوال النهار ويستنزفون طعام السيد الغائب وثروته . لقد كانت تلك الاحتفالات وما يصاحبها من ولائم تكلف مقادير ، وكميات كبيرة من الأطعمة والمشروبات ، فقد كان الرجال يتناولون ثلاث وجبات يومياً ، والتى تتكون بشكل رئيسى من الخبز واللحم المنقوعة فى النبيذ . فكانوا يتناولون طعام الافطار (ariston) فى الصباح والغذاء (deeponon) فى وقت الظهيرة والعشاء (derposi) فى المساء . وعندما تقام الولائم فإن الحضور يتناولون وجبتى الغذاء والعشاء . والفترة الفاصلة بينهما كان يقام فيها الألعاب والأغانى والرقص وأنواع أخرى من التسلية والترويح .

وتقدم الأشعار وصفاً رائعاً لإقامة المآدب فكان يقوم الجزارون ، أو أحد أفراد الأسرة بذبح الحيوانات ، وسلخها ، وتقطيعها فى فناء المنزل وكانت عملية الذبح تمثل نوعاً من التضحية على شرف إله ما . فحينما كان يذبح حيوان فإن أحد الأشخاص الحاضرين كان يحتفظ ببعض شعرات من شعر رأس الذبيحة ، ويلقيها فى النار بينما كان يتضرع لصالح الحاضرين . وقد قام يومايوس بهذا العمل لإدخال البهجة ، والسرور على قلب أوديسيوس المتنكر وهو فى بيته . وكان يتم طهى الطعام – خاصة اللحوم – من قبل الرجال فى فناء المنزل فى الهواء الطلق ولكن إذا ما كان المناخ سيئاً فإن العملية كانت تتم فى بناية مسقوفة . وكانت النساء يقمن بإعداد الخبز والكعك والشربة والحلوى .

وكان يتم استقبال الضيوف الأعلى مرتبة فى بهو منزل الكينوس وكان يتسع لخمسين ضيفاً ، بينما الضيوف الأدنى مرتبة فى المدخل والفناء الكبير . وكان الرجال المرموقون هم الذين يجلسون وأمامهم مناضد ، بينما الآخرون يجلسون على الجلود المفروشة على الأرض .

عندما يحين وقت تناول الطعام يأتى دور الفتيات ، فبعضهن كن يمسكن بأباريق وأحواض يصببن الماء على أيدى الضيوف ، وأخريات كن يحملن سلال الخبز وكأس لكل ضيف ، وكانت الكؤوس إما فضية وإما ذهبية وبعضها كان يزدان بالزخارف مثل كأس نستور ذات المقابض الأربعة باليمام . ثم يحضر مقطعو اللحم قطع اللحم على أطباق معدنية أو خشبية ، بينما كان حملة الأكواب والكؤوس يخلطون الخمر بالماء فى باطية كبيرة ذات مقبض وأرجل والتى كانت تُملئ منها الأكواب . وكان يتم تكريم

الضيف بتقديم طبق إليه من قبل رب البيت نفسه . وبينما كان يجرى تناول الطعام فإن الشحاذين كانوا يحومون ويدورون حول المكان آملين فى الحصول على قطعة من اللحم والخبز . وكان الحضور يتناولون طعامهم بأصابعهم .

وبعد الانتهاء من الطعام والشراب فى قصر الكينوس يبدأ التسلية والترفيه ويأتى على رأسها انشاد الشعر من قبل المنشد المحلى مصحوباً بأنغام قيثارته . ويعقب الانشاد تسليات أخرى ، فبعض الضيوف كانوا يلعبون النرد ، بينما البعض الآخر كانوا يتبارون فى فناء التكريم فى رمى القرص وقذف الرمح . وأحياناً كان يتم ادخال السرور من خلال الحواة بألعابهم البهلوانية كما فعل مينلاوس فى حفل زواج ابن وابنة ، كما كان يتم اجراء منافسات فى المصارعة والملاكمة . فخطاب بينلوبى فى ليلة طربهم ولهوهم قد حرضوا كل من أوديسيوس المتنكر فى هيئة شحاذ وبين الشحاذ إروس Irus على التشاجر وحثهما على أن يتلاكمان ويتصارعان . وكان بعض الرجال يمضون وقتهم فى جو من البهجة حيث كانوا يرقصون فالرقص كان جزءاً رئيسياً من تعليم وتربية النبلاء. ولم تخل وليمة أو حفلة من الرقص الذى كان يتبارى فيه الشباب لابراز مواهبهم وبراعتهم الفنية . فكانوا يرقصون فى فناء المنزل وسط جموع المشاهدين الواقفين ، وكان الرقص مصحوباً بالموسيقى والأغاني العذبة . وكانت الاحتفالات البهيجة تتوقف عند الغروب , ولكن هذا الجو البهيج كان ينتهى احياناً بمشاكل حيث كان بعض الحضور يسرفون فى الشراب ويفقدون السيطرة والتحكم فى أنفسهم . ففى حالة غضب أحد الخطاب وكانت الخمر قد لعبت برأسه قد قذف كرسيه على أوديسيوس المتنكر فى هيئة شحاذ . وأيضاً تلك المشادة بين كل من أوديسيوس وأخيل والتى رددها ديمودوكوس فى إحدى أغانيه .

الحياة الاقتصادية :

ثروة الأسرة :

كان لأرباب oikos سلطة مطلقة فى تصريف شئونه الاقتصادية وثروته التى تتكون فى المقام الأول من الأرض والمنقولات والأنعام والعبيد والكنوز ، فقد كان النبلاء من أرباب الأراضى ، ونجد أن مفهوم الزراعة عند هوميروس كأساس للحضارة ، قد استخدم الأرض لزراعة الحبوب والفاكهة والأعناب والزيتون وزراعة الخضر ، كما استخدمت الأرض فى رعى القطعان . وكان يتم حساب ثروة كبار الملاك بعدد ما يملكونه من رؤوس الماشية وخاصة الثيران والأغنام والماعز والخنازير والعبيد وبجانب هذا فقد كان يوجد الكنوز المخزونة التى كانت تحفظ فى غرف خاصة فى المنزل أو القصر وكان يحفظ بها مخزون المواد الغذائية من الحبوب وجرار النبيذ والزيت والمواد الثمينة والمعادن النفيسة فى شكل ركائز وسبائك والأسلحة ، وكان الغرض من اكتناز المواد والمعادن النفيسة لإظهار الوجاهة وتحقيق المهابة وتحقيق المنافع بتبادلها مع الأقران وذلك بإهدائها لضيوف ينزلون عليهم . والطريقة التى اتبعها الأبطال الهوميريون للحصول على المعادن والعبيد عن طريق الحرب فالإغارات المنظمة بغرض الحصول على الأسلاب كانت شائعة عند هوميروس ونجد أنّ الأبطال الهوميريين قد اعتادوا الحديث عن تجاربهم ومغامراتهم . لقد بدأ أوديسيوس يروى قصته فى قصر الكينوس حول اسفاره من طروادة بالكلمات الآتية : من اليون قادتنى الرياح إلى اسماروس Ismaros وفى أرض الكيكونيين Ciconians دهمنا المدينة وقتلنا الرجال وسبينا النساء واستولينا على الكثير من كنوزهم وقسمناها بيننا وبهذه الطريقة لم يحرم أحد من نصيبه العادل من خلالى .

وهكذا فإن الغنائم التى تؤخذ من الأعداء كان ينبغى تقسيمها بين المشاركين فى الحملة وكان للقائد الحق فى الحصول على نصيب خاص .. ولم تكن الحرب وحدها هى الوسيلة الوحيدة للحصول على المواد النفيسة فكان من الضرورى اللجوء إلى نظام التبادل ونجد العديد من الأمثلة على ذلك للهدايا والهدايا المقابلة ، فالمرء لم يكن يعطى لإدخال البهجة والسرور ولكن يتطلع على المدى البعيد إلى خدمة أو هدية فى المقابل ، فالهدية تخلق التزام بهدية مقابلة فالأبطال يرون وهم يسعدون ضيوفهم ويقدمون لهم الهدايا (الأسلحة ، معادن ، اشياء نفيسة ... الخ) فإنهم كانوا يتوقعون فى المقابل شيئاً عينياً أو خدمة. وبهذه الطريقة فإن التبادل قد نظم وأتم معالجة الفجوة فى الاكتفاء الذاتى. وينبغى أن تؤكد على السمة غير التجارية لهذه المبادلات فالهدايا لكلا الطرفين ينبغى أن تحقق التوازن أو مساوية لبعضها البعض . إن هذا النظام يكون مناسباً لغير الارستقراطيين .

ولم يكن منح الهدايا والهبات حكراً على الرجال فحسب بل نجد أن هناك بعض النساء كن يعطين الهدايا والهبات وإن كانت فى الغالب الأعم من الأشياء التى صنعنها بأنفسهن أو صنعتها إمائهن [٦٦] ، فعلى سبيل المثال فقد أعطت هيلين تليماخوس ثوباً جميلاً لعروسه ، واختارت أرقى الملابس التى ستضعها فى صندوق أوديسيوس ، وعلى نحو أكثر تواضعاً فقد أعطت بنيلوبى لايومايوس مجموعة من الملابس .

ملكية الأرض والزراعة والرعى :

ولما كان اقتصاد اليونان فى هذه الفترة اقتصاداً زراعياً رعوياً ، فإن معرفة نظام الملكية وحيازة الأرض يكون ضرورياً لفهم حقيقى لأنماط حياتهم ولا نستطيع

الحصول على الحقيقة بالنسبة للقضايا الأساسية فى العصر المظلم فعندما دخل أسلاف الإغريق فى الألف الثانية فمن المعقول أن نفترض أنهم زرعوا الأرض ليسوا كأفراد وإنما كجماعة تربطها أواصر الدم والقربى بدرجة ما ، وكان نظام الزراعة والرعى يعتمد على الحقول المفتوحة إذ كان قطاع من الأرض يزرع على نحو مشترك . وفى العصر الموكينى بنظامه البيروقراطى حدثت تغييرات عديدة فى وضع الأرض . وكما لاحظنا فى الفصل الخاص بالموكينيين أن المجموعة الخطية لم تقدم صورة جلية عن حيازة الأرض فى الفترة ما بين القرن الرابع عشر والقرن الثانى عشر ، ثم وصلنا إلى الغموض والفوضى الناجمة عن الغزو الدورى والفوضى والهجرة إلى آسيا الصغرى .

ومن المرجح أن اليونان فى العصر المظلم سواء أكانوا فى بلاد اليونان أم فى آسيا الصغرى ، قد عادوا إلى نظام العمل الزراعى المبكر وبالنسبة للقرن التاسع وربما فى فترة سابقة فإن الإلياذة والأوديسة تقدم لنا بعض الملاحظات منها : أنه فى الفقرة المشهورة فى الكتاب الثانى عشر من الإلياذة (Ibid 421 - 433) التى نجد بها الآخيين والطرواديين يقاتلون عبر سور أو حائط يفرق بينهم بالمقارنة بين صورة رجلين يتنازعان على الحدود ، فكان فى أيديهما قصبة المساح ، وفى حقل مشترك ، وعلى قطعة أرض صغيرة كانا يتنازعان للحصول على نصيب متساوٍ والصورة هنا هى ، من المرجح ، لحقل زراعى مشترك بين بعض الجماعات ، ومن المرجح مجموعة تربطها صلات القربى والتى يكون لها نصيب مساوٍ ومعروف قد خصص لكل رجل من خلال علامات الحدود من الصخور . والتفسير هنا يكون أنها تشير إلى نوع من نظام زراعة الحقول المفتوح . ويمكن تفسير فقرات أخرى – لتعضيد نفس الفكرة وخاصة المشهد المنقوش على درع أخيل حيث يكون العديد من الحراثين يقودون

أزواجهم من الثيران فى حقول كبيرة وغنية . ويمكن تفسير ذلك أنه فى فترة ما من العصر المظلم ومن المرجح فى بدايته أنّ بعض الأراضى الزراعية ، على الأقل ، قد زرعت وكانت حيازتها مشتركة للجماعة . وإذا نظرنا إلى بعض فقرات الأوديسة يكون انطباعنا أن الكثير من قطع الأراضى كانت فى أيدى الأسر oikoi ويمكن أن يكون ذلك قد حدث فى فترة مبكرة عندما استقر اليونان فى مناطق معينة ، وبمرور الوقت ونتيجة لضعف التضامن بين الجماعات فإن وضع الأسرة الاقتصادى قد بدأ يتضح كوحدة منفصلة . وأياً كان التفسير الصحيح للوضع الأصلى ، فإننا نجد الأسرة فى القرن التاسع قد صارت الوحدة الاقتصادية والاجتماعية . وكل أسرة تملك مساحة ما من الأرض الزراعية والتى استخدموها لزراعة الحبوب والحدائق والبساتين وكلما زاد عدد أفراد الأسرة فإن الأسرة كانت توسع مساحة الأرض التى تزرعها على حساب المناطق المجاورة لها وذلك بتحويل أرض المراعى أو الأرض الفضاء إلى أرض زراعية . وكانت الأسرة بحاجة إلى مراعى لرعى قطعانها ، ومسألة وضع أرض المراعى تكون غامضة ، فقد كانت أرض المراعى فى البداية ، أرض مشتركة للجميع ، ومن جهة أخرى فانه على ما يبدو أن الأسر ادعت ملكيتها لبعض قطع الأراضى التى ترعى عليها قطعانها . وحيث أنّ حدود أرض المراعى غير محددة فان اعتداءات الماشية على أراضى أخرى كان شيئاً مألوفاً وبدون شك فأن كثيراً من المشاجرات قد حدثت بين الأسر وذلك بسبب عدم وضوح الوضع حول أرض المراعى وحدودها .

وكانت الأرض مملوكة للأسرة ككل وتنتقل من جيل إلى جيل ، فالجيل الحالى لا يملك الأرض بالمعنى الحديث للكلمة "يملك" فالأرض تخص الأجيال السالفة والقادمة

بالتساوى والأحياء لهم حق الاستغلال فقط ، وارتبط بذلك الواجب المقدس لحفظ الأرض التى دفن فيها أسلافهم وأن ينقلوها إلى الجيل التالى . ولم يكن التخلى عن الملكية موجوداً لأفراد الأسر .وكان عدة أجيال من أفراد الأسرة الواحدة من الرجال والنساء والأطفال والعبيد والأتباع يعيشون ويعملون لرفاهية الجميع بالأسرة . فكان العمل الجماعى هو الأساس والهدف منه هو تحقيق الاكتفاء الذاتى للأسرة قدر الامكان.

وعلى الرغم من أن الجانب الأكبر من الأرض الزراعية والرعوية كانت تحت يد الأسر العريقة ، فقد وجد مزارعون مستقلون يزرعون أرضهم الخاصة . ويقدم لنا هوميروس معلومات بسيطة عن هذه الفئة إذ نجده يذكر حالة مزارع يعيش فى أرضه منعزلاً فلا جيران له ويحافظ على نار موقده ولعل هذه الأرض قد استصلحها صاحبها لنفسه وكانت حياة مثل هذا المزارع صعبة .

وهكذا فإن مفهوم الملكية عند هوميروس كان ينصب على نوعين من الممتلكات الثابتة والمنقولة أما عن الأولى فهى الأراضى والمبانى والثانية فهى العبيد والحيوانات والمنقولات . وكانت هذه الممتلكات تنتقل إلى الابن الشرعى فلا أحد من خطاب بنيلوبى ينكر على تليماخوس ابنها أن يخلف والده فى oikos إذ أن ميراث الأملاك كان يؤول إلى خلف شرعى ، فلا يوجد وصايا عند هوميروس ، والخلف عادة ما يعنى الذكور الشرعيين وأحياناً غير الشرعيين "ابن منيلاوس" وأيضاً أزواج البنات فى حالة عدم وجود ابناء ذكور ، فقد سخر أخيل من أينياس لأنه لا يستطيع أن يتمنى أن يصبح ملكاً على طروادة وذلك لأن بريام له ابناء ذكور من صلبه . ولكن عندما ذبح قتل

ديوميد كل من اكسانثوس Xanthus وتؤس Thoas ، فإن تركة والدهما قد اقتسمها أقارب بعيدين ، وكما نسمع عن أن والد دولون قد يسعده أن يفتدى ابنه الوحيد لأن أسرته مكونة من ستة أفراد ، بمعنى عتيق فى افتداء الوريث الشرعى .

وكان أصحاب الضياع الواسعة مثل الكينوس وأوديسيوس ، يهتمون بغرس أشجار الفاكهة من الأعناب والكمثرى والتفاح والتين والزيتون ..... الخ وكان زراع العنب أحياناً يقومون بتقليم الأغصان ويجمعون عناقيد العنب فى سلال ويتركونها لمدة خمسة عشر يوماً فى الهواء وعشرة الأيام الأولى منها تترك فى الشمس ثم خمسة الأيام الأخيرة تترك فى الظل ثم يقومون بعصره وبعد العصر كان يصب النبيذ فى جرار لحفظه .

والعناية بالحدائق والبساتين كانت دائمة فكان يتم عزق التربة تحت الأشجار ويتم رى الحدائق بالمياه التى تحتاجها ويبدو أنهم استعملوا السماد . كما زرعوا الحبوب القمح والشعير ، والصورة المنقوشة على درع آخيل تصور الحياة الزراعية فهناك الحصادون وجامعى العنب .

وكانت أساليب الزراعة وأدواتها المستعملة ما تزال بسيطة ولكنها كافية ، فقد لجأوا لمواجهة إنهاك التربة إلى زراعة قسم من الأرض ، وترك قسم آخر بدون زرع ويتم تبديل الوضع فى العام التالى ، فيزرع ما ترك ويترك ما كان قد زرع فى العام السابق . وكان يتم حرث الأرض بمحراث تجره الثيران أو البغال ، وكان يتم حرث أرض الحبوب حرثتين أو ثلاث وكانت الثالثة تتم بعد البذر لاختفاء البذور ، وبعدها كان يتم تزحيف الأرض لتغطية أى حبوب والتى تركها المحراث على السطح ، وكان

يتم تكسير قطع الطين الكبيرة بمدقات . وكان الحصادون يستخدمون المناجل ، وكانوا يجمعون السنابل فى حزم وتنقل فى عربات وتدرس فى البيت وتذرى فى الرياح ، واستخدمت الثيران والبغال لتدرس السنابل وكان يتم تقليبها بشكل دائم ولا تترك سنابل، وعندما تجمع الحبوب توضع فى جرار وتغلق . وكان الدقيق يطحن بالرحاة ويخزن فى أوعية من الجلد .

وبجانب الزراعة فإن تربية الحيوانات كانت المصدر الأساسى للثروة ويشيع فى الإلياذة والأوديسة ذكر الثيران والأبقار والعجول والخراف والنعاج والماعز وصغارها والخيول والبغال والخنازير وكانت ترعى فى الأودية الخصيبة وعلى المنحدرات غير المزروعة وفى الغابات ومن هذه الحيوانات كان يتم الحصول على لحم الطعام والجلود والصوف للملابس واللبن وبعضها يستخدم للنقل وجر العربات ، كما يتم استغلال خلايا النحل فى الحصول على العسل والشمع وقد ربوا الطيور الداجنة وخاصة الاوز .

وكانت هذه القطعان تبقى خارج المنزل وخارج الحظائر فى فصل الصيف وحينما يحل الشتاء كان يتم ايوائها فى الحظائر التى تمتلئ بها وتقسم حسب أنواعها وأحياناً تخصص حظائر لصغار الحيوانات .

وتكشف لنا الإلياذة والأوديسة عن الاهتمام بالصيد والذى كان من مصادر السعادة للرجال فكانوا يصطادون الغزلان والماعز البرية والذئاب والفهود وحتى الاسود والطيور الحمام ، ويصطادون الأسماك .

فمن الذى كان يقوم بالعمل فى الزراعة والرعى ؟ .

١- أفراد الأسر :

كانت الأسرة الغنية والفقيرة أو الكبيرة والصغيرة تحاول أن تكون مكتفية ذاتياً بمساعدة أعضائها المتباينين فى العدد ، فكل فرد فى الأسرة له نصيبه فى العمل ولم تكن هناك مهمة محددة فى البداية ولم تكن هناك بعد مهنة وضيعة تمنع الملوك والأفراد والنبلاء من القيام بها فقد كان الملوك والأمراء يقومون بإنجاز الأعمال الزراعية ورعى القطعان وكانوا يتفاخرون بأنهم يشتغلون بها ، لقد كانوا يحرثون الأرض ويبذرون البذر ويحصدون العشب وخير دليل على ذلك تحدى أوديسيوس المتنكر لأحد وجهاء اتيكا يوريماخوس Eurymachos "إذا أردنا التنافس فينبغى أنْ نعمل ونكد فى المروج فى الربيع فى الأيام الطويلة فينبغى أنْ يكون لدى المنجل المقوس وينبغى أن يكون لديك واحد مماثل ، وسوف تحصد دون ملل حتى ننتهى من أداء العمل طالما بقى عشب وبدون طعام حتى المساء ، وإذا كان لزاماً أن نسوق زوجاً من الثيران لحرث حقل مساحته أربعة أفدنة سوف ترى كيف أقود الماشية مباشرة فى شق خطوط مستقيمة" . وعندما قبل اوديسيوس هذه المنافسة فإنه بدون شك كان قد سئم أن يكون شحاذاً ولكن هل كان يجرؤ إذا لم يكن قادراً على تحمل الاختبار كفلاح وحراث ! على كل حال فإن يوريماخوس الذى وُجه إليه التحدى كان من ملاك الأراضى ولدينا صورة رائعة عن حياة والد اوديسيوس لأرتيس الذى كان يملك ضيعة ريفية وتقع على مسافة من المدينة وتمتد الضيعة حول منزل مبنى من الحجارة وتقع على جانبه الحظائر ومبانى إيواء الخدم والعبيد وكان يسعد لأرتيس أنْ يعمل فى حديقته الواسعة التى تضم أشجار الأعناب والتين والكمثرى والتفاح والزيتون ونستدل على اتساعها عندما نجد اوديسيوس يذكر والده بوعده فى طفولته بأنه سوف يعطيه عَشْرَ أشجار تفاحاً وثلاث

عشرة شجرة كمثرى وأربعين شجرة تيناً وخمسين صنفاً من الأعناب ، وكانت الحديقة محاطة بسور. ومن الجدير بالقول أن أوديسيوس عندما عاد والتقى بوالده وجده يعزق الأرض تحت شجرة ويرتدى ملابس قديمة قذرة ، وكان يحمى ساقيه بجلد ثور من الأشواك ويلبس قفازاً لحماية يديه ويغطى رأسه بقلنسوة من جلد كلب ، ويعاونه فى مزرعته اثنتا عشرة عبداً ، وأبناء الملك كانوا يشتغلون بالرعى بمحض إرادتهم كما كان الإله أبولو وكان المالك لا يستطيع العمل وحده فى العمل الزراعى بل كان يعاونه الأبناء والرجال الأجراء وأحياناً العبيد والأتباع وكانوا يعملون فى الحصاد وجمع الأعناب والزيتون ورعى القطعان . والرعاة من العبيد ومن الأحرار أيضاً . وكانت النساء يعملن فى الحقول إذ نجدهن يشاركن الشباب فى جمع العنب ويجلبن المياه من مسافات بعيدة وإعداد الطعام وكان إعداد الخبز والوجبات الأساسية وطحن الدقيق باستخدام الأرحاء . ولما كان الطحن من الاعمال المجهدة فقد قامت به الإماء والخادمات ، كما كان من واجبات المرأة نسج الملابس ، فكل عمليات الغزل والنسيج كانت تتم فى المنزل ، وكانت سيدة المنزل تسلم الصوف للخادمات والإماء للقيام بتنظيفه وندفه ثم يغزل وينسج تحت إشرافها وقام بهذا العمل نساء الملوك مثل بينلوبى وأرتى Arete زوجة الكينوس . وكان يصاحب مراحل النسج المختلفة الغناء كما كان على النساء غسل وتنظيف الملابس وهذا لم يكن واجب نساء الطبقات الدنيا فحسب بل نجد بنات الملوك يقمن بهذا العمل . فبالقرب من طروادة كان يوجد مكان فسيح عند صخرة حيث كانت زوجات وبنات الطرواديين يغسلن الملابس الغالية وتعرف الأميرة نوسيكا أنَّ إخوتها كانوا يريدون ملابس نظيفة للرقص ومن ثم فقد حملتها ومعها خادماتها وكن يسقن العربات إلى مكان الغسيل . والمرأة المثالية هى التى تجمع بين

الجمال والثراء والذكاء مع يدين ماهرتين دون اهانة فى تذكيرها .

كما نجد أن الرجال النبلاء والوضعاء يقومون بأداء كل أنواع الحرف فى المنزل. فكل الواجبات والمهام تناسبهم ، فقد كانوا صناع صنادل وأحذية ، لقد صنع يومايوس الراعى لنفسه صندلاً وقطع أوديسيوس شريطاً من جلد بقرة وكان أوديسيوس بناءً ايضاً فقد بنى وحده منزله كما بنى يومايوس حظيرة خنازير وكانوا نجارين وصناع صناديق وبناة قوارب كما كانوا قاطعى خشب ، فنجد يومايوس يحيط مخدعه بحاجز من خشب شجر البلوط ، وصنع أوديسيوس ابواب منزله ثم اثثه ، وصنع من شجرة زيتون ضخمة سرير طعمه بالذهب والفضة والعاج ، كما نجده يصنع قاربه وكل فلاح كان يعرف طول قطعة الخشب التى يختارها لصنع رحاة وعجلة العربة وقوالب وأجزاء محراثه وأدوات الزراعة

٢ـ عمل العبيد والرعاة الأجراء ودورهم فى مجال الزراعة والرعى :

لم يشكل العمال الأجراء Thetcs نسبة كبيرة من العمال الزراعيين وعلى العكس من ذلك فقد شكل العبيد الجانب الأكبر من العاملين فى حقل الزراعة والرعى ولم تكن الصناعة والتجارة بحاجة إلى عبيد . فنجد أن أوديسيوس كان يملك عدداً كبيراً من العبيد فكان بيته يضم خمسين فتاة ، وكان يحرس قطعانه ثلاثون من الرعاة واثنتا عشر رجلاً اشتغلوا فى زراعة الحبوب والكروم ورعاية أشجار الفاكهة . أما والده لأرتيس الذى انسحب إلى الريف وعاش فى مزرعته فقد احتفظ بسيدة عجوز حتى ترعاه ودوليوس Dolius وستة من أبنائه وزوجته وبعض العبيد للقيام بأعمال الزراعة وكان عددهم اثنتا عشر عبداً . وكان الرجال الذين يعملون فى الحقول والرعى أقل

عدداً من عدد النساء فى المنزل وكان العمل المنزلى يقوم بـــه النســاء فكــن يطحــن الحبوب ويعجن الدقيق ، ويخبزن الخبز ويجهزن الشربة ويغزلن وينســـجن ويخيطــن ويطرزن تحت إشراف ربة البيت أو مديرة المنزل الملكى . وفى نفس الوقت كن فـــى الخدمة لإسعاد رب الدار . ولكن كن يذهبن إلى الحقول فى موســـم الحصــاد لإعــداد وجبات الحاصدين . أما الرجال فكانوا يكلفون باعمال قليلة فى المـــنزل مثــل إعــداد وتجهيز العربة لنوسيكا بناءً على أمر والدها ، وفى قصر أوديسيوس نجد عبداً يعـــاون الإماء بالحمام ، وكان الرجال يقطعون الخشب ويخدمون ويقطعون اللحوم فى الأعيـــاد والاحتفالات ، ففى أحد الأعياد وجدنا مربى الخنــازير يومــايوس يــوزع الأكــواب ، وراعى البقر يحمل الخبز ، وراعى المــاعز كحــامل للأكــواب ، ونجدهــم يعملــون كمحترفين ، ولكن كانت العناية بقطعان الحيوانـــات الخاصـــة بـــالحمل أو الحيوانـــات الصغيرة ، وكان على البعض منهم القيـــام بالعمليـــات الزراعيـــة المختلفـــة ، ونقــل المحصول وإعداد الخمر ، فقد كانوا فى الحقول مع مطلع الفجـــر ولا يعــودون إلـــى المنازل إلا فى المساء ، وبعد تناولهم وجبة العشاء كانوا ينامون فى المبانى الخارجيـــة حول الفناء وفى الشتاء كانوا ينامون على الأرض فى القاعة الرئيســـية طلبـــاً للـــدفء وكان سيدهم ينام معهم أحياناً كما كان يفعل لاأرتيس .

ومع ذلك فإن عدداً كبيراً من العبيد لم يعيشوا فـــى المنـــازل ، لأنـــهم اشـــتغلوا واعتنوا بتربية ورعى الحيوانات لحساب سادتهم إذْ إنَّ بلاد اليونـــان الهومريـــة كـــانت أرضها الزراعية أقل من أراضى المراعى المشاعية وكانت المزارع محاطة بمســـاحات واسعة من الأرض المشتركة فقد كان يتمتع كل مواطن بحق رعى قطعانه بها . وكـــان العبيد الرعاة يحضرون لسادتهم الحيوانات المطلوبة للذبح ولعل هذا كان يحدث يوميـــاً

من قبل أرباب القصور أو فى المناسبات بالنسبة للأسر الفقيرة وفى المقابل كـــان بيـــت السيد يقدم الدقيق والخمر للعبيد وكانوا يذبحون أحياناً حيوانـــاً أو حيوانيـــن لطعامـــهم ولإطعام ضيوفهم مثلما فعل يومايوس عندما استقبل باحترام الضيف الذى أرسلته الآلهـة إليه وهذا الضيف هو اوديسيوس المتنكر فى هيئة شحاذ .

وكان هؤلاء الرعاة يعيشون بعيداً عن الأراضى المزروعة أى فـــى الأوديـــة أو فى الأودية الضيقة إذْ توجد حظائر الدائمة للحيوانات التى كانت تأوى إليـــها القطعـــان لحلبها ولإرضاع صغار الحيوانات ولحمايتها من الحيوانات المفترسة ولحمايتـــها مـــن الرياح وكانت تقع الحظائر بالقرب من جداول المياه لسقى الحيوانات . وكانت تســتخدم الكهوف كحظائر فى بعض الأحيان . وكانت هذه الحظائر بسيطة فكـــان يتـــم فرشـــها بالقش ويتم تسويرها . وكان الرعاة يستخدمون كلاب الحراسة الشرسة . أما عن بيـوت الرعاة فكانت بيوتاً بسيطة ، ومنزل يومايوس خير شاهد فكـــان يتكـــون مـــن مدخـــل وحجرة كبيرة وبها الموقد وكان أثاثه بسيطاً . فكان منضدة لتقطيـــع اللحـــوم ، وجلـــود أغنام وماعز مفروشة على الأرض أمام الموقد وكان الرعاة يســـتخدمونها فـــى النـــوم عليها . وفى مناطق الغابات كان الرعاة يعيشون فى مجموعـــات صغـــيرة يخضعـــون لإشراف مشرف مسئول أمام المالك وكانت حياتهم خشنة إذْ كانوا ينامون فـــى الخـــلاء ويحرسون القطعان من هجوم الحيوانات المفترسة مثل الذئاب والنمـــور والأســـود . أو من سطو رعاة آخرين، فنجد يومايوس بعد أنْ وفر أسباب الراحة لضيفـــه أوديســـيوس المتنكر خرج فى الليل لتفقد القطعان خشية هذه الأعمال وكـــان مرتديـــاً قبعـــة طويلـــة ومعطفاً من جلد الماعز ومسلحاً بسيف ورمح مســـنون . ونجـــد منظـــراً علـــى درع اخيليوس لأربعة رعاة يحاولون ومعهم كلابهم أن يقضوا على أسدين كانا قد قتلا ثـــوراً.

كما نجد أن هجوم المسلحين من المدن المجاورة والقراصنة الذين كانوا يأتون من أماكن بعيدة بغرض السطو والاستيلاء على القطعان .

إن دور الرعاة الاقتصادى فى المقام الأول هو تقديم اللحوم الطازجة والأصواف والجلود وعمل الجبن . وتقدم لنا الأوديسية على لسان أوديسيوس وصفاً مفصلاً عن صنع الجبن فى بيت الكوكلوبس إذ يقول " دخلنا الكهف فقدرنا أنه مسكن راع غنى حاذق ، إذْ كان هناك حظائر لصغار الغنم والماعز مقسمة حسب أعمارها ، وكانت هناك سلال ملأى بالجبن ، ودلاء طافحة باللبن صفت حذاء الحائط ..." وهناك الآنية التى تحلب فيها الحيوانات . وعملية تصنيع الجبن معروفة جيداً فى هذا العصر ، فقد كانت القطعان تخرج للرعى فى الصباح الباكر ، بعد إرضاع صغارها وتبقى الأخيرة فى المنزل ، وعندما يحل الظلام فإن القطعان من الأمهات كانت تعود إلى المنزل وضروعها ممتلئة وتنادى بجلبه على صغارها وكان صغارها يخرجون من عششهم ، وكان يتم حلب الأمهات قبل أن تعود إلى حظائرها وكان يترك جانب من لبنها فى ضروعها لإرضاع صغارها . وكان اللبن الحليب يستخدم للطعام ولصناعة الجبن حيث كان يخثر اللبن بسرعة واللبن المثر كان يوضع فى سلال الأسل كى يقطر وبعدها فإن الجبن يعجن ويضغط والجزء الصلب كان يوضع على أطباق مجدولة فى منطقة محمية حتى تتم عملية التجفيف .

أما عن أصل ومصدر العبيد فمنهم من فقد حريته نتيجة الأسر أو الشراء أو الاختطاف وأيضاً أبناء العبيد كانوا عبيداً ، أما العبيد بالمولد فلدينا مثال إذ نجد العبد دوليويس كان عنده سبعة أبناء من زوجته الصقلية وستة من هؤلاء عملوا لحساب

لأرتيس نفسه أما السابع ميلانثيوس فقد صار رئيسا لرعاة الماعز ولكنه خان سيده وانضم إلى جانب الخطاب وأخته ميلانثو Melantho قد سبّبت في منزل أوديسيوس وصارت خادمة هناك ولكنها هي الأخرى تصرفت على نحو سئ في إقامتها علاقات غير شرعية من الخطاب وبعض العبيد والإماء وكانوا من الأحرار وخاصة النساء وتم بيعهم من قبل أبائهم وكانت الإماء من هذا المصدر يتم احترامهم وتمييزهم من قبل ساداتهم لجمالهن ، ونعرف أن بعضهن قد تم شراؤهن بأثمان عالية فنجد لأرتيس يشترى ايوريكليا الكريمة المحتد بعدد لا يقل عن عشرين ثوراً ، فقد كرمها مثل ولكنه زوجته ولكنه لم يجرؤ على أن يجعلها خليلته خشية غضب زوجته انتيكليا Anticileia فقد كانت مربية أوديسيوس ثم من بعده تليماخوس ثم اختتمت حياتها كمديرة للمنزل . ومن مصادر العبودية الأسر ففي الحروب كان من التعارف عليه قتل أغلب الرجال ويؤخذ بعض النبلاء والذين قد يدفع عنهم فدية كبيرة فعلى سبيل المثال نجد ليكاؤن Lycaon بن برياموس كان قد بيع على يد اخيل بعدد مائة ثور وقد حقق مشتريه ربحاً كبيراً لأن ليكاؤن قد افتدى بثلاثة أضعاف الثمن الذي دفع . أما النساء والأطفال فكان يتم أخذهم لأنهم كانوا يشكلون غنيمة كبيرة . حيث كان يمكن بيعها في أسواق النخاسة الموجودة وخاصة السوق في جزيرة حيونس التي تخصصت في بيع النبيذ والعبيد وكانت القرصنة مصدراً من مصادر الحصول على العبيد .

لقد حقق التجار الفينيقيون شهرة كبيرة في هذا المجال ويخبرنا يومايوس كيف أن بعض التجار الفينيقيين الذين كانوا قد رسوا في سيروس Syros قد قبضوا عليه عندما كان طفلاً بمساعدة أمه وأبيه وكانت من مدينة صيدا وفي منطقة شمال بحر إيجة فإن رجال ليمنوس Lemnos قد هاجموا بانتظام سواحل تراقيا للحصول على العبيد

وفى الغرب كان التجار الأساسيين هم من التفنيين Tapheins والتليبونيين Teleboens فكان هؤلاء القراصنة لا يترددون فى الهجوم على غنائم عندما تسنح لهم الفرصة ويخبرنا أوديسيوس بدون خجل كيف أنه عندما رفعت به الرياح إلى الساحل التراقى عند اسماروس فهاجمها وقتل بعض رجالها واستولى على بعض نسائها . وهكذا نجد أن هناك روافد للعبودية فى ظل المجتمع السهومرى والآن ما هو وضع العبد فى أسرة سيده . فنجد أن العبد بمجرد أن يدخل فى خدمة سيده فإن وضعه لم يكن سيئاً فقد أصبح جزءاً من الأسرة بنوع أدنى من التبنى ، وهذا الوضع يجعله فى وضع المعاون مثل التابع ولهذا فإن العبد لا يعد مثل الدواب وله شخصيته وبدون شك فإن السيد له حق إبقاء أو قتل عبده ولكن ليس أكثر مما للزوج على زوجته أو الأب على أولاده كرئيس للأسرة أن العبيد الشباب الذين يربون فى المنزل كانوا يعاملون بالحسنى فنجد يومايوس الذى تربى وكبر فى بيت لارتيس قد دعى أوديسيوس بأخيه المحترم ، إذ بقى فى المنزل إلى أن بلغ العشرين وبعدها أرسل للعمل بالرعى فى الحقول وقد منح ملابس جديدة ومعطفاً طويلاً ورداء وصندلاً ، وعندما يتكلم إلى أوديسيوس فإنه يمتدح لطف أمه انتيكليا التى استمرت تراقبه بشعور الأم من بعيد وعندما تموت انتيكليا فإن زوجة ابنها بنيلوبى تأخذ دورها فى الحماية وأيضاً نجدها أخذت ابنة العبد دوليوس كى تعيش معها وكانت قد أولتها بعنايتها ورعايتها كما لو كانت ابنتها . إنّ ما يتأسف عليه يومايوس هو سوء حظه الذى سببه الخطاب فيعلن أنه خسر كل شىء مع أنه كان لديه ما يكفى لطعامه وشرابه وحتى ما يمكنه إسعاد الضيوف ، ولكن يتأسى أنه لم يعد يسمع الكلمات العذبة لسيدته والعبيد يحتاجون أن تروى سيدتهم وأن يتحدثوا إليها ويطلبوا منها النصح وأن يأكلوا ويشربوا فى منزلها .

ان المعاملة الطيبة تولد الشعور بالامتنان وتجعل العبد ينسى ميلاده رويداً رويداً . ونتيجة لذلك فإن غياب أوديسيوس الطويل لم يضعف شعور الواجب لعبيد الريف وعندما عاد أوديسيوس وكشف عن شخصيته فإن عدداً كبيراً من عبيده لم يخف فرحتهم ومشاعرهم تجاه سيدهم ولعل كلمات يومايوس الموجهة إلى أوديسيوس المتنكر خير شاهد على الوفاء والحب كم سيكون سعيداً إذا ما كان أوديسيوس موجوداً فإنه سيمنحنى منزلاً وأرضاً وزوجة جميلة وكل الأشياء الطيبة التى يمكن لسيد أن يمنحها للعبد الذى يعمل بجد له والذى صار عمله مستمراً بواسطة الإله . وكل هذه الأمانى والرغبات قد تم الوفاء بها بعد عودة سيده . ونجد أن يومايوس قد تمكن من شراء عبد .

ومع استمرار ولاء الغالبية فإنّ عدداً قليلاً قد تمرد على سلطة ربة المنزل أثناء غياب زوجها وكانت عقوبتهم شديدة فقد تم قتل راعى الماعز ميلانثيوس وقتل اثنتى عشرة أمة كن قد عصين بينلوبى وأقمن علاقات غير شرعية مع الخطاب .

٣- العمال الأجراء : Thetes

وكانت بعض الأسر تحتاج إلى جهود عمال أجراء بالاضافة إلى أفرادها وعبيدها لإنجاز الأعمال الزراعية والرعوية ، وكان هؤلاء العمال الأجراء من الأحرار ويمثلون طبقة متواضعة تكسب لقمة عيشها بالكد والعرق ويحصلون لقاء عملهم على الأجرة ويتكون هؤلاء من المطرودين من أسرهم أو من الفارين من ثأر أو من الراغبين فى المغامرة والتغيير أو من العبيد الآبقين . وكانت أحوالهم سيئة وكان عليهم العمل الشاق كى يدافعوا عن وجودهم فالرجل بدون بيت لا يحسب كمواطن ولا حقوق له والغريب ، فوق كل هذا ، محروم من اللجوء للقضاء عند الاعتداء عليه وعند

المعاملة السيئة لأنه ليس له قيمة الإنسان . والبعض منهم احترف الشحاذة والتشرد .

وكان العمال الأجراء عمالاً فقراء لأنهم لا يملكون أرضاً ولا مهنة أو حرفة . وأغلبهم قد عمل فى حرفة الرعي ، فكان بعض رعاة الأغنام فى اثيكا من الغرباء الأجراء، وعندما ظهر أوديسيوس ، فقد كان فى ثوب شحاذ ، وكم سيكون يومايوس الراعى سعيداً لو احتفظ به كعامل مساعد كما نجد أن الراعى ميلانثيوس قد عرض اقتراحاً بأن يعمل مشرفاً على الحظيرة وتنظيفها ويحمل العلف إلى صغار الحيوانات . كما نجد البعض منهم عمل فى مجال الزراعة فى الضياع الكبرى وعند الملاك المتوسطين فنجد أحد الخطاب ايوريماخوس قد عرض على أوديسيوس العمل عنده قائلاً : أيها الغريب إذا أردت أنْ تعمل كعامل أجير فسوف استأجرك ، سوف تعمل فى الجزء البعيد من أرضى ، لتبنى جسراً من الحجر ، وتغرس الأشجار . وفى مواسم العمل الزراعى فإن المزارع الصغيرة كانت تحتاج إلى عمل الأجراء . وسبق أن عرضنا الحوار الذى دار بين أوديسيوس وبين ايوريماخوس . كما نجد العمال الأجراء يعملون لدى الأسر الكبيرة ويقومون بأداء أنواع من الأعمال المختلفة فالبعض منهم عمل مجدفاً ، كما نجد أوديسيوس يعرض أن يقوم بأداء أى عمل يسند إليه بسرعة إذ نجده يقول "سوف أوقد النار وأقطع الخشب واللحم وأسلقه وأصب الخمر وأقوم بأداء كل عمل يقوم به الوضيع لحساب الرجال العظام .

ونجد أن النساء قد عملن كأجيرات فى المنازل ونادراً ما ذهبوا لإنجاز أعمال فى الحقول وإذا ما ذهبوا فكانوا يذهبون لإعداد الطعام للحصادين . وكانت القصور تحتوىَ على العديد من النساء الحرائر المأخوذات إذْ عمل بعض كمرصفات وخدم على

الموائد ويرتبن السرر ويجهزن الحمام ، ويغسلن الملابس ويقضين بقية الوقت في الغزل والنسج وكانت مدد العمل تختلف وفقاً لارادة الأطراف ، فبعض الأعمال كان يتم انجازها بالمقاولة مثلما حدث في الاتفاق بين أوجياس Augeias وهرقل حيث يقوم الأخير بتنظيف الحظائر ، كما نجد هرقل بقى مع او مفالى Omphale لمدة ثلاث سنوات ، والبعض الآخر كان يعمل لانجاز مهمة محددة مثلما فعل بوسيدون وأبوللون في العمل لمدة عام لبناء سور طروادة .

وكانت الأجرة دائماً محدودة بشكل واضح ، فكان للعامل الحق في الحصول على أجره الذى يتم الاتفاق عليه وكانت الأجرة عينية فقد وعد أوجياس هرقل بأن يحصل على عُشر الماشية أى الحصول على حصة من الزيادة في القطعان . ومن المرجح أن نفس الشيء قد حدث في المواد التى يصنعونها ولكن كانت الحصة غير كبيرة فالمرأة التى تعمل في حقل النسيج كانت تواجه صعوبة في إطعام أطفالها من أجرها الزهيد والعامل الأجير لا يمكنه الاعتماد على وعد المؤجر ونجد الحوار بين أوديسيوس وايوريماخوس إذ نجد الأخير يخاطب الأول : أتقبل أن تكون أجيراً لى قالها إننى أقدم شروطاً جيدة فسوف أعطيك ملابس وأحذية ، وعندما تظاهر أوديسيوس برغبته في أن يخدم الخطاب ، فلم يطلب أجراً ولكنه طلب طعامه فقط ، والأجير لا يكون متأكداً من حصوله على مؤنة كافية ومتنوعة نجد رجلاً يعد يرعى قطيعه من الماعز بأنه سيكبر ويسمن من شربه اللبن وحتى العمال المؤقتين لا يحصلون على أكثر من طعام عدة أيام، وفى وقت الحصاد كان الحصادون يحصلون على أجرتهم فقط من لحم الثور المذبوح بمناسبة الحصاد .

وكانت حالة خادمات المنازل الكبيرة أفضل ، فمع أنهن لم يتميزن عن الإماء إلا أنهن كن يقمن بالأعمال الجيدة وكن يعتبرن أنفسهن من أعضاء المنزل . وبعضهن عمل كمديرات للمنازل والبعض الآخر مارس الأعمال المنزلية المختلفة .

وعلى أية حال فكانت حالة الأجراء سيئة لقلة أجورهم وأيضاً عدم ضمان الوفاء بها فالعقد الذى يربطهم لا يربط سيدهم فلا حقوق لهم . فماذا يمكن فعله لو أن السيد لم يف بوعده ؟ عندما انتهى بوسيدون وابوللون من العمل لمدة عام عند لاوميدون وطالباه بالأجرة رفض الأخير إعطاءهما أجرتهما وهددهما بأنه إذا لم يرحلا بأسرع ما يمكن فإنه سيقطع أذنيهم ، فاضطرا لمغادرة طروادة بقلوب متألمة وأيدى خالية . فماذا يمكنهما عمله ؟ لقد ضمن هرقل أجره لثلاث سنوات مقدماً من ادمفالى من خلال حق البيع الوهمى ولكن حالته كانت استثنائية وهرقل ذاته تعرض لخديعة ملك طروادة الذى وعده أن يعطيه مكافأة سخية عندما يقضى على الخطر الذى يهدد المدينة . وكان بعض هؤلاء العمال يضمنون مستقبلهم والبعض منهم مثلهم مثل الشحاذين.كانوا مهددين بأن يغلوا بالسلاسل ويباعوا كعبيد فى جزيرة بعيدة . والبعض منهم يتحول إلى شحاذ عندما لا توجد فرص عمل ولم يكن أمامهم سوى التسول والتشرد ، وكم من هؤلاء المتسولين نراهم فى الأوديسة ضعافاً ، شاحبى الوجوه ، جائعين قذرين . وكانوا يتجولون فى الريف وفى المدينة ويذهبون من منزل إلى منزل ويظلون أمام الأبواب انتظاراً لما يجود به صاحب المنزل أو الحصول على بقايا الطعام المتبقى على المائدة . وقد نظر إليهم على أنهم رسل زيوس حاميهم وقد استغل البعض منهم هذا وفضل هذا النوع من حياة التشرد والتسول ، وكانت المنازل الكبيرة لا تخلو من المتطفلين مثل إيروس Iros الشحاذ فى بيت أوديسيوس وسنتكلم عنهم فيما بعد عند الحديث عن الحرف والمهن .

الصناعة والحرفيون

احتلت الصناعة مكانة كبيرة بجانب الزراعة وتربية الماشية وصيد السمك وكان الغرض منها هو سد الاحتياجات المحلية ، وقد استخدم اليونان فى هذا العصر مواد البناء (الحجر والرخام) والمعادن (نحاس ، صفيح ، فضة ، ذهب) والمنسوجات (الصوف والكتان) والخشب والجلود والصلصال اللازم لصناعة الآنية الفخارية . ولا تقدم لنا المصادر معلومات عن استخدام المحاجر أو مناجم المعادن ولا نعرف إذا ما كان اليونان قد زرعوا الكتان أم لا ، وكانوا يحصلون على الصوف والجلود من الحيوانات التى يربونها والتى يصطادون البعض أحياناً وقد قدمت الغابات كميات وفيرة من الأخشاب . إن وصف الإلياذة للقصور الفخمة والمملوكة لبرياموس وأوديسيوس ونستور ومينلاوس والكينوس تقدم دليلاً على وجود المبانى الضخمة المزينة وأيضاً المبانى والمنازل العادية . وقد اشتغل نفر من السكان بصناعة وسبك وتشكيل المعادن الرخيصة والنفيسة فتكشف لنا الأشعار عن وجود الحدادين وصناع الأسلحة وصانعى الذهب ، وقد زين هؤلاء موادهم المصنعة بزخارف رائعة ومنها درع أخيل فى الإلياذة وحزام هرقل فى الأوديسة وأسلحة أجاممنون فى الإلياذة والكثير من المزهريات المعدنية (من الذهب والفضة والبرنز) وتكشف الإلياذة والأوديسة عن أن الحداد كان يعمل بأدوات هى : المنفاخ والسندان والشواكيش والملاقط . وقام صانعوا الذهب بنقش مشغولاتهم واستخدموا الطرق وطعموا منتجاتهم بالأحجار الكريمة وصناعة رقائق من الذهب وشكلوا منتجات مختلفة من العنبر والعاج ، والذهب . وقد انتشرت صناعة الملابس وكانت تتكون من غزل ونسج الكتان والصوف وحياكة الملابس وتطريزها وصناعة السجاد وسبق القول أن هذه العمليات كانت تتم فى المنازل .

أما عن صناعة الجلود فكان يتم دبغها وتنظيفها وبعد ذلك يتم استخدامها كمعاطف فى صناعة الدروع والأحذية .

وكانت صناعة الخشب متطورةً فكان يتم قطع الأخشاب من الغابة وتنقل جذوع الأشجار على ظهور البغال وتقطع وكانت تستخدم فى بناء السفن وصنع الأثاث وأدوات الزراعة مثل المحاريث وغيرها . وكان النجارون ونجارو السفن يعملون تحت رعاية والهام الربة اثينا التى ألهمتهم اياها . كما ازدهرت صناعة الفخار فى هذا العصر واستخدم الفاخورية العجلة لصنع الآنية والمزهريات .

وبعض الصناعات السابقة كان يتم فى المنازل مثل النسيج وصنع الآنية والجلود وصنع المواد الخشبية ، فنجد النساء كن يقمن بغزل ونسج الصوف وحياكة الملابس وتطريزها وصناعة السجاد ، كما يتم صنع الصنادل فى المنازل كما فعل يومايوس ، كما كان أوديسيوس ماهراً فى النجارة فصنع أبواب بيته وصنع سريره من جذع شجرة زيتون عتيقة وبنى قارباً وقد يكون أوديسيوس استثناءً عن القاعدة فهناك صناعات وحرف تحتاج إلى متخصصين مثل صناعة المعادن وتشكيلها وبدون شك حرفة البناء وصناعة الفخار ، وهناك ذكر لحرفيين متخصصين فى صناعة الأسلحة مثل تيخيوس Tychios ولايركيس Laerces الذىالذى استدعى لتزين قرون ضحية بالذهب مقدمة من نستور للالهة اثينا وكان قد أحضر معه أدواته البرنزية مثل السندان والمطرقة والكماشة فقد طرق الذهب فى شكل رقائق ولف هذه الرقائق حول قرنى الضحية وقد عمل صانعوا الذهب تحت رعاية الإلهة أثينا والإله هيفايستوس وكان الأخير راعياً وحامياً لكل الحرف والصناعات التى يستخدم فيها النار وكان ملهماً

للحرفيين .

وكان يعمل الحرفى فى ورشته الخاصة وخاصة الحداد الذى وحدته ورشة حدادة وكانت ملتقى فى أيام البرد للمتعطلين والمتسكعين وقد نصح هيسيود الرجال بقوله إن على الرجل الجاد أنْ يمر عليهم دون أنْ يتوقف ، وكانت تتكون من موقد ومنفاخ من الجلد وسندان وصندوق أدوات ومطرقة وكماشات قصيرة وطويلة الأيدى لسك المعادن الساخنة الحمراء على السندان . وكان لبس الحداد بدون أكمام ومفتوح من الجانب الأيمن ليترك كتفه ونصف صدره حراً وكان يقوم بتشكيل المعدن سواء أكان من الحديد أو البرنز حسب طلب العميل . وفى بعض الحالات التى لا تحتاج لأى أدوات ثابتة أو ثقيلة كان صانعو المعادن يقومون بأداء العمل فى بيت العميل كما ذكرنا سابقاً عن صائغ الذهب الذى أخذ أدواته معه . ومن الملاحظ أنه لا يوجد حد فاصل بين صناع المعادن مثلاً والحدادين وصائغى الذهب فنجد لايركيس أحد صناع المعادن وصف كحداد وكصائغ ذهب . وكانت هذه الحرفة تحتاج إلى كفاءة عالية ومهارة خاصة والتى لا تتأتى لصانع إلا بعد تدريب ، ولدينا بعض الإشارات عن حرفيين قد أنتجوا الآنية والمراجل وحلى الزينة والسلاسل والعقود والميداليات والدبابيس والتيجان وزينة الصدور .

وتقدم لنا الأشعار أيضاً إشارات عن صناع الأسلحة والأدوات العسكرية التى كانت تحتاج إلى متخصصين وخبراء فى صناعتها وتطعيمها وهناك أيضاً صناع تخصصوا فى صناعة الدروع والخوذ والتى كانت صناعتها معقدة . كما نجد صناع معادن قاموا بصنع الآنية ومن أشهرها الآنية ثلاثية الأرجل والتى كان يمكن وضعها

على النار ويتم استخدامها لنقل اللحم المسلوق من مكان الطبخ إلى حجرة الطعام وهناك وصف لإناء من هذا النوع قد صنعه الإله هيفايستوس لصديق له وكان له عجلاته من الذهب كما نجد أن أخيل قد خصص إناء من هذا النوع كجائزة للفائز فى سباق العربات وكان اناءً ضخماً (اذان) سعته حوالى ١٧ جالوناً كما انتجوا كل أنواع المراجل والرواقيد والآنية الجنائزية وأوعية المطبخ وأكواب الشراب وكل هذه الأدوات صنعت من البرنز والنحاس ولكن البعض منها صنع من معادن نفيسة ويتم زخرفتها بالأشكال الزخرفية ، كما نجدهم يساهمون فى تزيين القصور ومنها قصر الكينوس الذى زينوه بأطباق من البرنز ذات الإفريز المطلى باللون الأزرق عند حافته العليا . وخططوا العتبة بالبرنز وغطوا أو كسوا الأجناب المدعمة والعتبة العليا للباب برقائق من الفضة والباب نفسه برقائق من الذهب وعرفوا أيضاً كيف يمكنهم نحت الخشب فى شكل تماثيل وتغطيتها برقائق الذهب والفضة ومنها الكلاب الرائعة التى تحرس بوابة قصر الكينوس وحمالة المشاعل الذهبية التى تزين بهو القصر . كما نجد الحدادين كانوا يصنعون الأدوات الزراعية المختلفة من بلط وفؤوس ومناجل ومحاريث ... الخ .

كما نجد النجارين المتخصصين يعملون فى بناء السفن لحساب الأمير باريس أو صناعة الأدوات المختلفة سواء كانت منزلية أو زراعية ، فقد صنعوا الأثاث مثل الموائد والكراسى والسرر وكانت مقاعد الاحتفالات يتم تصنيعها على أيدى نجارين متخصصين ، كما نجد باريس يستخدم نجارين متخصصين لمساعدته فى بناء منزلين بجوار قصر والده الملك بريام .

وكان العملاء يقدمون سواء للحدادين وصائغى المعادن أو النجارين المواد الخام ويعاملون باحترام فى بيوتهم ، كما نجد أن للحرفيين أحياء خاصة بهم مثلما فى اسخيريا حيث كانت تتجمع ورش صنع الملابس والسجاد والأشرعة والمجاديف .

ويرى البعض أنه كان يتم تعويض هؤلاء العمال والحرفيين عندما يطلبون لأداء أعمال عامة وخدمات معينة للدولة أو المدينة بمنحهما قطاعات لتصبح وراثية لهم وفقاً لهذا الرأى يكونون فى خدمة الجماعة وفى نفس الوقت الذى يكلفون به لأداء وإنجاز أعمال خاصة بالجماعة كان يمكنهم القيام بأداء وإنتاج الطلبيات الخاصة بالأفراد والتى سيحصلون من أصحابها على أجرتهم العينية وبعض الهدايا .

وكل الحرفيين على ما يبدو كانوا من الأحرار فلا يوجد فى الإلياذة والأوديسة ما يشير إلى أن العبد قد انخرط فى حرفة ذات مهارات ولهذا فلا يوجد شىء يحقر العمل بالنسبة للحرفيين وكانوا يلقون الرعاية والاحترام . وحقق البعض منهم شهرة عظيمة ولامعة ومن هذه الأسماء أسماء النجارين ابليوس Eplios فى المعسكر اليونانى وفيريكليوس الطروادى Phereclios صانع القوارب ، وايكماليوس Ikmalios صانع الكبائن فى أثيكا . ومن بين الحدادين هناك لايركيس صائغ الذهب والحداد فى بيلوس ومن بين صناع الجلود هناك ينخوس صانع الدروع فى هيلى Hyle وبولوبوس الذى الكور فى اسيخريا وكثيراً ما ذاعت شهرة الحرفيين خارج أسوار مدينتهم وكان يتم استدعاؤهم وانتقالهم من مدينة إلى مدينة لأداء عمل معين أو للإقامة الدائمة . وكان يعامل كضيف ذى حيثية ويتم رعايته وتكريمه ويمنح الهدايا التى تتناسب مع ثروة مستخدمه ووفقاً للخدمة التى أداها . وعموماً فإنّ الحرفيين لم يكونوا بالكثرة فى مدن

العصر الهوميرى وذلك لقلة الاحتياجات عموماً فكان حداد أو فخرانى واحد يكفى بـأن يقوم بإنتاج احتياجات البلدة . إن النجارين وصناع الجلود كانوا معروفين علـى نطـاق واسع فى مناطق بعيدة عن مساقط رأسهم ، لأن مثل هؤلاء الحرفيين لا يوجـدون فـى كل مكان ولذا كان يتم طلبهم للقيام بالواجبات والمهام الاستثنائية .

الأسفار والترحال والملاحة والقرصنة والتجارة :

نستخلص من الأشعار الهومرية أن روح المغامرة كـانت تسـود فـى العـالم اليـونانى ، وأن أبطال ذلك العصر كانوا مغامرين وجائلين تركوا الموقـد والموطـن باحثين عن المغامرات مثل حملتهم على طروادة ومثل قصص كـل مـن أوديسـيوس ومينلاوس حول مغامرتهما فى طريق عودتهما إلى وطنيهما فقد أخبرانا أنهما قد ضـلا طريق العودة فقد ظل أوديسيوس جائلاً لمدة عشرة أعوام لاقى فيها الأهـوال قبـل أن يصل إلى موطنه ومملكته إيثاكا ، بينما قضى مينلاوس سبع سنوات جائلاً من قـبرص إلى فينيقيا إلى مصر قبل أن يعود هو الآخر إلى مملكته اسبرطة .

وتكشف لنا الأشعار عن اسباب عديدة للسفر والترحال : (١) فقد يكون المسـافر فاراً من موطنه مثل العراف ثيوكليمنوس أو أن يكون قد نجى من سفينة غارقـة مثـل أوديسيوس (٢) الزيارات العائلية مثل زيارة أوتوليكوس Autolycus جد أوديسـيوس لأمه فى إيثاكا بمناسبة ولادته وهى المناسبة التى اختار فيـها اسـم حفيـده أو زيـارة أوديسيوس إلى بلد جده (٣) زيارة الملك أو الأمير بغرض أداء الطقوس الدينية وتقديـم القرابين للآلهة أو لاستجداء الإلهة مثل زيارة مينلاوس إلى طروادة وزيارة أوديسـيوس المزعومة إلى دودنا (٤) زيارة الأمراء فى رحلات دبلوماسية فقد أرسل لأرتيس ابنـه أوديسيوس إلى ميسينيا ليطالب بالتعويض عن سرقة ثلاثمائة نعجة ورعاتها مـن قبـل

القراصنة الميسينيين . وذهاب أوديسيوس وميلاوس بعد ذلك إلـى طـروادة للمطالبـة بعودة هيلينا (٥) الاسفار بغرض التجارة مثل رحلة مينتيس ملك التفنيين إلـى تميـا Temea على شواطئ البحر التيرانى لمقايضة شحنة من الحديد بشحنة من الـبرنز (٦) وقد تكون السفرة بغرض جمع المعلومات مثل رحلة أوديسيوس للكشف عن شـخصية أخيل ورحلته لاحضار البطل فيلوكتيتيس . ورحلة ابنـه تليمـاخوس للبحـث وجمـع المعلومات عن والده وفقاً لنصيحة الربة أثينا راعيته فقد ذهب إلى بيلوس واسبرطة .

وفى الواقع ، يبدو أن بلاد اليونان الهومرية كان يجوبها المسـافرون فـى كـل الاتجاهات . وكان المسافرون يلتقون ويتبادلون الهدايا مثل تلقى أوديسيوس هديـة مـن إفيتوس Iphitos بن إيورتيوس Eurytos ملك أوخاليا Oechalia الذى كان قد أتى هـو الآخر للبحث عن اثنتا عشرة فرسة شاردة وهديته كانت قوسه المشهور . والكثير مـن هذه الرحلات والسفرات كانت بحرية .

لقد كان اليونان فى ذلك العصر أمة من الملاحين والبحارة . فكل واحد منـهم ، بصورة كبيرة أو صغيرة ، كان ملاحاً خاصة سكان المدن البحرية ومن ثـم لـم يكـن هناك متخصصون فى فن الملاحة ، بل نجد الملاحين يمثلون كل الطبقات الاجتماعيـة ، فنعرف منهم الملوك وأبناء الملوك والنبلاء وأبناء النبلاء وملاك الأراضى وأبناء مـلاك الأراضى ومنهم الأتباع والأجراء . وتقدم الأوديسة صورة للفـاكيين كبحـارة مـهرة حذقوا فن الملاحة وأيضاً للبحارة الايثاكيين مع أنهم ملاحين مهرة أبحروا فـى ظلمـة الليل البهيم ولكن هذه السفرة كانت استثناء حيث أنها تمت تحت رعاية الربـة أثينـا ، فبحار ذلك العصر كان لا يملك دليلاً سوى الشمس والقمر والنجوم ونادراً مـا جـازف

وابحر فى الليل ، فعندما تغرب الشمس كان عليه أن يتوقف عن الابحار ، وأن يرسو على شاطئ قريب ، ثم يعاود الابحار فى فجر اليوم التالى . وكان البحارة يبحرون بمحاذاة السواحل ، ولم يذهبوا بعيداً عن شواطئهم إلا فما ندر ، حيث نجد ذكراً لرحلات طويلة استثنائية اضطروا إلى خوضها مثلما سبق أن ذكرنا ، واعتبروها مغامرات رائعة ، فالبحر كان مليئاً بالجزر التى مكنتهم من الابحار لمسافات طويلة دون أن تغيب اليابسة عن أعينهم ، وتكشف لنا قصيدة الأعمال والأيام لهسيودوس عن أن بعض اليونان كانوا على دراية بأوقات الابحار المناسبة ، أذ نجد هذا الشاعر يقدم نصائحه للبحارة بخصوص الفترات الملائمة فى العام للابحار ، وأنواع السفن التى يبحرون فيها .

وكانت رحلات وأسفار اليونان البحرية فى الغالب بغرض السلب والنهب والقرصنة وبغرض التجارة ، فقد كشفت الإلياذة والأوديسة عن أعمال قرصنة قام بها اليونان فى منطقة شرق البحر المتوسط وفى آسيا الصغرى ، ولعل روايات أوديسيوس خير شاهد على ذلك فقد تفاخر بقيامه بأعمال قرصنة ونهب هو ورفاقه فى إسماروس ، وفى مغامراته فى مصر هو ورجاله وما قاموا به من سلب ونهب ، ويكشف سؤال الكوكليبوس بوليفيموس لأوديسيوس وصحبه عندما اكتشف وجودهم فى كهفه "ألستم قراصنة" ؟ كما تكشف قصة ايومايوس فى نفس الوقت عن اشتغال الفينيقيين بالتجارة والقرصنة فى نفس الوقت ، فقد كان التجار يمارسون القرصنة عندما تسنح لهم الفرص ، وقصة أوديسيوس إنموذج مثالى على ذلك فقد كاد أن يقع فى براثن الاسترقاق ، لقد كان تجار هذا العصر يسلحون أنفسهم بدافع حماية ووقاية أنفسهم من هجوم مباغت عليهم من قراصنة اخرين ، وأيضاً يستخدمون اسلحتهم عندما تتاح لهم

الظروف في سلب ونهب وأسر سكان بعض المناطق التي يمرون عليها . ففي رحلاتهم الطويلة ، فقد كان عليهم أن يوفروا احتياجاتهم بثمن زهيد كلما أمكنهم ذلك ، وكانوا يحققون هذا بالسلب والنهب .

وعندما يرسوا هؤلاء التجار والقراصنة فقد كانوا يتخيرون أماكن رسوهم في الخلجان العميقة ذات الشواطئ الجيدة والتي يجذبون سفنهم اليها ، وتربط السفن في الصخور وقبل أن يرسو كان على البحارة أن يرسلوا السفن السريعة ذات المجاديف لاستطلاع المكان وذلك للتنبيه للخطر إن وُجد والتعرف على الأماكن المناسبة للرسو . وكانت الجزر الصغيرة المهجورة أو التي يسكنها أفراد قلائل هي المفضلة لرسوهم وبالمثل الأراضي القارية المهجورة والقليلة السكان حيث يضمنون الحماية والأمان . فكان الرسو في أرض معادية كثيرة السكان غير مناسب لهم بل خطراً عليهم . وقد استخدم اليونان نوعين من السفن أولهما سفن القتال والقرصنة وثانيهما السفن التجارية، والأولى كانت طويلة ضيقة ويمكن أن تشحن البضائع في رحلة الذهاب والكثير من الغنائم قدر الإمكان في رحلة العودة ، بينما الثانية كانت عريضة وقاعها مستدير وأجنابها واسعة ولم تكن سريعة وذلك لضخامة حجمها . ننتقل للحديث عن التجارة وهي تنقسم إلى قسمين تجارة داخلية في المنطقة الواحدة وبين منطقة ومنطقة وتجارة بحرية بين المناطق وبعضها البعض وبلاد اليونان والبلاد الأجنبية القريبة والبعيدة .

فقد كان من غير الممكن لبعض الأسر أن تكون مكتفية اكتفاءً ذاتياً . فقد كانت تبادل ما يفيض عليها في مقابل ما تحتاجه أو ما ينقصها ، وكانت نقطة الالتقاء لهذه الأسر سوق المدينة ، لقد كان تبادل الأشياء البسيطة يجمع المنتج والمستهلك معاً فكل

من الراعى والزارع والحرفى يقايض منتجاته بسلع يحتاج إليها ولا مكان لوسطاء بينهم. فكل واحد منهم يقوم ببيع أو شراء ما يحتاجه فعلاً . ولا يوجد مكان لحرفة التاجر هنا ، ولكن بمرور الوقت فإن هذا السوق الداخلى لم يعد قادراً على تلبية احتياجات كل الأسر الثرية وكان لابد من الوفاء بها من خارجها فنجد لأتريس والد أوديسيوس عنده حوض استحمام وزيت عطرى ، كما أن خزائن النبلاء كانت تكتظ بالسلع والأدوات للمقايضة ، فالأسر الكبيرة لا يمكن أن تكون بدون خزائن ومواد مطرزة والسجاد الأحمر وسبائك البرونز والحديد والذهب والمجوهرات والمزهريات المزينة والأسلحة النادرة . ولما كانت بلاد اليونان لا يوجد بها هذه السلع ولا المادة الخام ولا الرجال الحرفيين لصنعها، فقد كان لزاماً عليهم أن يستوردوها أو يجلبوها من الخارج . وكان ذلك بوسائل عدة فمنها ما يتم سلبه فى الحرب ومنها ما يتم أخذه بالسطو واللصوصية والقرصنة ، ومنها ما يتم مقايضته . والملاحم الهومرية مليئة بقصص الاعتداءات والسطو من اليونان على بعضهم بعضاً . وبهذه الوسيلة فقد زادت القطعان وحصلوا على العبيد . بيد أن المعادن والسلع الثمينة كانت لا توجد فى بلاد اليونان ، وكان لابد من جلبها من الأقطار البعيدة خاصة فى الشرق والحصول عليها فى الغالب الأعم كان يتم من خلال الأجانب الذين تنقلوا بين المدن المختلفة وقد ساعد مفهوم اليونان عن الضيافة على تسهيل حركة السفر والترحال والتنقل بين بلاد اليونان المختلفة ، فقد نظر إلى حق الضيافة على أنه واجب دينى تمتع به الإله زيوس حامى الغرباء Zeus Xenios ، إله الضيوف ، ولذا نجد أن المسافر المار كان يدعى إلى المنزل دون سؤال ، فلا تنتهك حرمته من قبل الجماعة ويعطى الشراب والطعام قبل أن يتم سؤاله عن اسمه والغرض من الزيارة ، كما كان له الحق فى النوم والطعام

والإعالة طوال إقامته والمؤن أو الزاد أيضاً للاستمرار فى رحلته أو عودته إلى وطنه، فكان يعطى كل أنواع العطايا والهبات وفقاً لثروة مضيفه أو المدينة التى حل بملكها ضيفاً . فنجد تليماخوس قد نال كرم الضيافة فى بيلوس وفيراى Pherae واسبرطة ، وأوديسيوس نال كل صنوف التكريم فى بلاط الكنيوس ، وهكذا نجد أن الغريب كان يحظى بالحماية لشخصه ولا يُضايق ويمكنه أن يعوض مضيفه عن الهدايا التى حصل عليها منه حتى إن لم يستطع أن يقوم بذلك فى الحال فيمكنه القيام بذلك فى اللحظة المناسبة . وتذكر الإلياذة ذلك الرجل الثرى الذى يعيش بجوار الطريق فى منزل يرحب فيه بكل المسافرين وعابرى السبيل وهذا يدل أو يشير إلى تحول النظرة العدائية للغريب إلى الترحاب واللطف أو كما يقول الإغريق أن axenia قد تحولت إلى "auxenia". وهكذا فإن مفهوم اليونان عن الضيافة قد ساهم فى رواج التجارة وتبادل السلع بين مناطق اليونان .

إن مكانة التجارة البحرية عند هوميروس غير واضحة . إذ كان أغلب يونان ذلك العصر يعتمدون على كفاية أنفسهم بأنفسهم ، فعلى الرغم من أن الفاكيين كانوا بحارة اشتقت أسماؤهم من البحر والملاحة وأن مهارتهم الملاحية غير عادية وتفوق الخيال . إلا انهم يعملوا فى حرفة التجارة بل اعتمدوا على الزراعة والرعى ، وكانوا يشكون فى الغرباء ولا يحبونهم كثيراً ، كما نجد الملك أوديسيوس عندما سُئل هل هو تاجر استنكر الأمر ، وتفاخر بأنه سلب ونهب وسبى ، ولهذا فلا يوجد مصطلح محدد عند هوميروس لتعريف التجار وهم بالنسبة له "prektores" بشكل غامض بينما نجد مصطلح emporos عنده كان يعنى "المسافر بالسفينة" وهذا المصطلح الأخير قد تطور ليصبح معناه فيما بعد "التجار البحريين" . ونستخلص من الأشعار الهومرية وجود

تجار يونانيين إذ نجد فى الإلياذة أوديسيوس متنكراً فى لباس التاجر كحيلة للكشف عن آخيل المتنكر فى زى عذراء فى بلاط الملك ، ليكوميدس وقد وصفت الإلياذة أوديسيوس بأنه كان يحمل على ظهره العريض وكاهله حقيبة كبيرة جمع فيها من كتان مصر وأصباغها وعطورها ومن خز الشام وحريره وسموره الثمين وتصاوير فارس وقماقمها وسنجابها ومشرفيات الهند وتحف السند ، وطرف الصقلب ومن كل ما غلا وارتفع ثمنه من أدق صناعات العالم أجمع . وعندما وصل إلى حاضرة الملك ليكوميدس وبالقرب من قصره نادى على بضاعته بلهجة أهل المملكة ، لقد استحضرنا هنا حديثاً بضائع مصر والشام وفارس والهند والسند ونحن لا نبيع إلا للملوك وأبناء الملوك لأن الشعب فقير لا يقدر بضائعنا الغالية . ونحن معروفون فى مصر ولا يشترى فرعون مصر إلا منا وبالمثل فى الشام وفارس والهند .... ولما سمعت بنات الملك نداءه أرسلن فى طلبه فلما حضر اجتمعن حوله يتفرجن هذه تختار منديلاً من حرير الهند أو منطقة من خز الشام وتلك تشترى من أصباغ مصر وعطورها وخرزها وثالثة تفتتن بتصاوير فارس فتشترى كل ما مع الرجل ... ومن هذه الرواية نستخلص أن غالبية الشعب لم يكن لديهم القدرة على شراء السلع الأجنبية ولا يشتريها إلا الملوك وأبناؤهم. ونجد الملك نستور يسأل تليماخوس عندما وصل إلى بلاطه ما هى غايته أو التجارة التى أحضرته ؟ ونجد الربة أثينا تظهر متنكرة فى هيئة منيتيس ملك التفيين وأنه ذاهب بسفينته وأفراد طاقمه البحرى الكثير العدد لأرض تيمسى "Temese" أخذاً معه الحديد لمقايضته بالبرنز " وفى فترة لاحقة نجد هيسيود ينصح أخاه إذا ما كان يرغب فى القيام بالاتجار على نطاق ضيق ألا يكون طموحاً وأن يشحن قاربه بجانب من محصوله فقط . كما أن والد هيسيود نفسه كان تاجراً ولكن استقر به المطاف فى

أسكرا واشتغل بالزراعة .

وفى ضوء ما سبق فإننا يمكننا القول أن هناك اكتفاء ذاتى للغالبية العظمى من سكان الممالك اليونانية ولكن فى نفس الوقت فقد نمت التجارة وتطورت بين تلك الممالك، فكانوا يبادلون الفائض من منتجاتهم الزراعية والصناعية والحيوانات مقابل المعادن والسلع النفيسة التى جلبوها أو جلبت لهم .

لقد كان التجار الأصلاء من اليونان ومن الغرباء ، فقد اشتغل بالتجارة التفنيون وأهل ليمنوس "Lemmians" والكريتيون والفنيقيون الذين شاع ذكرهم فى الإلياذة والاوديسة فكان الفنيقيون يجلبون السلع النفيسة وكل ما لذ وطاب من المصنوعات ، والمواد النفيسة ، والحبيد . وقد اشتهر التاجر الفينيقى بالخداع والغش ، وكان سيئ السمعة فكان المرء يرحب ببضاعته ولكنه لا يثق به عموماً خشية أن يأخذه أسيراً إن كان مسافراً معه ، أو يخطف ابنه أو ابنته عند رحيله من المدينة التى رسى فيها قاربه بعد شحنه بالسلع التى قايضها . ولعل رواية أيومايوس خير شاهد على ذلك فقد روى أنه ابن ملك ولكن اختطفته أمة والده ، وسلمته للفينيقيين التجار الذين كانوا قد استقروا فى مملكته لمدة عام لبيع ما حملوه معهم وبعد أن باعوا بضاعتهم ، وشحنوا سفنهم فرت الأمة ومعها طفل وليها أيومايوس . كما نجد أوديسيوس نفسه كاد أن يقع فى براثن العبودية مرتين .

وفى ضوء ما سبق نجد أن اليونان كانوا على دراية ، ومعرفة بسلع بلدان كثيرة مجاورة ، وغير مجاورة فقد عرفوا بضائع ، وسلع المناطق القريبة منهم مثل : تراقيا وآسيا الصغرى ، والشام ومصر وقبرص ، وسلع وبضائع مناطق بعيدة منها فارس

والهند وسواحل بحر البلطيق وربما إفريقيا . فقد عرفوا العنبر ومن المرجح أنه وصلهم من سواحل بحر البلطيق براً إما إلى الشواطئ البحر الأسود وإما إلى سواحل البحر الأدرياتيكى ، حيث تمَّ شحنه فى سفن فينيقية ومن هناك وصل إلى بلاد اليونان ، كما عرف اليونان العاج ولعله هو الآخر قد وصلهم من إفريقيا عبر مصر ، أو من مكان آخر قد يكون الهند عبر إيران وغرب اسيا ، ووصل إلى المدن الفينيقية . كما قام الفينيقيون بنقل الصفيح إلى اليونان من كاستيريديس "Kassiterides" كما نجدهم حصلوا على الخمر ، والسيوف الجميلة من تراقيا ، ومن المدن الفينيقية حصلوا على الأردية الأرجوانية والسلاسل الفضية ، والحلى ، والسجاد ، والمزهريات الثلاثية الأرجل والسلاسل الفضية وحصلوا على النحاس من قبرص ،فقد حصلوا من مصر على المعادن النفيسة التى تأخذ شكل السبائك ، أو المصنوعات الفنية ، والعاج ، وبعض العقاقير والمراهم والملح والصودا والشب والالبستر والأصباغ . كما صدرت منطقة البحر الأسود إليهم الحبوب والعبيد والخشب ، وصدرت لهم ليديا وكاريا المنتجات العاجية المنحوتة والمرسوم عليها . ولعل ما دونته الإلياذة بشأن رحلة أوديسيوس المتنكر فى ثوب تاجر تكشف لنا عن سلع أخرى سواء أكانت من الحرير والأصباغ والتصاوير والسيوف ... الخ والبلدان التى سبق ذكرها خير دليل على اتساع معرفة العالم اليونانى بمناطق وبلدان نائية .

كان اليونان يدفعون أثمان وقيم مشترياتهم عن طريق المقايضة إما برؤوس الماشية وإمّا بسبائك الحديد ، والبرنز . فنجد من بين الجوائز التى قدمها أخيل بمناسبة الألعاب الجنائزية التى أقامها فى تأبين ، وتكريم صديقه وتابعه باتروكلوس ، كأس ثلاثى الأرجل قدرت قيمته باثنى عشر ثوراً وأمة ، قدر ثمنها بأربعة ثيران ، وقطعة

سلاح كانت تساوى ما بين تسعة ثيران ومائة ثور ، ونجد أن اليونان كانوا يقايضون السلع والبضائع بالمعادن وإن كانت الحيوانات وخاصة الثيران هى معيار تقدير القيم والأسعار بالنسبة لليونان .

وكان الإغريق يصدرون الفخار ، والأسلحة ، والمنسوجات الصوفية ، والكتان وربما الخمر أيضاً والعبيد .

الحياة الدينية والفكرية :

١- الديانة :

سنحاول أن نعرض بإيجاز للديانة اليونانية فى ضوء الصورة التى رسمها هوميروس لها . وفى الواقع فإن ملحمتى الإلياذة والأوديسة تُعدان المصدر والينبوع الأول للديانة اليونانية ، فقد كان هوميروس أحد ينبوعين استمد منه القدماء والمحدثون معرفتهم بالديانة . أما عن الينبوع الثانى هو ملحمة أصل الآلهة Theogonia للشاعر هسيودوس . لقد جمع هوميروس فى خالدتيه التراث الدينى للآلهة للعصور السابقة عليه وللأفكار الدينية السائدة فى عصره وقدمه لنا فى نسق جميل ، ثم أتت ملحمة هسيودوس لتكمل لنا الصورة الدينية السائدة عند اليونان فى عصره والعصور السابقة عليه ، فمن الجدير بالذكر أن الفكر الدينى لا يتغير بسهولة بل تبقى الأفكار الدينية ثابتة راسخة بدون تغير .

وهكذا قد غدت ملحمتى الإلياذة والأوديسة وملحمة أصل الآلهة انجيلاً يرجع إليه اليونانيون فى كل ما يخص شئون دينهم .

لقد صور لنا هوميروس كيف وصلت الآلهة إلى السلطة على جبل الأوليمب فقد قدم وصفاً على لسان الإله بوسيدون يروى لنا قصة الصراع مع العمالقة والانتصار عليهم إذ يقول "لأننا ثلاثة إخوة ، أبناء كرونوس ولدتهم ريا ، زيوس وأنا وهاديس . وقد قسمنا كل شيء ثلاثة أقسام وحاز كل منا نصيبه الذى يتولى شرف رعايته ، وعندما اقترعنا أخذت البحر الأبيض لأستقر فيه إلى الأبد ، وأخذ هاديس الظلام المعتم، وأخذ زيوس السماء الشاسعة فى الهواء ، والسحب . أما الأرض واوليمبوس العالى فهما مشاعاً بيننا جميعاً .

لقد قدم هوميروس صورة للآلهة والإلـهات وهـم يعيشـون علـى ذرى جبـل الأوليمب فى حياة أسرية ، ويأتى على رأسها زيوس ، رب الأرباب ، سيد الآلهة أبـو البشر جميعاً ، رمز القوة والقانون ، وصاحب الكلمة العليا فى مجلس الآلهـة ، سـريع الانفعال ، حاد الغضب ، محباً للانتقام ، والآلهة تطيعه وتخافه لأنه أقواهـا ، ولكنـها كانت لا تحترمه ، فكثيراً ما سخرت منه لعناده المشوب بالغباء ، ولما كـان هـو الأخ الأكبر لأخوته فكان عليهم طاعته ، لأن طاعة الأخ الأكبر واجبة ، وقـد عاشـوا مـن حوله فى شكل أسرة ممتدة مكونة من أخويه بوسيدون وهاديس وأخته هـيرا وزوجتـه وبناته وأبنائه الشرعيين وغير الشرعيين هم هيفايستوس إله الحدادة والنار ، وأبوللو إلـه النور والشعر والموسيقى ، وأرتيميس إلهة القمر والليل والصيـد ، وأفروديتـى إلهـة الحب والجمال والاخصاب ، وديميتر إلهة القمح والحصاد ، وأثينا الربة الأثـيرة عنـد أبيها فلم تأت من مخالطة زيوس لإلهة من الآلهة ولم تتخلق من نطف أبيها فـى رحـم امرأة ، وإنما انبثقت من رأس أبيها ، فكانت إلهة الحكمـة والذكـاء وحاميـة العلـوم والآداب . وهكذا نلاحظ أن الآلهة السالفة الذكر كانت تعيش فى أسرة إلهيـة وأن كـل فرد فيها له تخصصه وإن كان هناك تداخل فى اختصاصاتـها وأن الديانـة الهومريـة كانت ديانة طبيعية تعبد فيها قوى الطبيعة عن رغبة وعن رهبة . ولا يمكننـا أن نـرى فيها قواعد أخلاقية ثابتة تحدد للإنسان ما ينبغى وما لا ينبغى أن يفعله ، بل أن فى هـذه الديانة هوة واسعة بين اللاهوت والأخلاق .

لقد صور هوميروس الآلهة تعيش على شـاكلة البشـر أو فـى هيئـة بشـرية Anthoropomorphism فصفاتهم وتصرفاتهم تشبه معظم صفات البشر وتصرفاتـهم . فنجدهم يأكلون ويشربون ويتزاوجون ويتناسلون ويمرضون ويشتهون فقد كان يقوم بيـن

بعضهم البعض ما يقوم بين البشر من عواطف الحب والغرام والغيرة والبغضاء ، وما يشجر بين هؤلاء من خلافات . بيد أنهم يختلفون عن البشر فى أنهم خالدون سرمديون أى منزهون عن الموت ولهم صفة القدرة حيث يستطيعون الإتيان بخوارق يعجز البشر عن الإتيان بها . وإن كانت تتباين فى قوتها وتختلف فيما بينها فى المجالات التى تستخدم فيها القوة ، إذ نجد قوة أفروديتى لا تقهر فى الأمور المتعلقة بالرغبات الغرامية ، ولكن عندما حاولت الاشتراك فى الصراع الحقيقى ، هاجمها ديوميديس وأصابها بجرح فى يدها لأنه يعرف أنها إلهة ضعيفة ، وذهبت باكية شاكية لابيها زيوس الذى قال لها "يا بنيتى ، إن الأعمال الحربية لم تمنح لك ولكن تتبعى أعمال الحب للمتزوجين وكل هذه الأمور سوف يرعاها إريس ذو القدم السريعة وأثينا" وعلى الرغم من ذلك فقد كانت القوة الإلهية خارقة للطبيعة فى أدق معانيها . إنها تفوق القوة الانسانية فى ماهيتها وفى سحرها . فإذا كان ديوميديس قد استطاع أن يهزم أفروديتى فى معركة مباشرة ويجرحها ، فكان يمكن للآلهة أن تغطيه بضباب كثيف وتخطفه بعيداً . وأخيل نفسه يقول ليس فى الامكان أن نجد وسيلة أمام هذه الحيل .

ويصور هوميروس الآلهة على أنها تتحكم فى حياة البشر تحكماً لا يخلو من الأهواء والنزوات دون اكتراث بهموم البشر ومشكلاتهم ، فقد تنزل الآلهة من عليائها يسعون بين الناس ويمشون فى الأسواق . وقد يقع أحدهم فى غرام فاتنة من بنات البشر وتستجيب له فيخالطها ويمنحها الخلود أو تتأبى عليه فيصب عليها جام غضبه مثلما فعل الإله أبوللو مع كاسندرا ابنة بريام فقد هام بها حباً ووعدها أن يمنحها موهبة الاستنباء وقد وهبها لها بالفعل ولكنها تأبت وتمنعت عليه ، فصب عليها غضبه إذ كتب عليها ألا يصدقها أحد على الرغم من أنها كانت تنطق الحق . ويصور هوميروس

نساء يتفاخرن بأنهن أنجبن أبناء من زيوس أو بوسيدون فعلى سبيل المثال كان أهل فاكيا يعتقدون أنهم من سلالة بوسيدون . ولكن العكس كان نادراً ، فقد شكت كالبسو من ذلك إذ نجدها تجنح وتقول "أيها الآلهة انكم غير رحماء ، تغارون بصورة لا تبارى فتنقمون على الهات يتصلن بالرجال صراحة ، اذا اتخذت واحدة منهن من رجل عزيز عليها شريكاً فى فراشها" . ومن ثمرة هذا الزواج والاتصال نذكر أخيل بن بيليوس واينياس بن انخيثيس . فقد ولد الأول من الحورية ثيتيس بينما الثانى من الإلهة أفروديتى .

ويصور لنا هوميروس أن الآلهة إذا حاق غضبها ببشر فإنها كانت تتبعه أو تدمره أو حتى يقدم التقديمات والاضاحى التى تعيدها إلى طبيعتها حتى تصفح عنه . وفى نفس الوقت نجد الآلهة تعاضد وتناصر بعض البشر فى أعمالهم وتقدم لهم الرعاية والعناية فى كل نوائبهم . لقد كانت الآلهة تقف وجهاً لوجه نصرة الأبطال فى المعارك الحربية مثلما حدث بالنسبة لطروادة فقد تعرضت لغضبة كل من هيرا وأثينا نتيجة لتصرف الأمير الطروادى باريس ولذا نجدهما قد عاضدا الآخيين ووقف بوسيدون يناصرهما . بينما نجد الإله زيوس يرسل اريس للإله بوسيدون يأمره بالانسحاب من الحرب ومساندة الآخيين . وأمام وقوف زيوس بجانب الطرواديين نجد أن الإلهة هيرا قد حاولت أن تخدعه ، فقد أسرت إلى الآلهة انهم يمكنهم أن يخدعوا زيوس لانقاذ الآخيين من المذبحة التى اعدت لهم . ونجد أن بوسيدون لم يرغب فى الاشتراك فيها بل اعترض على ذلك بقوله "أى هيرا الطائشة فى حديثها ، أى نوع من الحديث نطقت!! إننى لا أرغب فى أن نشتبك جميعاً فى حرب مع زيوس فهو يفوقنا إلى حد كبير . ونموذج أخر لغضب الآلهة فقد غضب بوسيدون من أوديسيوس لأنه ثمل عين

الكوكليبوس ولم يتخلص من غضبه إلا بعد أن التمست الإلهة أثينا من أبيها أن يساانده ويرعاه فى العودة إلى وطنه إيثاكا . ورد عليها أبوها أن الإله بوسيدون هو الغاضب عليه ووعدها بأن يجمع الآلهة لوضع خطة لعودته وسوف يتخلى بعدها بوسيدون عن غضبه إذ لن يكون له حول ولا قوة أمام جميع الآلهة الخالدة ويجاهد وحده ضد إرادة الآلهة . لقد كان أوديسيوس محظوظاً إذ وقف كل من زيوس وأثينا لمناصرته فى أسفاره وفى الخلاص من الخطاب ووقف القتال مع أسر الخطاب .

ويصور لنا هوميروس أيضاً أن الآلهة وحدها كان لديها القدرة على سلب الإنسان وعيه وعقله واصابته بالأمراض . كما أن الآلهة قد وهبت البعض من البشر القدرة على العلاج والتطبيب وفى نفس الوقت قد منحت موهبة الإلهام للمنشدين والاستنباء للعرافين .

ويصور لنا هوميروس أن بعض الآلهة كانت تتشكل فى أشكال وصور مختلفة عندما تتصل بالإنسان وتتجلى له ، وخير دليل على ذلك هو تشكل أثينا فى هيئة منتور لتليماخوس وفى هيئة راعى لأوديسيوس وفى صورتها الأنثوية الحقيقية . وإذا كانت بعض الآلهة تتجلى أحياناً للبشر فإن زيوس احتفظ بالبعد الذى يفصله عن عالم البشر وهو الوحيد من عالم الآلهة بالأوليمبوس الذى لم يتدخل مباشرة فى الحديث أو العمل قط . ولكنه كان يتصل بالبشر عن طريق وسائل شفوية يحملها أريس أو عن طريق الرؤيا أو بواسطة الاشاعة أو أى إله آخر من الآلهة أو عن طريق الفأل وهو سبيل أقل من الناحية المباشرة مثل الرعد وطيران نسره .

ويصور هوميروس عقيدة الآخيين عن الموت والعالم السفلى على النحو التالى

وقد سبق أن تكلمنا عن الطقوس والجنازات والألعاب الجنائزية . فكان هـاديس يحكـم العالم السفلى والدار الآخرة حيث كان يذهب الموتى فلا يرجعون . والعالم السـفلى دار مظلمة تفصلها عن دار الأحياء أنهار عظيمة وسيول جارفة مهولة ومحيـط عظيـم لا سبيل إلى اجتيازه إلا فى فلك متين . فعندما يموت الانسان تنفصل روحه عن جسـده ، والروح تتحلل ولكنها لا تفنى . وكان اليونانيون يؤمنون فى امكانية اسـتدعاء الـروح كما فعل أوديسيوس فى رحلته إلى العالم الآخر ، فبعد تقديم القرابيـن كـانت تحضـر الأرواح ولكنها لا تتكلم إلا بعد أن تشرب من دماء القرابين . ويكشف لنا الحديث بيـن أوديسيوس وأرواح الموتى أن الدار الآخرة لم تكن محببة فقد قال أخيل لأوديسيوس أنـه يفضل ألا يكون ملكاً على الأموات ولكن يفضل العيش فى الحيـاة الدنيـا وأن يشـتغل أجيراً فى خدمة رجل آخر . وقد رأى فى رحلته أيضاً الأرواح الحزينة والمعذبـة فقـد رأى الملك مينوس المجيد بن زيوس ممسكاً بالصولجان الذهبى فـى يـده يحكـم بيـن الموتى وهو جالس فى مقعده ، بينما هم قيام حول الملك وقعود فى بيت هاديس المتسـع الباب يطلبون منه الحكم . ورأى روح أوريون يسوق الكاسرة ، عبر حقـل الـبروق ، كذلك رأى تيتوس بن جايا المجيد مستلقياً على الأرض ، ممدداً فـوق تسـع نتـوءات صخرية ، بينما يقبع نسران واحداً منهما عن كل جـانب ، ينهشـان كبـده ، ويمـدان منقاريهما فى أحشائه ، وهو لا يملك من نفسه دفعاً لهما بيديه وذلك لاستخدامه العنـف مع ليتو ، زوجة زيوس المجيدة ، بينما كانت ذاهبـة صـوب بوثـو Pytho خـلال بانوبيوس Panopeus ذات المروج الخلابة . كما رأى تانتالوس يعان أمـر العـذاب ، واقفاً فى مستنقع ، والمياه تبلغ الزبى ، وكان مع ذلك يشـكو الظمـأ ولا يسـتطيع أن يتناول من الماء القريب من فمه ويشرب ، فكلما انحنى ذلك الرجل العجـوز ، متلـهفاً

إلى اطفاء ظمئه انحسر الماء واختفى وظهرت الأرض السوداء عند قدميــــه ، إذ كــان أحد الآلهة يجعل كل شيء جافاً ، كما كانت الأشجار الباسقة المورقة دانيــــة القطــوف فوق رأسه ، أشجار الكمثرى والرمان والتفاح ، بثمارها اليانعة اللامعة وتينـــها الحلــو وزيتونها الغزير ، ولكن ذلك الكهل المسن كلما هم بالوصول إليــها ليمســكها بيديــه ، هبت عليها الرياح ودفعتها السحب الظليلة ، ورأى سيسوفوس Sisyphus فى عـــذاب مرير يحاول أن يرفع صخرة هائلة بكلتا يديه ، ملقياً بها فوق قمة تل ، بيد أنـــه كلمــا أوشك أن يقذف بها فوق القمة ، ردها الثقل إلى الوراء ، ثم إلى أســـفل مــن جديــد ، فتسقط الصخرة العاتية متدحرجة فوق السهل ، فيعاود المحاولة من جديد ، ويقذف بـــها ثانية والعرق يتصبب من أطرافه ، والغبار يتصاعد من رأسه .

وهكذا نرى أن الدار الآخرة عند هوميروس لم تكن محببة بل كانت كئيبة حيــث تعذب فيها الأرواح .

٢- المهن :

لا تتكلم الإلياذة و الأوديسة عن طبقة وسطى بأدق معنى الكلمة ولكن يمكننـــا أن نجد فئة أو طبقة أدنى من النبلاء وكانت من حاشيتهم وتتكون مـــن متخصصيــن فــى مهنهم يكسبون الثراء والشرف من ممارسة مهنهم وقد نظر إليهم على أنهم قـــد تلقــوا علومهم ومعارفهم من الإلهة نفسها وهذه الخاصية كان يتوارثها الخلــف عــن الســلف داخل إطار الأسرة الواحدة ولكن قد يحدث أن يتلقى شخص ليس من تلك الأسر الإلــهام مثلما للشاعر هيسيود . وهذه المهن هى : الكهنة والمتنبئــون والأطبــاء والشــعراء أو المنشدون . وكانوا قريبين من الملوك وبلاطهم لتقديم النصح ومساعدتهم فــى ممارســة وظائفهم فكانوا بمثابة القيم مع إقامة الشعائر وصياغـــة الأغـــانى أو الأناشــيد الدينيــة

وحفظه للشعائر والاحتفالات ومفسرى العلامات والأقوال الغامضـــة المبهمـــة والتـــى يصيغ بها الإلهة قراراتهم وتحذيراتهم . وأخيراً فقد كانوا حراساً لهذا العلم وبعض أســر المهنيين كانت تنحدر من سلالة ملكية ولم تكن هذه المهن مغلقة على فئة بعينها ولكـــن كانت مفتوحة ويمكن الالتحاق بها بل نجد أنَّ البعض منها كان متداخلاً فنجــد مــاخون Machon الطبيب المشهور فى الجيش الأخى الذى كان فى نفس الوقت جندياً ، كـــابن لاسكليبيوس فإنه كان تقريباً متساوياً مع الأسر الملكية الـــدم ، وأيضـــاً فـــإنَّ العــراف ثيوكليمنوس المنحدر من أسرة ميلامبوس كان كريم المحتد . وبعض العاملين فى هـــذه المهن كان بحاجة إلى التنقل والترحال من مكان إلى مكان لممارسة مهمتهم . وسـنحاول أنْ نلقى الضوء على هذه المهن :

أ ـ الكهنـة :

لم تكن هناك عبادة دائمة ومنتظمة يقوم بها الكاهن ولكن نجده كان مسئولاً عـــن الاحتفالات المرتبطة بتقديم الأضاحى فى مناسبات كانت تحتفل بها المدينة والجماعـــات وبعض هذه المناسبات فإن الشخص الذى كان يقوم بذلك لم يكن كاهناً بـــل كـــان رأس العشيرة أو القبيلة . ولكنه فى نظر عشيرته كاهناً لأنه مسئول عن عبادة الأسلاف .

إن دور الكاهن هو تنظيم وأداء الشعائر والطقوس على نحو دقيـــق وكـــان يقـــع على عاتقه أداء بعض المهام مثل ذبح الضحية وسلخها وتقطيعـــها والأشـــراف علـــى طقوس طهيها وكان عليه تنظيم الترتيبات الخاصة بتقديم الأضـــاحى وتـــلاوة الصـــلاة الصحيحة التى تصاحبها .

ونجد كلمتين فى المفردات الهومرية تصفان دوره فهو hiereos أى المضحـــى

والذى يجعل الضحية مقبولة وهو أيضاً areter أى المبتهل الذى يقوم بأداء الصلـــوات نيابة عن المتضرع فهو الوسيط الرمزى بين البشر والإلهة لأن لديه إذن للقرب منـــها . وكان تقديم الأضاحى لإرضاء الإله وتجنباً لغضبه ونقمته أو رفع بلائه ومثالنـــا علـــى ذلك هو مقدم أوديسيوس ونفر من الآخيين إلى معبد الإله أبوللو فويبوس لتقديم أضحيـــة من مائة ثور بغرض رفع ما حاق بهم من ضر وخراب وحزن نتيجـــة غضـــب الإلـــه لأخذ ابنة كاهنة أسيرة من قبل أجاممنون . وبعد أن سلم أوديسيوس ومـــن معـــه ابنـــة الكاهن لأبيها طلبوا منه القيام بالصلاة وتقديم الابتهال للإله أبوللو عسى أن يرفع عنـــهم الضر والأذى وقام الكاهن بأداء الشعائر والطقوس بغرض جلب الخير ورفـــع الضـــر عن الآخيين كما نجده يشرف على التضحية بالثيران .

وتذكر القصائد الهومرية اشارات حول العديد من بيوت الإلهة . فنجد ذكر لمـــا قام به الكاهن خيريسيس Chyrsis فى صلواته بوضع غطاء بيت الإله neas ، ونجـــد ايوريلوخوس Eurylochos فى الأوديسة يحصل على وعد من أقرانه الذين كانوا علـــى وشك التضحية ببعض العجول إلى الإله هيلوس بأنهم سوف يبنون neos لتكريم الإله . ونسمع عن أن والد الملك الكينوس قد بنى العديد من البيوت neoi لتكريم آلهة المدينة ، وفى الإلياذة اشارة إلى أن النساء الطرواديات قد قمن بإصلاح بيـــت الإلهـــة أثينـــا ، وقدموا لها الكساء ، وأن الكاهنة ثيانو Theano قد قامت بفتـــح الأبـــواب ووضعـــت التضحية مع ركب التمثال بينما النساء كن يقمن بالشعائر والابتهال بأيديـــهن الممـــدودة إلى أثينا ثم قامت ثيانو بالصلاة ويوجد ذكر لبيت الإله أبوللو فى طروادة .

ولما كان الكاهن أميناً على المعبد فإنه كان يدير أملاك الإله والتى كان يحصـــل

عليـــها من عباده وكانت طقوس العبادة تتم من خلال الـــهبات العامـــة أو الخاصـــة أو بالشراء ، وكان يعاون الكاهن فى أداء واجباته الإدارية والدينية عدد من المساعدين مـــن طبقة الكهنة ، وكان لكل معبد وعبادة متخصصيها ، ففى كـــلاروس claros نجـد أنً كاهن أبوللو كان يعاونه متنبئ والذى كان يفسر كلام الإله وأيضاً منشد أو شاعر دينـــى theopiodas والذى كان ينظم الارادة الإلهية شعراً ، وفى افسوس نجد بالإضافة إلـــى الكاهن الأكبر لارتيميس زملاء كاهنات عذراوات وأطلق عليهن النمـــل "Melessai" وكخدمات للآلهة فقد شاركن فى الرقص والمواكب وبجانبهن زملاء متطـــهرين كـــانوا يعيشون فى محيط المعبد . وهكذا فبجانب كبار الكهنة كان هناك العديد مـــن أعضـــاء السلك الكهنوتى فى المعابد والذين اختلفت واجباتهم ومهامهم ، وكـــان هـؤلاء الكهنـة مساعدوهم يحصلون على هبات المعبد ويحصلون على حصة من الأضاحى .

ب ـ العرافون :

حظى فن العرافة والاستنباء بتقدير عظيم ، واحتل مكانة بـــارزة فـــى الشـــعر الهومرى ، فقد نال العرافون شهرة كبيرة وشاع ذكرهم فيه ، وفن العرافة والكهانة عنـد اليونان هو محاولة اكتشاف الفكر الذى يدور فى العقـــل الإلـــهى المقـدس والاتصـــال المباشر به وتفسير وتجلية الرموز والإشارات واستلهام المعرفة التى قد يكشـــف عنـــها الإله .

وقد نال بعض عرافى العصر الهومرى شهرة كبيرة ونذكـــر منـــهم : كالخـــاس عراف الجيش الآخـــى ، وهيلينـــوس وكاســندرا ابنـــا بريـــام الملـــك الطـــروادى ، وهاليثيرســـيس (Halitheroes) الاتيكـــى وأيوريدامـــاس وبولدامـــاس وتيرســـياس وثيوكلمينوس .

وتكشف لنا الاشعار الهومرية انّ هؤلاء العرافين قد قـــاموا بتفســـير الاشـــارات المختلفة أو النذر التى تصدر عن الآلهة وإن حدث فى بعض الأحيان أن الآلهة كـــــانت تتجلى وتظهر بشكل طبيعى لبعض الأبطال مثل تجلى هرميس للملك بريام وارشاده فـى ذهابه إلى أخيل طلبا لجثمان إبنه هيكتور ، وتجليات أثينا المختلفة لكل من أوديســـيوس وابنه تليماخوس ومن هذه التجليات الضوء العظيم الذى لمع مـــن اثينـــا وأنـــار مـــنزل أوديسيوس عندما كان أوديسيوس وابنه تليماخوس يجمعان الأسلحة من بــــهو المـــنزل قبل قتل الخطاب ، وهذه كانت إشارة إلى رعاية الإلهة أثينـــا لأوديســـيوس وولـــده. أو مثلما ودع زيوس الأسطول الآخى المقلع من أوليس Aulio بصرخة مدوية ، أو إرسال نذير لليونان قبل إقلاعهم فعندما كان أجاممنون يقدم القرابين للإلهين زيـــوس وأبوللـــو ظهرت حية ضخمة زرقاء ، على ظهرها علامات حمراء اللــــون مثـــل لـــون الـــدم، خرجت الحية من تحت المحراب المقدس واتجهت من فورها نحو شجرة ضخمة كـــانت قائمة بالقرب من الشاطئ وعلى أعلى فرع من فروع الشجرة كان يوجد عش عصفـــور يرقد فيه ثمانية عصافير صغيرة بجوار أمهم ، والتهمت الحية الضخمة الصغـار والأم ، ثم رقدت مكانها دون حركة وسرعان ما حولها الإله زيوس إلى حجر أصم . أمام هـــذا المشهد سيطرت الدهشة على كل الحاضرين وسألوا العراف كالخـــاس تفســيرا لـــهذه الحادثة ، أعلن كالخاس على الفور أن ما حدث يؤكد ما تنبأ بـــه الملـــك انيـــوس بـــأن طروادة سوف تسقط ولكنها لن تسقط قبل مرور تسع سنوات كاملة سيقضيها الآخيـــون فى الكفاح والنزال أمام أسوارها وسوف تسقط فى العام العاشر . وأرسل الإله زيـــوس بارقة أضاءت كل أنحاء المكان . فعل زيوس ذلك تأكيداً لنبوءة كل من الملـــك انيـــوس وكالخاس . أيضاً تفسيره وإجابته على سؤال أخيل حول سبب غضــــب الإلـــه أبوللـــو

فويبس على الآخيين وصبه وباء الطاعون عليهم الذى كاد أن يبيدهم . وكان أخيل قـــد عقد اجتماعا للمحاربين الآخيين وطلب منهم أنْ يسألوا كاهناً أو عرافاً أو واحداً ممـــن تأتيهم الأحلام والتى تأتى من الإله زيوس ، وكانت الإجابة هى أنَّ غضب الإله ســـببه أخذ ابنه كاهنه سَّبية من قبل أجاممنون ، ورفض الأخير إعادتها لأبيها العجـــوز فدعـــا ربه أبوللو بصب الطاعون على الآخيين ، ولرفع هذا الضر كان لابد من إعادتها إلـــى أبيها .

كانت النذر المقدسة فى الإلياذة والأوديسة تأخذ شكل الأحلام وتصرف الطـــير وحركاته والتفاؤلات الحسنة والسيئة (مثل الكلمات الصادرة جزافـــا أثنـــاء الحديـــث أو العطاس أو الضحك ... الخ) . وكان اليونانيون يقومون بتفسير هذه النذر مـــن خـــلال عرافين محترفين أو يقوم الأفراد العاديين بتفسيرها .

نظر اليونان إلى أن بعض الأحلام تأخذ شكلاً خداعاً لارتباطها بـــالليل والظلمـــة البهيمة والعالم السفلى ، إذ نجد أن بينلوبى تخاطب أوديسيوس قائلة إن الأحلام نوعـــان أولهما يكون محببا وموثوقا به والثانى يأتى من الضرس . ومن الأحلام الصادقـــة مـــا رأته بينلوبى فقد رأت حلمين ينذر أولهما بقرب اغتيال الخطاب بينما يبشـــرها ثانيـــهما بعودة تليماخوس , ومن الأحلام الكاذبة الحلم الذى أرسله زيوس إلى أجـــاممنون عـــن طريق إله الأحلام انتقاما منه وذلك لارضاء ثيتيس والدة أخيل , لما حاق به من إهانـــة على يد أجاممنون فقد أمر زيوس إله الأحلام بالذهاب إلى أجاممنون وأن يداعب عينيـــه وأن يجثم على قلبه وأن يقول له وهو يغط فى نومه العميق أن الآلهة تأمرك أن تصبـــح فتنفخ فى البوق ، حاضاً عساكرك على اقتحام طروادة فإن زيـــوس يبشـــرك بالمدينـــة

الخالدة ولا يكاد النهار ينتصف حتى تكون جنودك فى شوارع طروادة ظافرة منتصـرة. وصدع إله الأحلام بما أمره سيد الأوليمب ، ألقى فى روع أجاممنون الحلـم الكـاذب وعاد أدراجه الى مولاه سيد الآلهة . ولكن كيف يمكن للمرء فى ذلك العصر أن يفـرق بين الصادق والكاذب من الأحلام ؟ كان هناك مفسرو الأحلام (Oneiropoloi) ، وكان هؤلاء يصيبون ويخطئون فى تفسيراتهم ، ولذا نجد هوميروس كان لا يثق فيهم كثـيرا فقد ازدرى إيوريداماس العجوز لفشله فى الكشف عن أخبار موت ولديه .

وإذا كان هوميروس لا يولى ثقة كبرى فى بعض الأحلام ومفسريها فقـد أولـى ذكر حركات وتصرفات الطيور الجارحة عناية خاصة ومنها النسور والصقـور التـى كانت بمثابة رسل الآلهة ترسل نذرها وإشاراتها المقدسة من خلالهم . وكانت حركـات وتصرفات الطير تحتاج الى تفسير مفسر ، قد يكون متخصصاً أو غـير متخصـص ، ومن أمثلة هذه النذر وتفسيرها ، تفسير العراف بوليداماس للقتال بين النسـر والتنيـن فوق الجيش الطروادى بأنه فأل سيء للطرواديين ، وتفسير بريام لظهور نسر بعـد أن صلى صلاة طويلة لزيوس بغرض أن يحميه ويوقيه ويرشده إلى أخيل وأن يرسل إليـه الرسول الذى وعد ويقوده الى معسكر أخيل ، ولم يكد ينـهض مـن صلاتـه ويختـم توسلاته حتى رفرف فوق رأسه نسر ظل يضرب بخافقيه ، ويحوم ويدوم ويرنق فـى سماء الهيكل تارة ثم يستقر عند المذبح تارة أخرى ، حتى أيقـن الملـك وملـؤه أنـه الرسول المنتظر والقائد المنشود الذى سيقوده إلى معسكر أخيل حتـى يسـترد جثمـان هكتور ، ومن النذر التى يذكرها الشاعر أيضا أنه أثناء انعقاد الجمعية الشعبية فى اتيكـا بناء على طلب تليماخوس أن حلق نسران عظيمان أرسلهما سيد الأوليمـب ، وتقـاتلا فوق الاجتماع ، وقد فسر العراف هاليثيرسيس هذا النذير بقـرب عـوده أوديسـيوس

وانتقامه إذ نجده يقول "أيها الناس يا أبناء أتيكا ، اسمعوا وعوا ! ليحذر الخطاب بما يخبئ لهم الغيب من شر أوشك أن ينقذف على رءوسهم ! إنَّ أوديسيوس حي يرزق ، وأنه عائد إلى وطنه ، بل إنه ليغذ السير إلى هنا ! إنه ليحمل الموت الأحمر إلى خصومه والخير الأخضر إلى مواطنيه ، أنا هاليثيرسيس كاهنكم وعرافكم الذى لا يكذب قد أنبأه قبل أن يبحر إلى طروادة بذلك النبأ وأنه عائد إلى وطنه بعد أنْ ينتصر على أعدائه ويذيقهم ضعف ما صنعوا ولن يجديهم ان يتوبوا أو يندموا ,,,, وليأتينكم نبؤة بعد حين ! " وفى مناسبة أخرى عندما كان تليماخوس وبيزاستراتوس يهمان بمغادرة قصر مينلاوس وهيلينا فى اسبرطة ظهر نسر رف عن يمين تليماخوس وصحبه وهو يحمل بين مخالبه إوزة اختطفها من فناء الدواجن ، ولحقه الرجال والنساء يتصايحون فسأل بيزاستراتوس ما ظنك يا مينلاوس ؛ هل أرسل زيوس هذا النذير لك أو لنا ؟ وفيما كان مينلاوس يعمل الفكر ، قالت هيلينا "اصغوا إلى ما ألقته الأرباب فى روعى ، فكما انقض هذا النسر من الجبل الذى نشأ فيه ، واختطف الإوزة من المنزل ، هكذا سيعود أوديسيوس إلى بيته بعد تجوال طويل ، وينتقم لنفسه ، وإن قلبى ليحدثنى أنه الآن هناك يكيد للخطاب كيدا " و بعد عودة تليماخوس إلى وطنه واصطحابه العراف ثيوكليمينوس ، وبينما هما يتجاذبان أطراف الحديث طار عن يمين تليماخوس صقر يحمل بمخالبه حمامة ، ونتف الصقر ريش الحمامة ونثره على الأرض بين ثيوكليمينوس والسفينة ، وقد فسر ثيوكليمينوس هذا النذير على أنَّ أسرة تليماخوس هى أقوى الأسر بأتيكا وأن ملكها سيدوم .

هكذا نرى أن هذه النذر والتجليات لها معانى فقد كانت ترتبط بحدث ما سواء أكان بمناسبة اجتماع معقود أم الرحيل أم الوصول أم تحول درامى فى القتال .

و يسجل لنا هوميروس أيضا بعض التفاؤلات مثل تفسير حالة العطاس المسموع والانفجار فى الضحك أثناء الحديث ، فقد ذكر أنه بينما كانت بينلوبى تتناقش مع إيومايوس وعبرت بصوت مسموع عن أمنيتها بعودة أوديسيوس ، وأن يقضى على هؤلاء الخطاب ، وفى أثناء ذلك فقد عطس ابنها تليماخوس بصوت مرتفع وانفجرت هى فى الضحك فتفاءلت بذلك ، وأعلنت أن القتل سيكون مصير الخطاب جميعا . ونلاحظ هنا أن بينلوبى هى التى فسرت هذا الفأل الحسن لها والسيئ للخطاب .

و نستخلص من هوميروس أن العرافين كان لديهم أساليب أخرى للكشف عما يجول فى عقول الآلهة وتفسير ذلك . لقد كان هناك عرافون متخصصون فى فحص أحشاء الأضاحى ، فقد وثق الملك بريام فى كاهنة وتكهن هذا النوع من العرافين واعتبرهم مصدر ثقة ، ومن بين هؤلاء العرافين ليوداس الذى ورد ذكره فى الأوديسة. و يضيف هوميروس إلى هذه الوسيلة للعرافة وسيلة أخرى وهى استدعاء أشباح الموتى سواء أكانوا من العرافين أم من غيرهم ، واستشارتهم ، فنجد أوديسيوس يستدعى روح تيرسياس بناء على نصيحة الساحرة كيركى للسؤال عن مستقبله وما تخفيه له الأيام من أحداث وأحداث . و قد أجابه شبح تيرسياس متنبئ وكاهن طيبه الجليل على تساؤلاته وأنار له طريقه وكشف له عما لاقاه وسيلاقيه من أهوال وأحداث قبل العودة إلى وطنه وما ينتظره فيه من شر . ويروى لنا أوديسيوس صورة اللقاء بأن العراف تيرسياس أقبل عليه وعرفه وخاطبه قائلاً "لما غادرت الدنيا الدافئة المشرقة أيها ذا التعس وقدمت لترى هؤلاء الموتى ولتضرب فى ظلمات هذا العالم العبوس ؟ ولكن نح هذا السيف قليلاً حتى أتجرع من تلك الدماء ، وإنى لمحدثك حديث الصدق عما جئت من أجله . "وبعد أن شرب العراف من الدماء قال لى "أوديسيوس ! إنك

تجتهد أن تعود أدراجك إلى بلادك غير أن طريقك إليها محفوف بالمكاره ، ممتلئ بالعقبات ، وإن لك فيها لعدواً لدوداً يتاثرك ؛ ذلك هو بوسيدون الذى اسخطته بما سملت عين ولده الكوكلوبوس على أنك واصل بعد أهوال جسام إلى وطنك ، فإنك واصل يوما إلى شطآن صقلية وتكون قد نجوت من روع اليم وأرزائه ، فإذا كنت هناك ، فاحذر ان عش قطعان هبيريون رب الشمس السامقة السائحة فى الجزيرة بأذى إن كنت جد حريص على العودة الى بلادك سالما ، مهما اقتحمت بعد ذلك من عباب وعقاب . فإذا مسها منكم أحد بأذى ، فويل لكم جميعا ! إن فلكك تغوص فى الأعماق ، ويغرق رجالك أجمعون ، أما أنت فتنجو بعد جهد ، وتلتقطك سفينة عابرة تعود بك بعد شقاء وبلاء وعناء إلى وطنك الذى ينتظرك فيه ألف ويل وويل ! ستجد قصرك المنيف محتلا بطغمة أشرار من خطاب زوجتك الوفية لك ، يريغون خيرك ويذبحون شاتك ، ويغرون بينلوبى بالعطايا والرّشى لتختار من بينهم بعلاً لها ... و لكنك ستنتقم منهم وتنتصف لما قدموا من سوء وستبيد جموعهم ، . . . . الخ .

ونجد ان شبح الكاهن يستمر فى مخاطبة أوديسيوس و يخبره بأنه إذا ترك أياً من هذه الأشباح المحيطة بهما "يرشف رشفة من الدم فإنه يتحدث إليه بعد ، وينبئه بما يشاء" فترك أوديسيوس شبح أمه يتذوق الدم فنطق ودار بينهما حديث عن أحوال ابنها وأحوالها ، وطلب منها ابنها أن تنبئه بكيفية موتها وعن أخبار والده وابنه وعن ملكه وعتاده وعن زوجه ألا تزال تعيش مع ولده أم تزوجت من أحد أمراء هيلاس ؟ وأجابه شبح أمه أنّ زوجه لا تزال وفية له مبقية على ذكراه ، مقيمة فى قصره ، قاضيه لياليها وأيامها فى حزن مضن عليه ، ودموعها جارية من أجله وآلام لا تنتهى لبعده ، أما أملاكه فلا تزال له وما يفتأ ولده يستغلها باسمه وما يفتأ يغشى الولائم فى أبهة

الأمراء . وأبوه ما زال يقبع فى مزارعه عزوفا عن المدينة وبهرجها ، وأن والده حزين عليه ، ودائم البكاء من أجله وأنها هى الأخرى قد ماتت كمدا وحزنا على فراقه.

و يسجل لنا هوميروس أنه كان يتم تفسير حفيف و خشخشة أوراق الشجر من قبل الكهان كما كان يحدث فى دودانا .

وتقدم لنا الإلياذة والأوديسة أيضا الأخبار عن عرافين وعرافات وهبتهم الآلهة فن العرافة والاستنباء ومن بين هؤلاء هيلينوس وكاسندرا وكالخاس ، وكان هذا النوع من العرافين و العرافات يتلقى الكشف المباشر من الإله ولا يحتاج الى علاقة محددة أو نذير محدد كما كان يحدث للأميرة كاسندرا التى وهبها الإله أبوللو القدرة على كشف الغيب والتنبؤ بما كان وما يكون ، فكانت تخبر الناس بماضيهم وحاضرهم وما يكون مستقبلهم وهم يسمعون ويعجبون ولما رفضت أنْ تكون زوجة للإله صب جام غضبه عليها وسلط عليها سخرية سامعيها فما تقول شيئاً ولا تتنبأ بشىء ولا تكشف غيباً إلا استهزأ بها الناس وعيروها بأنها تكذب وتخرف وتدعى ! ومن أمثلة تلك السخرية : عندما عاد الأمير باريس إلى قصر أبيه ، وتعرف عليه أبوه وأمه وأخوته صاحت كاسندرا ، أبى ، لتحذر هذا الأخ ، لتحذر باريس ، ولتذكر نبوءة الكاهنة فى معبد أبوللو .... ابنك يجر الخراب على مملكتك ويعرض شعبك للدمار وينشر الموت فى بيوت رعاياك . وهنا ينتقم أبوللو ويسخر من حبيبته الجافية ، لقد تضاحك الملك مستهزئا وغمزت الملكة ابنتها ، ولمزتها بكلام لاذع ، أما هكتور فقد عبث بأخته ومازحها مزاحاً ثقيلاً . ثم نجد الكاهن لاوكون يرفض دخول الحصان الخشبى ورأى أنه حيلة من حيل ومكيدة من مكائد الآخيين وطلب من الملك بريام أنْ يسأل ابنته

العزيزة كاسندرا فإن لديها سر السماء وحذرت كاسندرا قومها ولكن من يصدقها ، فلا تزال نقمة أبوللو تنصب فوق رأسها . و بعد أن حدثت الكارثة بفتح طروادة وإشعال الحرائق فيها تنبأت كاسندرا عندما كانت تخاطب أمها فتقول "أماه ليس حظ هؤلاء الغزاة المنتصرين بخير من حظ أبطالنا . هاأنذا اقرأ ألواح القضاء .... انظرى .... هاهو ذا مصرع أجاممنون بيد زوجته كليتمنسترا العاشقة . إنها تفضل اليوم ذراعى ايجستوس الآثم على جنة يكون فيها زوجها ... ! إنها ستقتله ، ستذبحه بيديها ... حينما تطأ قدماه أرض الوطن ! ... انظرى يا أماه ... هاهو ذا أوديسيوس تعصف به الريح . ويلعب به الموج ... و يؤرجحه البحر الثلجى ... والعشاق يتقاتلون من حول زوجته ... وتليماخوس المسكين يضطرم غيرة ولا يستطيع ان يفعل شيئا ... انظرى يا أماه هاهو ذا مينلاوس ... لقد ظن المسكين أن هيلينا نقية كما هى ! لقد نسى الشقى أنها تقلبت فى أحضان أزواج غيره ! ... انظرى إليه يقذفه البحر إلى شطآن مصر ... وانظرى إليه ذليلاً بين يدى هيلين يتوسل إليها وكان أحرى لو أنه قتلها ... وهذا هو العراف كالخاس لا يحتاج إلى نذير أو علاقة محددة لتفسير غضب الإله أبوللو .

كما نجد أن خاصية وموهبة الاستحياء والاستنباء وتفسير النذر كانت وقتية عند بعض الأفراد العاديين وليسوا من العرافين والعرافات المحترفين . فنجد على سبيل المثال بينلوبى تفسر أحلامها والفأل الحسن فى العطاس والانفجار والضحك أثناء حديثها مع العبد ايومايوس ؛ وأيضا قدرة هيلينا على تفسير حادثة النسر الذى حمل إوزة . حين قالت اصغوا إلى ما ألقته الأرباب فى روعى ، فكما انقض هذا النسر من الجبل واختطف الإوزة من المنزل ، هكذا سيعود أوديسيوس إلى بيته بعد تجوال

طويل وينتقم لنفسه ، وأن قلبى ليحدثنى أنه الآن هناك يكيد للخطاب كيدا" .

و يرد فى ثنايا الملحمتين الهومريتين ذكر لمراكز ومهابط الوحى والنبوءة فى دلفى ودودانا حيث وجد عرافون وعرافات محترفون يتنبأون ويستوحون وهم فى حالة نشوة واتصال بإله النبؤة . فعلى سبيل المثال نجد ان ثيتيس والدة أخيل تسأل العرافات و كاشفات الغيب عن مستقبل ابنها ويجيبنها بأن ابنها سيكون محاربا عظيماً إذا ما غسلت ابنها فى أمواج نهر الخلود الزاخر "ستيكس" وعملت بنصيحتهم وغسلته فى أمواج نهر "ستيكس" إلا عقب قدمه اليسرى . وبعد ذلك نجدها تذهب إلى العرافات القدامى وكهنة المعبد ، فاستوحتهم ما عسى أن يكون فى كتاب الغيب من حظ لابنها فى الميدان ، وقال الكاهن الأكبر مؤمناً على ما تنبأت به العرافات ، من أنّ أخيل سيدعى للقتال فى صفوف اليونان وأنه سيلقى حتفه تحت أسوار طروادة بسهم يرميه به ألد أعدائه ، يصيب منه مقتلاً فى موضع دقيق فى جسمه هو وا أسفاه !! عقب قدمه اليسرى التى لم تغمرها مياه "ستيكس" . وتكشف لنا الإلياذة عن سؤال الملك بريام لنبوءة أبوللو بشأن ابنه الوليد باريس ، وكان رد كاهنة المعبد أنّ ولده سيكون كارثة على قومه وعلى بلده وسيأتى من الاثم ما يجر الى ذويه وبنى جلدته ويفضى إلى سقوط طروادة فى يد أعدائها . ونجد العراف كالخاس يستوحى الهته فى المعبد الذى مكث فيه غير قليل بناء على أمر أجاممنون لمعرفة ماذا تبغى الآلهة لتطلق الرياح . وعاد بقلب موهون ، وجسم مضعضع ، ووجه مغبر ، وجبين كاسف معقد وأطلق نبوءته "الآلهة عطشى الى الدماء" دماء افيجنيا ابنة أجاممنون لابد من تقديمها قربان ! لابد أن دمها على مذبح ديانا كى تطلق الرياح من عقالها . ولكى تكون فدى للجيش كله ولهيلاس جميعا . وبعد موت أخيل وانتحار أجاكس ؛ نجد كالخاس ينفرد ويرسل

نظرة فى النجوم ويناجى سكان السماء ثم يطلق نبوءته القائلة "سهام هرقل !! لابد من سهام هرقل ! لن يفتح عليكم طروادة إلا سهام هرقل" .

و كان بعض العرافين يتوارثون المهنة ، الخلف عن السلف ، ففى الأوديسة لدينا بعض التفاصيل عن شجرة عائلة ثيوكليمينوس المنحدر من ميلامبوس، فقد ورد ذكر اربعة اجيال من اسرته ومن بينهم اميفروس Amphearoas بطل طيبه ووفقا للأسطورة فإن ابنه وحفيد تريسياس قد ورثا الموهبة المقدسة . ونستخلص من الأشعار الهومرية أنّ بعض العرافين كانوا لا ينتقلون من مواطنهم ، بل كان يتم استشارتهم فيها ، بينما نجد عرافين مارسوا مهنتهم جائلين من مدينة إلى أخرى ومن بيت الى بيت بحثاً عن الرزق والاستزادة منه فنجد العراف ميلامبوس حفيد ثيوكليمينوس بعد خلافه مع الملك نيلوس كان عليه أن يرحل عن بيلوس إلى أرجوس حيث بنى هناك منزلاً وامتلك سفناً كثيرة أما عن حفيده فقد اضطره والده أن يهاجر إلى هيبريسيا (Hyperesia) فى اخيا ، أما عن حفيد حفيده فقد مارس العرافة فى أرجوس حتى اضطر إلى تركها نتيجة قتل موبسوس حفيد تريسياس العراف الطيبى .

و لدينا عرافون رسميون كانوا يعملون لخدمة الجماعة مثل هاليثيرسيس الذى كان يقوم بالتكهن والاستنباء فى الجمعية الشعبية فى أتيكا أو كالخاس الذى التحق بالجيش الآخى وذهب معه لحصار طروادة وأسدى للآخيين خدمات جليلة .

وتكشف لنا الأشعار عن أن العراف كان يلقى بعض المصاعب عندما يعلن قراره وتفسيره على الشعب أو على بعض الأسر أو الأفراد فقد كان قراره هذا يلقى

قبولا وترحيباً عند البعض بينما يسبب عدم الرضا لدى البعض الآخر وقد يخلق عداءً بين زبائنه ومستمعيه ومن الأمثلة على ذلك ما أعلنه كالخاس أن سبب غضب الإله أبوللو و صبه الضر على الآخين هو أخذ ابنة كاهنه سبية من قبل أجاممنون الذى رفض إرجاعها إلى أبيها الذى جاءه مستجديا ومتوسلا ولما وجد أعراضاً وصدوداً دعى ربه أن يصب البلايا على الآخين فاستجاب له ربه ، ولذا أعلن كالخاس أن رفع هذا الضر و البلاء لن يكون إلا بإعادة الفتاة إلى أبيها . فما كان إلا أن يصب أجاممنون غضبه وحنقه عليه . كما نجد أنّ بوليداماس لم يرض الأمير هكتور بتفسيره نذير القتال بين النسر والتنين فوق الجيش الطروادى بأنّ هذا فأل سيئ أو نذير شؤم للطروادين ؛ كما نجد العراف هاليثيرسيس عندما تنبأ فى الجمعية الشعبية فى أتيكا عن قرب عودة أوديسيوس وانتقامه من الخطاب وبهذا التكهن قد أغضب الخطاب لانه ضد رغباتهم مما عرضه لنهرهم وتهديدهم و توبيخهم . وإذا كان العرافون قد أغضبوا البعض أحيانا فإنهم كانوا يرضون البعض الآخر أحيانا أخرى ، ونتيجة ذلك ، فقد كانت مهنتهم مربحة فلم يأت إليهم زبائنهم خالين الوفاض بل كانوا يتحفونهم بالهدايا والهبات وقد حقق البعض منهم ثراءً عريضاً مثلما كان الحال بالنسبة لميلابوس .

جمله القول أن الاستنباء والتكهن قد شاع استخدامه عند الآخين والطروادين على حد سواء .

جـ - الأطباء والمشعوذون :

تقدم الاشعار الهومرية معلومات قليلة عن فن الطب والعلاج ومع ذلك فقد حظى الأطباء المحترفون بمكانة علية "فإن طبيباً واحداً يعدل رجالاً كثيرين" ومن هؤلاء الأطباء ماخون وبوداليريوس ، الأول كان جراحا والآخر طبيباً مجرباً وجراحاً ،

وكلاهما ابنا اسكلبيوس وقد ورثا عنه البراعة والحذق فى شفاء الأمراض ومعالجة الجروح وتشخيص الأمراض .

وتخبرنا الأشعار الهومرية أن الأطباء المحترفين كانوا ذوى خبرة وتجربة عملية فى تطبيب الجروح ومعرفة التأثيرات المختلفة الناجمة عن جروح معينة ومعرفة خواص الإغماء وأعراض التشنج الذى يصيب الإنسان عند الاحتضار ومعرفة أعراض الجنون والأمراض المقدسة "الصرع" وقد تفاخر بعض الأطباء بأن لهم قدرة إلهية . وورثة الماضى الغنى بالسحر و الشعوذة .

كان نفر من هؤلاء الأطباء قد خدموا فى صفوف الجيش الآخى كأطباء ومقاتلين فى نفس الوقت والبعض منهم جرح مثلما حدث لماخون بن اسكلبيوس الطبيب والمحارب . وكان واجب هؤلاء الأطباء المحدد فى حالة الطوارئ هو تغطية وربط الجروح والعناية بها . واتبعوا الخطوات الآتية فى تنظيف الجروح : فكانوا يفتحونها ثم يجعلونها تدمى ثم يغسلونها بماء دافئ ثم يستخدمون مساحيق ملطفة ثم يربطون العضو المجروح . وكان بعض الأطباء يقولون تعاويذ معينة لوقف نزيف الدم. ومن أمثلة هؤلاء الأطباء ماخون وبوداليريوس سالفى الذكر اذ نجدهما قد عالجا البطل فيلوكتيتيس الجريح والذى كان قد تركه الجيش الآخى فى جزيرة لمنوس ، وكان هذا البطل يحوز سهام هرقل . وقيل أن البطل هرقل قد أتاه فى منامه وأمره أنْ يرحل مع أوديسيوس وأخبره أنه سوف يبعث إليه فى طروادة واحداً من ولدى اسكلبيوس لعلاج جرحه ، وصدع فيلوكتيتيس لأمر هرقل ورحل مع أوديسيوس إلى طروادة ووصل إلى المعسكر الآخى ، وهناك اغتسل بمياه جارية ، ثم راح فى نوم عميق داخل

معبد الإله أبوللو ، واثناء نومه استأصل الجراح ماخون الجزء المتعفن من الجـرح ثـم صب كمية من النبيذ فى الجرح ووضع فوقه بعض الأعشاب الشافية وحجـراً خاصـاً اسماه اليونان حجر "الحية" وقيل أن بوداليريوس شقيق ماخون قد اشـترك فـى عـلاج جُرح فيلوكتيتيس .

وتكشف لنا الأشعار أن علاج الجروح فى ساحات القتال وفـى أوقـات السـلم ورحلات الصيد لم تكن حكراً على الأطباء المحترفين بل نجد المحاربين والأبطال قـد اتصفوا بحذقهم ومهارتهم فى عمل الأربطة والتعامل مع جروح الحرب ، وكان علـى المحاربين أن يساعد بعضهم بعضا فى أوقات الحاجـة ، فعلـى سـبيل المثـال نجـد أوديسيوس يعالج بعض الجرحى من الأبطال . وقد تعرض هو نفسه فى شبابه لجـرح فى فخذه نتيجة عضة خنزير برى فى جبل بارناسوس فى أثناء رحلة صيد مع أخوالـه وقد عالجه أخوالـه ، كما نجد البطل باتـركلوس قد قام برعايـة وعلاج ايوربيلـوس (Eurypylos) الجريح وتطبيبه باستخدامه جذر مر بعد أن طحنه بين يديه والذى خفـف الألم وجفف الجرح وأوقف النزيف . ولم يكن تطبيب الجروح والسـجحات والكدمـات حكراً على الرجال بل مارسته النساء أيضاً ، إذ نجد أن المرأة كانت على درايـة بكـل فوائد النباتات ، وجمعها وإعداد العقاقير منها لعلاج الجروح والآلام ، ونجد أن بعـض النساء قد عالجن بعض الحالات مثل علاج هيلينا للكدمات بجسد أوديسـيوس بغسـلها ومسحها بالزيت ، وبعد أن جرح باريس بسهام فيلوكتيتيس واشتد به الأم نجـده يتذكـر أن محبوبته الأولى الحورية ايونونيه كانت قد ذكرت له أنـها تعـرف مـن خـواص الأعشاب المختلفة ما يشفى أقله أشد أوجاع الجروح وأنكاها وأن الإله أبوللو قـد لقنـها فن الطب وأنها كانت بارعة فى علاج الأمراض و تشفى كل عليل . إنها تعلمـت فـن

العرافة من الربة الكبرى الأم وكانت قادرة على التنبؤ بالغيب والكشف عـــن المســـتقبل فأرسل فى طلبها ، بيد انها خذلته وتركته يموت . كما نجد هيلينا كانت قد جلبت طريقــة إعداد الشراب المخدر المهدئ (Pharmacon nepentheos) من مصر إذ تقــول إنـــها تعلمته على يد امرأة مصرية وتقول إنها عقاقير طيبة عظيمة إذا ما حفظت مع الخمـــ يكون لها قدرة كبيرة لإزالة الألم والتعب وتؤدى إلى نسيان كل عرض ، وهـــى قويـ المفعول فمن يشرب منها يكف عن البكاء ذلك النهار ولو مات أبوه أو ذبح أحد أخـــا، أو ولده أمام عينيه .

وتكشف الأشعار الهومرية أيضا عن أطباء مـــهرة فـــى تشـــخيص وتوصيـــف الأمراض ومن بين هؤلاء بوداليريوس الذى كان قـــادراً علـــى تشـــخيص الأمـــراض العقلية إذ نجده يصدق على أقوال العراف كالخاس بأن البطل أجاكس قد أصابـــه مـــس من الجنون وكان بوداليريوس هو أول منْ شخص حالة أجاكس المرضية عندما نظـــر إلى عينيه الزائغتين . فقد أصابته الربة أثينا بمس من الجنون لغضبها عليه . كما نجـــد أن بانداروس يشخص الخبل أو الجنون المؤقت لديوميد بفعل الإله ، ولكن لا يقدم لنـــا هوميروس كيفية علاج هذه الحالات . وفى عصر هوميروس لم يكن اســـكلبيوس بـــن أبوللو إلها بل طبيبا حاذقا فى التطبيب بفضل ما تلقنه من والده أبوللو وخيرون البـــارع فى شتى المهن ، فقد لقنه الأخير فن الطب والعقاقير وشرح له فائدة الأعشاب البريـــة وكيفية التمييز بينها فكل عشب له لون ورائحة وشكل خاص وله فائدة فى علاج مـــرض من الأمراض وبعدها أصبح اسكلبيوس خبيراً فى العقاقير وتركيباتها وعليماً بكل فنـــون السحر والشعوذة ، وذاعت شهرته فى كل أنحاء بلاد اليونان ، وأصبـــح قـــادراً علـــى شفاء جميع الأمراض ، وتوافد عليه المرضى من كل بقاع أرض اليونـــان ، وشـــاعت

الأساطير حول علاجه لمشاهير وأبطال اليونان ومنهم هرقل ، بل وإحيائه للموتى .
وقد ازدهرت تعاليمه العلاجية فيما بعد فى عدد كبير من (A sclepieiea) وهى معابد ومشافى فى نفس الوقت ، وجد منها فى العالم اليونانى نحو ٣٢٠ مؤسسة ، وكانت تقع فى أماكن قريبة من الغابات أو الكهوف أو الينابيع المقدسة ، وكان يقوم بالإشراف عليها أطباء كهان أو أطباء عرافون وأطلق عليهم "الاسكليبيون" وكانوا يتوارثون احتراف المهنة الخلف منهم عن السلف . واشتملت تعاليمه على طقوس منها الصوم واغتسال الطهر ودهان الجسم بالزيت وبعدها يقدم المريض أضحية ، ويلى ذلك حضانة روحية له ، إذ كان عليه أن يقضى ليله نائماً على جلد أضحيته فى المعبد ، وفى السكون والظلمة البهيمة ، كانت الأرواح المقدسة تنزل بين النائمين فى المعبد ، وكان الإله يرسل للمريض الرؤى والأحلام أى أنه قد يسمع كلمات الإله ويتم ترجمتها بعد ذلك بشكل مناسب من قبل الأطباء الكهنة فى شكل وصفات طبية .

وكان الإله نفسه هو الذى يمنح هبة العلاج ويرفع الضر الذى يصببه ويسلطه على البشر . ومن بين الأمراض العقلية التى تذكرها الأشعار الهومرية الهيجان والهذيان والمنخوليا ، والتى يكون سببها الآلهة التى تسلط عليه الشياطين (demon) التى تسبب له الجنون . وهكذا نجد أن بانداروس يشخص الخبل أو الجنون المؤقت لديوميد بفعل الإله ، وأجاكس قد أصابته الإلهة أثينا بمس من الجنون ، وهيلينا تعلن أن الربة أفروديتى قد أعمتها وقادتها من أرضها الحبيبة إلى طروادة تاركة ابنتها وغرفة زواجها وزوجها ، كما نجد أن الملك أجاممنون يقول إن الإلهين زيوس وارينيس (Erenyes) قد سلباه العقل وأصابا روحه بالجنون القاتل عندما استولى على مكافأة أخيل . وكانت الإلهة اتى (Atc) أيضا مسئولة عن الجنون والتهور والدوخان والعمى

والهذيان ولم يكن لها موضع قدم على الأرض ، لكن موقعها عقول الناس . إذا كان الجنون مرضا مقدسا ، ولدينا نص من عصر متأخر ــ وبدون شك كتبه أحد اتباع مدرسة أبقراط ــ ينتقد بشدة الممارسة الدينية السحرية المتبعة في علاج المرضى والمرض المقدس والتى من الأرجح أنها عتيقة أو ضاربة فى القدم ، وربما وجدت فى العالم الهومرى وكانت خطوات العلاج بالطرق الدينية السحرية وهى : .

أولا :- تحديد مصدر المرض وذلك عن طريق تحديد الإله المسبب للمرض ، وتحديد الإله يتم من خلال معرفة الحركات الصادرة من المريض فالصراخ الذى يصاحبه حركات تشنجية للأطراف يؤكد أو يشير إلى أن سبب المرض هو وجود أم الآلهة ، كما أن الصرخات الصادرة من المريض الشبيهة بصهيل الخيل تشير إلى أن سبب المرض هو وجود الإله بوسيدون ، والأصوات الصادرة من المريض والمقلدة لتغريد الطيور تؤكد أن سبب المرض هو الإله أبوللو ، والرغوة على الفم تكشف عن أن سبب المرض هو وجود أريس (Ares) بينما يكون سبب الهياج فى الليل أو المشى والشخص نائم هو وجود هيكاتى (Hecate) أو وجود بعض أرواح الأبطال من العالم السفلى .

ثانيا :- إذا تم تشخيص سبب المرض فكان يتم اتباع الخطوات العلاجية الآتية : أن يتصالح المريض مع الإله مسبب المرض وأن يرضيه وأن يهدئ من غضبه وذلك بالشكر والتطهر وتلاوة التعاويذ واتباع قواعد معينة خاصة بالأكل والملبس التى يصاحبها شعائر وطقوس معينة ، والغرض من كل هذا هو إعادة شخصية المريض إلى حالته الطبيعية . وكان العلاج ، وفقا لهذه الطريقة ، فى أيدى مطهرين جائلين وكهنة ومشعوذين ومَنْ اتبعوا طرقا سحرية ، وكما سبق

أن ذكرنا لعل هذه الممارسات كانت موجودة فى العالم الهومرى وأن هذا العـــالم كان يوجد به فئة من الأطباء المشعوذين وطاردى الأرواح والذين لم يكونوا مـــن بين أعضاء الارستقراطية الطبية التى مـــن الارجـــح أنْ تكـــون ســـببا فـــى أنّ هوميروس قد ذكر حولها القليل .

د - المنشد المغنى :

نطالع فى الإلياذة أن الأسرة وأفرادها والجنود فى معسكراتهم وخيامـــــهم كـــانوا يرتجلون الغناء ارتجالاً ، بينما فى الأوديسة نرى ذكراً للمنشدين المحترفين المبصريـــن وغير المبصرين الذين كرسوا جانباً من وقتهم للموسيقى ينشدون أغانيهم على الأنغـــــام الموسيقية للقيثارة .

وتكشف الأشعار الهومرية عن أن المنشد المغنى كان فى نظر الإغريـــق رجـــلاً تلهمه الإلهة مثله فى ذلك مثل العراف والطبيب ، فكلماته نزلها عليه إما زيـــوس وإمـــا أبوللو وإما ربات الفنون والآداب بنات زيوس ، فكانت الإلهـــة توحـــى إليـــه بكلمـــات الأغانى الحزينة والبهيجة ، ويؤكد أفلاطون على هذا الاتجاه إذ نجده يقـــول أن الإلهـــة هى التى تهب الإلهام الشعرى ، وتشير الأوديسة إلى ذلك ، ففى أحد المواضـــــع نجـــد الشاعر يذكر "كان المنشد ذائع الصيت يغنى لهم وكانوا يجلسون فى صمـــت منصتيـــن لـــه ، كان يغنى لهم عن عودة الآخيين المفجعة من طروادة والتى أوجبتها الربة أثينـــا ، ولما كانت أغنيته محزنة وأبكت بينلوبى فقد خاطبت المنشد الربانى أى فيميـــوس إنـــك تعرف الإلهة المجيدة مما حفظه لنا المنشدون "غن لهم واحدة منها واجلس إلى جوارهـــم ودعهم يحتسون فى صمت كؤوس الخمر واترك هذه الأغنية الحزينة التى تجلب الأســـى إلى أعماق قلبى حيث أن حزناً لا ينسى يسقط علىّ وأنا أتذكر متلهفة على رأس زوجـــى

الذى ذاع صيته فى هيلاس وأرجوس . فرد عليها تليماخوس لم تكرهين يا أماه أن يمتعنا المنشد المخلص بالطريقة التى تواتيه ؟ فلا لوم على المنشدين إنما زيوس هو الملوم فهو الذى يعطى كيفما شاء للبشر الساعين وراء أرزاقهم اليومية . فلا تثريب على الرجل أن يغنى مصير الدانائيين المؤسف ، لأن الناس فى الغالب يثنون على الأغنية التى تسبح إليهم نغماتهم للوهلة الأولى" وفى موضع اخر نجد تليماخوس يقول "دعونا الآن نله ونمرح ولا تحدثوا فيما بيننا شغباً فالاستماع إلى منشد صوته كصوت الإلهة لمن المتع المستحبة " ونستخلص من هذه الفقرات أن هوميروس يقدم أوصافاً للمنشد منها : أ- المنشد الربانى ، ب - المنشد ذائع الصيت ، جـ - أنه لا ينطق عن الهوى إنما يوحى إليه زيوس ، د - حلاوة وطلاوة صوت المنشد الشبيه بصوت الإلهة .

ويضيف هوميروس فى موضع اخر أنه بينما كان اوديمسيوس فى بلاط الملك الكينوس ، وجه الأخير دعوة إلى رجاله لحضور حفل تكريم أوديسيوس وطلب أن يحضر ديمودوكوس المنشد وجئ بالمنشد الذى أحبته ربات الفنون حباً جماً اللواتى أعطينه الخير والشر على السواء فقد منحنه نعمة الغناء الجميل ولكنهن سلبنه نور عينيه . ونجد أوديسيوس يقول واصفاً ديمودوكوس أن المنشد لخليق باكرام الناس ، لأن الهة الىن هى التى توحى إليه وتوليه الحب" وفى موضع أخر نجده يخاطبه قائلاً "ياديمودوكوس أإلهة الفن هى التى توحى إليك ما تنشده أم أبوللو؟ ولكنك وأيم الحق تشيد بما عاناه الأخيين أمام طروادة العظيمة وما لاقوه من الأهوال كما لو شاهدت بنفسك فهلم الآن وغننا بذكر الحصان الخشبى . . . ." أجذ غناء هذا فاشهدك بأنك المنشد الذى لقنته الإلهة" . "وغنى المنشد هذه الأغنية بإيحاء من الإلهة إذ تنزل أبوللو

على لسان المنشد فراح يقص الوقائع الطروادية" . إن هذه الفقـــرات تضيــف للمنشــد أوصافاً منها :-

(١) أن ربات الفنون قد منحته نعمة الغناء . (٢) أن الإلهة لقنته وأوحت له بالغناء .

فى ضوء ما سبق لقد كان المنشدون سادة فن الغناء والإيقاع والنغم ، وكان لـــهم دورهم فى أداء الطقوس والشعائر الدينية أى أنهم كانوا أعضاء فـــى الصفــوة العقليــة والدينية . فقد كانوا حفظة الأشعار المقدسة أى أنهم كانوا ينظمون الأغـــانى الشــعرية المرتبطة بالإلهة وقصص الأبطال المؤلهين والأغانى التى تدخل البهجة والسرور علــى قلوب سامعيهم . وتقدم لنا الأوديسة فى بعض المواضع معلومات عن أغـــانى هــؤلاء المنشدين التى أثارت شجون المستمعين والمنصتين ، وقد ســـبق أن ذكرنـــا أن غنـــاء فيميوس قد أثار شجون بينلوبى لتذكيرها بزوجها الغـــائب كمـــا نجـــد غنـــاء المنشـــد ديمودوكوس قد أثار شجون وأحزان أوديسيوس وجعله يجـــهش بالبكـــاء ، وإذا كـــان أوديسيوس قد أبكاه ما رواه المنشد فنجد أن جمهور المستمعين طلبوا منه معاودة الغنـــاء لاعجابهم به كما نجد أن الملك ألكينوس قد لاحظ بكاء أوديسيوس لسماعه المنشـــد فقـــد قال لجمهور الحضور من ضيوفه "دعوا ديمودوكوس يكف عن غنائه فمنذ وضـــع يـــده على القيثارة لم ينقطع هذا الغريب عن النحيب ليكف المنشد إذاً" .

وفى ضوء ما سبق نلاحظ أن جمهور المستمعين كان يفاضل بين أغنية وأغنيـــة ونشيد ونشيد ، فهذا نشيد حزين يثير اللوعة والأسى وهذا نشـــيد بـــهيج يثـــير البهجـــة والسرور . كما نلاحظ أيضاً أن هناك منشدين كثيرين وأن بعضهم قد ذاع صيته وأنـــهم قد تفوقوا على أقرانهم وكان من بين هؤلاء كل من فيميوس الإيثاكى والذى كان المنشـــد

والمغنى فى بيت أوديسيوس والذى أطرب وأحزن أفراد البيت فقد أحزن بينلوبى بينما نجده يطرب تليماخوس والخطاب وكان إطرابه للخطاب عن كره لا عن رضى منه ولذا فقد نال عفو أوديسيوس عندما قتل الخطاب ، كما نجد أوديسيوس يطلب منه أن يبعث أصوات الموسيقى وبناء على ذلك فقد ضرب المنشد أوتاره ورقصت النساء . ولدينا أنموذج اخر هو ديمودوكوس المنشد الأعمى الذائع الصيت والذى لاقى احتراماً واهتماماً خاصاً من قبل الملك الكينوس وضيوفه ، فقد أجلسوه على كرسى من الفضة فى وسط الضيوف وعلقوا القيثارة على وتد فوق رأسه وأرشدوا يده عليه . ومرة أخرى نجدهم قد أجلسوه فى وسط الضيوف الجلوس فى الهواء الطلق ويأخذ مكاناً وسطاً بينهم . كما نجد قول أوديسيوس عندما أعطاه قطعة من اللحم إذ قال "إن المنشد لخليق بإكرام الناس لأن آلهة الفن هى التى توحى إليه وتوليه الحب" . لقد كان الاحتفاء بمنشد يأتى بعد الضيف وهكذا فقد لاقى المنشد كل الاحترام والتقدير .

كان المنشدون والمغنون لا يستقرون فى مكان بعينه بل كانوا جائلين ، مسافرين ورحالة عظام فكانوا يتنقلون من مدينة إلى مدينة ومن بيت إلى بيت داخل المدينة ويستقبلوا بالترحاب والإكرام فى قاعات الاحتفالات ، والبعض منهم أقام بشكل دائم فى القصور والبعض الآخر كان يتم استدعاؤه بناءً عى طلب صاحب القصر . لقد كان حضور المنشد يضيف الشهرة والبهاء وجو المرح والسرور على أجواء الاحتفالات وبذلك فقد ضمن المنشدون مكانة عليا فى المجتمع كما ضمنت لهم سبل الرزق والعيش الكريم ومخالطة علية القوم وعظمائهم .

كان المنشدون ليسوا من طبقة النبلاء ولا من طبقة العبيد بل كانوا يحتلون

مركزاً وسطاً كأصحاب مهنة تشبه مهنتى الأطباء والعرافين وأنهم كانوا من الرجال الأحرار الذين اكتسبوا احتراماً واعجاباً بسبب مهارتهم فى الغناء والانشاد وكانوا يعتمدون فى بقائهم واعاشتهم وحياتهم على رعاية الأمراء وأصحاب القصور ، كما كانت المعابد الكبرى تستعين بالمنشد ليلقى المراثى والتراتيل الدينية وكانت المدن تستدعيه لينشد فى احتفالاتها . وجملة القول أنهم خالطوا الصفوة وعلية القوم .

هـ- مهنة الشحاذة وحياة الشحاذين الغريبة

عد كل من هوميروس وهيسيودس الشحاذين بين الحرفيين demeourgoi فيذكر هوميروس أنه عندما يعدد أيومايوس الحرفيين الذين كان يبحث عنهم بين الغرباء نجده يعدد العرافين والأطباء والنجارين والشعراء ويضيف أنه لا يوجد شحاذين بينهم ولهذا فإنه يعتبر الشحاذين من الحرفين الأصلاء ، ويؤكد هذا قول هيسيودوس الذى يضع الشحاذ فى قائمة الحرفيين الذين ليسوا محل نقاش إذ نجد يقول "هكذا فإن الفاحوزى ينافس الفاحوزى ، والنجار ينافس النجار والشحاذ يغير من الشحاذ والمنشد يغير من المنشد" .

وقد سبق أن ذكرنا بعض أحوال الشحاذين ونظرة المجتمع إليهم ، ونضيف هنا ما يأتى : أن الأوديسة تقدم لنا وصفاً لحياة وطرق الشحاذ الرسمى فهو الذى يجمع الصدقات وكان نهماً لا يشبع وكثير الشراب عربيد ، وكان شاباً طويل القامة ذات ملامح خشنة وعلى الرغم من أنه كان يأكل جيداً ، إلا أن ملابسه كانت رثة ويحمل عصاً وكيس ويجلس عند الباب ويسند ظهره لعمود الباب ويحك أكتافه عليه انتظاراً أن يحضر له شخص حصته فى الخبز واللحم إذا ما كان هناك مأدبة وكان يتنقل من مأدبة إلى مأدبة .

وكان اليونانيون يعتقدون أن الشحاذين هم رسل الإله زيوس أو يكون الشحاذ هو نفسه أحد الإلهة متنكراً والذى يذهب من مدينة إلى مدينة أخرى ليفحص قلوب الرجال ومشاعر الانسانية والوعى بواجبات الضيافة ولذا ينبغى ألا يلحق به أذى أو ضرر بل ينبغى اكرامه .

وكان الشحاذ المحترف يوصف بالتعبير Opolymanter وهو يعنى المطهر ومعنى هذا أن الناس كانوا يعطونه الصدقات بغرض التطهر من الآثام فهو الذى يأخذها ويزيلها وإذا كان يُحمل بالهدايا فى الاحتفالات الرسمية ، فقد كان يتلقى اللكمات والاهانات ، وهذه هى طريقة نقل الآثام فى شعيرة التطهر . فقد صورت لنا الأوديسة استقبال الشحاذين ، فى الموائد العامة ، بالإهانات واللكمات والقذف بالكراسى والكرات وفى نفس الوقت كان يحصل على هبات من الطعام . وبحضوره وتصرفه كمطهر يومى ، فإن الشحاذ كان مصدراً للأمان والازدهار فهو التضرع إلى الإله زيوس كى يمنح الازدهار والرخاء لمن استقبلوه وأنه هو نفسه الصورة الجيدة للازدهار والرخاء.

وكان عليه أن يدافع عن منطقته إذا ما وصل إليها زميل له ولشعوره بالخطر مع وضعه فكان عليه أن يدفعه بعيداً ، خشية أن ينال الحظوة بدلاً منه وخير مثال على ذلك عندما يخاطب الشحاذ المحترف أروس أوديسيوس المتنكر وينهره ويطلب منه ترك المكان فيجيب عليه الأخير أن المكان يتسع لهما معاً إلا أن الأول رفض وكان على أوديسيوس أن ينازله ويصارعه وبعد أن نجح أوديسيوس وتغلب عليه طرد أروس من المكان وحل أوديسيوس محله إلى حين .

العصر العتيق أو عصر الانتقال
الفترة الممتدة من القرن الثامن إلي نهاية القرن السادس

يُعد هذا العصر من أهم عصور التاريخ اليونانى فلا يمكننا فهم الكثير من مظاهر وسمات العصر الذهبى بمعزل عن العصر العتيق فقد شهد هذا العصر بداية الكثير من الظواهر والسمات الجديدة التى نمت وتطورت بل شهد البعض منها كماله ونضجه فى المجتمعات اليونانية فى العصر الذهبى .

إن تحديد بداية هذا العصر بدقة يمثل معضلة ، فلا يمكننا فى ضوء ما لدينا من معلومات أن نضع تاريخاً فاصلاً لبداية هذا العصر ولكن يمكننا القول أن العصر المظلم قد وصل إلى نهايته بالتدريج لدرجة أنه يصعب علينا أن نضع تاريخاً محددة لخاتمته ، ولكن فى ضوء المعلومات المتاحة عن العلاقات والصلات المتبادلة بين بلاد اليونان ومراكز الحضارة الفينيقية والآشورية والمصرية يمكننا القول أن العصر العتيق قد بدأ فى القرن الثامن .

ورغم وفرة القرائن والأدلة لهذا العصر فإننا نجد الغموض يلف الكثير من مظاهر تطور الحياة اليونانية فيه ، ويتجلى هذا الغموض عند نشأة وقيام المدنية الدولة (polis) ، فقد دار جدل بين العلماء حول تاريخ نشأة المدينة ، والتواريخ المقترحة من قبلهم تنحصر فى الفترة الممتدة بين القرن التاسع والقرن السادس ، كما دار الجدل أيضاً حول أى المناطق كان الأسبق فى نشأة المدينة هل هو ساحل أيونيا أم بلاد اليونان الأم !

إن نشأة المدينة الدولة تكون غامضة ومن العجب أن نحدد بدقة بدايتها ونشأتها بعد العصر الموكينى. ونود أن نقرر أن ظاهرة المدن الدول لم تكن تمثل

ظاهرة جديدة كل الجدة فى عالم بحر إيجة ، ففى العصر الموكينى قد وجدت مدن وممالك منفصلة عن بعضها البعض ويحكمها الملوك الذين توارثوا الملك الخلف عن السلف ، ولكن هذه الممالك تم تدمير مراكزها وانهار أغلبها أمام موجات الهجرة الدورية والعناصر الأخرى المهاجرة . والمنطقة التى نجت من الغزو والتدمير هى منطقة أتيكا قد شهدت استمراراً لنظمها وإن تطورت ولكن كان هذا التطور بطيئاً وذلك لموجات الهجرة ايها من المناطق المجاورة وأيضاً لانشغالها فى رد عدوان القبائل الدورية والقبائل المتحالفة معها .

أما عن بقية مناطق بلاد اليونان التى دُمرت مراكزها على يد الغزاة فقد كانت عملية إعادة الاستقرار والتوطن بها عملية بطيئة وذلك بسبب استمرار الهجرات إليها وما ترتب عليها من صراعات أدت إلى فرار الكثير من العناصر الايتولية وحتى الدورية إلى جزر بحر إيجة وسواحل اسيا الصغرى . ولكن عملية الاستقرار والتوطن فى تلك المناطق قد بدأت بشكل دائم فى الفترة الممتدة ما بين القرن العاشر والقرن الثامن وذلك بفضل أن بلاد اليونان لم تتعرض لغزوات خارجية كاسحة ، وإن كان هناك فى بعض الأحيان اشتباكات مؤقتة بين الجماعات المحلية ، فقد ساعد هذا السلام النسبى على تشجيع الاستقرار أكثر فأكثر وربما أدى إلى زيادة عدد السكان . بدأت بعض الجماعات تعرف الاستقرار فى المناطق التى كانت تفى باحتياجاتها من الأرض الزراعية والمراعى . وقد نزلت فى مناطق يسهل الدفاع عنها ، فقد كانوا يختارون التلال كملاذات يلجأون إليها هم وقطعانهم وهذه التلال كان يسهل تحصينها وتقويتها بتشييد اسوار حولها وصارت قلاعاً وكانت هذه القلاع بمثابة النواة لنشأة القرية التى ستتطور إلى مدينة فيما بعد . كما أنها ستصبح بيتاً لعبادة إله أو إلهة الجماعة . وعندما زاد عدد العائلات وأصبحت مساحة القلعة لا تكفيهم فقد بنى البعض منهم بيوتاً على منحدرات التلال أو فى

السهول المجاورة للقلعة ويلجأون إلى القلعة عند الشعور بالخطر . وفى البداية كان الناس يذهبون إلى حقولهم أو مراعيهم فى الصباح ثم يعودون إلى البيوت فى المساء سواء فى القلعة أو بجوارها . ولكن مع سيادة السلام فقد فضل أصحاب الأراضى البعيدة الاستقرار عليها مما سيشكل نواة لتجمعات سكانية جديدة . ويعكس هنا أرسطو ، بشكل صادق إلى حد ما ، تطور أحوال الاستقرار والتحضر فى بلاد اليونان إذ يقول "إن القرية كانت تتكون من أرباب العائلات أو اتحاد أرباب العائلات وأن المدينة قد نشأت من اتحاد القرى" . وفى الواقع فإن بعض القرى ستكون نواة لنشأة المدن إما لأنها قد نمت نمواً طبيعياً ، وإما نتيجة اتحاد واندماج بعض القرى مع بعضها البعض مشكلة مدينة وخير أنموذج على ذلك اسبرطة التى تشكلت من اتحاد خمس قرى والذى تم على مراحل ، وكما نعرف أن اسبرطة قد مدت نفوذها وسيطرتها على المدن الأخرى فى لاكونيا وكان سكان هذه المدن بمثابة مواطنين من الدرجة الثانية بينما سكان القرى الخمس قد تمتعوا بحقوق المواطنة الكاملة . والمثال الآخر هو اتحاد أثينا مع قرى سهل أتيكا ، ولعل الخطر الدورى هو الذى قرر شروط الوحدة بين قرى أتيكا وأثينا الحاضرة . فقد كان مواطنو القرى مواطنين أثينيين لهم نفس حقوق الأثينى المقيم فى منطقة الأكروبول .

وقد نمت تلك القرى تحت حكم الملوك الذين كانوا فى الجقيقة رؤساء قبائل وكانوا يعيشون فى الأكروبول إذ يقول أرسطو "أن القلعة كانت مكاناً مناسباً لحكم الأسر الملكية والصفوة الارستقراطية والاوليجرخية" وقد ساعد على نمو القرى وارتفاع ظاهرة التحضر والتمدن بها عدة عوامل منها :

١- وجود ملك قوى راجح العقل عمل على تجميع أرباب الأسر الارستقراطية القوية حوله كى يكونوا تحت مراقبته هذا فضلاً عن تشجيع رعاياه للحياة

بجوار مركزه بدلاً من الحياة فى تجمعات صغيرة متناثرة . وإن كـــان بعــض الباحثين يرون أن فضل انشاء المدن يعود إلى الارستقراطية . وسنعود لمناقشــة ذلك فيما يلى من صفحات .

٢- شعور الجماعة إلى الحماية من اغارات الجيران الاعداء ولعل الوحدة بين أثينــا وقرى سهل أتيكا كان نتيجة لهجمات القبائل الدورية عليـــهم . كمـــا أن ســكان الريف كانوا يلجأون إلى القلاع عند شعورهم بالخطر وطلب الحماية من الملـوك الذين كانوا قادة للجيش .

٣- أن الأكروبول لم يصبح مقراً للحكم فحسب بل صار بيتاً لإله أو آلهة البلدة ممــا اسبغ على المكان قداسة وجعل الجميع يرتبطون به كمركز دينى .

٤- إن زيادة اعداد العائلات قد خلق الحاجة لإيجاد نظام لتنظيم العلاقــــة بينـــهم . وهنا سنجد أن الملك قد قام بهذا الدور فى المرحلة الأولـــى فقــد كــان القــائد العسكرى والزعيم الدينى والقاضى فيما ينشب بينهم من منازعات .

٥- أنه من المرجح أن العديد من الحرفيين والأجراء قد عاشوا بشـــكل مؤقــت أو شبه دائم بجوار القلعة مما جعل الناس يرتبطون بمصالح القلعة وزمامها .

٦- لقد ساعد وجود الساحة أو السوق على تلاقى السكان ومناقشة ما يهمـــهم مــن قضايا ، هذا فضلاً عن تبادل المنافع المادية فيما بينهم بمقايضة ما يفيض عليـهم من منتجات بسلع مصنعة أو بسلع فائضة على غيرهم وكان من نتيجة هـــذا أن بعض الأسر قد فضلت العيش بجوار الساحة وهذا بـــدوره قــد نمــى ظــاهرة التحضر ونمو الشعور بالجماعة .

وهكذا فإن نشأة المدينة الدولة قد بدأت لبنتها الأولى بعد استقرار الـــهجرات فى تجمعات قروية منفصلة فى المناطق الســهلية الصغـيرة المســاحة والمحاطــة

بالتلال أو الجبال أو الأنهار والبحار وأن هذه التجمعات قد بدأت فى التمدن والتحضر بالتدريج تحت حكم الملوك ولم تصبح بين عشية وضحاها مدناً إلا بعد مرور فترة من الزمن نمت خلالها بشكل طبيعى وبدون تخطيط سبق ، كما أن نمو وتطور هذه المدن قد اختلف فى درجته ومعدله . وإذا كانت المدينة الدولة قد نمت فى أغلب مناطق اليونان فى القرنين العاشر والتاسع وأنه قد اصبح لها نظام سياسى واقتصادى واجتماعى واضح المعالم فى القرن الثامن .إلا أنها لم تأخذ شكلها فى بعض أجزاء بلاد اليونان خاصة فى الغرب إلا بعد بضعة قرون ومن هذه المدن مدينة إيليس التى أنشئت فى حوالى ٤٧٠ ق.م وحتى بعد تأسيسها فإن مواطنيها ظلوا يعيشون فى مزارعهم وضياعهم الريفية . وسنجد أن نظام المدينة الدولة قد بدأ شكله فى القرن الثامن وهذا نعرفه من أن مدن القرن الثامن قد تولت ارسال الاعداد الزائدة من سكانها إلى مناطق البحر المتوسط والبحر الأسود حيث حلوا بها واقاموا مستوطنات على نسق مدنهم الأم فى أجهزتها التنفيذية والتشريعية .

ويختلف العلماء أيضاً حول أى المناطق أقدم فى معرفة نظام المدينة الدولة هل هى سواحل اسيا الصغرى أم بلاد اليونان الأم ؟! يرى فريق من العلماء أن الإغريق الذين هاجروا إلى سواحل اسيا الصغرى ـ خاصة العنصر الأيونى ـ قد سبقوا إغريق بلادهم الأم فى اعادة بعث الحضارة وتطوير المدينة واستند هذا النفر من العلماء على الحجج الآتية :

١- أن الإغريق المهاجرين إلى اسيا لم يجربوا التوقف الحضارى مثل سكان بلاد اليونان الذين كان عليهم أن يناضلوا لأجيال ضد الفوضى والاضطرابات التى سببتها الهجرة الدورية .

٢- أن إغريق أسيا الصغرى كانوا على اتصال دائم بالحضـــارات المتقدمـــة فـــى الشرق وأنهم قد اتخذوا من المدن القديمة على سواحل اسيا الصغرى المينويـــة والكارية مثالاً يحتذى .

٣- أن ضغط جيرانهم الشرقيين عليهم قد أجبرهم على أن يطوروا المدينة بغــرض أمور الدفاع .

ويرى فريق آخر من الدارسين أن بلاد اليونان الأم هى التى عرفت ظـــاهرة التمدن قبل سواحل آسيا الصغرى وقد اعتمد هذا لفريق على حجج هى :

١- أن نتائج الحفائر الأثرية فى بعض المناطق مثل ميليتوس وسامرنا القديمة قـــد أعطت الدليل على أن الأيونيين كانوا أكثر بطئاً فى التطـــور الثقـــافى ــ عــدا الملاحم ــ عن أثينا أو الدول الدورية الناهضة .

٢- أنه كان على الإغريق المهاجرين لآسيا الصغرى أن يناضلوا لفترة طويلة قبـــل أن يحصلوا على درجة كافية من الأماكن المحصنة ، فقد كان استقرارهم البـــاكر فى مناطق محاطة بالمياه حتى يمكنهم أن التى يدافعوا عنـــها اضـــد الســـكان الأصليين ، كما أن بعض المهاجرين قد استرقوا بعض السكان الأصليين عندمـــا نزلوا بسواحل أسيا الصغرى .

وفى ضوء ما سبق يرى هذا الفريق أن المدينة الدولة قد بدأت فى الظـــهور فى بلاد اليونان القارية – وكان ينبغى علينـــا أن نـــأخذ فـــى الحســـبان العنـــاصر المهاجرة بدون النساء إذ يحدثنا هيردوت عن المستوطنين الجدد فى ميلتوس والذيـــن كان نساؤهم كاريات ، وفى مدينة تيوس فقد شارك السكان الأصليـــون المـــهاجرين الجدد فى ملكية الأراضى وهذه العناصر قد تكون قد خاضت حروباً فـــى البدايـــة ووصلت إلى شروط معهم واستقرت الأحوال بعدها حيث بدأ التطـــور والازدهـــار

لهم وهذا يعنى أن بعض المستوطنات كانت الظروف مهيأة لنموها وتطورها من البداية . ولكن علينا أن نتذكر أيضاً أن منطقة أتيكا بزعامة مدينة أثينا قد حافظت على استقلالها بعد نجاحها فى صد الغزاة الدوريين بل أنها نظمت حركة الهجرة للعناصر الأيونية من أتيكا إلى سواحل اسيا الصغرى مما يعنى أن مدينة أثينا كانت مكتملة الأجهزة والتى جعلتها قادرة على تنظيم حركة الهجرة . وفى نفس الوقت الدفاع عن أتيكا . وهذا يشير إلى أن مدينة أثينا كانت تعد من أقدم المدن فى اليونان وأن الظروف المحيطة بها من تهديدات قد أدى إلى تحقيق الوحدة بينها وبين قرى سهل أتيكا .

أن أول شىء يمكن ملاحظته بالنسبة للمدن الدول أنها كانت بالمئات وأنها فى الغالب الأعم صغيرة المساحة فقد تراوحت مساحة أغلبها ما بين ٢٠٠٠ و ١٠٠٠٠ مواطن . وكانت كل من أسبرطة وأثينا من الاستثناءات التى وجدت فى بلاد اليونان سواء فى مساحتهما أو عدد سكنتهما فلقد بلغت مساحة أسبرطة ٣٢٠٠ ميلاً مربعاً ، بينما بلغت مساحة أثينا ١٠٦٠ ميلاً مربعاً وكانت مساحة كل منهما فى نظر الإغريق بواسعة بصورة غير عادية ، كما أنهم نظروا إلى ضخامة عدد السكان فى بعض المدن على أنه استثناء ، فقد بلغ عدد سكان أثينا ٣٥٠٠٠ نسمة وكان نصفهم من الغرباء والعبيد والنصف الآخر من المواطنين ، والمدن الأخرى التى كان عدد سكانها كبيراً أرجوس وسيراكوز ، إذ بلغ عدد سكان كل منهما عشرين ألفاً . وبلغ عدد سكان الأخيرة فى القرن الرابع أكثر من خمسين ألفاً . فلماذا كان هذا العدد الكبير من المدن ولماذا كانت صغيرة المساحة ؟

إن العامل الجغرافى يقدم لنا تفسيراً جزئياً لهذين السؤالين فأرض اليونان وسواحل اسيا الصغرى كانت مقسمة إلى مناطق منفصلة عن بعضها البعض بحدود طبيعية من الجبال والأنهار والبحار ، ولذا فقد كانت الظروف الطبيعية هى

المسئولة إلى حد ما عن هذا التمزق والتشرذم . ومع ذلك لم يكن العامل الجغرافـــى هو المسئول الوحيد عن تقسيم بلاد اليونان وأحياناً نجد دول مدن قد نمت وتطـورت بشكل منفصل حتى على الرغم من عدم وجود حدود طبيعية تفصل بينــــها ، مثـــل كورينثة وسيكيـــون ؛ وأيضاً المدن الأربع فى جزيرة كيوس Ceos الواقعة جنـوب أتيكا ولعل السبب فى عدم اتحاد هذه المدن فى وحدة أكـــبر يغــود إلـــى ظـــروف تاريخية فعلى ما يبدو بعد أن زال الخطر من قدوم هجرات جديـــدة وبعــد أن عـــم السلام النسبى بلاد اليونان أن بدأت الجماعات فى الاستقرار فـــى المنـــاطق التـــى نزلت بها وكل واحدة منها نظمت شئونها بحيث تكون مكتفية بذاتها تحت نظام حكـم ملكى وظل الناس يعيشون جيلاً وراء جيل يزرعون أرضهم ويرعـــون قطعانـــهم وأحياناً ما كانوا يستدعون لرد عدوان قادم من خلف الحدود فى مجتمعات الاكتفـــاء الذاتى فإن حباً عميقاً للأرض وما عليها من مظاهر والتى تعتمـــد عليـــها حياتـــهم نفسها ، ففى هذه الأرض المحدودة المساحة والتى كان بعضها لا يزيد على بضعـــة أميال طولاً وعرضاً يصبح سكانها أكثر ألفة لكل مظاهر الطبيعة ، مع كل تل وكـــل شجرة وكل جدول ماء وكل معبد أو مذبح خاص بالآلهـــة والحوريـــات والأبطـــال وعباءة الأرواح التى نمت وتطورت ومقابر الأسلاف المقدسة والأكروبـــول حيـــث تعيش ألهته والتى هى أصلاً نفس الهة المدن والمنــــاطق المجـــاورة إلا أنـــها قـــد اكتسبت صفات محلية . ومن المؤكد أن الناس الذين عاشوا تحت هـــذه الظـــروف المألوفة جيلاً وراء جيل قد تأثروا بهذه المشاهد وصار شـــعورهم واحـــد وأن كـــل جماعة طورت من عاداتها وطرق حياتها والتى ارتبطت بشكل معين بالأرض التـــى يعيشون عليها والاقتناع بأن طريقة حياتها أفضل من طرق حياة التجمعات ، وهـــذا قد أدى بالمواطنين بالتطرف والاسراف فى الوظيفة والرعية إلا يشاركهم أحد فـــى تراثهم أو تغييره أو اضعافه عن طريق إدخال طرق حياة ونظم غريبة عليهم وكـــان

السبب وراء عدم الوحدة والاندماج فى مناطق بلاد اليونـــان المختلفــة . وبعــد أن عرضنا لأسباب تعدد المدن الدول المستقلة عن بعضها البعض ننتقل للحديث عـــن أثر قيام المدنية فى تطور النظام السياسى فى بلاد اليونان .

لقد كانت نشأة وظهور ونهضة المدن هى من نتـــاج جـهد الملــوك الذيـن وضعوا البنات الأولى لنظمها والتى تم تطويرها فى أغلب الأحوال فيما بعد علــــى يد حكومات الأرستقراط . فقد كان للملوك الفضل فى اتخاذ الكثير من الاجـــراءات والخطوات التى أدت إلى تكوين المدينة ، كان الملوك شيوخ قبائل وجدوا فى فــترة الاضطرابات والفوضى وهذه الظروف قد ساعدتهم فى الامساك بمقـــاليد الســلطة العسكرية وتولوا قيادة الجيش للدفاع عن المنطقة والأرض التى نزلــوا بــها ضــد الاعتداءات الخارجية ، كما نجد أنهم بحكم موقعهم كشيوخ للقبائل قد كانوا يرعـــون طقوس العبادة لإله أو لآلهة القلعة وحماتها . فكانوا بمثابة كهنة وسدنة معابد الآلهـة ومسئولين عن تقديم القرابين . وايضاً بحكم أنهم شيوخ قبـــائل ، فقــد كــان مــن الضرورى أن يسهروا على اقرار الأمن والسلام من خلال رعايـــة العدالــة فــى القرنين العاشر والتاسع ، خاصة بعد الاستقرار وما ترتب عليه من تزايـــد اعــداد السكان حول القلعة وما نجم عن ذلك من تعقد ســبل الحيــاة ونشــوب الخلافــات والمنازعات بين الافراد ، فكان على الملك التدخل للفصل فيما شجر بينهم وإقـــرار العدالة وقد زادت سلطاتهم القضائية فى مقابل ســـلطة أربـــاب الأســـر . ونتيجــة استتباب الأمن أن تزايدت اعداد السكان مما كان يتطلب المزيـــد مـــن الاشــراف الإدارى من قبل الملك وأصبح فى حاجة إلى مشورة اقرانه من رؤساء الأسر ولمـــا كان الملك هو الأول بين الأقران Premus inter pares فلم يكن فى وضع يسمح له ببناء نظام إدارى على شاكلة النظام الموكينى . وإذا كان الملوك ، عندمـــا شـــجعوا أرباب الأسر القوية على الانتقال للعيش بجوار مقرهم وذلك بمراقبتـــهم والاطـــلاع

على انشطتهم وبذلك زادت سلطتهم ونفوذهم بأن جعلوا الإدارة أكثر قدرة وكفاية إلا أنهم على المدى البعيد قد خسروا مفاعدهم الملكية على يد أرباب الأسر الارستقراطية الذين تفاهموا في التضامن والتكاتف لاسقاط الملوك والنظام الملكي وهذا التفاهم لم يكن ميسوراً لهم عندما كانوا يعيشون متباعدين مشتتين ولكن تجمعهم معاً مكنهم من تدبر الأمر والتخطيط لاسقاط الملكية والتحول إلى نظام الحكم الارستقراطي والذي لم تكن ظروفه واحدة في كل المدن ، كما أن نتائجه كانت متباينة ، ففي بعض المدن كانت اخطاء الملك الجسيمة وغطرسته واستبداده قد تؤدي إلى ثورة عنيفة تسقط حكمه جملة ، وفي مدن أخرى كان اعتلاء طفل أو قاصر العرش يشجع النبلاء على الغاء الملكية ، كما نجد أن أفراد الأسرة أو العشيرة الملكية ككل في بعض الحالات كانت تقتسم السلطة فيما بينها ، مثل عشيرة الملك باكخيس Bacchis في كورينثة والتي تقلدت السلطة لعدة أجيال امتدت حوالي ٢٠٠ سنة ، وفي ميليتوس فإن الأسرة الحاكمة هي أسرة الملك نيليوس Nelius وفي ميتيليني Mytilene كانت أسرة بينثيلوس Penthilus هي المسيطرة ، كما عرفت الارستقراطية الحاكمة في كل من خيوس وأفسوس تعرف بأنها ملكية Basilidae أي أنها تنحدر من اسر ملكية سابقة . كما نجد أن سلطات الملوك في بعض المدن من قبل الارستقراطية . وكان هذا التحديد يصل إلى حد أن يصبح الملك مجرد موظف وإن بقي له من الملكية اسمها ، ولنا في مدينة اسبرطة مثل طيب في بقاء الملكية مع تحديد سلطاتها وجعلها ثنائية يراقب فيها كل من الملكين الآخر . ولنا في مدينة أثينا الأنموذج مع تحول الملكية وظيفة سنوية وهو ما سندرسه بتفصيل أكبر في دراستنا لنظم المدينتين .

ويتبادر لنا السؤال التالي من هم هؤلاء الأرستقراط الذين حصلوا على السلطة في بعض المدن طوال التاريخ اليوناني وفي بعضها الآخر طول القرنين

الثامن والسابع ؟ سبق أن ذكرنا أن بعض الأسر والعشائر الملكية وزعت السلطة فيما بينها وضربنا أمثلة مع بعضها ، ولكن من الصعب أن نعطى تفسيراً حول أصل وطبيعة الطبقة الاجتماعى وهذه الصعوبة تتعاظم عند البحث عن أصلها فى ماض لا يوجد به معلومات تاريخية ، وبعض الباحثين تجنبوا المشكلة عن طريق التأكيد بأن الطبقة الأرستقراطية قد بدا خلال العصر المظلم وأن الأرستقراط الذين حلوا محل الملوك كانوا أعضاء فى العشائر القوية الثرية ، ففى القرن التاسع على الأقل من المفترض أن الكثير من أرباب العائلات التى كانت لديها الثروة والوجاهة الاجتماعية قد اندمجوا فى مجموعات أكبر وهى العشائر ، وهكذا أصبحت هذه العشائر تسيطر على مساحات كبيرة من الأرض الزراعية والثروة الحيوانية ونتيجة لثروتها فقد سيطرت على أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، وكلما ازدادت قوة ازداد وعيها بتميزها الطبقى وأصلها النبيل وبدأت ترجع انسابها إلى بطل أو إله ، واعتبرت نفسها من الأفاضل arestoi وأن الحكومة التى كونتها قد أطلقوا عليها حكومة الأخيار .

ومن الواضح أن هناك اختلافات بين أنواع وأشكال الحكومات الأرستقراطية التى حكمت فى بلاد اليونان ولدينا أدلة وافرة فيما يخص كل من أثينا وأسبرطة والتى سنناقشها فيما بعد ، ولكن فيما يخص المدن فمعلوماتنا عنها شحيحة . ولكن يمكننا القول أنها كانت تمثل كل العشائر الثرية وفى بعض المدن الأخرى كان هناك عدد قليل من العشائر هو الذى يشارك فى الحكم وهو أقواها وفى بعضها الآخر كما سبق أن ذكرنا كانت العشيرة الملكية .

لقد استندت الحكومات الأرستقراطية فى حكمها على قواعد ثلاث هى :

١- العشيرة أو العشائر القوية التى هيمنت فى حكمها على الاقتصاد الأساسية

فكانت تملك مساحات واسعة من الأرض الزراعية الخصبة وحتى أراضى المراعى المشاعية فقد كان استغلالها فى الغالب الأعم من نصيب قطعانهم الكبيرة . أما المجموعات الصغيرة والفقيرة فكان لا حول لها ولا قوة .

٢- اعتمد الجيش فى تكوينه على الأرستقراطية من عصر هوميروس وحتى القرن السابع حيث كان لها القدرة على تحمل نفقات القتال والتسليح من أسلحة وخيول وعربات حربية ، بينما لم يكن فى مقدور الطبقات الوسطى والفقيرة القدرة على تحمل نفقات القتال والتسليح ، ومن ثم فقد أكد الأرستقراط على امتيازهم لأنهم حماة الجماعة والمدافعين عنها ، ولكن ابتداء من منتصف القرن السابع فقد حدث تطور فى أساليب وتقنيات القتال وذلك بالاعتماد على نظام الفيالق phalanx وجنودها المسلحين تسليحاً ثقيلاً hoplites . وهذا التطوير قد سمح لفئات من غير ملاك الأراضى للمساهمة والمشاركة فى الجيش ، فقد ساهم أفراد لديهم ثروات منقولة مثل التجار والصناع فى القتال ، وهذا التطور قد ساهم فى اضعاف سلطة الأرستقراط المطلقة على كل مظاهر الحياة فى الدولة لأن حاجة الجيش لهؤلاء المقاتلين الجدد جعل الأرستقراط مضطرين لقبولهم ومنحهم الامتيازات .

٣- اعتمدت قوة وسلطة الحكومات الأرستقراطية على اقرار العدالة فقد ورثت اختصاصات الملوك القضائية ، بل سنجد أنها قد زادت من هيمنتها على العدالة وإقرار النظام . لإنهاء الخلافات والمنازعات التى تمزق الحياة الاجتماعية وتؤثر بالتالى على أمن وسلامة الدولة ، وعلى الرغم من أن نظام المحكمين قد استمر طوال التاريخ اليونانى فإن إقرار العدالة قد أصبحت على نحو متزايد مسئولية الحكومة الأرستقراطية وأصبح الأرستقراط ، سواء أكانوا حكاماً أو أعضاء فى المجلس التشريعى ، دوراً فى سماع المشاكل والقضايا وأصدروا

فيها أحكاماً ، ولما لم يكن القانون مدوناً فقد كانت أحكامهم تعتمد على الأعراف والتقاليد القانونية الواجبة الاحترام لأنها ذات أصل مقدس ، ولكن على ما يبدو فإن أحكامهم كانت تصدر لصالح طبقتهم ، كما أنهم كانوا يرتشون وهذا ما رسمه لنا الشاعر هيسيودوس فى "قصيدته الأعمال والأيام" إذ يتحدث الشاعر عن نزاع نشب بينه وبين أخيه حول الميراث ، فبعد القسمة لم يرض أخوه بنصيبه في ميراث أبيه ولجأ إلى الملوك المرتشين وضمن نصيباً أكبر ويرى البعض أن السبب فى الحكم من قبل الاشراف بحصوله على حصة أكبر هو أن القوانين كانت قد أباحت قسمة الأراضى ، ولكنها أبقت تحمل الأعباء العامة على كاهل الابن الأكبر فى الأسرة . وأن شكاية الأخ الأكبر لهيسيودوس قد استندت على عدم عدالة هذا الأمر . وبالتالى فإن قول الشاعر أن القضاة مرتشون يبدو أنه قد يحتوى على قدر من المبالغة ؛ ولكن القرائن تشير في نفس الوقت إلى أن النبلاء كانوا يفضلونه فى المنازعات والقضايا وفقاً لصالح طبقتهم وكان الضحايا العاجزون الذين لا حول لهم ولا قوة ليس لهم الحق في استئناف الأحكام فيما عدا الالتماس إلى زيوس واقتناعهم بأنه رب العدالة وأنه يعاقب هؤلاء على ما فعلوه من اثام .

وإذا كان الملوك لهم الفضل فى وضع اللبنات الأولى لنظم المدن وحياة التحضر فإن الحكومات الأرستقراطية قد طورت هذه النظم الوليدة ، ويمكن أن نجمل التطورات التى شهدتها المدن على النحو الآتى :

١- أنها استمرت فى النمو بطريقة عشوائية حول القلعة وأن بعضها قد تم تسويره فى القرن السادس .

٢- أن المدن استمرت عبارة عن تجمعات زراعية فى الأساس مع ظهور الصناعة

والتجارة وأن الساحة قد تطورت ببطء لتتحول إلى سوق كما نلمس استمرار ظاهرة العيش والسكنى لبعض السكان بعيداً عن المدن فى منزل منعزلة أو فى قرى صغيرة .

٣- أن القلاع قد صارت مقراً لحكم الطبقة الأرستقراطية وفى نفس الوقت بيوتاً للآلهة بشكل دائم . كما أنها كانت تستخدم كملاذ دائم للحكام والمحكومين عند الخطر .

٤- أن الأرستقراط قد هيمنوا مع الشئون السياسية فى المدن وكانت أداتهم هى شغل الوظائف التنفيذية وعضويتهم للمجالس التشريعية المحدودة العدد والمشروطة بسن معينة . ومن المفترض أن الأرستقراط قد حاولوا الحد من سلطات الجمعيات والمجالس العامة للشعب واحتكار السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية . وهذا كله قد ساعد على حياة التحضر والتمدن وهذا ما يمكن أن نلمسه في المستوطنات التى أسسها اليونان حول سواحل البحرين الأبيض والأسود ، والتى كانت صورة لمدنهم الأم وهذا يشير إلى مساهمة الأرستقراط فى نشر نظام المدن خارج حدود اليونان . ولكن كان هناك خطوات كثيرة للوصول بنظم المدن إلى حد الكمال .

وقد شهد العصر العتيق سلسلة من الظواهر والتى سنجملها . فقد شهد زيادة فى السكان وتطوراً فى الصناعة والتجارة وما تبعها من حركة الهجرة الكبرى إلى خارج بلاد اليونان والتى كان لها أثارها ، هى الأخرى ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية البعيدة المدى فى بلاد اليونان ، كما شهد هذا العصر تدوين القوانين التى كانت فى السابق عبارة عن أعراف ، وتقاليد قانونية تخضع للتفسير ، والتطبيق الاعتباطى من قبل الأرستقراط وانتقل الفرد من عصر ما قبل القوانين

predroit إلى مجتمع القوانين droit ، كما شهد هذا العصر تطور الجيش وأساليب القتال والاعتماد على نظام الفيالق المعتمد على جنود المشاة ثقيلى العدة . وسنحاول أن نعرض فى الصفحات التالية لتلك القضايا وإن كنا سنبدأ بالهجرة الكبرى .

حركة الاستعمار الكبرى :

تمثل حركة الهجرة الكبرى أهم سمات العصر العتيق ، وقد بدأت فى النصف الأول من القرن الثامن واستمرت حتى نهاية القرن السادس .

وقد سبق أن رأينا كيف انتشر اليونان على ضفتى بحر إيجة خلال الألف الثانى قبل الميلاد فى فترة الهجرات الدورية . والآن نعرض لحركة الاستعمار الكبرى التى بعد قرنين من الزمان على الأقل من استقرار اليونان بعد الهجرة إلى بد اليونان من قبل القبائل الدورية والقبائل المتحالفة معها والهجرة المضادة من قبل الأيونيين والأيوليين ومن بعد الدوريين . ولا يجب أن نخلط بالمرة بين الحركتين .

لقد سبقت حركة الهجرة الكبرى دون شك فترات استكشافات ومغامرات فى شمال بحر إيجة والبحر الأسود وفى غرب البحر المتوسط والتى سنتناول البعض منها فيما بعد .

إن أعقد المشاكل حول حركة الهجرة والاستيطان الكبرى هو تاريخ انشاء المستوطنات ، وفى الواقع فإن تواريخ انشاء المستوطنات فى معاهدة صقلية عند ثيوكيديس صحيحة إلى حد ما حيث أنها تتطابق مع نتائج التنقيبات الأثرية . كما أن التواريخ الواردة عن انشاء المستوطنات فى البحر الأسود عند Pseido Saymnus هى الأخرى صحيحة حيث أكدتها التنقيبات الأثرية ، ولكن فإن تواريخ انشاء المستوطنات فى مناطق أخرى غير دقيقة وذلك لأن المصادر التى تحدثت عنها متأخرة بفترة طويلة ومن هذه المصادر يوسالبى القيصرى (قرن ٤م.) فقد

ذكر تواريخ مبكرة للغاية وغير دقيقة لنشأة المدن فعلى سبيل المثال أنه ليس من المعقول أن مدينة كوماى فى جنوب إيطاليا على حد قوله قد تم تأسيسها سنة ١٠٥١ ق.م ، بينما يذكر كاتب آخر أنها تأسست ١٠٤٦ ق.م. وهذان التاريخان من المؤكد أنهما خطأ لأن تاريخ حركة الاستعمار فى ضوء نتائج التنقيبات الأثرية لم يبدأ ، على ما يبدو حتى بداية القرن الثامن وأقدم تاريخ لدينا عن المستوطنات فى الغرب هو سنة ٧٧٥ ق.م. وهو تاريخ انشاء مستوطنة فى جزيرة بيثكوساى Pithecusae (اسخيا Ischia) ، بينما أن التاريخ المقترح والمتعارف عليه لنشأة كوماى هو عام ٧٥٠ ق.م .

لقد بدأ إغريق بلاد اليونان وجزر بحر إيجة وساحل آسيا الصغرى أكبر حركة استيطانية منظمة فى تاريخهم وقد استمرت هذه الحركة ما يزيد على قرنين من الزمان وانتشرت خلالها مئات المستوطنات اليونانية من كرميا Cremia شمالاً (على البحر الأسود) إلى نقراطيس فى دلتا النيل جنوباً ومن القوقاز Caucosas شرقاً إلى أسبانيا غرباً . فقد انتشرت هذه المستوطنات حول شواطئ البحرين الأبيض والأسود وحول مضيق البسفور والدردنيل . وكان المستوطنات يختارون أماكن استيطانهم عند مصبات الأنهار وفى المناطق القريبة من المياه والتى يسهل الدفاع عنها . لقد انتشروا فى تلك المناطق مثل انتشار الضفادع حول بركة الماء .

ولما كانت حركة الهجرة الكبرى قد أنشأت مئات المدن فى خلال قرنين من الزمان ، فمن المعقول أن نقول ، فيما عدا بعض الحالات الاستثنائية ، أن هناك تشابه بين ظروف وأسباب مثل هذه الحركة الاستيطانية الواسعة ، كما سنجد أن بعض الظروف قد أعاقت التوسع والاستيطان فى بعض المناطق وذلك لوجود دول قوية ، وقوى شديدة المراس حدت بل منعت من هذا التوسع .

فقد كان هناك تشابه فى التركيبة السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية فى أغلب المدن . فقد شهدت بلاد اليونان ، فى خلال القرن الثامن ، سلاماً وهدوءاً أو تطورت خلاله المدن وحلت الأرستقراطية محل الملوك فى أغلب مناطق بلاد اليونان وزادت أعداد السكان زيادة كبيرة ، وكانت فئات السكان هى نفسها تقريباً فى المدن وهذه الفئات هى :-

أ - فئة الأرستقراط : وكانت تتكون من الأسر القوية التى كانت تضع يدها على أخصب وأغلب مساحات الأرض الزراعية كما أن قطعانهم الكبيرة قد استغلت المراعى المشاعية فى الغالب الأعم . وأمسكت هذه الفئة بزمام ، ومقاليد الحكم في المدن .

ب - فئة صغار الملاك ، أو الزراع : وكانت هذه الفئة تملك مساحات قليلة من الأراضى الخصبة ولديها القليل من القطعان من الحيوانات .

جـ - فئة الحرفيين والصناع : وكانت هذه الفئة قليلة العدد وذلك لأن الصناعة والتجارة كانت بداياتهما الأولى .

د - فئة الأجراء : وهؤلاء كانوا لا يملكون أرضاً ولا ضرعاً ولا يمارسن حرفة وإنما يعملون بالأجر عند أصحاب الأراضى .

كانت زيادة السكان تمثل مشكلة خطيرة فى المجتمع اليونانى والذى كان اقتصاده يعتمد بشكل أساسى على الزراعة والرعى فقد كانت مساحة الأرض محدودة ومركزة فى أيدى حفنة قليلة من الأرستقراط ومن ثم فإن انتاج أغلب الأراضى كان حكراً عليهم ولذا فإن أية زيادة فى السكان تمثل عبئاً ثقيلاً على المدن لأن انتاجية الأرض لن تكفى لمزيد من الأفواه . وهنا سؤال يطرح نفسه كيف تصرف هؤلاء الناس من الأشراف والعامة والذين لم تعد الأرض تفى

باحتياجاتهم ؟ نجد أن البعض منهم قد عمل كمرتزقة عند الملوك الشرقيين ، فقد خدموا فى جيش الملك جبجيس الليدى وفى جيش الفرعون ابسماتيك ، واشتغل البعض منهم بالقرصنة ، فمن يقرأ الأوديسة سيجد هجوم القراصنة وإغاراتهم على المدن والسكان ومنها هجوم أوديسيوس على المدن والسكان ومنها هجوم أوديسيوس ومنيلاوس والذى سبق أن ذكرناه ، كما أن سؤال الملك نستور إلى تليماخوس واتباعه : من أنتم أيها الغرباء ؟ هل أبحرتم للاتجار أم لأعمال القرصنة التى كان القراصنة فيها يخاطرون بحياتهم ويجلبون الشر للآخرين ؟ كما أن نقشاً مسمارياً آشورياً يشير إلى طرد الآشوريين لملك مغامر يبدو أنه كان يونانياً يدعى أيامانى Iamani ووُصف بالملعون ، وكان ملكاً على أشدود الفلسطينية سنة ٧١١ ق.م. كما أن البعض منهم قد رحل عن بلاده واشتغل بالقرصنة ومن هؤلاء المهاجرين من فوكايا الذين استقروا فى كورسيكا . ومن الواضح أن بعض اليونان قد عمل بالتجارة ومبادلة منتجات النبيذ وزيت الزيتون بالحبوب وسلع الشرق .

ونلاحظ أن المستوطنات قد تركزت فى بعض المناطق بصورة كبيرة بينما قلت أو انعدمت فى بعض المناطق الأخرى . فما سبب ذلك ؟ لم يتوسع اليونان فى انشاء المستوطنات فى شرق البحر المتوسط وسواحله الجنوبية نظراً لوجود دول وقوى قوية لا يستطيعون استيطان مناطق منها والاقامة فى أراضيها إلا بعد سماحها ورضاها . فقد كان لوجود مملكة ليديا أثره الكبير على وقف توسع اليونان فى أسيا الصغرى .

ويقول استرابو أن أهل ميليتوس قد أسسوا مستوطنة أبيدوس على الساحل الأسيوى بموافقة الملك الليدى جيجيس . ويرى البعض السبب فى سماح ليديا بانشاء المستوطنة هو رغبتها أن تستخدم كدرع ضد حركة القرصنة فى المنطقة .

وإذا كان اليونان قد نزلوا بمدينة المنيا فى شمال سوريا فقد كانوا تجاراً ، وقد كانت مدينة المنيا بمثابة المركز التجارى فى المنطقة وقد قصده التجار اليونان من المناطق اليونانية المختلفة وأقاموا به حيث بادلوا سلعهم بالسلع الشرقية كما نقلوا الأفكار الشرقية إلى أوطانهم . أما بقية السواحل السورية فقد كانت فى الغالب الأعم تحت سيطرة المدن الفينيقية والتى كان لها دور هام فى تجارة البحر المتوسط فى الفترة الباكرة فى شرقه وفى الفترة المتأخرة فى غربه ، فتشير القرائن إلى أنه فى بداية الألف الأول كان لهم تجارتهم وصلاتهم مع قبرص وكريت ورودس ، كما نجد اشارات عنهم عند هوميروس . وإذا كان الفينيقيون قد بادلوا السلع الشرقية بالسلع اليونانية فإنهم قد كان لهم الفضل فى اطلاع اليونان على جوانب الحضارة الشرقية .

وإبان القرنين الثامن والسابع وهى فترة المد والانتشار اليونانى كان الآشوريون يمثلون أقوى الدول فى المنطقة ، فقد مدوا نفوذهم على المدن الفينيقية ومدوا نفوذهم أيضاً على جانب من آسيا الصغرى وتروى لنا المصادر أنهم قد اصطدموا باليونان هناك ، ودارت معركة بينهم فى عهد الملك سنحاريب ٧٠٥ ق.م . كما نجد أن الآشوريين قبل ذلك قد مدوا نفوذهم وسلطتهم على قبرص وفرضوا الجزية على مدنها سنة ٩٠٧ ق.م. وهكذا نجد أن كل من الليديين والفينيقيين ومن بعد الآشوريين قد حدوا من توسع اليونان فى سواحل آسيا الصغرى الجنوبية والسواحل السورية .

أما بالنسبة لمصر فقد خضعت مصر للآشوريين سنة ٦٧١ ق.م. ونجح الفرعون أبسماتيك فى طردهم وقد استعان هذا الفرعون بالمرتزقة الأيونيين والكاريين والذين كانوا كان قد أرسلهم إليه ملك ليديا فى كفاحه ونضاله لتحرير مصر من الآشوريين . وبعد إخراج الآشوريين فقد اقطع الفرعون هؤلاء المرتزقة

فى مناطق مصر المختلفة اقطاعات من الأرض كمكافأة لهم نظير خدماتهم . وقـد تبع هؤلاء المرتزقة التجار من اليونان .

فقد فتح أبسماتيك وخلفاؤه أبواب مصر أمام اليونان ، وإذا كـان قـد وجـد لليونان مدينة فى مصر ، وهى مدينة نقراطيس ، فقد كانت تحت إشراف وسـلطة فرعون مصر . وهذا يعنى أنهم قد استقروا بعد سماح الفرعون لهم .

وفى ضوء هذه الأحوال والظروف فإن اليونان قد اتجهوا شمالاً فى منطقـة سواحل البحر الأسود وغرباً فى منطقة صقلية وجنوب ايطاليـا وشـواطئ فرنسـا واسبانيا . وإذا كانوا نجحوا فى تأسيس قورينى فقد فشلت جـهودهم فـى تأسـيس مستوطنات أخرى وذلك بسبب موقف قرطاج العدائى منـهم . كـانت أرض هـذه المناطق تمثل الأرض البكر وكانت تقطنها جماعات متفرقة ولا تشكل دولاً قويـة ، وهى على الرغم من وجود بعض المتاعب من القوى المحلية ، فقد كان من السـهل على اليونان النزول بتلك المناطق والعيش فيها . ولكن بعد أن توسع اليونـان فـى شرق وجنوب وشمال صقلية وقفت لهم قرطاج بالمرصاد فى الغرب كمـا وقفـت ضدهم فى جزيرة كورسيكا هى و الاتروسكيون وتم طرد المستوطنين منها والـت سيادتها إلى الاتروسكيين . لقد كانت منطقة غرب البحر المتوسـط منطقـة نفـوذ قرطاجى إلى حد كبير ، فقد سيطروا على غرب صقلية وجزيرة سـردينيا وجـزر البليار . وهكذا سنجد أن توسعهم فى الغرب قد حد منه بشـكل كبـير كـل مـن القرطاجيين والاتروسكيين .

لقد وجدت عوامل داخلية سرعت من حركة الهجرة إلى حـوض كـل مـن البحر المتوسط والبحر الأسود هى :-

أولاً العوامل الاقتصادية :

١- نقص مساحة الأرض الزراعية :

يؤكد بعض الكتاب القدامى ، وخاصة ثيوكيديس وأفلاطون، على أن سبب الهجرة هو نقص الأرض στενοχωρια. ويرى فريق من الباحثين أن نقص الأرض يعود إلى زيادة السكان وكان هذا الرأى على الرغم من وجاهته يعارضه فريق آخر إذ يرون أنه غير محتمل ويرجع نقص الأرض إلى النظام القانونى الخاص بملكيته الأرض مستنداً فى ذلك على ما يأتى :-

١- أنه لا المصادر الأدبية ولا الحفائر الأثرية الحديثة تثبت أن المدن اليونانية فى القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد قد ازدادت أعداد سكانها كثيراً عن موارد أراضيها .

٢- أن الكثير من المدن التى أقامت مستوطنات لها فى الخارج خلال تلك الفترة لم تكن إلا مدناً صغيرة قليلة السكان .

٣- أن العديد من المدن مثل ميليتوس وجالكيس كانت مراكز لأراضى خصبة ويمكنها اعاشة أعداد كبيرة من السكان يفوق سكانها فى بداية الألف الأول قبل الميلاد . وفى ضوء كل ما سبق فإنهم يرون أن السبب المباشر لنقص الأرض المصطنع هو النظام القانونى السائد الخاص بملكية الأرض ؛ فإذا ما كان بالمدن أعداد كبيرة من الرجال الذين لا ملكية لهم فإن الخطأ كان فى نظام الملكية . فقد كانت ملكية الأرض الزراعية للأسرة غير قابلة للقسمة أو التصرف واضطرت كل عائلة ممتدة حتى بالنسبة لأحفاد الأحفاد أن تزرع الأراضى المخصصة للأسرة بطريقة مشتركة . فكانت حيازة الأرض تنتقل إلى أكبر الأولاد ويعيش فى كنفه اخوته . ولذا فإن الأخوة الطموحين الذين لا يرضون بهذا الوضع أى أنهم كانوا يريدون أن يكون لهم أملاكهم الخاصة بهم وأن يستقلوا بأنفسهم . كما أن أفراد الأسر التى لم تمكنهم أحوال ميلادهم غير

الشرعى ، أو سوء تصرفاتهم مما أدى إلى نفيهم وحرمانهم من الميراث كما أن كل شخص لا ينتمى للأسرة أو العشيرة ليس له الحق فى التملك ولم يكن فى إمكانه أن يحصل على الأرض أبداً ، وهكذا حرم القانون الغرباء والأبناء غير الشرعيين والذين ارتكبوا جريمةً وحُكم عليهم بالنفى من الميراث . ولم يكن أمام هؤلاء إذا ما رغبوا فى الحصول على أرض زراعية ظل نقص الأرض *σδενοχωρια* فكان على البعض منهم أن يقوم باستصلاح الأراضى الفقيرة مثل والد هيسيودوس ، بينما البعض الآخر صار لصاً أو قرصاناً والبعض الآخر بحث عن الأرض خارج بلاد اليونان ومن بين هؤلاء الشاعر ارخيلوخوس ، من باروس ، الابن غير الشرعى للرجل النبيل تيلسيكليس Telesicles والأمة انيبو Enipo .

ويرى هذا الفريق أيضاً أنه حتى بعد انهيار النظام الأسرى ، أو العائلة الممتدة والسماح بمبدأ تقسيم الممتلكات فإن الأرض كانت لا تقسم ولا تنقل للابناء الذين ينتمون للأسر الكبيرة أو أبناء الرجال الذين استصلحوا الأراضى . ويستطرد هذا الفريق فى القول إن تقسيم الأرض فى حالة وفاة رب الأسرة قد خلق طبقة من ملاك الأراضى غير قادرة على إعاشة نفسها وذلك لصغر مساحة الأرض الموروثة .

وتعليقنا على هذا الرأى أنه قد أقر فى نقطته الأخيرة عدم كفاية انتاج الأرض لسد حاجات أصحابها وأسرهم مما يشير إلى الزيادة السكانية والتى حاول أصحاب هذا الرأى انكارها ومع ذلك فإنه يقدم بعض النقاط الوجيهة وهى أن الغرباء والمنفيين والأبناء غير الشرعيين كانوا لا يرثون ، كما أن نظام الملكية المشتركة – قبل إباحة التقسيم – قد دفع بعض أفراد الأسرة الطموحين الذين لا يرضون عن هذا الوضع إلى تركها والرحيل والبحث عن أرض جديدة يمكنهم أن

يبدءوا فيها حياة جديدة . وجملة القول أن هذا الرأى فى خاتمته يعطى بعض التأكيد على صحة الرأى القائل بأن نقص الأرض ناتج عن زيادة السكان وأن العامل الديموجرافى كان له الأهمية الأولى . فقد رأوا أن مناطق كثيرة قد عانت من ازدياد عدد سكانها وهذا ما يشهد عليه بشكل مباشر وغير مباشر الزيادة الكبيرة فى حجم وعدد المستوطنات التى كشفت عنها الحفائر ، لقد كان لانخفاض نسبة عدد الوفيات أثرها فى زيادة سكانية أدت إلى عدم كفاية انتاج الأرض لتغذية كل أفراد الأسرة الشباب . كما أن التوزيع غير العادل للأرض بين الأفراد حتى بعد إباحة تقسيم الممتلكات المحدودة المساحة والتى أعيد تقسيمها مرة أخرى مما جعلها لا تفى باحتياجات أصحابها الضرورية وعلاوة على ذلك فإن مساحة أرض اليونان محدودة . ويؤكد هذا قول الشاعر هيسيودوس "إن الطريق لازدهار صاحب البيت هو أن يكون به ولد واحد . لقد كان على الأفراد الهجرة الإجبارية أو الاختيارية التى نظمتها المدينة لهم والتى كان هدفها من وراء ذلك ألا ترهق نفسها بمطالب الأفواه التى لا تقدر على تغذيتها وتلبية احتياجاتها . ولعل خير أنموذج هو ما حدث فى مدينة ثيرا . ويروى هيردوت أن القصة تبدأ بنبوءة صادرة من دلفى والتى أمرت أهل ثيرا باستعمار ليبيا ، ويقول أن أهل ثيرا قد أهملوا هذه النبوءة ولذا فقد عُوقبوا بسبع سنوات لم يسقط فيها المطر ، اضطروا بعدها ارسال مواطنين لقورينى . وقد تم اختيار المستوطنين أخ من أخ بالقرعة ، ويروى أنهم بعد ذهابهم فى سفينتين غابت عنهم شجاعتهم وحاولوا العودة إلى وطنهم مرة أخرى فابعدوا بالقوة مرة أخرى . ويتفق مع قول هيردوت السابق نقش من قورينى ، وإن كان من فترة متأخرة ، ولكنه يضيف ما يأتى : إذا رفض أحد المجبرين على الابحار فإن عقوبته الموت ، ويمكن للمستوطنين أن يعودوا فقط إلى وطنهم الأم إذا ما مرت عليهم خمس سنوات حاولوا فيها بجد التوطن ، ولكن إذا ما وضح فشلهم فى

المغامرة فإن لهم الحق فى العودة .

وهذه القصة تروى لنا أن الاستعمار إذن يحمل شهادة معبرة عن حجم الأزمة السكانية التى أثرت على أجزاء كثيرة من بلاد اليونان وأن الكثير من المدن قد ساهمت فى الهجرة بصورة مباشرة أو غير مباشرة فمن المؤكد أنه عند تأسيس مستعمرة جديدة تحت رعاية واشراف مدينة معينة فإنه كان يحدث غالباً أن رجالاً من مدن أخرى كانوا يشاركون فى عملية التنفيذ . وتعد مدينة ميليتوس مثالاً رائعاً على أن المدن المنظمة لحركة الهجرة إذ لا يعقل أنها كانت بمقدورها وحدها أن تؤسس هذا العدد الكبير من المستوطنات والذى بلغ أكثر من تسعين مدينة.

وفى الواقع فإن كل من الرأيين يحتوى على قدر من الحقيقة ، فنقص الأرض قد أتى من نظام الملكية المشتركة لأرض الأسرة دفع البعض إلى الهجرة ، كما أن تقسيم الممتلكات فيما بعد بين الورثة الشرعيين قد أدى إلى نقص الموارد بالنسبة للأعداد المتزايدة منهم وهذا دفع البعض منهم مختاراً أو مجبراً إلى الهجرة حيث توجد الأرض الخصبة . وتكشف لنا المصادر الأدبية والوثائقية أن هؤلاء المهاجرين قد اختاروا المناطق ذات التربة الخصبة والمراعى الكثيفة والمناخ المشابه لمناخ وطنهم . ومن هذه المناطق قورينى وسهول جنوب إيطاليا وصقلية . وإذا كان نقص الأرض أو الجوع للأرض وزيادة السكان من الأسباب الرئيسية للهجرة فإن هناك أسباب أخرى أدت إلى الهجرة منها التجارة وعدم الرضا بالوضع السياسى والاجتماعى وعدم الرغبة فى الخضوع لغزاة سواء من الإغريق أو الأجانب وأخيراً روح المغامرة .

التجارة :

يرى نفر من الباحثين أنه لا مجال للتجارة فى دفع حركة الاستعمار وأنه لم يكن لها أى أثر فى تأسيس المستوطنات ، بينما ركز بعض العلماء على أن الباعث

التجارى والرغبة فى الحصول على المواد الخام ، والحصول على أسـواق التـى يمكن أن يبيعوا منتجاتهم فيها كانت وراء حركة الاستعمار . وفى الواقع لا يمكننـا أن ننكر أو نغالى فى أثر التجارة فى دفع حركة الهجرة والاستيطان فقد كان البحث عن أرض جديدة لم يكن هو الهدف الوحيد للمهاجرين ولا يوجـد أدنـى شـك أن الهجرة والاستقرار بين الشعوب الأجنبية كان بغرض التجارة فقد سـبق أن رأينـا كيف أن الأبطال الهوميريين لم يترددوا فى السفر بأنفسهم لجلـب وحمـل السـلع الضرورية . ومن المرجح أن المحطات التجارية والمستوطنات التجارية قد سـبقت حركة الاستعمار فى النصف الأول من القرن الثامن . ومـن الأمثلـة علـى هـذه المحطات التجارية ميناء المنيا فى شمال سوريا ، فكان نصف سكانها من اليونـان من أهل يوبويا . والنصف الآخر من السكان المحليين . كما أنه يمكننـا القـول أن التجار والقراصنة قد قدموا معلومات وتقارير عن استكشـافاتهم لشـواطئ البحـر المتوسط الغربية ولدينا أدلة فخارية من فخار يوبويا تم العثور عليها فى مدينة فيـى Veii الاتروسيكية وفى كابوا فى سهل كامبانيا وهذه القرائن يرجع تاريخـها إلـى عصر الهجرة للمنطقة وهذا يعنى أن التجار من جزيرة يوبويا قـد وصلـوا إلـى سواحل إيطاليا الغربية قبل أن تبدأ حركة الاستعمار وأنهم قد نقلوا ما شاهدون عـن المواقع الملائمة للاستيطان سواء أكانت صالحة للزراعة أو مراكز تجارية . ولـم تكن المستعمرات الأولى التى أسسها أهل يوبويا تقع فـى أقـرب أرض زراعيـة خصبة ، ولكن كانت قد احتلت مواقع ملائمة للتجارة مع ارتوريا . ومن أقدم هـذه مستعمرة فى جزيرة بيثكوساى Pithecusae سـنة ٧٧٥. وهـذه المسـتوطنة قـد دعمتها محطات عبر ممر ميسينيا ، ولعلهم قد قاموا أيضاً بجهود استكشـافية فـى جنوب فرنسا وشمال أفريقيا إذ يقول هيردوت أن أهل فوكايا Phocaea هم أول من قاموا برحلات بحرية طويلة وأنهم هم الذين اكتشـفوا أدريـا Adreia وثيرهينـا

Tyrhenia وايبريا وتارثوس وأنهم لم يبحروا فى سفن تجارية بل فى سفن حربيـــة وأنهم عندما وصلوا إلى تارتوس فقد عاملهم ملكها ارجـــانثونيوس Arganthonios معاملة حسنة ومنحهم هدايا قيمة عند رحيلهم ، كما أن صداقتهم مع هذا الملك قـــد جلب لهم الكثير من الفضة التى استخدموها فى بناء سور حول مدينتـــهم لحمايتـــها وهذا السور هو السور الوحيد على ما يبدو فى ايونيا .

لقد كان الطلب على المواد والسلع الخام مثل الحديد والنحـــاس والرصـــاص وراء انشاء بعض المستوطنات ومنها بيثكوساس وفيما بعد فقد أه فوكايـــا ماســاليا واستغلت ميناء تجارى مع الغال وللحصول على الرصاص والصفيح ، كمـا أنشـأ المستوطنون بدورهم عدد المحطات الصغيرة فى شرق الساحل الاسبانى ؛ كما نجـد أن عدداً كبيراً من المستوطنات فى منطقة البحر الأسود كانت فى بدايتها عبارة عـن محطات تجارية حيث كان اليونان يبحثون عن السلع والمواد الناقصة فـــى بلادهـم مثل السمك والمعادن والخشب والحبوب ومن هذه المســتوطنات أولبيـا وفاســيس وديوسكورياس وسينوب . ولو اتجهنا جنوباً صـــوب ســواحل البحــر المتوســط الجنوبية وفى دلتا النيل بمصر فقد أسس اليونان مستعمرة تجارية وقد أسسها عـــدد من التجار الذين وفدوا ، فى الغالب الأعم ، من آسيا الصغرى والجزر المجـــاورة والعناصر بعد أخذ اذن الفرعون المصرى على ذلك . ونقراطيـــس هـــى المثـــال المعروف جيداً كميناء تجارى حيث أطلق عليها "Polanyi" وكان يتم فيـــه تنظيـم عمليات التبادل التجارى بين مجتمعين مختلفين (المصرى واليونانى) ، فـــى النظـم الاقتصادية . وفى الواقع وأن كل صادرات وواردات اليونان من وإلى مصر كـــانت تمر عبر هذا الميناء .

جملة القول أن الحافز والباعث التجارى والبحث عن المواد الخام كـــان وراء حركة الاستيطان بل من العوامل التى ساعدت على معرفـــة طبيعـــة الكثـــير مـــن

المناطق الصالحة لسكنى اليونان وبالتالى فقد ذهبوا إليها وهم على دراية بمواردهـا وأهميتها .

الاضطرابات السياسية وعدم الرضا الاجتماعى :

يبدو أن حياة المدن قد شهدت اضطرابات كبيرة خلال الفترة التالية لانـهيار الملكية . إذ اشتعلت الصراعات بين العائلات الملكية والعائلات الأرستقراطية ، فلـم تتخل الأسر الملكية بسهولة عن السلطة وهذا قد أدى إلى قيام الصراعات الداخليـة والثورات .

ويظهر أثر هذه الصراعات فى الكتاب الأخير مـن الأوديسـة . وكمـا أن ذكرنا فإن السلطة الملكية لبيت أوديسيوس كانت قد نوهت للخطـر وأن محاولتـه الدفاع عن سلطانه ولكن قد أعقبها اقتتال فى المدينة .

والأوضاع السياسية فى المدن اليونانية فى القرنين الثامن والسابع فـى ظـل الحكم الأرستقراطى كانت تدفع كثيراً من أهلها إلى تركها تبرماً وسخطاً وأملاً فـى أن يجدوا فى أرض جديدة وفرصة الاشتراك فى الحكم ، فيروى لنا المؤرخـون أن أفراد الأسرة البنثيليدية Penthilidis الحاكمة فى ميتلينى عاصمة جزيرة لسـبوس كانوا يتجولون فى الشوارع وبأيديهم السياط يضربون المارة فكان الذين يأنفون مـن هذه الحالة يتركون موطنهم ويشتركون مع أمثالهم فى تأسيس مدينة جديدة يتولـون هم أنفسهم الحكم فيها ، كما نجد أن عدد من المستوطنات قد أنشأتها الثـائرة علـى أوضاعها المدنية ومن بين هؤلاء جماعة Pareheniai وهم من الواضـح جماعـة الرجال الذين كانوا غير راضين عن وصفهم السياسى والمدنى فى أسبرطة ووفقـاً للروايات فإنهم هم أبناء الاسبرطيات غير الشرعيين فى فـترة الحـرب الميسـينية وأنهم كانوا قد اجتمعوا فى بلدة اميكلاى ونظموا أنفسهم وأصبحوا ثواراً ولكنهم فـى النهاية قد تم اقناعهم أن يرحلوا إلى تراس وتارنتوم ، ويـرى البعـض أن بعـض

الثوار كانوا من السكان الأصليين . كما أن اسم إحـدى هـذه المسـتوطنات وهـو ديكاياخويا (Δικαιαρχια) أى المدينة التى يسودها العدل ، وقد أسسـها الرجـال الذين عزلوا من مدينة كوماى . وكذلك أفراد الطبقة الأرستقراطية فى بعض المـدن قد حرموا هم أيضاً الفرصة لتولى الحكم إلى حكم اوليجرخى ، ومثل هذه العنـاصر كانت تستشعر السخط وتأمل فى أن تجد وضعاً سياسياً أفضل فى أرض جديدة .

ويقول منديس Mendes وكان أحد أبناء برقة وكتب تاريخاً لليبيـا حوالـى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد . أن إنشاء قورينى يرجع إلى وقوع اضطرابـات سياسية فى ثيرا من جراء انقسام أهلها إلى فئتين ووقع بينهما صدام أدى إلى طـرد إحداهما ، وهى التى يتزعمها باتوس فذهبت هذه الفئة لاستشارة وحى دلفى عـم إذا كان عليها أن تتبع الصراع أم تقوم بانشاء مستعمرة وقد نهاها الوحى عن الاتجـاه الأول . وفضل الاتجاه الثانى ، ولكن هذا الرأى لا أساس له من الصحة وهو ما قـد دحض ما ورد فى نقش لوحة المؤسسين . ولعل الاستقبال غير الودى للمـهاجرين من قبل أهل ثيرا يعود إلى أنهم لم يمضوا خمس سنوات بل عادوا قبل ذلك وكذلـك كان لابد من ردهم .. ولكن هذه الرواية تعكس مدى الخلافات بين أفـراد الأسـرة الحاكمة وأن بعضها كان عليه الخروج من المدينة .

الهجرة بسبب غزو أرض بعض المدن اليونانية :

لدينا نموذجان رائعان عن هجرة بعض أو كل سكان المنـاطق ، أو المـدن وعدم الرغبة فى الخضوع ، والاستسلام للغزاة فبعض الروايات القديمة تقـص أن بعض الميسينيين قد تركوا ميسينيا بعد الحرب الميسينية الأولى لأنهم لـم يكونـوا راغبين فى الاتفاق مع الأسبرطيين واشتركوا مع أهـل خـالكيس فـى اسـتيطان ريجيوم ، كما نجد أن أهل فوكويا قد فروا مـن غـزو الفـرس وتركـوا المدينـة وهاجروا إلى اللاليا Alalia فى كورسيكا ، كما نجد مهاجرين من تيوس قد أعـادوا

استعمار أبديرا Abdera . لأنهم وهؤلاء المهاجرون كانوا قد رفضوا الخضوع والعيش تحت الحكم الفارسى ، وبقية السكان قد اتجهوا شمالاً وأسسوا مستوطنة فاماجوريا على الساحل الشمالى للبحر الأسود .

روح المغامرة عند اليونان :

فى النهاية لم يكن لحركة الاستيطان اليونانى أن تتم دون وجود روح المغامرة ، ولعل دافع الفقر ودافع التجارة سعيا وراء الثراء قد نشطا روح المغامرة التى تأصلت منذ فترة باكرة عند اليونان ، وتظهر هذه الروح فى العديد من المظاهر السائدة فى بلاد اليونان المبكرة وأدت نفس هذه الدوافع إلى دفع بعض الرجال لانشاء مدن جديدة فى بلاد بعيدة ، ولكنها دفعت بعض المغامرين الآخرين إلى البحث عن حياة المغامرة والخطر والقرصنة ، ويقدم هوميروس وصفاً دقيقاً لحب هؤلاء الخارجين على القانون لحياة السفن ، والمعارك والسيوف والرماح بعيداً عن حياة المجهود الشاق والربح العادى فوق اليابسة ، فقد كانت أعمال القرصنة فى منطقة بحر إيجة حيث المدن الساحلية غير المحصنة وقد ساعد ذلك القراصنة على نهب ثرواتها فكانوا يحملون ما يستطيعون حمله من حبوب ومواشى ومنتجات مصنعة بل والبشر أيضاً ، كما يظهر على الأوانى الأثينية من القرن الثامن نساء يحملهن قراصنة إلى سفن جاهزة للإبحار وحينما أدى تقدم الحضارة إلى إنهاء القرصنة تحول الإغريق إلى الخدمة كمرتزقة لإرضاء روح المغامرة والخطر من جهة ولكسب أرزاقهم من جهة أخرى .

وبعد أن عرضنا لأسباب ودوافع حركة الاستيطان الكبرى سنحاول الآن أن نستعرض أهم المناطق التى انطبقت عليها حركة الهجرة الاستيطانية فى الفترة الممتدة من القرن الثامن إلى نهاية القرن السادس وأهم المدن التى شاركت فيها كما سنضع قائمة بالمدن ومستوطناتها فى النهاية ولن نتكلم عنها جميعاً لأنه لن يكون واجباً سهلاً .

الاستعمار اليونانى فى الغرب :
إيطاليا وصقلية وفرنسا واسبانيا وموقف القرطاجيين

عزف الكريتيون والموكينيون طريقهم إلى صقلية وجنوب إيطاليا إذ تكشف التنقيبات الأثرية عن انتشار الفخار الموكينى هناك وتأثيره على الفخار المحلى ، كما نجد أن فن بناء المقابر الموكينى قد انتقل إلى صقلية فى ثابسوس Thapsus بالقرب من اجراجنتوم Agragentum ولكن الأدلة والقارئن الخاصة بالعلاقات الكريتية مع الغرب قليلة وما لدينا عنها هو أسطورة ديادالاس الذى فر من الملك مينوس وبحث عن ملاذ عند الملك كوكالوس Cocalus ملك صقلية الذى قتل وهو يقاتل الملك مينوس . ومن المرجح أن العلاقات بين اليونان وصقلية وإيطاليا قد توقفت تماماً أبان العصر المظلم ، ولكن مع بداية القرن الثامن ق.م فإن نوعاً ما من العلاقات بينهما قد بدأ وهذا ما كشفت عنه اللقى الأثرية حيث عثر على آنية فخارية يونانية فى المقابر الأتروسكية كما عثر على كسر من الفخار اليونانى فى المناطق التى تقيم فيها الشعوب الإيطالية . ويمكن للدارس أن يستخدم الأوديسة كدليل على تجديد المعرفة بالغرب وهذا ما توضحه الكتب من ٩ ــ ١٢ من الأوديسة . فقد أوردت بعض القصص والتى تعكس ما رواه المغامرون والتجار .

وعلى الرغم من أن تواريخ انشاء المستوطنات الغربية ليست محددة بالضبط كما يرغب المرء فإن العلماء يتفقون على أنه بعد تأسيس مستعمرة فى جزيرة بيثكوساى (اسخيا) سنة٧٧٥ ق.م فقد قاموا بتأسيس مستوطنة كوماى سنة ٧٥٠ ق.م وقد وفد مستعمرو بيثكوساى من كل من مدينتى خالكيس وارتريا بجزيرة يوبويا . ويقول استرابون أن المهاجرون من أهل خالكيس وارتريا قد تصارعوا وأن أهل ارتريا قد هاجروا من المستوطنة . ويضيف أن المستوطنين قد تركوا الجزيرة بعد ذلك نتيجة لثورة بركانية تعرضت لها الجزيرة . ويفترض أن

الجزيرة تم استيطانها لوجود مناجم للذهب بها ، ويرى البعض أنه من السخف أن نفترض أن هذه الجزيرة قد تم استيطانها لتربتها الزراعية البركانية الحصينة ، ويرجع سبب استيطانها إلى مركزها التجارى .

وقد وفد مستوطنو كوماى من خالكيس وارتريا وكيمى فى ايوتيس وقد اتخذ المستوطنة اسم المدينة الأم . وهذه المدينة كانت قريبة من منطقة النفوذ الاتروسكى . ويعجب الباحث من أن هؤلاء المستوطنين لم يستقروا فى بعض المناطق القريبة من بلاد اليونان سواء فى صقلية أو جنوب ايطاليا والتى مروا عليها حيث يوجد العديد من المواقع ذات الأرض الخصبة . بدلاً من الجرأة فى التوجه نحو خليج ميسنا والاتجاه إلى ساحل إيطاليا الغربى ، ولذا فمن المرجح أن قادة المستوطنين لمستوطنة بيثكوساى كانوا يبحثون عن موضع يكون له ميزة فى الحصول على المعادن خاصة النحاس والحديد من الاتروسكيين والذين ، من المرجح ، كانوا قد وفدوا من الشرق واستقروا فى سهل اترورية شمال روما حيث ازدهرت حضارتهم . وتكشف لنا اللقى الأثرية عن وجود سلع شرقية والتى تذكرنا بأن الاتروسكيين قد شاركوا اليونان الاتجار مع المنيا السورى من نهاية القرن التاسع ق.م . وهذا يعنى أنها استخدمت للتبادل التجارى ، كما أن المستوطنين على ما يبدو قد أدركوا أهميتها فى أن تكون قاعدة للقرصنة بجانب التجارة وفوق كل هذا فإنهم قد وجدوا بها تربة خصبة صالحة للزراعة .

أما عن كوماى فتقع على الأرض المواجهة لجزيرة بيثكوساى وعلى بعد ١٢ كم غرب نابلى وكان لها قلعة حصينة ، وتقع جبانتها الباكرة فى شمالها وأغلبها قد أجرى به حفائر وتم العثور بها على فخار محلى ويونانى وسلع مصرية . وقد كان للمدينة دورا هاماً فى نقل مظاهر الحضارة اليونانية إلى شبه الجزيرة الإيطالية ، فقد كانت مدينة يونانية اتصل بها الاتروسكيين ومن بعدهم

الرومان ، وقد استخدم أهل كوماى صيغة خالكيس فى الأبجدية اليونانية وهى الأبجدية التى اقتبسها الاتروسكيين ثم انتقلت إلى الرومان وأول مثال لأبجدية خالكيس قد عثر عليه فى جزيرة بيثكوساى على كأس من الطراز الهندسى من عام ٧٣٠ ق.م مكتوب عليه ثلاثة أسطر من اليمين إلى الشمال وترجمتها : "إن نستور عنده أثمن كأس ولكن من يشرب من كأسى يفتن فى التو بالربة افروديتى المتوجة" ، كما نجدهم أصحاب الفضل فى تعريف الشعوب الإيطالية المجاورة بالديانة اليونانية حتى ذاعت أسماء الآلهة والأبطال عند هذه الشعوب . كما نجد أنه كان من بين مستوطنين كوماى جماعة أطلق عليها Griei ولما كان هؤلاء من أوائل اليونان الذين تعرف عليهم الرومان فعلى ما يبدو فإن الرومان قد أطلقوا اسمهم على كل اليونانيين . وهكذا فإن الإغريق قد اشتق من هنا . وقد قام مستوطنو كوماى بتأسيس مستوطنة جديدة هى نيابوليس (نابلى الحالية) .

وبعد تأسيس كوماى فقد بدأت الهجرات تفد على جزيرة صقلية أولاً ثم جنوب إيطاليا ثانياً . وكان أهل خالكيس من أنشط المستعمرين فى المنطقة إذ نجدهم قد أسسوا ناكسوس على الساحل الشرقى صقلية سنة ٧٣٤ وهى أول مستوطنة يونانية فى جزيرة صقلية ، واسم المدينة يشير إلى أنه قد وفد عليها مستوطنون من جزيرة ناكسوس فى بحر إيجة . ونظراً لضيق مساحة ناكسوس الزراعية فقد قام مواطنوها بتأسيس مستوطنتين ذات أراضى خصبة هما ليونتنى Leonteni وكاتانا Catana . والمستوطنة الأولى قد اسستها ناكسوس بعد ست سنوات من تأسيسها ، وكان يقيم بالمدينة صقليون تم طردهم ، وكانت هذه المستوطنة مستوطنة زراعية . أما عن كاتانا فكانت تقع على الشاطئ وتتمتع بميناء رائع .

أسس أهل خالكيس بعد بضعة سنوات مستوطنتين هما تزانكلى Zancle فى

الجانب الصقلى وريجنتوم فى الجانب الإيطالى من خليج ميسنا Messina وهكـــذا فقد سيطروا على الممر المائى . وبالتأكيد فإن هـــاتين المســتوطنتين قــد تأسســتا لأسباب اقتصادية وسياسية لأنهما لا تملكان ظهير من الأرض الزراعيـــة ، ولمــا كانت مشكلة إمدادات الغذاء خطيرة . فقد وجدنا أن تزانكلى بعد عشر سنوات مـــن تأسيسها قد قامت بتأسيس مستوطنة ميلاى Mylae وكانت تقع على بعد عشـــرين ميلاً غرباً وكان لهذه المدينة سهل خصيب ، وقد قام نفر من مستوطنيها أيضاً قـــد قاموا بالاشتراك مع مهاجرين من ميسينيا بتأسيس ربجبيوم وقد اختاروها لسـيطرتها على الممر المائى . وقد تأسست المدينة حوالى سنة ٧٣٠ ق.م بينما قام نفر آخـــر من أهلها سنة ٦٤٨ بالاشتراك مع مستوطنين من مدن أخرى باســـتيطان هيمـــيرا Hemera والتى ربطت بين الاغريق والقرطاجيين فى غرب صقلية .

ويذكر ثيوكيديديس أن كورينثة قد أسست مستعمرة سيراكوز بعد عــام مــن تأسيس خالكيس لمدينة ناكسوس من الواضح بعد سنة ٧٢٣ . وفـــى نفـــس الوقــت تقريباً فقد أسست كورينثة مستوطنة فى جزيـــرة كوركـــورا Coecyro "كورفـــو الحالية" بعد أن طردت الارتريين منها والذين كانوا قد سبقوهم فى احتلالها . وبـــهذا فقد سيطروا على موقع هام على الطريق إلى صقلية . وكـــانت علاقـــة كوركـــورا بكورينثة طيبة فى البداية ، إذ نجدها قد طلبت من كورينثة ارسال قــــائد ackets قبل ارسال مستوطنين إلى ابيدامنوس Epidamnus فى النصف الثـــانى ، أو فـــى نهاية القرن السابع ولكن ساءت العلاقات بينـــهما ودارت بينـــهما معركـــة بحريـــة وصفها ثيـــوكيديس بأنها أول معركة بحرية دارت قبل ٢٦٠ عاماً من نهاية حـــرب البلوبونيز . أى قبل منتصف القرن السابع . وقد أمن الكورنثيـــون صلاتـــهم مـــع الغرب من خلال بناء سلسلة من المستوطنات تمتد من خليج كورينثة إلـــى البحـــر الأيونى وكانت هذه المحطات تابعة لكورينثة فى ادارتها .

كان موقع سيراكوز إذ كان به ضياء طبيعى ، وقد صارت سيراكوز فيما بعد أغنى وأقوى مدن الجزيرة ولما كان أغلب المستوطنين الكورنثيين من سهل تينا Tenea بكورينثة وهذا قد يعنى أنهم قد ذهبوا إلى صقلية بحثاً عن الأرض الزراعية ، ولكن هذا لا يكفى إذ أن الاوليرخية الباكخية كانت تفكر أيضاً فى فرص التجارة . فسيراكوزا من أول نشأتها كان بها التجار بالإضافة إلى الزراع .

وقد ألحقت جزيرة أورتيجا Ortygia (الموقع الأول للاستيطان) عن طريق جسر ، ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت سيراكوز أكبر مدينة فى صقلية وذلك بفضل مينائها الرائع وظهير من السهل الخصيب .

وقامت ميجار بتأسيس مستعمرة ميجارا هيبلايا Megara Hyblaea بعد سنوات قليلة من تأسيس سيراكوز وكانت تقع شمالها بمسافة قصيرة . ونظراً لموقعها بين مدينتين كبيرتين هما سيراكوز وليونتينى فإنها لم تزدهر ، ولكن نجدها بعد قرن من تأسيسها تؤسس مستوطنة جديدة هى سيلينوس Selinus فى الأراضى الخصبة فى غرب صقلية .

وقد أسس جيلا Gela مستوطنون من رودس وكريت وكان ذلك بعد ٤٥ عاماً من تأسيس سيراكوز وقد توسعت هذه المدينة كثيراً وفى عام ٥٨٠ نجدها قد أسست إلى الغرب منها مستعمرة زراعية هى اكراجاس Acragas والتى تفوقت بعد فترة قصيرة على المدينة الأم فى حجمها وثرائها . وقد أتى هؤلاء المستوطنون على سكان صقلية فمن هم هؤلاء السكان ؟

كان يسكن جزيرة صقلية قبل قدوم الإغريق إليها أقوام هى : السيكانيون Sicans والايليميون Elymians والصقليون Sicels والفينيقيون ويخبرنا ثيوكيديس أن السيكانيين كانوا من العنصر الاليرى ، وأن الصقليين قد طردوهم إلى الجزء

الجنوبى والغربى من الجزيرة وأن الصقليين قد أتوا فى أعداد كبيرة إلى الجزيرة من جنوب إيطاليا ويرى جل الباحثين الآن أن السيكانيين والصقليين وأيضاً سكان جنوب إيطاليا كانوا من منطقة اليريا وأنهم قد وفدوا على عناصر من سلالة البحر الأبيض المتوسط . وقد تأثر هؤلاء بالحضارة الموكينية كما سبق أن ذكرنا فى مجال الفخار وبناء المقابر . وإذا ما كانوا من العنصر الاليرى فإن لغتهم كانت هندوأوربية وأنهم هم أنفسهم كانوا يتشابهون كثيراً فى كثير من الأمور مع الشعب الاليرى فى أرض بلاد اليونان ومع ذلك فقد كانوا فى نظر الاغريق أجانب وقد طردت بعض المستوطنات السكان الأصليين من مناطق المستوطنات على طول الساحل . وبينما نجد أن بعض المستوطنات قد انزلت السكان المحليين أصحاب الأرض فى زمامها إلى مرتبة عبيد الأرض .

وفى أقصى غرب الجزيرة ، فيما عدا الساحل ، كانت المنطقة موطناً لجماعة الاليميين المتحضرة وأهم مدنهم مدينتى سيجستا Segest وهاليكياى Halicyae . ويعتقد ثيوكيديديس أنهم من الطرواديين الذين أبحروا غرباً بعد سقوط طروادة ، وكانت ثقافتهم عالية ، ولذا نجدهم قد توافقوا بسهولة مع التأثيرات الاغريقية والفينيقية .

ومن الشعوب الأخرى التى استقرت فى صقلية الفينيقيون ، ويعول ثيوكيديديس أنهم استقروا فى الجزر الصغيرة والكبيرة المحيطة بصقلية ولكن عندما قد الاغريق مهاجرين إلى الجزيرة انسحبوا غرباً ، واستوطنوا موتيا Motya وبانورموس Panormus وصولويس Sololis فى الشمال الغربى للجزيرة . ولكن هذا القول محل شك فلا توجد اثار وقرائن ولا روايات تشير إلى تواجد الفينيقيين فى شرق صقلية وإلى وجود نزاع بين الإغريق ، والفينيقيين إبان القرنين الثامن والسابع ويقول أفوروس وقد تبعه استرابون أن اليونان عند ظهورهم فى الغرب فقد

وجدوا أنفسهم فى علاقات غذائية مع القرطاجيين ولكن يبـــدو أن افـوروس كـــان متأثراً بما كان يجرى من أحداث وصراعات فى القرن الرابع . ويبـــدو أن بدايـــة الاحتكاك بين الإغريق ، والقرطاجيين قد بدأ مع تأسيس هيمـــيرا Hemera ســـنة ٦٤٨ وسيلينوس سنة ٦٢٨ ق.م ومع ذلك ليس لدينا ما يدل على عـــداء بينـــهما . ولكن أول ذكر للصدام بين اغريق وفينيقيين هو الرواية التى ذكرهـــا ديـــودوروس وباسينياس حول بنتاثلوس Pentathlos الكندوسى الذى قام مع نفر من أهل كنـدوس ورودس بالاستقرار والاستيطان فى ليلبايوم فى غرب صقلية ، ويبدو أن بنتـــاثلوس بعد تأسيس مستعمرته قد ساعد سيلينوس فى الهجوم على مدينة سيجســـتا الاليميـــة ولكن تمت هزيمته وقتله وفرار أتباعه فى سفنهم إلى جزيرة ليبارا Lipara وأقاموا بها ، وبينما قام الاليميون بمساعدة القرطاجيين بتدمير مستعمرة ليلبـــايوم . ويـــرى أن البعض أن انشاء هذه المستعمرة أن تحل محل مستعمرة موتيا الفينيقية التى كـــان الهدف من إنشائها أن تكون نقطة ارتكاز ليس للتجارة فى صقلية فقط ولكن كنقطـــة بداية للسفن للاتجار مع الاتروسكيين . والسفن المبحرة إلى اسبانيا للحصول علـــى المعادن وسنجد أن العداء قد بدأ يظهر فى القرن السادس وســـنعود إليـــه بعـد أن نستعرض جهود الاغريق الاستيطانية فى فرنسا واسبانيا .

لقد بدأت علاقات اليونان بفرنسا وإسبانيا من خلال مواطنى فوكايا وسـلموس إذ يقول هيردوت أنهم هم أول الاغريق الذين قاموا برحلات بحرية طويلـــة وأنـــهم هم الذين اكتشفوا أدريا وتيرهينا وإيبريا وتارتوس وهـــذه الرحـــلات الاستكشـــافية يمكن أن تؤرخ بمنتصف القرن السابع ، ويروى لنا هيردوت أيضاً قصـــة التـــاجر اليونانى من ساموس والمدعو كولايوس الذى كان يملك سفينة والتى ابحـــرت إلـــى الساحل الليبى ثم إلى مصر وأن ريحاً شرقية معاكسة قد قادته إلى الاتجاه المعـــاكس وحيث أن الرياح لم تهدأ فقد أبحر عبر مضيق صخرة هرقل بمساعدة الآلهة إلـــى

تارتوس . وأن هذا التاجر قد اكتشف سوقاً بكراً وعاد إلى ساموس محملاً بـالأموال ويبدو أن هذه الرحلة كانت حوالى ٦٣٨ ق.م .

وقد كان أول استيطان فى فرنسا من قبل مستوطنين من فوكويا الذين أسسوا مستوطنة ماساليا سنة ٦٠٠ ق.م وقامت ماساليا بدورها بانشاء العديد من المحطات التجارية على الساحل الفرنسي وشرق الساحل الاسبانى . وقد أقامت ماساليا علاقات تجارية مع القبائل المحلية المقيمة فى الظهير الاراضى .. وكونت ثراء عريضاً من التجارة . ولم يقف القرطاجيون صفاً لمنعهم فى البداية ولكن سنجد أن القرطاجيين قد تحركوا عندما بدأت تمس وتضار مصالحهم إذ نجدهم قد وقفوا وناصروا مدينة سيحستا الاليمية فى صقلية ودمروا ليبايوم التى رأى فيها القرطاجيون خطراً على مصالحهم وقد رأى البعض أن غرض اليونان من تأسيس هذه المستعمرة أن تحل محل الميناء القرطاجى المجاور فى صقلية فى الاتجار مع فرنسا واسبانيا . ولكن هذا الرأى فيه مبالغة لأن الاغريق لم يكونوا يداً واحدة بل كانوا ينتقلون مع بعضهم البعض ولم يكن هناك ما يجمعهم لقتال القرطاجيين بل سنجد أن مصالح البعض منهم قد جعلتهم يقفون مع الاتروسكيين القرطاجيين ضد بنى جلدتهم إذ نجد أن مصالح الاتروسكيين قد تهددت نتيجة إقامة مستوطنة ليبارا والتى عمل أهلها بالقرصنة ونظراً للمصالح المشتركة للفوكايين مع الاتروسكيين فقد تحالفوا معهم ضد ليبارا . كما نجد أن أهل فوكايا الذين نزلوا بالاليا Alalia وعملوا بالقرصنة وهددوا بذلك صوالح الاتروسكيين والقرطاجيين لم ينقذهم بنو جلدتهم من القرطاجيين والاتروسكيين الذين نجحوا فى إخراجهم من الجزيرة كما نجد أن قرطاج تصدت بشكل مباشر عندما هددت مصالحها ، أو حاول بعض الاغريق التعدى على مناطق نفوذها وهذا ما حدث مع دوريوس شقيق الملك الاسبرطى كليومنيس والذى كان قد حصل على إذن رسمى لتأسيس مستعمرة

واتجه أولاً إلى الساحل الافريقى فى المنطقة الواقعة بين قورينى وقرطاج واستقر بها عامين ولكن طرده القرطاجيون والسكان المحليون ثم بعد عودته بفترة بسيطة إلى أسبرطة فقد خرج فى مغامرة ثانية سنة ٥١١ - ٥١٠ كى يؤسس مستوطنة فى منحدر جبل اريكس Eryx . وهنا مرة أخرى فقد كان تأسيس هذه المستوطنة يدخل فى منطقة النفوذ القرطاجى ولذا فقد وقفت قرطاج فى وجه المحاولة بمساعدة الصقليين والاليميين وخاضوا معاً معركة ضد دوريوس إذ ان النصر حليفاً للقرطاجيين وحلفائهم وقتل دوريوس ومن الجدير بالقول أن مستوطنة سيلينوس لم تقف بجانب دوريوس وتساعده لأن تجارتها كانت رائجة مع القرطاجيين .

وفى ضوء هذه الحقائق نقول أن قرطاج وقفت تدافع عن مناطق نفوذها التى هددتها بعض المحاولات الفردية من بعض المدن اليونانية . إذ نجدها تهاجم ليلبايوم وتدمرها عندما شعرت أنها تهدد مصالحها وتشارك فى طرد مستوطنى الاليا Alalia فى كورسيكا لاشتغالهم بالقرصنة وطرد دوراوس الاسبرطى من ليبيا ومن بعدها قتاله فى صقلية عندما حاول تأسيس مستوطنة فى غرب صقلية . وسنجد أن هذه المصادمات لم تكن بين قرطاج واليونان جميعاً ولكن مع جماعات منفصلة عن بعضها البعض بل سنجد أن اليونان ساعدوا كل من القرطاجيين الأتروسكيين ضد بنى جلدتهم . لقد كان القرطاجيون يسيطرون على غرب صقلية وسردينيا وجزر البليار وأنه فى نفس هذا الوقت فقد نجح القرطاجيون فى منع الاغريق من الابحار عبر مضيق جبل طارق وأن يكون لهم مدخل للحصول على معادن كارتسوس وذلك بتأسيسهم مستعمرة فى كارتيا Carteia الواقعة فى خليج جبرالتار Gibraltar .

أما بالنسبة لايطاليا فقد استمرت حركة الاستعمار اليونانى بنشاط بها وقد شارك بها مدن عديدة منها خالكيس وارتريا وكيمى وكورينثة والدول الآخية

الصغيرة على الساحل الجنوبى لخليج كورينثة وغيرها .

قامت مجموعة من الآخيين بتأسيس سيباريس Sybaris سنة ٧٢٠ ق.م فى منطقة القدم الايطالى وكانت هذه المستوطنة على قدر كبير من الثراء نظراً لخصوبة تربتها ووفرة انتاجها وأيضاً لاشتغال أهلها بالتجارة ويبدو أنها قد قامت بدور الوسيط التجارى بين الاتروسكيين من جهة وميلينوس فى أسيا الصغرى من جهة أخرى . وحققت من وراء ذلك ثروة كانت مضرباً للأمثال وكانت سبباً لغيرة وعداء جيرانها . وانشأت سيباريس مستوطنة بوسيدونيا Posidonia باستيوم Paestum سنة ٧٠٠ على الغربى لايطاليا وتقع جنوب مستوطنة كوماى . كانت بوسيدونيا مدينة غنية وذات ثراء عريق وتعكس معابدها الفخمة هذا الثراء .

قام الآخيون أيضاً بتأسيس مستوطنة كروتون Croton سنة ٧٠٨ وكانت حقولها خصبة وفيرة المحاصيل ونالت شهرة عظيمة بفضل مصاريعها وأطبائها والمدرسة الفيثاغورثية ، والجدير بالذكر أن العداء كان مستحكماً بين كل من مستوطنة سيباريس وكريتون ونجحت الأخيرة فى تدمير الأولى سنة ٥١١ – ٥١٠ وساعدها على ذلك أنها أنها قد تعرضت لسلسلة من الاضطرابات الداخلية .

وقد أسس الآخيون مستوطنة زراعية فى منطقة القدم الايطالى هى ميتابونتوم Metapontum والواقعة غرب تاراس . وكانت أرضها خصبة وافرة الانتاج .

قام الاسبرطيون الناقمون على سياسة بلدهم بالهجرة إلى مستوطنة تاراس سنة ٧٠٦ وكانت تقع على بعد عشرين ميلاً من ميتابونتوم . وهى المستعمرة الوحيدة التى اسسها الاسبرطيون فى الغرب . وقد تطورت على نحو مضطرد إلى أن صارت أقوى المدن الإغريقية فى جنوب إيطاليا .

وقد قام مهاجرون من لوكريس فى سنة ٦٧٣ بتأسيس مستوْطنة لوكرى ابيزيفيرى Locri Epizephyrii بالقرب من كعب الحذاء الإيطالى فى الجانب الشرقى . وقد ظهر بها المشرع الإغريقى الشهير زياليكوس بعد جيل من تأسيسها.

وقام أهل فوكايا بتاسيس مستوطنة ايليا Elea وتقع على مسافة عشرين ميلاً جنوب بوسيدنيا على الساحل الغربى وقد لجأ إليها مستوطنو الأليا بعد أن طردهم الاترسكيون والقرطاجيون من كورسيكا وكانت مدينة ايليا مدينة زاهرة كما كانت مقراً لمدرسة فلسفية .

وابتداء من النصف الثانى من القرن السادس فإن اليونان قد بدأوا فى اقامة علاقات مع الساحل الايطالى عبر الادرياتيكى حيث كانت تنتشر عدة مدن اتروسكية . وقد أجريت حفائر سنة ١٩٥٠ فى ميناء اسبينا Spina القديم وعثر على لقى اثرية مدهشة . والميناء يقع فى منطقة جنوب مصب نهر البو po وقد عثر على فخار اثيلى والذى يؤكد أنها قد انشئت فى الفترة الباكرة من العصر العتيق ، وقد بلغت أوج اذدهارها فى العصور الكلاسيكية فكانت مركزاً تجارياً هاماً حيث عاش المستوطنون الاغريق جنباً إلى جنب مع الاترسكيون والفينتى Veneti المحليين .

جملة القول أن المستوطنات اليونانية كانت قد انتشرت على نطاق واسع شرق ، وشمال صقلية وجنوب إيطاليا وأصبح يطلق على هذه المنطقة اسم ذو دلالة وهو بلاد اليونان الكبرى . وكان مقدراً لكثير من المستوطنات أن تثرى وتزدهر وأن تسهم فى الحضارة اليونانية إسهامات طيبة . ومن الأسماء الخالدة التى لمعت فى الغرب فيثاغورس واكسينيفون وزياكيوس .

ونجد أن أهل فوكايا قد أسسوا مستوطنة مساليا شرق نهر الرون حوالى سنة

٦٠٠ وقبل ذلك يبدو أن أهل رودوس كانوا قد استكشفوا غـرب البحـر المتوسـط وأسسوا مستوطنة رودى Rhode على الساحل الشمالى الشرقى لأسبانيا واطلقـوا اسمهم على نهر الرون وقد قام الماساليون باعادة تأسـيس رودى واطلقـوا اسـماً جديداً عليها هو إمبورياى Emporiae . واقاموا عدة محطات تجارية أخرى علـى الساحل الفرنسى والساحل الشـرقى والجنوبـى لإسـبانيا هـى الونـاى Alonae وهيميروسكوبيوم Hemerscopeum وأجـاثى Agathae وتورويـس Touroeis واولبيا Olbia واثينوبوليس وانتيبوليس ونيكايا ، وكان الغرض منها حماية طريـق تجارة المعادن مع تارتوس ، ومع نهاية القرن السادس كما ذكرنـا سـابقاً ، فـإن القرطاجيين قد نجحوا فى ايقاف الإغريق عن المرور عبر جبل طـارق . ولكـن ماساليا كان قد صارت مدينة تجارية كبيرة ووصلتها الخامات من المناطق الداخليـة لتدر إلى العالم اليونانى ؛ كما وصلت منتجات اليونان من خلالها للسكان المحليين.

ثانياً : الاستيطان فى حوض بحر إيجة والبحر الأسود

بدأت المراحل الأولى لحركة الاستعمار فى بحر إيجة على يد مدينة خالكيس التى انشأت عدداً من المستوطنات فى شبه جـزر الخلكيدكـى ، كمـا أن ارتريـا وجزيرة اندروس قد ساهمتا فى حركة الاستيطان أحياناً ، والرأى المعتاد أن أهـل خالكيس قد اسسوا أغلب هذه المستوطنات إما بالتزامن مع تأسيسـهم للمسـتعمرات فى الغرب أو بعد توقف نشاطهم فى الغرب . وتاريخ نشـأة المسـتعمرات غـير معروف ولكن تخبرنا أحد المصادر أن المستوطنات الخالكيسية قد قدمـت العـون لمدينتهم الأم خالكيس فى حربها الضروس سنة ٧٠٠ ق.م مع ارتريا حول السـهل الفاصل بينهما وهو سهل ليلانتنى ، وليس من المعقـول أن ترسـل المسـتوطنات مساعدات إذا لم تكن قد استقرت أوضاعها ومن المرجح أن يكون قـد مـر عليـها فترة من الوقت نظمت فيها احوالها ورتبت أوضاعها . ويرى البعـض أنـه مـن

الصعب الاعتقاد أنه كان عند خالكيس زيادة سكانية كبيرة ولديها القوة لإرسال مئات أو آلاف المستعمرين إلى الغرب والشمال فى نفس الوقت . ولكن يمكن أن تكون المدينة منظمة فقط لحركة الهجرة وتدعو لها فى بلاد اليونان ، وكما نعلم أن مستوطناتها الأولى فى إيطاليا شارك فيها أكثر من مدينة مثل كوماى . ولذا يمكن أن نقول أن خالكيس قد اسست أولى مستوطناتها فى شبه جزيرة خالكيدكى فى فترة باكرة من القرن الثامن .

وأقامت كورينثة مستوطنة لها فى نفس المنطقى حوالى سنة ٦٠٠ ق.م وأقام الايونيون وخاصة أهل ميليتوس سلسلة من المستوطنات فى ساحل تراقيا ومنطقة المضايق والبحر الأسود . وفى الواقع فإن معلوماتنا قليلة عن الأيونيين في القرون الثلاثة الأولى من هجرتهم إلى ساحل آسيا الصغرى ، ومع خواتيم القرن التاسع نجد أن المدن الأيونية قد نظمت نفسها فى حلف مع مركز دينى له فى بانيونيون وكانت هذه المدن يحكمها ملوك ، والذين كانوا من الواضح ، مرتبطين بعلاقة شبه اقطاعية مع ملك اكثر قوة هو ملك افسوس . ولعل الصورة التى رسمها هوميروس لمشاكل أجاممنون وأقرانه غير المسيطر عليهم كانت انعكاساً للحالة غير المستقرة فى أيونيا فى القرنيين التاسع والثامن فإن هذه المدن قد بدأت تنمو وتتطور فيما يسمى دولة المدينة وأن الأرستقراطية قد بدأت تحل محل النظم الملكية . وفى بداية القرن التاسع فمن المرجح أن سكان هذه المدن قد زاد زيادة كبيرة وبالتالى فإن المجتمعات التى تعتمد فى حياتها على الزراعة بشكل اساسى ، كانت تشعر بحاجتها إلى الأرض وتوسيع رقعتها فى المناطق الداخلية لآسيا الصغرى وكان ذلك غير ممكناً وذلك لأن مملكة ليديا قد نهضت فى ذلك الوقت ووقفت بالمرصاد للتوسع واقامت حاجزاً ضد الإغريق هناك إلا لمن سمحت لهم بإقامة مستوطنة . ولحل مشكلة نقص الأرض كان على الايونيين البحث عن حل فيما وراء حدودهم

المبشرة وقد ولوا وجوههم شطر تراقيا حيث قام أهل يوبويا والايونيون باستيطان منطقة خالكيدكى .

وقد قام أيونيو بحر إيجة فى حوالى سنة ٧٠٠ ق.م ومنهم أهل جزيرة باروس بارسال مستوطنين إلى الساحل التراقى . لقد أرسلت باروس مستوطنين لاستيطان جزيرة تاسوس سنة ٦٨٠ ق.م ولم يكن الاستيلاء عليها سهلاً إذ يشكو الشاعر أرخيلوخوس أنه كان عليه أن يكون على أهبة الاستعداد بشكل دائم للقتال ، فكان عليه أن يعجن خبزه بالحربة ويعصر خمره بنفس الطريقة وحتى عندما كان يشربها كان يتكئ على حربته . وفى قصيدة أخرى يقر أن قد فقد درعه عندا كان يقاتل التراقيين ، وفى موضع اخر نجده يلعن صديقاً له كان قد خانه ويتمنى له نهاية غير سعيدة على يد التراقيين ، ويكشف لنا هذا الشاعر أن التراقيين لم يكونوا لينى العريكة ولم يتم اخضاعهم بسهولة .

وفى الربع الأول من القرن السابع ارسلت جزيرة خيوس Chios مستوطنين إلى مارونيا Maronea وتقع تقريباً فى منتصف الطريق بين مصبى نهر نستوس وهبروس .

وفى منتصف القرن السابع اسست مدينة كلازوميناى Clazomenae مستوطنة ابديرا Abdera شرق مصب نهر نستوس ، ولكن هذه المستوطنة قد عانت الاضطرابات العديدة نتيجة لاعتداءات وهجمات التراقيين مما اضطر اهلها إلى تركها وأعاد مستوطنون من تيوس Teos بناءهاوهؤلاء هم بعض مستوطنو تيوس الذين رفضوا العيش تحت نير الفرس . وكان الدافع لاستيطان المنطقة كثرة أخشابها .وكما نعرف أن أبديرا كانت موطناً لاثنيين من أهم فلاسفة القرن الخامس والسوفسطائين وهما ديموكريتوس ، وبروتاجوراس . بينما انتقل البعض الآخر من

أهل تيوس إلى الساحل الشمالى للبحر الأسود واسسوا مستعمرة فاناجوريا Phangoria .

وقد أسس مجموعة من الأيوليين ؛ نحو نهاية القرن السابع ، مستعمرة أينوس Aenos فى دلتا نهر هيبروس Hebrus. وهذه المستوطنات كان أغلبها أو كلها مستوطنات زراعية ولكن بمرور الزمن صارت من المراكز التجارية الهامة .

إن إستيطان الهليسبونت والبردبونتيس كان مقدمة للتوسع الكبير فى منطقة البحر الاسود . لقد بدأ أول نشاط استيطانى من قبل مواطنى مدينة لسبوس Lesbos . فقد اسسوا العديد من المستوطنات الزراعية فى طروادة فى الساحل الجنوبى من الهليسبونت فى القرن الثامن وبواكير القرن السابع وقد كشفت الحفائر عن أن استقرار الإغريق فى موقع طروادة كان على الاقل بشكل جزئى تجارى .

وقد نشطت ميليتوس فى حوالى سنة ٧٠٠ ق.م وهذا هو التاريخ التقريبى لانشاء مستوطنة كوزيكوس Cyzicus مع مينائها الرائع وأرضها الخصبة فى الساحل الجنوبى للبسفور . ويقول استرابون إن أهل ميليتوس قد اسسوا مستوطنة ابيدوس فى النصف الأول من القرن السابع على الساحل الأسيوى للهليسبونت بموافقة الملك الليدى جيجيس .

واسست ميجارا ، فى الربع الثالث من القرن السابع ، بين مستعمرات أخرى، خلقيدونيا وبيزنطة على الجانبين الأسيوى والأوربى على التوالى من مضيق البسفور . ووفقاً لهيرودوت فإن خلقيدونيا قد تم تأسيسها سنة ٦٧٧ قبل بيزنطة التى تأسست سنة ٦٦٠ ق.م . وقد تعجب هيرودوت واسترابو وتاكيتوس وبوليبيوس من عدم استيطان بيزنطة أولاً لأنها ميناء رائع ، ولأن موقعها يمكنها من التحكم فى المرور من وإلى البسفور . والتفسير أنه عند تأسيس خلقيدونيا لم

تكن الامكانات التجارية الكبيرة للبحر الأسود قد عرفت بشكل تام . وأن خلقيدونيا قد اجتذبت الميجاريين لتربتها الخصبة وأيضاً من الممكن أنه كان بالجزر التابعة لخلقيدونيا وخالكيس مناجم نحاس .

وقد أسس أهل ساموس ، فى حوالى نهاية القرن السابع ، سلسلة من المستوطنات على الساحل الشمالى للبسفور ومن أهمها بيرنثوس Perinthus ، ومرة أخرى كما كان الحال بالنسبة لبيزنطة فإن سبب تأسيس هذه المستوطنات يبحث عنه بشكل اولى فى فتح منطقة البحر الأسود للتجارة الإغريقية ..

وكان للإمكانات التجارية أثرها فى تطور خيرسونيسى Chersonese التراقية ، وسستوس التى كانت فى الأصل مدينة تراقية ولكن صارت بعد ذلك مستوطنة أيولية وصارت لها أهميتها مثل ابيدوس على الجانب الأسيوى ، لموقعها الاستراتيجى على الهليسبونت .

وقد أسس الأثينيون حوالى سنة ٦٠٠ ق.م ايلايوس Elaious عند رأس خيرسونيسى التراقية . وبذلت جهوداً كبيرة للتحكم فى سيجيوم الآسيوية قبالة مدخل الهليسبونت , فقد دار قتال شديد بين متيلينى وأثينا فى نهاية القرن السابع وقد انتهى الصراع نتيجة لوساطة طاغية كورينثة بيرياندر Periander الذى حكم بينهما إذ نجده قد منح الاثينيين حق استيطان سيجيوم واعطى ميتلينى القلعة التى كانت تسيطر على المدخل إلى الساحل ، ويبدو أن الأثينيين لم تكن لهم السيطرة الكاملة على سيجيوم حتى عهد بيزاستراتوس .

تطلع اليونان إلى استعمار شواطئ البحر الأسود وذلك بسبب الزيادة السكانية ونقص الأراضى فى بلاد اليونان هذا فضلاً عن الحاجة لمواد وسلع غير متاحة فى بلاد اليونان كانت الدافع للاستيطان فى حوض البحر الأسود .

إن العلاقات الباكرة بين الإغريق والبحر الأسود غير معروفة ولكن من الممكن أن الموكينيين قد وصلوا إلى المنطقة وهذا ما كشفت عنه اللقى الأثرية القليلة التى عثر عليها فى القوقاز . كما أن قصة ياسون والسفينة أرجو Argo المشار إليها فى الأوديسة وبالتأكيد اسطورة أرجوناوتس Argonauts فى تطورها تعكس المغامرات للبحارة الأوائل فى البحر الأسود . ومن الواضح أن حركة الاستيطان فى هذه المنطقة لم تبدأ بشكل مناسب إلا فى الربع الخير من القرن السابع . ويقدم لنا أحد الكتاب القدامى معلومات دقيقة عن تاريخ تأسيس المستوطنات فى القرنيين السابع والسادس وهذا ما أكدته التنقيبات الأثرية .

كانت ميليتوس أكثر المدن نشاطاً فقد أنشأت أكثر من تسعين مستوطنة فى المناطق المختلفة عموماً على حد قول بلينى . وعلى الرغم من أننا نعتبر أن هذا العدد فيه مبالغة لأنه ليس من المعقول أن سكانها يكفون لتأسيس هذا العدد الكبير من المستعمرات ذات الطابع الزراعى ويبدو أنها تغلبت على ذلك بالاعلان والدعوة لانشاء مستوطنة ما فى بلاد اليونان المختلفة . والملاحظ أن أغلب المستوطنات فى حوض البحر الأسود كانت فى البداية محطات تجارية فقد كان الإغريق يبحثون عن السلع والمواد التى تكون شحيحة فى بلادهم وقد استقروا فى الأماكن التى يسهل الحصول على تلك المواد سواء أكانت أسماك ، أخشاب ، حبوب ، معادن .

ولن نحاول أن نعدد كل المستوطنات فى منطقة البحر الأسود ولكن سنقصر حديثنا على أهمها ليس وفقاً لتواريخ انشائها ولكن وفقاً للمناطق الواقعة فيها . ونبدأ بأهم مستوطنات الساحل الغربى شمال مضيق البسفور حيث توجد مستوطنات أبوللونيا Apollonia وميسمبريا Mesemberia وتومبس Tomis والتى نفى فيها أوفيد سنة ٩م . وكتب بها Trestia وستروس Istrus وهى ليست بعيدة عن دلتا

نهر استر Ister وتراس Tras.

وعلى الساحل الشمالى فقد وجدت أولبيا Olbia وقد تأسست فى الربع الخير من القرن السابع أو النصف الأول من القرن السادس عند نـــهر بــوج Bug وقــد أصبحت مركزاً هاماً لتجارة الحبوب فى العالم اليونانى .وفى الشرق منها تأسســت مستوطنة تاوريك خيرسونســـى Tauric chersonese "كريمـــا Crema" ويــرى البعض أن أهل ميليتوس قد أسسوا مستوطنة بانتيكابايوم Banticapaeum حوالـــى نهاية القرن السابع ، ولكن لدينا رواية يوساب النفيرى الذى يرى أنها تأسست فـــى منتصف القرن السابع , ولدينا لقى أثرية أقدم تعود إلى نفس الفترة . وقد قامت هـذه المستوطنة بالتجارة مع السكان المحلين وهذا ما تؤكده اللقى الأثريـــة فـــى منطقـــة تراقيا . وقد ترك بعـــض المســـتوطنين مدينتـــهم وأسســـوا مســـتوطنة ثيودوســـيا Theodosia على الساحل الجنوبى . كما قامت فى نفس المنطقة مستوطنة ابوللونيـــا وقد تبعها فى حوالى منتصف القرن السادس تأسيس مستعمرتين همـــا أوديســـيوس وتومى . وهنا تصادمت ميجارا وميليتوس مؤسسة كل هذه المدن . وفـــى القـــرن الخامس فقد اتخذت هذه المستعمرات وكونت مملكة البسفور وعاصمتها بانتيكابـــايوم وهذه المملكة تكونت من الاسكيثيين والإغريق . وحلت تلك المدينـــــة فـــى القـــرن الرابع محل أولبيا كمركز تجارى واستمرت فى البقاء واقصى مستوطنة فى الشـمال والتى أصبحت جزءً من مملكة البسفور هى تانايس Tanais عنـــد مصـــب نـــهر تانايس (دون Don) وعلى الساحل الشرقى حيث تبعد جبال القوقـــاز قليـــلاً عـــن البحر، قام أهل ميليتوس بتأســيس مســتعمرات تجاريـــة أمـــها فاســـيس Phasis وديوسكاسوس أرض أسطورة ميديا .

وعلى الساحل الجنوبى للبحر الأسود وتقريباً فى منتصفه قام أهل ميليتـــوس بتأسيس سينوب ويرجع تاريخها إلى القرن الثامن وفقاً للروايات اليونانيـــة ، وكـــان

لمدينة سينوب ميناء جيد ؛ ولذا فقد ازدهرت تجارتها وكان من بين مواطنيها المرموقين ديوجينيس الفيلسوف والشاعر الكوميدى دفيلوس . وفى منتصف القرن أسست سينوب مستوطنة ترابزوس Trapezus ، وهى المكان الذى وصل إليه اكسينيفون ورفاقه فى رحلته من بلاد الفرس إلى بلاد اليونان وكانت مستوطنة تجارية كما نجدها قامت بتأسيس مستوطنات تجارية صغيرة هى كيراسوس Cerasus وكوتيورا .

وكانت مستوطنة أميسوس تقع شرق سينوب بقليل أو تقع بين سينوب وترابيزوس وقد تم تأسيسها على يد أهل ميليتوس وأهل فوكايا حوالى منتصف القرن السادس وسرعان ما أصبحت مركزاً هاماً ورئيسياً لتصدير الحديد الذى كان جيرانها الخالوبيس Chalybes يصهرونه من الصخور المستخرجة من مناجم المنطقة .

وأخر مستوطنة نذكرها على الساحل الجنوبى هى هيراقليا بونتيكا فى بيثينيا، وقد تم بتأسيسها فى النصف الول من القرن السادس على يد الميجاريين والبؤتيين من تاناجرا Tangra وكان لها ميناء رائع ، وكانت مستوطنة غنية بثروتها السمكية وخاصة اسماك التونة ، وغنية بالخشب ، وفى نهاية القرن أسست هذه المستوطنة بدورها مستوطنتين هما كاللاتيس Kallates على الساحل الغربى للبحر الأسود وخرسونيسوس Chersonesus فى الجنوب الغربى من كريميا بالقرب من اسطنبول .

وهكذا قد سار البحر الأسود جزءً نشطاً فى العالم اليونانى ، وكان تأثير الحضارة اليونانية كبير على الشعوب القاطنة حول البحر الأسود وفى المقابل فإن الإغريق قد نقلوا أفكاراً جديدة خاصة بالديانة والفن . وكان مصدراً للحبوب

والأسماك المجففة والمملحة ولامدادات المعادن والعبيد . وفى المقابل فقد صدر الإغريق إلى مناطق البحر الأسود الفخار ومنتجات صناع المعادن .

سواحل البحر المتوسط الجنوبية :

لقد رأينا أن حركة الاستيطان كانت نشطة للغاية فى الغرب ، والشمال والشمال الشرقى ، ولكن الحركة فى سواحل أفريقيا أقل نشاطاً وقد انحصرت فى انشاء مدينتين هما نقراطيس وقورينى ولكن ينبغى أن ننوه أن هاتين المدينتين قد لعبتا دوراً هاماً فى التاريخ اليونانى .

عرف اليونان مصر منذ فترة باكرة للغاية ـ كما سبق أن ذكرنا فى الفصول السابقة ـ وفى فترة الاستعمار اليونانى نجد الأوديسة تورد مغامرات أوديسيوس ووصوله إلى مصر مما يشير إلى أن اليونان قد عرفوا طريقهم إلى مصر كتجار وقراصنة وهذا ما يؤكده قول استرابو أن المصريين قد وضعوا حامية فى راكوتيس بالقرب من مصب الفرع الكانوبى لمنع المهاجمين الأجانب وكدليل على انتشار القرصنة فى القرنين التاسع والثامن على ما يرجح ، وقصة هيرودوت التى سبق ذكرها حول التاجر كولايوس الذى ابحر من مصر سنة ٦٣٨ تؤكد أن التجار اليونان قد عرفوا طريقهم إليها وهذا ما أكدته اللقى الأثرية من البرنز المصرى الذى عثر عليها فى كل من كريت وساموس . كما تشير الروايات إلى اقامة واستقرار اليونان فى مصر بشكل دائم . فقد خدموا فى جيش ابسماتيك كجند مرتزقة ، ويقول هيرودوت إن ابسماتيك في جهوده لهزيمة الأحد عشر أميراً فى منطقة الدلتا قد استخدم قراصنة ايونيين وكاريين والذين كانوا يهاجمون المنطقة وقد كافأهم وأقطعهم الأرض المعروفى بكامبس Camps الواقعة عند مصب فرع النيل البلوزى ، وقد بقى هؤلاء الجنود واخلافهم يعيشون فى المنطقة كما نجد أن البعض منهم قد استقر فى دافناى Daphnai "تل دفنه" فى شرق الدلتا وكانت هذه

المدينة قد انشئت كقلعة فى زمن ابسماتيك لحماية مصر من خطر الاعتداءات من قبل بلاد العرب وسوريا وكان اليهود والإغريق هم العنصر الغالب بين سكانها . . وقد تم نقل اليونان من دافناى فى عهد الفرعون أمازيس Amasis إلى ممفيس ليحمى نفسه من المصريين الساخطين عليه .

ويقول هيرودوت إنه عندما هزم امازيس سلفه ابريس وتوج فرعوناً ، فإن ثلاثين ألفاً من الايونيين والكاريين كانوا يحاربون مع الجيش المهزوم والعدد قد يكون مبالغاً فيه ، ولكن على ما يبدو أن الظروف الاقتصادية ، والاجتماعية فى بلاد اليونان قد دفعت بأعداد كبيرة من اليونانيين للرحيل إلى مصر للعمل كجند مرتزقة . كما أن أبسماتيك قد استعان بهم لحاجته إليهم لتأمين البلاد داخلياً ولطرد الآشوريين من مصر ويبدو أنه قد أعلن فى بلاد اليونان وكاريا عن حاجته لجند مرتزقة وأنه سيكافئهم بقطع من الأرض . وهكذا فقد تقاطر على مصر اليونان زرافات كجند مرتزقة وكمهاجرين مستوطنين فى نفس الوقت .

وتكشف لنا النقوش أن الفرعون أبسماتيك الثانى كان يعتمد على الجنود الاغريق ولعلهم كانوا من اخلاف الأيونيين والكاريين الذين استقروا فى مصر فى زمن أبسماتيك الأول وكانوا قد منحوا حق الزواج من مصريات . فقد نقش هؤلاء الاغريق اسماءهم على رجلى تمثال رمسيس الثانى أمام معبد أبو سمبل فى النوبة وكان ذلك بمناسبة اشتراكهم فى غزو النوبة سنة ٥٨١ بقيادة الفرعون أبسماتيك الثانى . وتكشف لنا نصوص العصر المتأخر "الهلينستى" عن وجود جاليتين فى ممفيس هما هيللنوممفيتاى Hellenomemphitae والكريوممفيتاى Caromemphitae . وهؤلاء كانوا من سلالة الايونيين والكاريين الذين خدموا فى جيش أبسماتيك الأول .

لقد تبع التجار والحرفيون الجنود المرتزقة فى القدوم إلى مصر وقد أسسوا نقراطيس على فرع النيل الكانوبى ، ويرى البعض أنه من المرجح أن أبسماتيك الأول هو الذى منحهم الاذن بالاستقرار فى هذه المنطقة وذلك بسبب أن التجار الاغريق يمكنهم التحول بسهولة إلى قراصنة وأنه قد رأى أنه من الأفضل بكثير لمملكته أن كل هؤلاء الأجانب يجمعون فى منطقة أو بقعة واحدة . ويستندون فى ذلك على اللقى الأثرية من الربع الأخير من القرن السابع . ولكن هيردوت يقول أن الفرعون أمازيس الذى كان محباً ومناصراً للاغريق هو الذى منح للاغريق الذين يفدون للتجارة فى مصر حق العيش فى نقراطيس واعطاهم أرضاً ليقيموا عليها مذابح ومعابد آلهتهم ولكن هذا الرأى لا يمكن قبوله لأن أغلب المبانى التى كشف عنها الآثاريون فى نقراطيس تثبت أن الإغريق قد بدأوا فى الاستقرار هناك قبل حكم أمازيس بعدة عقود .

لقد اجتمع كثير من التجار من المدن اليونانية فى نقراطيس وهم :- ١- الأيونيون من خيوس ، تيوس ، فوكايا وكلازومنياى . ٢- الدوريين من رودس ، كندوس ، هاليكارنسوس ، فاسبيس . ٣- الايوليون من ميتلينى (السبوس) وأقاموا جميعاً المعبد المسمى هيلينيون Hellenion ، بينما أقام اغريق أخرون من ايجينا وساموس وميلتوس معبداً لزيوس ، وهيرا وأبوللو وكان هؤلاء التجار قد استقروا فى المدينة ، كما عرفت نقراطيس الحرفيين اليونانيين فقد تم العثور على أختام على شكل جعارين من صنعهم .. وفد على المدينة أيضاً تجار عابرين وكانوا يقيمون فى السوق emporion يعاملوا كمواطنين فى نقراطيس .

فى الواقع عندما يمحص الدارس المعلومات المتفرقة والغامضة حول نقراطيس يدرك أنه لم يكن هناك مستعمرة إغريقية نمطية بالمرة ، حيث أنها قد تأسست على يد التجار من مختلف المدن ، ولم تكن هناك مدينة أم على الرغم من

أنه بعد عدة قرون ادعت ميلينوس هذا الشرف كما أن المستعمرة الاغريقية كانت مدينة مستقلة لها سيادتها وشخصيتها الاعتبارية ، ولم تكن في الغالب مرتبطة بروابط تبعية بالمدينة المؤسسة لها ، أما بالنسبة لنقراطيس فقد تأسست فقط بعد السماح بذلك من قبل ابسماتيك . كما نجد أن جماعة مصرية كانت تقيم بالمدينة ، كما نجد أن الدولة وقد بذلت جهوداً لمنع الزواج بين المصريات والاغريق وهذا قد يعنى تشجيع اليونان على جلب زوجاتهم للاقامة فى مصر ، كما نجد أن منطقة نقراطيس كانت تدفع ضريبة العشر لمعبد مصرى وهذا ما كشف عنه نقش من القرن الرابع . كما كشفت الحفائر عن وجود قلعة كبيرة بالمنطقة . وكل هذا يشير إلى تبعيتها لمصر وأن اليونان المستقرين بها كانوا بمثابة جالية تجارية لعبت دوراً هاماً فى تنشيط التجارة بين مصر وبلاد اليونان فقد تم استيراد مصر الخم وزيت الزيتون بينما صدرت مصر الحبوب وربما البردى والكتان والادوات والسلع البرنزية ولم تكن نقراطيس معبراً تجارياً فحسب بل مرت من خلالها الأفكار والفنون المصرية إلى بلاد اليونان مباشرة ودون وسيط . وقد سبق أن عرضنا لهذا فى فصل سابق .

وهكذا فقد انتشر اليونان وعاشوا فى مصر تحت سيادة الفرعون المصرى ، وننتقل الآن لحديث عن قورينى .

كانت قورينى المستعمرة اليونانية الوحيدة بأدق معنى الكلمة . عرف اليونان الشاطئ الليبى منذ العصور الباكرة حيث أن الرياح الشمالية قادت سفنهم إلى هناك عندما أرادوا الذهاب إلى مصر . ولحسن الحظ فإن المصادر الأدبية قد قدمت لنا معلومات ضافية عنها وقد أكدتها ودعمتها نتائج التنقيبات الأثرية والنقوش .

قامت جزيرة ثيرا سنة ٦٣١ بتنظيم حركة استيطان المدينة ويروى لنا

هيردوت الظروف التى أدت بأهل ثيرا لخروجهم وتأسيسهم لقورينى . فقد عانت جزيرة ثيرا من الجفاف الطويل نتيجة عدم اطاعة نبوءة دلفية تأمرهم بالخروج لاستيطان ليبيا . وفى الحقيقة إن ذكر هيردوت للجفاف الطويل يشير إلى عدم كفاية موارد الجزيرة لسد حاجة سكانها المتزايدة ، وهذا ما كشفت عنه خطة أهل الجزيرة والتى ذكرها هيردوت وما أكده نقش لوحة المؤسسين فى الخلاص من الزيادة الحالية والمستقبلية فى السكان . فقد استقر الأمر على : ١- أن يتم اختيار أخ من أسرة بالجزيرة . ٢- إذا نجح المهاجرون لإقامة مستعمرة فإن من ينضم إليهم بعد ذلك من مواطنيهم يتمتع بكل الحقوق المدنية والسياسية . ٣- إذا ما فشل المهاجرون فى إقامة مستعمرة فى ليبيا خلال خمس سنوات فإنهم يستطيعون عندئذ العودة إلى ثيرا واستعادة ممتلكاتهم وحقوقهم السياسية . ٤- إذا رفض أحد ممن وقع عليهم الاختيار الذهاب إلى انشاء المستوطنة فإنه يكون عرضة للحكم عليه بالاعدام ومصادرة أملاكه وأن ذلك يكون أيضاً شأن من يأويه . ٥- إن موقف أهل الجزيرة الصارم والمضاد لعودة المهاجرين بعد عامين من هجرتهم والاقامة فى جزيرة بلاتيا يكشف عمق الأزمة التى كانت تعانيها ثيرا . كما أنه يكشف التزام أهل ثيرا بالعهد والقسم ألا يقبلوهم إلا بعد خمس سنوات من هجرتهم .

لقد نظمت جزيرة ثيرا هجرة المواطنين فقدمت لهم سفينتين حملتا مائتى مهاجر بقيادة باتوس (أرسطو) وقد أثار اسم باتوس مشكلة والتى لها على الأقل ثلاثة احتمالات لحلها . فلعل الاسم هو الاسم الحقيقى للمؤسس أو لعله لقب أو كنية ومعناها المتلعثم التى تنطبق على أرسطو ، أو كما يعتقد هيردوت أن المؤسس قد لقب بهذا اللقب لأن كلمة باتوس كلمة ليبية وتعنى الملك . وإذا ما كان تفسير هيردوت صحيحاً ، فمن ثم فإن الإغريق ، ومن بينهم أسرة باتوس ، قد توقفوا عن التفكير فى الكلمة كلقب واستعملوها كاسم علم معتاد .

أبحر باتوس وأتباعه إلى اتانا Itana على الشاطئ الشرقى لكريت حيث استأجروا كريتى كمرشد لهم ، ومن المؤكد أن هذا المرشد كان على معرفة ودراية بالساحل الليبى . استقر المهاجرون ، فى البداية ، فى جزيرة بلاتيا الصغيرة بالقرب من الساحل * ، لمدة عامين ولكن لم يطب لهم العيش بها وأصابهم اليأس فقرروا العودة إلى ثيرا ولكن أهل ثيرا منعوا نزولهم بساحل الجزيرة ، فاضطروا للعودة إلى جزيرة بلاتيا ثانية ولكنهم استقروا فى جنوب الجزيرة وامضوا هناك ست سنوات ولما كانت علاقتهم بالسكان الليبيين حسنة فقد نجحوا بفضل مساعدتهم للوصول إلى مكان قورينى وعند وصولهم قال لهم الأهالى هنا أيها الاغريق يلائمكم السكن لأنه يوجد ثقب فى السماء وفى هذا دلالة أكيدة على كثرة المطر فى المنطقة وملاءمتها للزراعة .

إن اسم قورينى Cyrana فى الدورية من الواضح أنه مشتق من الكلمة الليبية Kura وتعنى نبات البرداق وكان هذا النبات يكثر بالفعل فى قورينى . ويقول يوساب القصيرى نقلاً عن المؤرخ الموسوعى أراتوستنيس Eratosthenes القورينى أنه قد تم تأسيس قورينى سنة ٦٣٠ ق.م وقد أكد أقدم الأدلة واللقى الأثرية هذا التاريخ .

أصبح باتوس زعيم المستوطنين ملكاً على المستوطنة الجديدة ، وأسس أسرة ملكية بها ووفقاً للقرائن فإن قورينى كانت هى المستوطنة الوحيدة التى كان

* وكان من عادة المستوطنين أن يستقروا بشكل أولى على جزيرة قريبة من الشاطئ حتى يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم والتحصين بالمكان قبل محاولتهم التعرف على موقف السكان المحليين . وسنجد مثال مشابه فى سيراكوز حيث أن جزيرة أورتيجا قد استقر بها الكورنثيون أولاً وهذا ما حدث قبل ذلك فى جزيرة بيتكوساى المواجهة لكوماى فى إيطاليا.

بها أسرة ملكية مثل مدينتها الأم التى كانت تحت الحكم الملكى ويتوارث حكمها الخلف عن السلف . وفى خلال عهدى باتوس الأول وابنه أركسيلاوس فقد وفد مستوطنون من ثيرا ومن الممكن أن بعض النساء قد حضرت مع الوافدين الجدد . ولما كان عدد المهاجرين الأول مائتى مستوطن فمن المرجح أنهم قد تناكحوا نساء ليبيات . واستمر وفود المهاجرين فى عهد باتوس الثانى سنة ٥٨٠ ثالث ملوك الأسرة والذى كان قد وعد المهاجرين بقطع من الأرض فى ليبيا والجدير بالذكر أن المهاجرين الذين كانوا وصلوا إلى قورينى كانوا من البلوبونيز وكريت والجزر وهذا يعنى أنه وجد نشر الدعوة فى بلاد اليونان ككل لمن يرغب فى الهجرة واعداً اياه بقطع أرض . ونتيجة لوصول أعداد من المهاجرين ، كان عليه أن يدبر قطع الأراضى التى سيمنحهم إياها نظراً لنقصها فى زمام مدينته ولذا نجده استولى على أراضى الوطنيين وكان هذا بداية للعداء معهم . ودارت الحروب بينهم وطلب الليبيون العون من الفرعون ابريس الذى أجابهم وسار بجيشه غرباً لنصرتهم والتقى بجيش باكوس حوالى سنة ٥٧٠ بالقرب من مدينتهم ودارت معركة منى فيها الفرعون بهزيمة قاسية وفى عهد أركسيلاس الثانى ابن باتوس الثانى حدثت سلسلة من المنازعات السياسية بينه وبين أخوته . واستمرت المنازعات فى عهد باكوس الثالث وتشير الروايات أن الأطراف المتنازعة قد حكمت بينها ديموناكس الاركادى وقد اقترح هذا الوسيط أولاً : الغاء تقسيم السكان وفقاً للقبائل الدورية الثلاث . وأحل محله تقسيم السكان إلى ثلاثة أقسام :

١- الثيرانيين والجيران Preoikai ويرى البعض أن الجيران كانوا من سلالة المؤسسين الأول من مدينة ثيرا وجيرانها أو كانوا إغريقاً لأن الإغريق لا يدخلون فى عداد مواطنيهم العناصر غير الإغريقية . ويخالف هذا الرأى باحث آخر ويرى أن الحلفاء أو الجيران كانوا من السكان المحليين الذين خالطهم

الثيرانيون وأن ديموناكس قد وصفهم ضمن الطبقة الأولى لتصحيح وضع خاطئ وأن ديموناكس جاء بعد انتصار أخوة الملك وأنصارهم الليبيين .

٢- المهاجرون البلوبونيز وكريت .

٣-المهاجرون من الجزر .

وثانياً : إقترح تقليص السلطة الملكية ومن الممكن أن يكون قد قصر سلطتها على الشئون الدينية ووضع السلطة الحقيقية فى الدولة فى أيدى من أسماهم هيردوت الشعب Lemas ومن الجدير بالقول أن الهيئات التنفيذية والتشريعية قد تشكلت من الطبقة الغنية والعليا فقط أى الطبقة الارستقراطية أو الاوليجرخية .

فمن القول لقد كانت قورينى مستوطنة زراعية وفد عليها المهاجرون من ثيرا على مراحل كما وفد عليها أخرون من البلوبونيز وكريت والجزر وهذا يعنى أن المستوطنة كانت غنية وذات ثراء عريض . وأن اكتمال سكانها اليونان والمهاجرون إليها استمر فترة طويلة استمرت عدة عقود .

ونستعرض الآن قائمة بأسماء المستوطنات والمدن التى أسستها .

أسماء المستعمرات الأيونية *

١	ميناس	Minace	حاضرتها أو المدينة المؤسسة مساليا Massalia
٢	ألوناى	Alonae	حاضرتها أو المدينة المؤسسة مساليا Massalia
٣	هيميروسكوبيوم	Hemeroscopeum	حاضرتها أو المدينة المؤسسة مساليا Massalia
٥	أجاثى	Agathe	اسمها الآن أجدى Agde وأنشأتها مدينة مساليا

* تشير الأرقام إلى موضع المدينة على الخريطة .

٦	مساليا	Messalia	اسمها باللاتينية Massilia واسـمها المعـاصر الآن Masscille وأنشأتها مدينة فوكيا Phocaea
٧	توروپس	Taurocis	اسـمها باللاتينيـة تورونتـوم Tauroentum وأنشأتها مدينة مساليا Massalia
٨	أولبيا	Olbia	أنشأتها مدينة مساليا Massalia
٩	أثينوبوليس	Athenopolis	أنشأتها مدينة مساليا Massalia
١٠	أنتيبوليس	Antipolis	اسمها الآن أنتيبس Antibes وأنشـأتها مدينـة مساليا Massalia
١١	نيكايا	Nicaea	وهى الآن مدينة نيس Nice الفرنسية الشـهيرة وأنشأتها مدينة مساليا Massalia
١٢	ألاليا	Alalia	أنشأتها مدينة فوكييا Phocaea
١٣	كومى	Cyme	باللاتينية كوماى Cumae وأنشـأتها خـالكيس Chalchis
١٤	بيتى كوزاى	Phithecusae	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
١٥	ديخايرخيا	Dicaearchia	أنشأتها مدينة كومى Cyme
١٦	نيابوليس	Neapolis	مدينة نابولى الإيطالية الشـهيرة الآن أنشـأتها مدينة كومى Cyme
١٨	إليا	Elea	فيليا Velia باللاتينية أنشـأتها مدينـة فوكيـا Phocaea
٢٤	ريجيوم	Rhegium	مدينة ريجيو الشهير الآن Reggio – أنشـأتها مدينة خالكيس Chalchis.
٢٥	زانكلى	Zancle	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis ثم تغير اسمها

			باللهجة الدورية وأصبح ميسانا Messana
٢٧	هيميرا	Himera	أنشأتها مدينة زانكلى Zancle
٣٦	ليونتينى	Leontini	مدينة لنتينى الحالية Lentini ، أنشأتها مدينـــة خالكيس
٣٧	كتانا	Catana	مدينة كتانيا الإيطالية الشـــهيرة الآن Catania ، أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٣٨	ناكسوس	Naxos	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٤٣	سيريس	Siris	أنشأتها مدينة كولوفون Colophon
٥٥	ميثونى	Methone	أنشأتها مدينة اريتريا Eretria
٥٦	ثيرما	Therma	
٥٩	مندى	Mende	أنشأتها مدينة اريتريا Eretria
٦٠	ميسى برنا	Mecyberna	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٢	سمرلى	Semerle	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٣	جالبسوس	Galepsus	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٤	تورونى	Torone	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٥	سينجوس	Singos	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٦	أسّـا	Assa	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٧	سانى	Sane	أنشأتها مدينة أندروس Andros
٦٨	أكانثوث	Acanthus	أنشأتها مدينة أندروس Andros
٦٩	ستاجيروس	Stagirus	أنشأتها مدينة أندروس Andros
٧٠	أرجيلوس	Argilus	أنشأتها مدينة أندروس Andros
٧١	جاليبسوس	Galypsus	أنشأتها مدينة ثاسوس Thasos

٧٢	أويسيمى	Oesyme	أنشأتها مدينة ثاسوس Thasos
٧٣	نيابوليس	Neapolis	أنشأتها مدينة ثاسوس Thasos
٧٤	ثاسوس	Thsosh	أنشأتها مدينة باروس Paros
٧٥	أبديرا	Abdera	أنشأتها مدينة كلازوميناى Clazomenae
٧٦	مارونيا	Maronea	أنشأتها مدينة خيوس Chios
٧٧	كارديا	Cardia	أنشأتها مدينتى ميليتوس Miletus وكلازوميناى Clazomenae
٨٠	ليمناى	Limnae	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٨١	ايلاوس	Elaus	أنشأتها مدينة تيوس Teos
٨٤	باكتييه	Pactye	أنشأتها مدينة أثينا Athens
٨٥	بيزنثى	Pisanthe	أنشأتها مدينة ساموس Samos
٨٦	بيرنثوس	Perinthus	أنشأتها مدينة ساموس Samos
٨٧	أبولونيا	Apollonia	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩١	أوديسوس	Odessus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٢	كالاتيس	Calatis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٣	توميس	Tomis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٤	ايستروس	Istrus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٥	تيراس	Tyras	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٦	أولبيا	Olbia	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٨	ثيودوزيا	Theodosia	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٩	بانتيكاپايوم	Panticapaeum	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٠	تانياس	Tanias	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus

١٠١	فاناجوريا	Phanagorca	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٢	بيتيوس	Pityus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٣	ديوسفورياس	Dioscrias	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٤	فاسيس	Phasis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٥	ترابيزوس	Trapezus	وهى مدينة تربيزوند Trebizond البيزنطية فى العصور الوسطى ــ أما اسمها التركى الآن فهو ترابزوند Trabzond وأنشأتها مدينة سينوبى Sinope
١٠٦	كيراسوس	Cerasus	أنشأتها مدينة سينوبى Sinope
١٠٧	كوتيورا	Cotyora	أنشأتها مدينة سينوبى Sinope
١٠٨	أميسوس	Amisus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٩	سينوبى	Sinope	وهى مدينة سينوبى Sinope التركية الحديثة ، وأنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١١٠	سيتوروس	Cytorus	
١١١	تييوم	Tieum	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١١٥	سيوس	Cius	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١١٦	ميرليا	Myrlea	أنشأتها مدينة كولوفون Colophon
١١٧	ميليتوبوليس	Miletopolis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١١٨	كيزيكوس	Cyzicus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١١٩	بروكونيسوس	Proconnesus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٢٠	بريابوس	Priapus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus أو مدينة كوزيكوس

١٢١	باريوم	Parium	أنشأتها مدينة باروس Paros
١٢٢	كولوناى	Colonae	حاضرتها مدينة ميليتوس Miletus
١٢٣	بايسوس	Pacsus	حاضرتها مدينة ميليتوس Milctus
١٢٤	لامبساكوس	Lampsacus	مدينة لابزاكى Lapsaki اليوم و أنشأتها مدينة فوكايا Phocaea
١٢٦	أبيدوس	Abydus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٣٢	سكيبيس	Sccpis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٣٥	ناجيدوس	Nagidus	أنشأتها مدينة ساموس Samos
١٣٦	سيلنديريس	Celenderis	مدينة جيلينديرة Gilindirc الآن أنشأتها مدينة ساموس Samos
١٣٨	بوزيديوم	Posidcum	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
١٤٢	نوقراطيس	Noucratis	أنشأتها مدينة ميليتوس Milctus

المستعمرات الآخية Achiain Colonies

١٣	بوزيدونيا	Posidoncs	مدينة بايستوم باللاتينية
١٩	سكيدروس	Scidrus	
٢٠	لايوس	Laus	
٢١	تيرينا	Terina	
٢٢	كولونيا	Caulonia	
٤١	كرتون	Croton	باللاتينية كروتونا Crotona وبالايطالية Crotona
٤٢	سيباريس	Sybaris	

٤٤	ميتابونتوم	Metapontum	بالايطالية الآن ميتابونتو Metaponto
٦٠	سيونى	Scione	

المستعمرات اللوكرية Locrian Colnies

٢٢	هيبونيوم	Hipponium	أنشأتها مدينة لوكرى ابفزيفيرى Locri Epizephyrii
٢٣	مدما	Medma	
٣٩	لوكرى ابفزيفرى	Locri Epizephyrii	

المستعمرات الدورية Doriam Colonies

٤	امبوراى	Emporae	أنشأتها مدينة امبورياس Amporias التى أنشأتها بدورها جزيرة رودس Rhodes
٢٤	رودا	Rhode	الآن روزاس Rosas وأنشأتها جزيرة رودس
٢٥	رودانوسيا	Rhodanosia	أو رودى Rhode أنشأتها جزيرة رودس
٢٦	ليبارا	Lipara	الآن بالايطالية ليبارا Lipara وأنشأتها كيندوس Cindos وجزيرة رودس
٢٨	سيلينوس	Selinus	أنشأتها ميجارا هيبالايا Megara Hyblaea
٢٩	أكراجاس	Acragas	باللاتينية أجريجنتوم Agrigantum وبالايطالية الآن أجريجنتو Agrigento أو جريجنتى Girgenti
٣٠	جيلا	Gela	أنشأتها كنيدوس Cnidos ورودس

٣١	كامارينا	Camarina	أنشأتها ميراتوزا
٣٢	كاميناى	Camenae	أنشأتها ميراتوزا
٣٣	أكراى	Acrac	أنشأتها ميراتوزا
٣٤	سيراقوزا	Syracusa	بالايطاليـة الآن سـيراقوزا وأنشـأتها مدينـة كورنثى
٤٥	تاراس	Taras	باللاتينية تـارانتوم وبالايطاليـة الآن تـازنتو Tasanto أنشأتها مدينة أسبرطة
٤٦	كاليبوليس	Callipoles	الآن جاليبولى Gallipoli وأنشأتها تاراس Taras
٤٧	هيدروس	Hydrus	باللاتينية هيدرونتوم Hydruntum وبالايطاليـة أوترانتو Otranto وأنشأتها ربمـا تـاراس ؟ Taras
٤٨	ابيدامنوس	Epidamnus	باللاتينيـة ديرهـاخيوم Dyrrhachium والآن بالايطالية دورازو Durazzo وبالالبانية دوريش Durrcc وأنشأتها مدينة كوريزا Coryza
٤٩	أبوللونيا	Apollonia	الآن بالايطالية بوللينا Pollina وبالالبانية بوجان Pojan وأنشأتها مدينة كورنثى
٥٠	كورسيرا	Corcyra	أنشأتها كورنثى
٥١	أمبراسيا	Ambracia	أنشأتها كورنثى
٥٢	أناكتوريوم	Anactorium	أنشأتها كورنثى وكورسيرا
٥٣	لوكاس	Leucas	أنشأتها كورنثى
٥٤	سولليوم	Sollium	أنشأتها كورنثى وكورسيرا
٥٧	أينيا	Aenea	أنشأتها كورنثى

٥٨	بوتيديا	Potidca	أنشأتها كورنثى
٨٧	سيليمبريا	Sclimbria	الآن سيليفرى Silivri و أنشأتها ميجارا Megara
٨٨	بيزنطة	Byzantium	أنشأتها ميجارا Megara
٩٠	ميسيمبريا	Mcsembria	أنشأتها ميجارا Megara
٩٧	خرسونيوس	Chersoncsus	أنشأتها هيراكليا Heraclia
١١٢	هيراكليا	Heraclea	الآن اريكلى Erekli وأنشأتها ميجارا Megara
١١٣	كالخيدون	Calchedon	الآن كـــاديكوى Kadikoi أنشـــأتها ميجـــــارا Megara
١١٤	أستاكوس	Astacus	أنشأتها ميجارا Megara
١٣٣	فاسيليس	Phasclis	أنشأتها رودس Rhodes
١٣٧	سولى	Soli	أنشأتها رودس Rhodes
١٤٢	قورينى	Cyrene	أنشأتها ثيرا Thera
١٤٤	برقة	Barca	أنشأتها قورينى Cyrene
١٤٥	توخيرا	Touchira	الآن توكرا Tohra و أنشأتها برقة Barca
١٤٦	يوسبريدس	Eusperides	أنشأتها قورينى ربما ؟ Cyrene

المستعمرات الأيولية Aeolian Colonia

٧٧	اينوس	Aenus	أنشأتها ميتيلينـــى Mytilene وأليبوكونيســوس Alepoconcsus
٧٩	ألوبيكونيوس	Alopcconcsus	أنشأتها ميتيلينى Mytilene
٨٢	ماديتوس	Madytus	الآن مايتو Maito
٨٣	سيستوس	Sestus	

١٢٧	داردانوس	Dardanus	
١٢٨	سيجيوم	Sigeum	
١٢٩	تنيدوس	Tenedos	
١٣٠	أسوس	Assus	
١٣٢	أمتاندروس	Amtandrus	
١٣٤	سيدى	Side	

مستعمرات فى قبرص

١٣٩	سلاميس	Salamis	
١٤٠	سولى	Soli	
١٤١	بافوس	Paphos	

وبعد أن عرضنا لأهم المستوطنات نعرض الآن لأهم مظاهر وسمات حركة الاستعمار وهى :

١- لم تشترك كل الشعوب الإغريقية بنفس النسبة فى حركة الاستعمار فلم يشترك الاليريون والمقدونيون ، إلا فى الفترة المتأخرة بعد غزوات الاسكندر ، فى غزو وارتياد البحار ، ولكن أنشأت بعض الشعوب اليونانية التى تعيش حياة القبائل الرعوية مثل أهل كل من لوكرى وآخيا مستوطنات زاهرة . وإن كانت المدن العامرة فى بلاد اليونان هى التى قامت بالدور الأكبر فى حركة الاستعمار فبعد أن استقرت أحوالها تماماً فى أراضيها وتعلمت وسائل ارتياد البحار وكانت قد بلغت فى تنظيماتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية درجة من التطور مثل كورينثة وخالكيس وارتريا وميجار وناكسوس وباروس

وميليتوس .

٢- اختلفت سياسة المستعمرات تجاه السكان المحليين أو الوطنيين اختلافاً كبيراً وذلك تبعاً لقوة ووفرة أعداد المستعمرين ، ووفقاً للقوة العسكرية ولثروة وحضارة السكان المحليين والذين سيصبحون سادتهم أو جيرانهم ، فعندما كان الإغريق متعددو المواهب يتعاملون مع القبائل البدائية كانوا يعرفون كيف يجعلون أنفسهم مرحباً بهم ، فكان الاغريقي يحضر معه الهدايا التى ترضى وتسر وكان يجد الكلمة أو الاشارة التى تسحر ، فكان يتحدث مع الرجال ويقيم علاقات جنسية مع النساء وكان يحصل من خلال المناقشة على الاتفاق الذى يريده مثل الحق فى فتح سوق أو احتلال شريط من الأرض للتوطن فيه ومن الأمثلة على ذلك عندما رسى أهل فى فوكايا على أراضى قبيلة ليجورية نجد أن ابنة زعيم القبيلة قد اتخذها زعيم المهاجرين زوجة له وتم تأسيس ماساليا وعندما نزل أهل ثيرا فى جزيرة بلاتيا أقاموا علاقات طيبة مع الليبيين ومن خلال ذلك فقد ساعدوهم على الانتقال واستيطان قورينى وعاشوا معاً فى سلام ولكن عندما زادت قوتهم استولوا على أراضى الوطنيين مما سبب العداء بينهم. وفى شمال البحر الأسود فان اكيميريين Cemmerians والاسكيثيين والسارماتيين قد استقبلوا التجار الايونيين استقبالاً طيباً . وبمجرد استقرار الاغريق فى أغلب البلاد التى نزلوا بها نجدهم يحاولون أن يتوسعوا وغالباً ما كانوا يستخدمون القوة حيناً ، وبعون من الخديعة والخيانة حيناً آخر أو كلاهما معاً . فالكثير من المستوطنات قد أنشأت على مناطق مفتوحة عنوة مثل سيراكوز وليونتيون وامبراكيا ونجد أن اللوكريين عندما نزلوا فى إيطاليا قد عقدوا معاهدة صداقة مع السكان المحليين ثم لجأوا إلى الخديعة وطردوهم . وأيضاً ما قام به القورينائيون مع السكان المحليين فى الاستيلاء على أراضيهم وطردهم .

ونجد أيضاً أن بعض المدن ووفقاً لجذروها لم تطرد السكان المحليين ولكن انزلتهم إلى مرتبة العبودية لأنها وجدت من الأفضل أن تستثمر الأراضى من خلال أصحابها الأصليين ، والأمثلة على ذلك قيام المستوطنون فى سيراكوز وبيزنطة وهيراقليا بونتيقا بربط أعداد كبيرة من السكان المحليين بالأرض وجعلوهم يحرثونها ويزرعونها . ولكن نجد أن الشعوب المحلية فى المناطق الداخلية قد وقفت ضد المستوطنات وحاربتها وأوقفت توسعها . ومن بين هذه الشعوب السكان المحليين فى غرب صقلية والقبائل والشعوب المحلية فى منطقة البحر الأسود . وكما نعرف أنهم قد أقاموا ببعض الدول القوية بعد الحصول على تصريح مثل ليديا مصر . وفى ضوء ما سبق فقد نجح الكثير من المهاجرين فى تأسيس مستوطنات ولكن فشل البعض فى محاولاتهم نتيجة للمتاعب التى سببها السكان المحليون ومن ذلك ابديرا .

٣- لدينا أمثلة عديدة عن مستعمرات أسست هى الأخرى مستعمرات بعد سنوات قليلة من تأسيسها عندما ضاقت أرضها أو لأنها محرومة من الظهير الزراعى. أو للاضطرابات والنزاعات بين المهاجرين ، بينما نجد أن بعض المستوطنات الأخرى نظراً لقلة سكانها ولاتساع رقعة الأرض الزراعية المجاورة لها تدعو اليونان إلى الهجرة إليها جيل وراء جيل مثل قورينى .

٤- إن مفهوم حركة الاستعمار اليونانية فى العصر العتيق يختلف فى معناه فى الغالب الأعم عن مفهوم الاستعمار الحديث . فقد كان جل المستوطنات تنشأ وتتطور بشكل مستقل عن المدينة الأم فكانت هذه المستوطنات مدناً مستقلة بشكل كامل عن المدينة الأم فلا تبعية سياسية لها . ومع ذلك فقد وجدت بعض الأمثلة والاستثناءات التى ربطت فيها المدن المستعمرة مستعمراتها بها وتشدها إليها بأوثق الروابط ومن هذه المدن كورينثة التى أسست سلسلة من

المستعمرات على الشاطئ الشمالى الغربى لليونان وجعلتها تحت سيطرتها وحكمها المباشر ، والمثال الثانى هو أثينا وتأسيسها مستوطنة فى منطقة الهليسبونت فى القرن السادس .

٥- أن المستوطنين ملاك أو حائزى قطع الأرض سيحبون العنصر الارستقراطى على عكس المستوطنين الذين يفدون إلى المستوطنة فيما بعد فى الغالب الأعم ، وأعضاء الطبقات الحرفية . فهؤلاء الأرستقراط ، والذين كان الكثيرون من أجدادهم من الفقراء ، هم الآن ينتمون إلى طبقة الموسرين وطبقاً للطبيعة الانسانية فقد نسوا ما عانوه هم أو آباؤهم أو أجدادهم فى بلادهم الأصلية ولم يظهروا عطفاً على الأشخاص الأقل حظاً والذين زادوا بمرور الوقت فى المستوطنات .

٦- من المرجح أن الاجراءات التى اتخذتها المدن بشأن تنظيم وإرسال مستوطنين وتأسيس مستوطنات قد اختلفت مع بعضها البعض خاصة فى الفترة الباكرة ، ووفقاً لرواية هيردوت ونقش لوحة المؤسسين لمدينة قورينى كانت الدولة تشرف على حركة الهجرة بل تنظمها وتمولها ، ولعل بعض المبادرات قد أتت من بعض القادة ومن بين هؤلاء دوريوس شقيق الملك الاسبرطى كليومينيس ، وفى الغالب الأعم فإن الطبقة الارستقراطية أو الاليجرخية الحاكمة هى التى أرسلت المستوطنين كحل للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى تقلق الحكومة . وقبل القيام بالاستيطان كان لابد من الحصول على رضاء ومباركة لاقامة مستوطنة وذلك بسؤال وحى دلفى ودورنا قبل القيام بالعمل أو حتى بعده بغرض حض وحث المواطنين بالمدينة ومواطنى المدن الأخرى على الهجرة . وبعد أن تقرر مدينة تأسيس مستعمرة فإنه من الراجح المتبع أنها كانت تدعو الراغبين للهجرة للتجمع ولكن من الواضح أن الاجراء المتبع فى تأسيس

قورينى أنه إذا لم يأت راغبون كافون فى الهجرة فإنه كان يتم استخدام الارغام على الهجرة وفى نفس الوقت ترك الباب للراغبين بمحض ارادتهم . ومن الواضح أيضاً أن الدولة هى التى كانت تعين قائد المستوطنين aekistis وتحت اشرافه كانت تؤسس المستوطنة الجديدة وكان واجبه الأول هو تخصيص قطع الأرض للمستوطنين . وبعد موته كان يدفن فى مكان مميز فى المستوطنة حيث يلقى التكريم كبطل وكمؤسس مبجل للمدينة .

٧- على الرغم من أن غالبية المستوطنات كانت مستقلة عن المدن الأم وأنها كان من حقها أن تقيم علاقات مع كل بلاد اليونان دون تدخل من مدينتها الأم . إلا أننا نجدها تقيم وتحتفظ بعلاقات قوية مع مدينتها الأم ، وأبدت احتراماً بأبطالها، فكانت ترسل السفراء فى المناسبات الخاصة ، كما استبعدت النزاعات فيما بينها فى الغالب ما وسعها إلى ذلك سبيلاً وإن كان هناك استثناءات مثل الحرب بين كورينثة وكوركورا . كما نجدها قد عقدت معاهدات تجارية ومحالفات عسكرية فيما بينها . وهذا قد قوى الروابط فيما بينهم ، وقد زاد من قوة الروابط أن المستوطنين فى الغالب كانوا قد نقلوا المؤسسات السياسية والدينية مثل نظام الحكم ، التقسيم القبلى ، وكانوا يأخذون جذوة من النار المقدسة وتتبعهم آلهة المدينة الأم لحمياتها ، والابجدية واللغة ونظام التأريخ ، كما أنه صار من العرف والتقاليد أنه عندما تنوى المستوطنة بانشاء مستوطنة جديدة أن ترسل إلى مدينتها الأم لترشح لها قائد aekistes للمهاجرين . فعلى سبيل المثال عندما أسست كوركورا المستعمرة الكورينثة مستعمرة لها وهى ابيداموس فقد أرسلت مستوطنيها تحت قيادة زعيم أو قائد من كورينثة .

٨ - لقد حد من حركة الهجرة والاستيطان للاغريق موقف الأمم المتحضرة الأخرى (قرطاج) والتى أوقفتها بشكل تام فى الغرب ، كما نجد الظروف الداخلية فى بلاد اليونان قد فعلت فعلها فى الحد من الهجرة ومن هذه الأحوال اقرا مبدأ الملكية الفردية بدلاً من الملكية المشاعية للأسرة وحق الابن الأكبر فى الميراث ، كما أن نمو الصناعة والتجارة قد خلق فرص جديدة للعمل فى بلاد اليونان وانعدام البواعث التى جعلت أمثالهم يرحلون فى الماضى خارج أوطانهم بحثاً عن الرزق والعمل ، كما أدت الثورات الشعبية إلى تحسين أحوال الجماهير وأصبحت الظروف سانحة لهم للحصول على الأرض الزراعية . ولذا سنجد أن حركة الهجرة قد بدأت شبه متوقفة فى القرن الخامس ، وإن كان خروج الإغريق مستمراً للعمل كجند مرتزقة سواء فى مصر أو فى فارس .

نتائج حركة الاستعمار :

١- انتشار الإغريق على سواحل البحر المتوسط والبحر الأسود ، وقامت المئات من المدن الدول وعلى الرغم من أن بعضها قد تأثر بالاحوال المحلية فإن أغلب هذه المدن قد تطور على نفس نسق المدن الأم ولكن نلاحظ أن المدن الجديدة كانت أكثر تنظيماً وثراء من المدن الأم وبالتالى فقد أثر هذا على المدن الأم .

٢- لقد عمقت حركة الاستعمار التى خلقت مئات المدن الدول الجديدة ميل الاغريق وتفضيلهم العيش فى تجمعات صغيرة مكفية ذاتياً ، وزادت وكرست الانعزالية السياسية عندهم بشكل كبير .

٣- أن عيش وإقامة اليونان فى المستعمرات قد ولد فكرة التضامن الهلينى Panhellenism بصورة كبيرة عما كان عليه الحال فى بلاد اليونان ، فالمدينة الجديدة عادة ما تؤسسها عناصر من مدن مختلفة وسرعان ما يشعر هؤلاء

نتيجة لإقامتهم بين شعوب أجنبية تماماً أنهم من أبناء شعب واحد ومن هذه المستوطنات قورينى ونقراطيس . لقد شعروا بالفروق الواضحة بينهم وبين مختلف الشعوب بينما كانت الفروق غير واضحة ، والمستوطنون سواء أكانوا من كورينثة أو ميلنوس أو كوريس أو خالكيس أو ميجارا فإنهم جميعاً يتكلم لغة واحدة ولهم نفس التقاليد الموروثة من عصر الأبطال ويشتركون فى ديانة وأفكار دينية واحدة وطرق الحياة وعلى الرغم من أن الاغريق قد تصاهروا مع بعض السكان المحليين فى صقلية وتراقيا وليبيا ، فإن أغلبهم ظل منغلقاً على نفسه وكلما مرت السنون وتطورت الحياة فى مدنهم على العكس من التقاليد القبلية وتقاليد المجتمعات المجاورة لهم فإن الاغريق قد بدأوا يفكرون فى أنهم مختلفون عن هؤلاء الناس الآخرين وأصبحوا مدركين أكثر فأكثر أنهم وحدة واحدة وأصبح يطلق عليهم هيلينيون Hellene فى مقابل Birbariana .

٤- لقد ولدت حركة الاستعمار الشعور بالوحدة بين الاغريق من جهة أخرى وذلك من خلال المشاركة فى الالعاب الأوليمبية التى أقيمت سنة ٧٧٦ وفى الاحتفالات بمناسبة الاعياد الهلينية الأخرى ، البيثية ، والاسثمية والنمية ، ويبدو أن هذه الاعياد كانت أعياد محلية فى البداية ولكن بمرور الوقت فقد أصبحت هلينية لكل الاغريق والفضل فى ذلك يرجع إلى المستوطنات فقد كان المهاجرون سعداء فى أن يعودوا بين الحين والحين إلى المدن فى بلاد اليونان . وفى شهر أغسطس كل أربع سنوات كانوا يذهبون زرافات إلى أوليمبيا لمشاهدة مسابقات الأبطال من كل المدن وللمشاركة فى الاحتفالات الرياضية وأيضاً لعقد بعض الصفقات التجارية وللمشاركة فى الاحتفالات الدينية أمام معبد زيوس وهيرا . وهكذا فقد حافظت هذه المناسبات على روح الوحدة بين الإغريق بل عمقتها .

٥- إن بعض المدن الجديدة خاصة مدن صقلية وجنوب إيطاليا نظراً لما كانت تتمتع به من ثراء عريض قد ساهمت فى دفع وتطور الشعر فقد ظهر الشعر الغنائى وظهرت التراجيديا والكوميديا وظهرت النظريات الفلسفية من فيثاغورثية وسوفسطائية ، كما ازدهرت العلوم وتطور الفكر السياسى الذى جاء نتيجة للتغييرات الاقتصادية الهائلة وما نتج عنها من تغييرات اجتماعية . وهو ما سنناقشه فى الصفحات التالية . وكان ازدهار العلوم والآداب راجع إلى نقل اليونان للابجدية الفينيقية ومعرفة الكتابة التى أحدثت ثورة فى الحياة العقلية اليونانية ، وفى الواقع فقد دافعهم لاستخدام الكتابة هو اجراء وتسجيل العمليات التجارية .

التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الناجمة عن حركة الاستعمار.

التطورات الاقتصادية

عندما بدأت حركة الاستعمار كان اقتصاد المدن اليونانية اقتصاداً زراعياً رعوياً فى المقام الأول بينما لعبت التجارة والصناعة فيه دوراً هامشياً . ولكن بدأت أهمية التجارة والصناعة فى التعاظم مع انتشار المستعمرات اليونانية على نطاق واسع فى حوضى البحرين المتوسط والأسود ، وهذا قد أدى إلى خلق سوقى البحرين المتوسط والأسود تشجيع تقسيم العمل وإقامة حركة تجارية نشطة بين مدنهما المختلفة وقد ساعدت عدة عوامل على ذلك منها :

١- أن السوق agore كانت أرضاً مقدسة محايدة فى الأصل حيث كان يفد عليها مختلف أفراد الأسر لاجراء تعاملاتهم التجارية أو عندما زادت سيادة المدنية على منطقة كبيرة ، فقد كانت هناك أسواق التخوم والتى تحميها القوانين الدينية ضد العنف .

٢- كانت مواسم انعقاد الاعياد الدينية مواسم حرم يعم فيها السلام والأمان وهذا قد

ضمن وأكد حماية الآلهة للتجار وتجارتهم ، كما أن قوانين المعابد قد ضمنت وكفلت الحماية لكل المشاركين من مختلف البلدان فى أعياد الآلهة المعقودة فى دلفى واوليمبيا ونيميا واستموس وتيثوريا Tithorea وفوكيس واندانيا Andania فى ميسنيا . فكان من يخرق قانون الحماية معرضاً لعقوبة الحرمان من عضوية الجماعة والموت ، وبمجرد اعلان هدنة الاله ekeileiria فإن الناس كانوا يتوافدون من كل فج عميق وهم آمين ليحضرن الأعياد ويشاهدون المباريات والمسابقات ، وفى نفس الوقت لتبادل المنافع التجارية فيما بينهم . وكما هو معروف فإن الجموع الكبيرة من الحاضرين لتلك الأعياد كانوا بحاجة إلى طعام وأضاحى ، وهدايا والسلع النافعة ومن هنا كان يتم تبادل السلع والمواد وهذا قد خلق أسواقاً رائجة بجوار المعابد . كما أن الحماية التى تتمتع بها الأجانب فى الأسواق بالقرب من المعابد قد امتدت غالباً إلى الموانئ التى كانت تقع على حدود السوق وفى أجوار المعبد . ففى نقراطيس فإن السوق كان له اله خاص . وفى افسوس فى الميناء المقدس بالقرب من المخازن والاسواق كان يوجد معبد ربة المدينة ارتيميس . إن قداسة الموانئ وملحقاتها قد جعلتها أماكن حقيقية للجوء asylum فقد كان ممارسة حق الاسر والقرصنة المسموح بهما فى البحار يمكن أن يمنع فى الموانئ .

٣- زادت حكومات المدن الاهتمام بتشييد الطرق الداخلية والعناية بها وتأمينها وذلك نتيجة زيادة أهمية المعابد الكبرى . وقد استخدمت هذه الطرق لنقل السلع والبضائع سواء على ظهور البغال أو بالعربات . أو على ظهور الأفراد كما فعل أهل ايجيا فى كل أنحاء البلوبونيز وهم حاملين شنطهم .

٤- تطور فن بناء السفن وفن الملاحة ، فقد عرف اليونان بناء السفن التجارية الكبيرة والمستعدة لرحلات طويلة . كما اعتنوا ببناء السفن الحربية السريعة

الحركة والمناورة . وبفضل هذه المدن فقد نجحوا فى الحد من القرصنة وتـأمين البحار . وهذا قد سهل حركة التجارة بشكل كبير .

٥- إبتكار العملة قد سهل كثيراً العمليات التجارية المختلفة . كانت بـلاد اليونـان بحاجة إلى المواد الخام والحبوب وبدأت هذه المنتجات تصب فيها بكميات كبيرة من كل مناطق البحرين الأبيض والأسود . فقد شحنت الحبـوب مـن صقليـة وايطاليا وكريميا عبر أوليمبيا ، ومن الراجح من مصر عبر نقراطيـس ، كمـا ضمنت بلاد اليونان شحن المعادن التى كانت شحيحة فيها فقد ضمنت وصولـها من مصادر كثيرة : فمن ليديا ومصر وثاسوس وتراقيا حصلوا على الذهـب ، ومن ثاسوس وتراقيا واسبانيا حصلوا على الفضة ومن قبرص حصلـوا علـى النحاس ومن قبرص وكيليكيا واترورريا وفى نهاية القرن السـابع مـن السـاحل الجنوبى للبحر الأسود حصلوا على الحديد . ومن أفريقيا العـاج ومـن تراقيـا ومقدونيا حصلوا على الخشب ومن المحطات التجارية علـى البحـر الأسـود حصلوا على الأسماك المجففة والمملحة ومن المرجح مواد رفاهيـة أخـرى ، ومن قورينى السلفيوم ومن الشرق مختلف التوابل وخاصة البخور الذى صـار ضرورياً للاغراض الدينية وطقوس العبادة .. هذه المواد والسلع قـد أصبحـت بشكل دائم جزءاً من الحياة اليونانية . ولدفع ثمن هذه الواردات كان على بـلاد اليونان أن تنمى صادراتها ، فقد بدأ اليونان فى العناية بغرس الكروم والزيتـون، كما زادوا من انتاج ورشهم المختلفة وتصديره هو الآخر لسـكان المسـتوطنات والشعوب المجاورة والذين أصبحوا زبائن دائمين للمنتجات اليونانية والتى مـن أهمها المنتجات الفخارية والخزفية التى استخدموها فى كافة الأغـراض مثـل الجرار الكبيرة لحفظ الزيت والنبيذ والاطباق وآنية الطـهى وآنيـة العطـور . وكان يتم انتاج الفخار فى كل مكان يوجد به مواد خام جيدة . وكان من أشـهر

مراكز صناعة الفخار كورينثة فكانت المركز الأول فى العالم اليونانى ابان القرن السابع وحلت أثينا محلها كمركز لتصنيعه فى القرن السادس وبعد الفاخورية والخزافية يأتى صناع المعادن وعمال النسيج وهم من الراجح كانوا أكثر الحرفيين نشاطاً فقد أصبحت ميليتوس من أشهر مراكز انتاج المنسوجات الصوفية وهناك العديد من المدن التى أنتجت المصنوعات المعدنية والاسلحة وكانت خالكيس أهم مراكزها . وهكذا فقد صار لكل من التجارة والصناعة أهمية ومكانة خاصة عند اليونان إذ نجدهما قد قدمتا فرصاً جديدة ليس لكسب لقمة العيش لليونانيين الاحرار فقط بل جعلتا الثروة المنقولة تفيض فى أيديهم .

لقد كانت التجارة فى المجتمع الهومرى وكما سبق أن ذكرنا غالباً فى أيدى الفينيقيين ، وأن أصحاب الحرف والمهن كانوا أدنى مرتبة من ملاك الأراضى الكريمى المحتد . ومع تطور المدينة فى العصر الأرخى ونمو الانتاج فقد قام الناس بمبادلة ما يفيض عليهم من منتجات بملتجات أخرى ، وهذا ما رواه لنا هيسيود من أن الرجل كان يشحن ما يفيض على حاجته سواء أكانت زراعية أو مواد مصنعة لتصريفه فى الخارج . ونعرف أن بعض كبار الزراع كانوا يقومون بمبادلة ما يفيض من انتاج أراضيهم من النبيذ وزيت الزيتون بسلع أقطار أخرى ، فقد كانت ملكية السفن الضخمة فى أيدى الأرستقراط كبار ملاك الاراضى ، ففى خالكيس فإن طبقة الفرسان Hippobotae الذين كانوا يرقبون خيولهم تجرى فى السهل كانوا يشرفون فى نفس الوقت على العمل فى مناجم النحاس ويرسلون ما يستخرجوه إلى المستعمرات . وفى كورينثة فإن الأسرة الحاكمة الباكخياوية قد جعلت من حرفة التجارة تقليداً عائلياً ثم استولت على حكومة المدينة نفسها . كما نجد من نبلاء بعض المدن من اشتغل بالتجارة ومن بين هؤلاء خاراكسوس Charaxos من لسبوس ، وكان أخاً للشاعرة سافو ، فقد اعتاد هذا النبيل الذهاب

إلى مصر مع شحنات النبيذ . كما نجد الزراع البسطاء كانوا يشحنون ما يفيض عليهم من منتجات ويبادلونها بمنتجات هم بحاجة إليها وكان من بين هؤلاء أخو هيسيودوس .

كما نجد أن هناك فئة من التجار كانوا صناعاً وتجاراً ، فقد صار الكثير من طبقة الحرفيين تجاراً فى الموسم الذى كان الابحار فيه مأموناً (من ابريل إلى سبتمبر) حيث تكون البحار هادئة . فقد كان هؤلاء يعملون كحرفيين خلال الجزء الأكبر من السنة خلال فصلى الخريف والشتاء . وعندما تصبح الملاحة مأمونة العواقب فإنهم أو بعض أفراد أسرهم كانوا يشحنون منتجاتهم التى أنتجوها على متن سفينة تجارية ويبحرون لتصريفها فى الموانئ الاجنبية . وابتداء من عصر هيسيود فإن الكثير من الرجال قد بدأوا فى اعتبار التجارة مهنتهم الأساسية وليست مهنة موسمية . فعندما بدأت المستعمرات فى التطور والنمو وصار من المعروف أن مدينة ما يكون عندها فائض فى القمح بينما مدينة أخرى مجاورة يكون خشبها جيداً وأخرى قريبة من المناجم التى تستخرج منها المعادن ، بينما مدينة أخرى يكون لها منفذ على السلع الكمالية مثل الذهب والعاج . ولأن التجارة قد اعتمدت على نظام المقايضة إلى أن تم اختراع العملة ، فقد كان على التاجر أن يعرف شحنته ويبادلها بسلع ومواد أخرى ، وحيث أنه لم يكن هناك أسواقاً اغريقية عندها اكتفاء ذاتى ، فيما عدا على ما يبدو فى مراحل تاريخها الأولى ، فإنها كانت أسواقاً لبعض الواردات وبمرور الزمن فإن التجار قد عرفوا بصوزة جيدة ما هى الواردات التى تحتاجها المدن المختلفة وما هى المواد المنتجة التى تكون متاحة للتصدير ، إن هؤلاء التجار لم يختلفوا فى أساليب تعاملاتهم التجارية الكثيرة عن الفينيقيين . فكانوا يشحنون سفنهم من الأماكن التى يجدون فيها شحنات نافعة ومربحة ويبحرون بها إلى الموانئ الأخرى حيث يحدوهم الأمل أن يفرغوا تلك

الشحنات ويحصلون فى المقابل على شحنات أخرى مربحة ، ولعل سنوات كانت تمر قبل عودتهم إلى مدينتهم الأم . ومع ذلك فإن بعض التجار كانوا مرتبطين بشكل كبير بتلبية احتياجات مدنهم فعلى سبيل المثال كان مالك السفينة من naukleras ميليتوس على علم باحتياجات مدينته من السلع الغذائية وبالتالى كان يقوم بشحن المنسوجات الصوفية والآنية الفخارية المنتجة فى مدينته وإذا ما بقى فراغ فى سفينته كان يأخذ معه تاجر emporas آخر وشحنته ثم يبحران معاً إلى أوليمبيا حيث يستبدلون شحنتيهما بشحنة من القمح والسمك المحفوظ . ولا يوجد لدينا دليل حول طرق وكيفية استبدال هؤلاء التجار لبضاعتهم ، ومن الراجح كان عليهم البقاء فى الميناء إذا ما أتى عليهم فصل الشتاء وهذا يعنى أن يقيمون حتى يبيعوا سلعهم بالتجزئة ، ومن جهة أخرى قد يكون فى مقدورهم العودة فى فترة الابحار المأمون وهذا يعنى أنهم قد باعوا بضاعتهم للتجار المحليين .

وقد قاموا تجار ميلتيوس والمدن الايولية بالمتاجرة مع منطقة البسفور والدردنيل والبحر الأسود ومصر عبر نقراطيس . وقام تجار فوكايا بالتجارة مع مستوطنات الغرب ، بينما قام التجار الكورينثيون بالتجارة مع الغرب ابتداء من منتصف القرن السابع وقام تجار خالكيس بالتجارة مع صقلية وايطاليا ومنطقة الخالكيدكى . وابتداء من القرن السادس فقد دخلت اثينا مجال التجارة وكان لها تجارتها مع منطقة البسفور والدردنيل .

وإذا كانت التجارة قد نمت فإن الصناعة هى الأخرى قد نمت وتطورت فقد ظهر فى المدن طبقة الحرفيين demiourgoi منذ بدء نشأتها ولكن نظراً للاحتياجات الكبيرة للمنتجات المصنعة . فقد زادت أعدادهم وأصبحوا يعملون فى ورشهم ergasteria الصغيرة الحجم وبمساعدة عدد من الاجراء thetes والعبيد ولكن بمرور الوقت زاد الاعتماد على العبيد وصاروا أهم عنصر فى الحياة

الصناعية . ونتيجة لرواج التجارة والطلب على المنتجات المصنعة فقد حقق هؤلاء ثروات كبيرة . وهذه الثروات كانت ثروات منقوله سواء أكانت فى شكل سبائك ذهبية أو فضية أو سلع مصنعة وأن بعض الحرفيين والتجار قد صاروا أكثر ثراء من الأرستقراط . وقد زاد هذا الأمر مع اختراع العملة . وهذا يدفعنا للحديث عن التغيرات الاجتماعية كنتيجة للتغيرات الاقتصادية .

التغييرات الاجتماعية :

ا - الطبقة الأرستقراطية :

قد أدى التطور التجارى والصناعى إلى تغييرات فى التركيبة الاجتماعية والعلاقة بين مختلف الطبقات ، وكما سبق أن ذكرنا فإن المجتمع الهومرى كان ينقسم إلى طبقات وهى طبقة الاشراف والحرفيين وطبقة صغار الزراع وطبقة الأجراء والعبيد .. وسنجد أن هذا التقسيم فى العصر الارخى قد استمر مع حدوث تغيير فى الوضع الاجتماعى صعوداً وهبوطاً بالنسبة لبعض الفئات .

كانت الطبقة الأرستقراطية هى المهيمنة على مقالبد الأمور منذ نهاية العصور الهومرية واتخذ رؤساء الأسر طراز الملوك فهم جميعاً أبناء زيوس ولهم الحق جميعاً فى حمل الصولجان وكانوا يلتقون فى المجلس كى تتم الموافقة على القرارات التى يعلنوها للشعب وكونوا محكمة المحلفين التى كان مقرها السوق . وقد استندت قوتهم وسلطتهم على ما كانوا يملكونه من الأراضى ومن قطعان الحيوانات . وإذا كان الأرستقراط قد اعتمدوا على سياسة الاكتفاء الذاتى بالنسبة لاسرهم فى البداية إلا أنهم بمرور الزمن مع قيامهم باستصلاح كل الأراضى التى يمكن استصلاحها وغرسها بالكروم والزيتون . وهذا قد أدى إلى فائض فى الانتاج والذى كان يتم بيعه حيناً واقراضه حيناً آخر لصغار الزراع المحتاجين والحصول على فائدة قدرها ٥٠ % من قيمة الكميات المقرضة وبضمان ممتلكات المقترض

وشخصه وزوجته وابنائه .

لقد بدأت ظاهرة جديدة أيضاً وهى أن كبار الملاك وأولادهم واتباعهم كانوا فى العصر الهومرى يعملون فى الأرض الزراعية وفى الحرف الأخرى أصبحوا الآن سادة يشرفون على الأرض بها ففى ظل النظم الشبيهة بالنظم الاسبرطية فقد وزعت الأرض بين الغزاة وأُنزل السكان الأصليون إلى مرتبة المزارعين المربوطين بالأرض ، ويحصل حائزى الاقطاعات على حصص محددة من الانتاج ، أما فى المدن الأخرى نجد أن كبار الملاك كانوا يعتمدون فى ادارة ضياعهم والقيام وانجاز الاعمال الزراعية المختلفة على العمال الأجراء الأحرار أو العبيد أو من أنزلوا فى درك العبودية نتيجة عجزهم عن سداد ديونهم . وقد كرس الأرستقراط وقتهم للخدمة العامة والتدريب العسكرى الذى توارثوه عن الآباء والأجداد.فقد كان الشريف وحده هو الذى عنده عدة وأسلحة القتال كاملة والتى تجعله رجلاً من البرنز ، العربة والاتباع والحصان الذى يؤكد السمو فى ميدان المعركة ويقول أرسطو أن قيام النظام الاوليجرفى كان طبيعياً والأرستقراط أصحاب الخيول كان لهم امتياز حمل السيف ، وعندما يموت الشريف كان يتم دفن أسلحته معه فى قبره .

ونتيجة للسيطرة على مصادر الثروة والقوة فقد أمسكوا بزمام السلطة السياسية وتصريف شئون الدولة العامة ، ولكن مع نمو التجارة والصناعة وما نتج عنهما من تزايد الثروات المنقولة فى ايدى الصناع والتجار بدأت المطالبة أو التطلع للمشاركة فى الحياة السياسية والخدمة العسكرية . وبالفعل فقد حدث تطور فى أساليب القتال والتسليح فقد ظهر نظام جنود المشاة ثقيلى العدة hoplites ونظام الفيالق . وتشير الأدلة الأثرية من مقبرة فى أرجوس من نهاية القرن الثامن وبداية القرن السابع على وجود ملابس مشاة ودروع وآنية فخارية تعرض لطرق القتال

الجديدة والقديمة ، كما تشير المصادر إلى أن فيدون طاغية أرجوس هـو أول مـن أدخل نظام الفيالق فى بلاد اليونان وقد استخدمه بالفعل ضد جيـش أسـبرطة فـى موقعة هيسياى حوالى سنة ٦٦٨ ق.م وبدأ جيش المشاة فى ثوبه الجديد فى أغلـب مناطق بلاد اليونان يكون هو الجيش النظام وصار من الممكـن لرجالـه الادعـاء بأنهم حماة الدولة . وكان يمكن لأصحاب الثروات المنقولة فى المساهمة فـى هـذا الجيش بل يمكن القول أغلب رجاله قد صاروا من هذه الطبقة ولـذا فقـد هـددوا الوجاهة الاجتماعية والسياسية للأرستقراط . لأنهم شاركوهم فى الحياة السياسـية ، وتحالفوا معاً ضد الأرستقراط ونجحوا فى الحصول على حقوق سياسية متسـاوية معهم وحقوقاً متساوية للثروة المنقولة والثابتة ولم يعد يفرق القانون بيـن النوعيـن من الثروة . ولكن سنجدهم يحاولون الحصول على ملكيـة الأرض لأنـها رمـز للوجاهة والنبالة . وقد حدث تزاوج بين طبقة الأرستقراط كريمة المحتد وبين طبقـة الأغنياء الجديدة . فالنقود قد خلطت الطبقات ولكن سنجد أن بعض الاشـراف قـد استنكروا هذا الامتزاج وقد عبر عن هذا الشاعر ثيوجنيس بقوله لم يزد الرجـال أن يتزاوجوا من امرأة وضيعة ابنة رجل وضيع ، لتجلب لهم أموالاً طائلة . فـالأموال هى التى يقدروها ولا المرأة تزدرى المرأة الكريمة المحتد النوم فى سـرير رجـل وضيع المنبت إذا كان ثرياً ولكن تكون مسرورة أن يكون غنياً بدلاً مـن أن يكـون طيب المحتد .. وقد عبر هيسيود هو الآخر بقوله أن الفضيلـة والعظمـة يتبعـان الثراء ويؤيد الشاعر الكايوس بقوله "إن المال يصنع الرجال" .

لقد كان الاندماج بين الطبقتين قـد أدى إلـى نـوع مـن حكـم الأثريـاء plutocracy أو الحكم الثيموقراطى. والمثال على ذلك والذى سنعرض له هو أثينا.

لقد ظهرت أيات تراكم الثروة فى طرق حياة هذه الطبقة فى السلع والمـواد النفيسة المستوردة مثل السجاد الشرقى والصـور والسـرر المطعمـة والمنـاضد

المنقوشة والمقاعد المغلفة بالبرنز والفضة والذهب والعبيد الذين يحملون الأكــواب المليئة بالمشروبات النادرة والفاكهة الأجنبية والنبيذ المعتق ، والملابس البديعة مــن معاطف وأروية طويلة ومشابك ذهبية تثبت الشعر الملفــوف والأســاور البديعــة الصنعة والعطور النفاذة الرائحة وكانت النسوة يلبسن الخيطون الطرز ومن خلالــه يمكن التعرف على بنات العائلات اللائى كن يحصلن على دوطــهن مــن الأرض الطيبة بينما قد أعطاهن الآباء ثروة منقولة كبيرة ، كما نجد أن الأسر كانت تبــالغ في التباهى فى الاحتفالات وفى المآتم وطقوس الدفن ، فكان يلف الميت فى أقمشــة رائعة ومعه قوارير العطور والجواهر وكانوا يضعون فى قبره تمــاثيل لمصففــى الشعر ولخبازات وطباخين وعلى قبره كان يسكب الخمر من القارورات .

ب ـ الطبقة الوسطى :

كانت هذه الطبقة تتكون من مواطنين يكسبون قوتهم من الأرض الزراعيــة ومن الحرف التى يمارسونها . فقد تكونت من صغار الزراع الريفيين وكان يطلــق عليهم فى أثيكا طبقة الزيوجيتاى Zeugitai لأنــهم يملكــون زوج مــن الثــيران الضروريين لانتاج مائتى مكيال من الحبوب . وفى المدن فعن الطبقــة الوســطى كانت تتكون من الحرفيين المهرة وقد نجح بعض أفراد هذه الفئة فى تكوين ثــروات طائلة وانضموا إلى الطبقة الارستقراطية كما سبق أن ذكرنا ، بينما الفئة التــى لــم يحالفها الحظ والنجاح فى تحقيق الثراء فقد بقيت على حالتها المتدنية وكان من بيــن هؤلاء الحرفيين الاجراء وتجار التجزئة والبحارة ، كما شملت هذه الطبقــة علــى الرعاة .

لقد كان لتقسيم الأراضى واستخدام النقود آثاره المدمــرة علــى الشــريحة الفقيرة من الطبقة الوسطى ، فقد كان من الصعب على الرجل الذى عنده ما يكفيــه بالكاد فى السنوات جيدة الانتاج أن يدبر أموره فى الســنوات ســيئة الانتــاج وأن

يواجه مطالب أسرته ولما كان كل شيء يشترى ويباع فقد قـام بـالاقتراض مـن المالك الكبير ، أو من أصحاب الثروات . وكان الاقتراض هنا مصحوبـاً برهـن لممتلكات المدين وشخصه وكل أفراد أسرته لتأمين حق الدائن . وكان المدين يعـد محظوظاً لو قبل الدائن برهن ممتلكاته فقط . وإذا ما حان موعد السداد ولم يكن فـي استطاعته رد الدين كانت تئول الملكية المرهونة للدائن ، وإذا ما كان هـو وأفـراد ضامنين أيضاً للدين فإنه يتم سلب حريتهم ويصبح من حق الدائن بيعهم فى سـوق النخاسة فى الخارج . وكثيراً ما كان يترك الدائن أو المالك الجديد المـالك السـابق فى الأرض لاستغلالها مقابل حصوله على سدد المحصول وكان وضع هؤلاء فـي اتيكا سيئاً للغاية . وقد أدى هذا إلى كراهية شديدة بين الطبقـة الثريـة والطبقـات الفقيرة .

لقد كان الأرستقراط يملكون كل مظاهر السلطة السياسية والدينية والعسـكرية والقضائية . وقد فسروا الأعراف والتقاليد القانونية لصوالحهم وقد عـبر الشـاعر هيسيودوس عن هذا خير تعبير فنسمع فى شعره صيحة الأجيـال التعسـة فقـانون الأقوى هو الذى يسود وقد شبه الضعفاء بالعندليب بينما الأغنيـاء بـالصقر . وأن الصقر ينقض على العندليب فينشب مخالبه فيه دون أن يستطيع أن يفعل له شـيئاً . وقد حاول هيسيودوس جاهداً أن يذكر الأغنياء بأن الإله زيوس يرسـل ٣٠ الـف رسول ليراقبوا الأحياء وأن ابنته العدالة المعصوبـة تبلغـه كـل الآثـام والظلـم المرتكب. وقد حاولت بعض المدن أن تسن التشريعات وأن تدون القوانين التى تحـد من تفاقم المشاكل مثل أثينا بينما استمسكت الارستقراطية فى بعض المدن بالسـلطة؛ ولذا فقد قامت عليها ثورات جامحة اطاحت بها . وسنعود للحديـث عـن تدويـن القوانين بعد أن نعرض بإيجاز لحال الطبقة الوضيعة فى المجتمعات اليونانية .

جـ ـ طبقة الأجراء والمزارعين المربوطين بالأرض والعبيد :

كانت الأعراف تضع الأجراء الأحرار فى منزلة وسط بين المواطنين كـاملى الأهلية وغير المواطنين أو بعبارة أخرى وضعت الأجراء فى طبقـة وسـط بيـن الرجل الحر والعبد . فقد كان صغار الملاك يستغيثون بهم فى الزراعة كما نجدهـم قد عملوا فى المنازل كما عملوا فى الصناعة وكان وضع هؤلاء العمـال الأجـراء سيئاً للغاية .

عرفت المجتمعات الدورية على نطاق واسع نظام استعمال السكان المحلييـن لزراعة الأرض . فقد ربط الغزاة الدوريون السكان المحليين بالأرض ، فقد وجـد فى اسبرطة طبقة الهيلوتس وفـى كريـت المينويتـاى Menoitai والكلاروتـاى Clarotae وفى تساليا البنستاى Penestae وفى مناطق أخرى من اليونان وسـنعود إليهم عند الحديث عن اسبرطة .

كانت الطبقة الحاكمة من الغزاة الدوريين تحتفـظ بحـق حيـازة وامتـلاك الاراضى ورفضت العمل بها وأجبرت السكان المحليين على الارتبـاط بـالأرض وفلاحتها ونظير ذلك يحصلون على حصص ثابتة متفق عليها . وسنجد أن بعـض هذه الطبقات قد قامت بثورات عارمة ارهقت المدن الدول ، كما سنجد أن البعـض منهم قد انضم إلى الشخصيات الناقمة على الحكم الارستقراطى والاطاحة به وهـو ما سنعرض له فى الصفحات التالية .

وبالاضافة إلى المزارعين المربوطين بالارض وجد العبيد الذين احضـروا إما من حملة خارجية ، أو تم شراؤهم من القراصنة فـى أسـواق النخاسـة التـى انتشرت فى طول وعرض بلاد الإغريق وبالذات فى أيونيا أو الذين اسـترقوا فـى الدين ونلمس هذا فى لعنات أنبياء اليهود على الإغريق الذين يحضرون العبيد إلـى طرابلس وعلى الفينيقيين الذين سلموا أولاد اليهود للأيونيين .

وقد سبق الحديث عن العبيد وعملهم فى العصور الهومرية . وكان عملهم هناك رعى الحيوانات والخدمة فى المنازل والمعاونة فى أعمال الزراعة والمساهمة فى غزل وإنتاج ما يحتاجه بيت السيد من أدوات وسلع . ولكن بعد أن تطورت الصناعة وأصبح الانتاج موجه للسوق فقد وجدنا العبيد والعمال الاجراء يعملون فى الورش . ولكن بمرور القت فقد اعتمدت الصناعة بشكل اساسى على عمل العبيد مما قلص فرص العمل أمام الأحرار . وكان عليهم البحث عن مصدر رزق لهم وكان عليهم الهجرة والعمل فى صفوف المرتزقة فى خدمة الدول الأجنبية . ولكن كانت أحوال هذه الطبقة أسوأ من أحوال العبيد فكان العبد على علاقة طيبة بسيده وعائلته وكان يمكن له أن ينال حريته وكان يتم معاملته دون قسوة وتمتع بقدر محدود من الحرية بالذات فى الأعمال الريفية كما كان بإمكانه أن يقتصد رأسمال صغير لنفسه ولذلك كانت أوضاع العبيد فى العصر العتيق فى اليونان أفضل من أحوالهم فى عصر كاتو فى روما . ولكن على العموم فإن أحوال الطبقات الحرة كانت تتسم بالبؤس وتعالت الصيحات بإعادة توزيع الثروة والأرض الزراعية بين الأفراد . كما سنجد المطالبة بتدوين القوانين ، وذلك لكثرة المشاكل التى كانت تواجهها المجتمعات نظراً لتعقد سبل الحياة ونتيجة لاتساع المبادلات . ولكن تدوين القوانين غير المكتوبة كان له آثاره على سيطرة الارستقراطية .

كانت القوانين عند اليونان قبل تدوينها عبارة عن أعراف وعادات الأسلاف والاحكام القضائية التى انتقلت من جيل إلى جيل لتنظيم المجتمع وتعاملاته وجعل الحياة المتحضرة ممكنة . وقد اطلق هوميروس على الأعراف القانونية themestes أو dikai والسمة التى ميزت الكوكلوبيس Cyclopes هى أنهم لا يوجد عندهم قانون themestes ، ويثير هيسيودوس نفس النقطة عندما يقول أن الإله زيوس يمنح القانون dike للإنسان وليس للسمك ولا للحيوان ولا للطير فقد

كان تفسير هذه القوانين غير المكتوبة فى ظل الحكم الملكى ، والارستقراطى كـــان مقصوراً عليهم . وكانت هيمنة الأرستقراط على إدارة العدالة والقضاء هى احـــدى الدعامات التى اعتمدوا عليها ومن المعروف أنهم قد استخدموا هذه السيطرة لخدمـــة صوالحهم . وهذا ما تشير إليه الإلياذة إذ كان الإله زيوس يغضـــب مـــن الرجـــال الذين يصدرون أحكاماً معللة temestes فى المجلس ويبعدون عن العدالـــة dike . ويشير هيسيودوس إلى نفس النقطة مستنكراً أفعـــال الأمـــراء الأرســـتقراط الذيـــن يأكلون الرشا ويصدرون الاحكام الجائرة منحازة . ولا عجب أن ضحايا الاحكـــام الجائرة شعروا أن القوانين ، مهما كانت قسوتها ، ينبغى أن تخرج عـــن ســـريتها وغموضها . وقد عبر عن ذلك يوربيديس بعد عدة قرون عندما كتب القوانين فـــإن الفقراء ، والاغنياء قد تساووا فى العدالة أمام القانون . ودائماً ما يقـــال إن ضغـــط الجماهير هى التى أجبرت الأرستقراط على أن يذعنوا ويقبلوا قسراً نشر القوانيـــن وبالتأكيد فإن عدم رضاهم كان عاملاً مثمراً ولكن الجموع كانت ، من الراجح ، مـــا تزال غير منتظمة وبدون قوة وأمية ، ومن المحتمل أن الضغط على الارســـتقراط قد أتى من المواطنين من الطبقة الوسطى الذين من خلال الـــثروة المنقولـــة الحـــق بالخدمة العسكرية كجند مشاة ، وهذا ما يؤكده قول ارسطو أن أغلب المشرعين قـــد أتوا من الطبقة الوسطى ، كما أن ازدياد موارد الثروة وتنوع مصادرها ومـــا نتـــج عن ذلك من تعقد سبل الحياة والمعاملات التجارية كانت من العوامل التى شـــجعت على تدوين القوانين . كما أن من العوامل التى ساعدت على تدوين القوانين هـــى أن المهاجرين كانوا يواجهون الكثير من المشاكل غير المسبوقة نظراً لاختلاف قوانيـــن المدن التى أتوا منها . وكان من الضرورى أن يتم صياغة قانون يكون مقبولاً مـــن الجميع .

ومن المرجح أن غالبية المدن قامت بتنظيم ، وتدوين ونشـــر القوانيـــن فـــى

خلال القرنين السابع والسادس (ق.م) ، وكانت القوانين تنقش بشكل دائم على الخشب والبرونز والواح من الصخر وعل جدران المعابد والمبانى العامة . وحيث إن هذه القوانين تعكس بدرجة كبيرة العرف المقدس للأسلاف عبر الزمن فإنه من الطبيعى أن نسمع عن القصص المثارة بأن الكثير من المشرعين قد ألهمت القوانين له بصورة مقدسة وهذا الشعور بالورع وأن القوانين كانت وحياً فقد يساعد هذا على تفسير أن اليونان كانوا يعارضون تغيير قوانينهم ويروى لنا ديموسثينيس Demosthenes وأخرون رواية معروفة عن مدينة لوكريس بأنه إذا ما رغب شخص فى إدخال قانون جديد أو عدل قانوناً قديماً ، كان عليه المثول أمام هيئة مع حبل المشنقة حول عنقه ، فإذا ما رفض اقتراحه فإنه كان يتم شنقه فى الحال ووفقاً لهذه الرواية لم يتم تغيير إلا قانون واحد فى غضون قرنين من الزمان . ولسوء الحظ فإن أغلب هذه القوانين قد ضاع ولم يبق منه إلا القليل وهو المدون منها فى المصادر الأدبية وهى عبارة عن الأحكام والعقوبات الصارمة لمختلف الاعتداءات ويقول الخطيب ديماديس Demades إن قوانين دراكون لم تكتب بالحبر ولكن بالدم. كما أن هذه القوانين عالجت قضايا المواريث وزواج البنت من الأقارب فى حالة عدم وجود وريث ذكر . وقوانين تخص معاملة العبيد والخدمة والإنفاق ، . .. الخ . ووفقاً للروايات العامة فإن راكيلوس هو أول الشرعين وخاروندلس Charondas من كاتانا بصقلية وقد قيل عنه أنه كان معاصر لراكيلوس ولكن نعرف أنه عاش بعده بجيل أو جيلين . وقد ادعت العديد من المدن فى إيطاليا نسب قونينها لواحد من المشرعين السابقين ولكن من المرجح أن قوانين لوكريس وكاتانا قد اقتبستها المدن الأخرى بدلاً من أن راكيلوس أو خاروندلس هما اللذان قد شرعا قوانين خاصة لها. ولدينا عدد من اسماء المشرعين فقط ولكن ما يوجد عندنا من معلومات عنهم هم بيتاكوس Pittacus من متيلينى فى جزيرة لبسوس ودراكون

وصولون من أثينا وليكورجوس من اسبرطة . لقد كان بيتاكوس ودراكون وصولون يشغلون مناصب تنفيذية فى حكومات مدنهم عن طريق الانتخاب عندما قاموا بسن تشريعاتهم .

وبعد أن عرضنا لسن القوانين ننتقل إلى ظاهرة من أهم ظواهر العصر العتيق ألا وهى ظاهرة حكم الطغاة الذين لعبوا دوراً فعالاً فى اضعاف سلطة وامتيازات الارستقراطية .

قيام حكم الطغاة

إذا كانت حركة الهجرة قد خففت التذمر السياسى ، والقلق الاجتماعى فى بلاد اليونان وأبقت لفترة طويلة على نظام الحكم الأرستقراطى ، فإنها قد أدت إلى نمو وتطور اقتصادى تبعه تغير فى التركيبة الاجتماعية فى أغلب المدن الدول ، كما أن اقرار النظام العسكرى الجديد فى المدن اليونانية قد ساعد هو الآخر على منح بعض الحقوق لبعض الفئات من المواطنين ، فقد قدم الحكم الأرستقراطى تنازلات منها إشراك الحرفيين ، والتجار فى الحكم نظراً لما حققوه من ثروة فاقت ثروة الأرستقراط بالمولد ، وقدم أيضاً الأرستقراط تنازلاً مهماً وذلك عندما سمحوا بتدوين القوانين ، ولكن بالرغم من هذه التنازلات فقد استمرت حالة عدم الرضا فى المجتمعات اليونانية وكان صراع بين الأرستقراط والطبقات الأخرى وبين الأرستقراط والأرستقراط وهذه الصراعات قد أضعفت الحكم الأرستقراطى لأن الفئات الأقل قوة قد انضمت إلى الطبقات الدنيا الأخرى التى حرمت من الكثير من الحقوق السياسية وليس عجباً أن بعض الأفراد الطموحين (عادة من الأرستقراط) قد عملوا على اقتناص الفرص للاستيلاء على السلطة بالقوة وأسماهم الاغريق بالحكام الاتوقراط (autocrats) الطغاة .

ولسوء الحظ تنقصنا المصادر الكافية لفهم نظام الطغاة الباكر وقد أطلق

البعض على تلك الفترة "عصر الطغاة " وهذه التسمية مقبولة بشكل جزئى لأن حكم الطغاة كان منتشراً فى العالم اليونانى ، فقد عرفته مدن كثيرة مثل كورينثة وسيكيون وميجارا وأثينا ومتيلينى وميليتيوس وأفسوس وساموس ، وناكسوس وفى بلاد اليونان الكبرى فى إيطاليا وصقلية فقد ظهروا فى ليونتينى واجريجنتوم وكوماى وسيبارس وفى المدن القوية والثرية مثل سيراكوز ... الخ . وفى الواقع فإن نظام الطغاة قد انتشر فى فترتين أولهما عصر الطغاة الكبار الباكر والذى استمر فى الفترة من منتصف القرن السابع إلى نهاية القرن السادس على الرغم من أنه استمر فى صقلية حتى عام ٤٦١ ق.م وثانيهما عصر الطغاة المتأخرين والذى يبدأ بظهور قوة ريونيسيوس الأول فى سيراكوز سنة ٤٠٥ واستمر حتى الغزو الرومانى للجزيرة فى القرن الثانى ق.م . وظاهرته الأولى أنه قد نشأ نتيجة لانكسار النظم الأرستقراطية بينما فى ظاهرته الثانية كان يمثل علامة على انهيار دولة المدينة .

لم تكن تسمية الطغيان Tyranny سيئة المعنى عند اليونان أول الأمر إذ لا يحمل معناها فى اللغة اليونانية أبداً أفكار الظلم والطغيان مثل لغاتنا الحديثة بل تعنى ببساطة لغوياً "حكم الرجل الواحد" ولكن ليس استناداً إلى حق الحكم الالهى والوراثة مثلما كان الحال فى الماضى استناداً لأحقية قانونية ، ولكن فقط استناداً إلى هيبتهم وقوتهم الشخصية ، كما اعتمدوا كذلك على وفاء الطبقات الشعبية الدنيا. وقوة عسكرية كبيرة مقاتلة لتدعيمهم . وكان أرخيلوخوس هو أول من ذكر مصطلح طغيان عندما تكلم عن الملك جيجيس الليدى بقوله "أننى لا أهتم بثراء وذهب جيجيس الكثير ، أنا لست غيوراً من أعمال الآلهة وليس لدى الرغبة للطغيان العظيم" إن الكلمة هنا توضح الحكم المطلق خاصة وأن جيجيس قد اعتلى العرش اغتصاباً . وحيث أن الكلمة دخيلة على اللغة اليونانية وكانت كلمة ليدية

والتى تعنى ملكاً وكذلك فهى تشير إلى أن اليونان ربطوها بالثراء الشرقى فإنه من الممكن أنها قد اقتبست من الليدين والذين كان لهم مع اليونان صلات وطيدة ، وفى بداية القرن السادس استخدم الشاعر الكايوس كلمة طاغية كى يصف بيتاكوس خصمه ولما كان بيتاكوس من الموظفين المنتخبين وليس طاغية بالمعنى الفنى المتأخر فإن الكايوس قد استخدم المصطلح كمصطلح سباب . وفى نفس القرن فإن صولون وثيوجنيس قد استخدما الكلمة ليصفوا أى شخص يملك سلطة مطلقة وأصبح مفهوم الكلمة بعد القضاء على طغيان أسرة بيزاستراتوس وبعد صد القوة الطاغوتية الفارسية التى كان قد تعاون معها أحد أبناء بيزاستراتوس . وهكذا فإن فكرة السلطة التى تتركز فى يد رجل واحد قد أصبحت مكروهة على نحو متزايد . وعلى الرغم من ذلك فإن مصادر القرن الخامس الأدبية وخاصة الشعرية عندما كانت تستخدم الكلمة Tyrant كبديل لكلمة ملك . وإن كانت تعنى فى بعض الأحيان "الشر" وقد وصف فلاسفة القرن الرابع نظام الطغيان بأنه شكل من الحكومة الشريرة والتى سيطر فيها رجل على السلطة بالقوة وحكم مطلق غير مسئول أمام أى سلطة وبدون الأخذ فى الاعتبار قوانين الدولة . ويصفون الطاغية بأنه ديماجوجى demagogue ، قائد الجموع ، وقد أمسك بالسلطة العليا وفى الواقع فإنهم قد تأثروا بالنسبة لهذا المفهوم بحكم الطغاة فى عصرهم فى صقلية . ويبدو من المؤكد أن من المفارقة التاريخية أن نتحدث عن الديماجوجى فى القرنين السابع والسادس لسبب بسيط أن الشعب demos لم يكن حتى الآن قد نظم على نحو كاف كى يقدم اتباع للزعيم الديماجوجى . وهكذا فقد اكتسب مصطلح طاغية مضامين معقدة .

وأمام ظاهرة الانتشار الواسع لحكم الطغاة على الرغم من أن الظروف تختلف من مكان إلى مكان فإنه من المعقول أن ننظر إلى بعض أسباب ظهوره

وهى :

١- يرى البعض أن السبب الرئيسى وراء انتشار حكم الطغاة كان معاداة الاحتكـــار السياسى والاقتصادى والاجتماعى والدينى للطبقة الأرستقراطية .

٢- يرى البعض الآخر أنه فى مدن البلوبونيز قد نجح عنصر السكان الأصليين فـى الوصول إلى سدة الحكم من خلال بعض الطغاة الذيـــن كـانوا كأبطـال لـــهم وقادوهم فى صدامهم وصراعهم مع الأرستقراطية الدورية .

٣- يرى البعض أيضاً أن ظهور Hopletes قد جعل من شـاركوا فيـه يطـالبون بالمشاركة فى شئون مدنهم وذلك من خلال رجال ناضلوا من أجل هذه الطبقـــة الحديثة الثراء فى الصراع من أجل كسر شوكة الأرســتقراط والقضـاء علـى امتيازاتهم وهؤلاء الرجال هم الطغاة .

٤- ويرى البعض الآخر أن الطاغية هو نبيل نهاز للفرص الـــذى يمسـك بزمـام السلطة نتيجة للصراعات بين الأسر الأرستقراطية .

٥- نظر المؤرخون الماركسيون إلى الطغاة على أنهم القادة الملهمين الذيـن قـادوا اتباعهم من العامة فى انتفاضة ناجحة ضد سادتهم الرأسماليين .

٦- ويرى البعض الآخر أنهم كانوا من النبلاء وأحياناً كانوا مـن العامـة والذيـن تولوا السلطة كقادة للجمهور وهذا هو الديماجوجى .

وبعد عرض هذه الآراء نقول أن طبيعة المصادر القديمة كانت وراء تعـــدد الآراء فيمكن لأى من أصحابها أن يجد فيها ما يعضد آرائه وتفسيراته . ولذا ينبغـى أن نتناول معلومات تلك المصادر بحيطة وأناة ، فعلى سبيل المثال ، نجد هـيردوت قد قدم وصفاً للعديد من الطغاة ، ولكن هذا الوصف لم يكن لطغاة معاصرين له بـل

كان قد مر على طرد بعضهم ثلاثة أجيال ، أو أكثر وبعضهم كان قد مر على طرده جيلين مثل أسرة بيزاستراتوس . وما وصل لهيردوت هو روايات مصطنعة إلى حد ما ومركزة حول حياة الطغاة كما نجد في كتابات كل من أفلاطون وأرسطو كثيراً من المناقشات حول الطغاة ولكن ينبغي استخدامها بحذر وحرص شديدين فكل منهما كان متأثراً في مفهومه حول الطغاة بطراز الطاغية الديماجوجي المعاصر لهما . . وعندما تكون طبيعة المصادر على هذا النحو فإنه من السهل أن نفهم لماذا تكون المادة المكتوبة والتفسيرات حول الطغاة المبكرين والتي قدمها الباحثون المحدثون قد تباينت بشكل كبير ولمعرفة أسباب الطغيان علينا أن ندرس بعض شخصيات الطغاة المعروفة جيداً إلى حد ما . وهذا قد يؤدي إلى معرفة البيئة التي عاشوا فيها والظروف التي أدت إلى إمساكهم بزمام السلطة . وبعدها نعرض لاسباب وصول وقيام حكم الطغاة .

اختلف الدارسون حول تاريخ نشأة نظام حكم الطغاة فالبعض يرى أنه قد بدأ في كل من كورينثة وسيكيون سنة ٦٥٠ وفي ميمارة سنة ٦٣٠ ، ويرى البعض الآخر أن هذا النظام د نشأ في كورينثة سنة ٦٢٠ وأنه قد نشأ واسمر في سيكيون في الفترة من ٦٥٥ – ٥٥٥ ق.م تقريباً . ولكن وثيقة بردية نشرت سنة ١٩١١ تقدم دليلاً وإن كان غير مقنع على أن تاريخ نشأة النظام وبقائه في سيكيون ينحصر في الفترة من ٦١٠ و ٥١٠ ق.م . وسنحاول أن نبدأ بالحديث عن نشأة النظام في كورينثة .

بعد قضاء العشيرية الباكخيادية Bacchiads على سلطة الأسرة الملكية . فقد حلت محلها في السلطة وبالامساك بزمام الأمور واعتمدت الطبقة الحاكمة على التقاليد والثروة التي يستخرجونها من الأرض . وإبان فترة حكمهم فقد أرسلت كورينثيين مستعمرين إلى كوركورا وسيراكوز سنة ٧٣٤ وهي الخطوة التي حلت

مشكلة نقص الأرض . وقد ازدهرت صناعتها وهذا ما كشف عنه الفخار الكورينثى الهندسى وقد عثر عليه فى المينا فى الشرق واترووريا فى الغرب . وكان الفخار الكورينثى هو المهيمن فى الغرب وينبغى أن تكون ثروات الحكام الباكخاويين قد زادت على نحو كبير سواء من التجارة ، أو الصناعة ، أو من الرسوم التى حصلوها على الواردات والصادرات ولكن من المرجح أن هناك فئات كورنثية أخرى اشتغلت بالتجارة والصناعة .

بدأت الأسرة الباكخاوية تلاقى بعض المتاعب والصعاب ابتداء من النصف الأول من القرن السابع . فقد استرجعت ميجارا بعض الأراضى التى كانت تستولى عليها كورينثة ، ومن الممكن أن الكورنثيين قد عانوا في صراعهم مع فيدون حاكم أرجوس ، وفى سنة ٦٦٠ خاضوا حربا بحرية مع كوركورا هذه المصاعب والنكبات التى لاقتها لعلها قد تكون قد أثرت بشكل كبير على تجارة كورينثة مع زيادة السكان وما نتج عنها من مشاكل . وفى ظل هذه الظروف كانت الأحوال مهيأة للقضاء على الأسرة الأوليخرخية الحاكمة . وكان ذلك على يد الطاغية كيبسيلوس "Cypselus" والذى أسس أسرة حكمت ما يزيد على سبعين عاماً وكان كيبسيلوس ابناً لامرأة تدعى لبدا من أسرة باكخيدية وكانت أمه عرجاء ونتيجة لهذا فقد رفض الزواج منها رجال عائلتها ، ولذا تزوجت من رجل يدعى أينيون Aetion اللابيثى Lipith الأصل يرجع أنه كان من السكان الأصليين قبل الغزو الدورى . ويقول هيردوت ونيقولاس الدمشقى أن النبوءة قد حذرت الأسرة الباكخاوية من أن وليد لبدا وأيتيون سوف يكون سبباً فى القضاء عليها . ومن ثم فقد حاولت الأسرة الحاكمة قتل الطفل ، ولكنهم قد سأموا من الأم التى نجحت فى إخفاء وليدها فى جرة ، أو صندوق kypsele وقد فر بعد صباه ووصل إلى طور الرجولة فى أوليمبيا وعندما عاد إلى كورينثة فقد أصبح البوليمارخ "الحاكم

العسكرى" ووفقاً لهذه الوظيفة كان على كيبسيلوس وطبقاً للقانون أن يسجن الناس الذين أدانتهم محكمة وكان يفرض الغرامات المناسبة ولكن بمعاملته اللطيفة للمذنبين فقد قرب نفسه للناس ، وأنه قد استغل الكراهية للأسرة الحاكمة ككل وقام بتنظيم مجموعة من الاتباع وتحتل الحاكم ثم عينه الشعب ملكاً . ويضيف هيردوت أنه قد عاقب الكثير من الكورنثيين وصادر ممتلكاتهم وبعد حكم استمر ثلاثين عاماً فقد مات موتة سعيدة وترك الحكم لابنه بيرياندر Periander ومن هذه العبارات نستخلص النقطتين التاليتين :

١- أن كيبسيلوس لم ينظر إليه كطاغية ولكن كخليفة للحاكم من الأسرة الباكخيادية ومن الممكن أن هدفه أن يعيد الملكية إلى الشكل الوراثى الذى كان عليه من قبل أن تصبح وظيفة سنوية ومحتكرة من العشيرة الباكخيادية .

٢- أن كيبسيلوس قد تملق الشعب فكان يرمى أن يستولى على الحكم . وبعد استيلائه على السلطة فقد صادر أملاك الكثير من الكورنثيين والمقصود هنا أفراد الأسرة الحاكمة السابقة .

خلفه ابنه بيرياندر من بعده وقام ببرنامج انشائى كبير فى كورينثة ، كما قام بدور الوسيط أو المحكم فى النزاع بين ميتيلينى وأثينا فيما يتعلق بسيجيوم .

ونجد أن حاكم هذه الأسرة قد أصدروا عدداً من القوانين التى تمنع شراء العبيد والتى تحد من الانفاق والاسراف . وكان الهدف منها بالنسبة للأسرة هو منع التفاخر بين الأثرياء وهو مشابه لما صدر على يد مشرعين آخرين ، كما أن منع بيرياندر لاقتناء العبيد لم يكن اجراءاً موجهاً ضد الأغنياء ففى الحقيقة أنه ووالده من قبله قد أرسلوا مهاجرين إلى مختلف المستوطنات . وهذا دليل على زيادة السكان وعدم وجود فرص عمل فى كورينثة فى ذلك الوقت ولذا فإن محاولة الحد

من قوة عمل العبيد كان الهدف منها ، من المرجح ، أن يجعل العمل متاحاً للعـــامل الحر .

خلف بيرياندر فى الحكم ابن أخيه أو أخته الذى اغتيل بعد سنوات قليلة علــى يد الكورنثيين وقام الشعب بهدم بيوت الطغاة وحفر قبورهم وحطم عظامـــهم وأقــام دستوراً جديد على حد قول نيقولاس الدمشقى . ولكن مما نعرفه عن كورينثة فيمـــا بعد يمكن القول أن حكومة أوليجرخية ذات قاعدة الأسر الباكخيادية السابقة ، حلــت محل أسرة كيبسيلوس ، ولهذا فإنه يجب أن يفهم أن الشعب demos الــذى ســاعد أسرة كيبسيلوس والشعب demos الذى تولى القضاء على حكم هذه الأسرة فى كــلا الحالتين ينبغى أن يكون المقصود به الطبقة العليا فى المجتمع ومـــن بينـــها طبقــة hoplites أى أن طبيعة الحكم هنا هو الحكم التيموقراطى . الـــذى خلــط النبــلاء الكريمى المحتد بالأثرياء من الطبقة الوسطى .

وقد قام حكم الطغاة فى مدينة سيكيون واستمر بها قرناً من الزمـــان ، فقــد قامت أسرة أورثاجوراس Orthagoras بالاستيلاء على الحكم كما سبق أن ذكرنـــا فى حوالى ٦٥٠ أو فى ٦١٠ . ووفقاً لوثيقة بردية والتى من المرجح أن كاتبها قــد نسخها من أفوروس ، فإن مؤســس الأســرة أورثــاجوراس كــان ولــده جــزاراً megerias ويدعى اندرياس Anderias . ولكن يخبرنا بارسيناس أن أخاه مــيرون Myron كان بطلاً فى سباق العربات فى الألعاب الأوليمبية سنة ٨٤٦ . وهذا يعنــى أنه من أسرة ثرية وأن وصف والده بجزار افتراء متعمد مـــن قبــل الأرســتقراط خصوم حكم الطغاة . كما أن البردية تشير إلى شجاعة أورثـــاجوراس العســكرية ويسببها فد أصبح بوليمارخ . ولسوء الحظ فإن البردية تنتـــهى بكلمـــة demos . ويبدو أن تكملة الجملة هى أن الشعب مكن أورثاجوراس من أن يصبـــح طاغيـــة . وليس لدينا معلومات عن شغله للمنصب .

.خلفه فى الحكم كليسثينيس حفيد ابن أخيه وكان واحداً من القادة المرموقين فى الربع الأول من القرن السادس وأنه تولى الحكم لمدة ٣١ عاما . ولكن نظراً لقلة المعلومات عنه فى المصادر فإننا لا يمكننا أن نصف أنشطته بتسلسل ولكن من أهم أدواره هو دخول الحرب المقدسة الأولى.بشأن دلفى سنة ٥٩٠ ق.م والتى تورط بها الكثير من المدن اليونانية منها سيكيون وأثينا وتساليا . والتى كان من نتائجها تدمير كيرها Cerrha وابادة سكانها . ووفقاً للمصادر فإن السبب فى الحرب أن أهل كيرها كانوا يتدخلون فى وظائف معبد دلفى ووحى الاله أبوللو ، ونعرف أن دلفى كانت قد عارضت سياسة كليسثينيس الدينية . وأن كليسثينيس قد حاصر ميناءها بأسطوله ، وحيث أن كيرها كانت مشهورة باهتماماتها البحرية ، ولذا فإن تدخله قد يكون وراءه أسباب تجارية وليست دينية . كما نعرف من هيردوت أن كليسثينيس قد شارك سباق العربات فى الألعاب الأوليمبية وكسبه سنة ٥٧٦ وأنه أعلن جموع الحاضرين أن أى اغريقى يعتبر نفسه يستحق أن يكون زوجاً لابنته اجاريستى Agriste عليه الحضور إلى سيكيون فى خلال ستين يوماً ووصل ثلاثة عشر خاطباً ، اثنان منهم من أثينا والباقى من احدى عشرة مدينة ، وقدم كليسثينيس كل صنوف البهجة لهؤلاء الخطاب لمدة عام كان يلاحظ خلالها شجاعتهم وأدائهم فى الألعاب البدنية وعلاقاتهم الاجتماعية . وقد أعجبه تصرف وأداء رجلى أثينا . ولكن فى اليوم الذى سيتم فيه اختيار العريس لابنته ، خسر أحدهما الفرصة لتصرفاته غير المسئولة ووقع الاختيار على ميجاكليس Megacles بن الكمايون الذى قاد القوات الأثينية فى الحرب المقدسة ضد كيرها . وبقية الخطاب قد استبعدوا مع شكرهم على تكرمهم بالحضور إلى بلاط كليسثينيس ومنح كل منهم تالنتا من الفضة كهدية .

ونفهم من هذه القصة أن شباباً من اثنتى عشرة مدينة من النبلاء قد قبلوا

ضيافة الطاغية وتطلعوا إلى الزواج من ابنته أو اقامة أسرية معه والخطيبان الأثينيان قد انحدرا من أسرتين أرستقراطيتين كبيرتين ، ويقول هيردوت أن تميز وشهرة أسرة الكمايون قد زاد فى بلاد اليونان من خلال زواج ميجاكليس من ابنة طاغية سيكيون . كما كان من بين الخطاب ليوكيديس Leocedes بن فيدون طاغية أرجوس ومع ذلك لم يقع الاختيار عليه . ونستخلص مما سبق أن الطغاة لم يقفوا بالمرصاد للأرستقراط ومحاولة القضاء عليهم وإنما سنجد أنهم قد تصاهروا معاً . ولماذا لم يزوج كليسثينيس ابنته إلى ليوكيديس بن فيدون الطاغية فهل هذا راجع للعداء بين سيكيون وأرجوس ؟ أم أن الاختيار كان قد تم وفقاً للمعايير التى وضعها كليسثينيس ؟ يبدو أنه شبه مؤكد أن الاختيار قد تم وفقاً للمعايير التى وضعها كليسثينيس . ولم يكن للعداء بينه وبين طغاة أرجوس هو المانع . وقد كان هذا العداء رجع إلى موقف كليسثينيس من إزالة عبادة البطل الاسطورى ادراتوس الدورى من سيكيون . وكان قد طلب ذلك من وحى دلفى ولكن طلبه قوبل بالرفض، وأمام هذا فقد أقام عبادة لميلانبيوس Melanippus العدو الأسطورى لادراتوس ونقل إليه كل مظاهر التكريم والأضاحى التى كانت تخص الأخير .

كما نجد أن كليسثينيس كان قد غير أسماء القبائل الدورية الثلاث هيليس وباجفيلى وديمانيس إلى بيجمن Pigmen وأسمن Assmen ، واسونيمن sainemen بينما سمى قبيلته ارخيلاى . ونعرف من هذا أنه كان يوجد فى سيكيون قبيلة رابعة من السكان الأصليين وسواء وجدت قبل كليسثينيس أو على يديه بالاضافة للقبائل الثلاث الدورية . وقد يثير هذا التساؤل حول هل تولى بعض الطغاة فى البلوبونيز بفضل تأييد غير الدوريين ؟ فى حالة أسرة أورثابورس السيكية فإن هذا لا ينطبق على اورثاجوراس ولكن وفقاً لهيردوت فإن كليسثينيس كان قد طلب العون من السكان غير الدوريين . وأن هذا يشير إلى وجود عناصر

محرومة من الامتيازات بين السكان الأحرار وكان لها دور مؤيد لطغاة القرنين السابع والسادس .

وقد انتهى حكم الطغاة فى سيكيون بطرد اسخينيس من سيكيون على يد الاسبرطيين والغاء تسميات كليسثينيس للقبائل والعودة إلى التسميات الأصلية ، كما تم تغيير تسمية القبيلة الرابعة من ارخيلاوى Archilai إلى ايجالياى Aigialai .

وقد عرفت أرجوس هى الأخرى نظام الطغاة ومعلوماتنا عنه شحيحة . ومن أشهر طغاتها فيدون الذى كان حاكماً قوياً ونجح فى أن يقود أهل أرجوس فى حربهم الناجحة ضد أسبرطة فى معركة هيسياى سنة ٦٦٩ وكان سبب نجاحه هو استخدام نظام الفيالق فى الجيش . كما ينسب إليه اختراع الموازين .

قام حكم الطغاة على يد Theagenes فى حوالى سنة ٦٢٠ ق.م وقد دامت فترة حكمه ثلاثين عاماً . وقد سجل أرسطو تفسيراً حول كيفية توليه السلطة . فقد ناقش كيف كان الديماجوجى عديم الضمير يقدر على الاطاحة بالديمقراطية ، وأن الديماجوجى الذى لديه قدرات عسكرية أو أنه يتولى سلطة عسكرية فإنه دائماً ما يصبح طاغية بإقناعه الشعب أن يكره الأرستقراط . وقد قدم لنا ثياجينيس كمثال على ذلك إذ إنه ذبح الناس الأغنياء الذين يرعون بجوار النهر .

لقد نجح ثياجينيس فى الوصول إلى السلطة من خلال تملقه للفقراء وتنديده بالأغنياء ، ثم قاد جماهير الغوغاء الجياع إلى مراعى الأغنياء أصحاب الانعام ، وأفلح على عمل العامة أن يؤلفوا له حرساً خاصاً ، ونجح من خلال الأتباع فى اسقاط الحكومة الارستقراطية القائمة . لقد حرر الزراع وأذل الاغنياء وذلك من خلال ذبح الخراف والقطعان ويرى البعض أنه كان يريد احتكار صناعة الصوف، ولكن ذبحه لقطعان الاغنام كان يحرمه من مصدر هام للصوف . ويرى البعض

الآخر أنه قصد من ذبحه للخراف أنه اراد القضاء على القطعان التى كانت تدمـــر المحاصيل فى أرض الزراع وبهذا فإنه من الممكن قد أصبح بطلاً وقدم لهم الكثـير من اللحوم .

كان ثياجينيس من الاشراف فقد زوج ابنته من شريف اثينى هو كيلون الـذى حاول اقامة نظام حكم طغيان فى أثينا ولكنه فشل . إن حركة الطغيان فى الواقع لـم تكن حركة للقضاء على الاشراف وإنما تعكس الصراعات والمنازعـــات بينـــهم . وهذا ما كشف عنه الشاعر الميجارى الارستقراطى ثيوجينيس . فقد اشار إلـــى أن ميجارا كانت مسرحاً لاضطرابات اجتماعية فى القـــرن الســادس وأنـــه قـد تـم الاعتراف بالثروات المنقولة ، ونتيجة هذا فقد حدث تزاوج بين الاشـراف بـالمولد وطبقة الاشراف الجديدة وكان الدافع وراء هذا الزواج هو البحث عن الثراء فقـط . كما يكشف عن ضيقه وضجره واستنكاره حول تطور الاوضاع الجديدة من تـزاوج بين الاشراف وغير الاشراف ويبين أن المدينة ما تزال مدينة ولكن اناسها رجـــال آخرون والذين لم يكونوا يعرفون فى السابق الاحكام والقوانين . وهذا يعنى تحسـن أحوال الزراع والفقراء .

ولكن الاغنياء انزلوه عن عرش المدينة عام ٦٠٠ . ولكن قامت ثورة شـعبية صادرت املاك الاغنياء والغت الديون واصدرت قراراً يحتم على اصحاب الأمـوال أن يردوا إلى المدينين ما استولوا عليه من فوائد .

عرفت المدن اليونانية ، على ساحل أسيا الصغرى والجزر المجاورة ، حكـم الطغاة عند نهاية القرن السابع وفى القرن السادس . فقد بـــدأ فـــى ميتيلينـــى فـــى لسبوس. فعندما طردت الاسرة المالكة من ميتيلينى ، من المرجـــح فـــى منتصـف القرن الثامن ، فإن السلطة قد آلت إلى عشيرة بنثيلـــوس الملكيـــة وقـــد زاد فســاد

العشيرة الملكية الاوليجرخية على نطاق واسع وأنها كانت قاسية ويذكر أرسطو كيف أنهم كانوا يضربون الناس . ولذا قد تم التخلص منها على يد الاشراف وسيطر الحكم الارستقراطى على السلطة ولكن لم تمض سنوات كثيرة حتى كانت المدينة تحت حكم الطغاة ولعل السبب ذلك الصراع بين اعضاء الاسر الارستقراطية الحاكمة . فقد تولى حكمها الطاغية ميلانخروس Melanchrus ، واجبر على التخلص من السلطة على يد مجموعة من الرجال وكان من بينهم اخوه الشاعر الكايوس وبيتاكوس Pittacus وهو الرجل الذى قضى على متاعب ميتيلينى الداخلية ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى استولى طاغية أخر هو ميرسيلوس Myrsilus وقد اقسم كل من بيتاكوس والكايوس ونبلاء أخرون على عزله ولكن لاسباب غير معروفة فقد غير يتاكوس موقفه وانضم إلى ميرسيلوس وبهذا فقد نال كراهية وازدراء الكايوس ، وبعد فترة من الزمن مات ميرسيلوس وقد فرح الكايوس بموته إذ يقول "ينبغى على الرجل أن يسكر الآن ويشرب بشراهة حيث أن ميرسيلوس قد مات" بيد أن فرحته كانت لمدة قصيرة واجبر هو واخوته على ترك ليسبوس ، ولكنهم حاولوا العودة بالقوة بدعم من ملك ليديا ، وكان هذا يمثل خطراً على المدينة لدرجة أن الارستقراط قد انتخبوا بيتاكوس لمواجهة تلك الأحوال والقضاء عليها . وقد وصف الكايوس بيتاكوس بأنه طاغية وبالغ فى ابراز مفاسده وأن أصله وضيع ، ولكن هذا قول موتور لأن بيتاكوس كان من النبلاء وذلك لأنه كان قد تضامن مع الكايوس واخوته ونبلاء اخرون على طرد الطاغية ولو كان من العامة ما قبلوه معهم ، كما أن بيتاكوس كان متزوجاً من امرأة من عشيرة بينثيلوس الملكية ، ويقول ارسطو أنه قد تم انتخاب بيتاكوس ليشغل وظيفة aisymnetes وكانت هذه الوظيفة سنوية فى بعض المدن اليونانية الشرقية ، ولكن يبدو أن شاغلها كان له سلطات واسعة . ولكنه تخلى عن الوظيفة بعد عشر سنوات

(٥٩٠ - ٥٨٠) من شغله لها بمحض اختياره ومع ذلك ، فإن وصفه كرجل دولة قد جعله يكتسب مكانة كواحد من الحكماء السبعة ، ومعلوماتنا عن انشطته قليلة ، ومنها أنه وضع دستوراً جديداً وشرع القوانين ومنها الحد من نفقات الجنازات . ويظهر لنا شعر الكايوس أن المدينة بعد طرد الحكم الاوليجرخى قد وجد فى المدينة مجلس للشورى وجمعية . وبالتأكيد فإن بيتاكوس قد استعمل هذين المجلسين . ومن المرجح أنه كان قد فتح عضويتهما إلى فئات جديدة .

وفى نهاية القرن السابع اصبحت ميليتوس تحت حكم الطغاة فقد قام ثراسيبولوس Thresybulus بالاستيلاء على السلطة وكان قبلها يشغل وظيفة عامة فى الدولة وقد استغلها على حد قول أرسطو واستولى على السلطة .

وفى الواقع فإنه بجانب الظروف الداخلية التى قد ساعدت بعض الرجال على تولى حكم الطغاة قد وجدت ظروف خارجية ساعدت على قيام مثل هذا الحكم فكانت حاجة المدن لحكومات قوية تمكنها من رد الاعتداءات الليدية سبباً فى أن العديد من الرجال قد منحوا سلطات عسكرية واسعة . ولهذا فإن الاتجاه نحو حكم الطغيان كان أمراً سهلاً . وبالتأكيد فإن ثراسيبولوس كان قد بذل جهداً كبيراً فى الدفاع عن ميليتوس ضد الليديين وبالمثل فإن محاولة المنفيين العودة من منفاهم بالقوة وبتعضيد من ليديا كانت وراء تعين بيتاكوس فى وظيفة واسعة الاختصاصات من قبل أهل مدينته .

وقد حكم فى افسوس عدد من الطغاة ، ومن الراجح ، أنهم كانوا من الارستقراطية المعادية للحكم الاوليجرخى من قبل العشيرة البازيليدية Baslidae . ولا نعرف إلا القليل عن حكم طغاة افسوس فيما عدا أنهم قد حلوا المشكلة مع ليديا خلال الزواج من العائلة المالكة بليديا . وكان نتيجة ذلك أن افسوس قد اصبحت

تحت النفوذ الليدى أكثر من غيرها من المدن اليونانية الشرقية ويبدو أن الطغاة قــد قاموا باجراء تغييرات فى البناء القبلى بالمدينة . ففى القرون الأولى مــن نشــأتها كان السكان ينقسمون إلى اربعة قبائل هــى : ارجــاديس Argagis وجيليونتيــس Geleontes وهوبليتيس Hopletes وايجيكوريس Aigikoreis وقد اضيــف اليــها قبيلتان بمرور الزمن وهما بوريس Boreis واونوبيس . ومن المرجح انــهما قــد ضمتا العناصر غير الايونية التى اتت إلى افسوس بعد الهجرة الاصلية .

وفى فترة متأخرة ربما تحت حكم الطغاة فى القرن السادس فإن تعديلاً فــى التنظيم القبلى قد تم فبدلاً من أن المواطنين كانوا مقسمين بين ستة قبائل قد اصبحــوا مقسمين إلى خمسة قبائل . وكان الغرض من هذا التقسيم ، على ما يرجــح ، هــو مكافأة السكان المحلين والاغريق الذين لم يتم قبولهم فى مواطنــة مدينــة افســوس لتعضيدهم لحكم الطغاة وذلك بمنحهم حق المواطنة الكاملة الاهلية .

وقد عرفت جزيرة ساموس نظام حكم الطغاة ، وكانت قد شاركت فى حركــة الاستعمار مثل بقية المدن اليونانية وكما سبق أن ذكرت أن الفصــل بعــود لاحــد تجارها بوصوله إلى تارتسوس ونتيجة لتجارة المعادن المربحة معها ، وقد شــارك أهل ساموس فى تأسيس نقراطيس بمصر واسسوا سلسلة من المستوطنات الأخــرى فى البسفور . ومن المرجح أن حركة الاستعمار بالنسبة لجزيرة ساموس قد اعقبــها وصاحبها رواج تجارى وصناعى مما ترتب عليه زيادة الثروة المنقولة فــى أيــدى فئات جديدة وهذا بدوره قد أدى إلى خلق مشاكل اجتماعية وسياسية فــى ســاموس مثل بقية المدن اليونانية الأخرى . وأول دليل على تلك الاضطرابــات قــد ذكــره بلوتارخ . فنقرأ عنده أن ملاك الارض كانوا يسيطرون على الحكومــة بعــد قتــل ديموتيليس Demoteles والقضاء على اسرته . وحيث إننا لا نعرف عنــه شــيئاً ، فإن من المرجح أنه قد نجح فى اقامة نوع من حكم الطغاة ، ويقول ايضــاً عندمــا

ارسل الميجاريون حملة ضد مستوطنة برنثوس Prenthus ؛ فإن أرستقراط ساموس قد ارسلوا تسعة قواد لتقديم العون لمستعمريهم . وبعد تحقيق اهدافهم فقد عاد هؤلاء القادة العسكريون إلى ساموس . وبمساعدة الاسرى الميجاريون الذين جلبوهم معهم فقد نجحوا فى قتل اغلب ملاك الارض الذين كانوا مجتمعين فى قاعة المجلس . ولكن ليس من الواضح ما هو نوع الحكم الذى جاء بعد الحكم الاوليجرخى . ولكن هذه الاخبار الغامضة تكشف عن أن ساموس قد عانت من اضطرابات اجتماعية وسياسية فى هذه الفترة . وقد تولى بولوكراتيس كطاغية سنة ٥٣٢ – ٥٣١ ق.م بتعضيد من ١٥ جندى مشاة ويقول هيرودوت أنه بعد استيلائه على السلطة فقد شاركه فيها أخزاه ولكن بعد قتل واحد منهما ونفى الآخر وتشير الروايات إلى قوته البحرية ونجاحه الدائم . وأنه أول إغريقى ، إن لم يحسب الملك مينوس ، جطط ليصبح سيداً على البحر . وبدون شك فقد زاد من قطع اسطوله . لقد قام بدور زعيم المقاومة ضد الفرس . كما نجده قد تحالف مع أمازيس فرعون مصر . ولعل هذا الحلف كان موجهاً للفرس . كما نجده قد شجع الأدباء والفنانين ، فقد كان بلاطه الرائع المحاط برجال مثل الشاعر ابيكوس Ibycus من ريجيوم واناكريون Anacreon من تيوس . وكان مسئولاً عن تنفيذ برنامج انشائى ضخم ومن أهم هذه المنشآت بناء ميناء ضخم لتأمين السفن التجارية والحربية وبناء معبداً ضخماً للإلهة هيرا . كما أنه قد شق قناة طولها حوالى نصف ميل لنقل المياه إلى مدينة ساموس . وكانت القناة تنقل المياه من نبع فى جبل امبيلوس Ampelos .

وعلى الرغم من الروايات الكثيرة حول بولوكراتيس ، فإن الكتاب القدامى لم يناقشوا الأسباب الرئيسية لتوليه الحكم . فقد كان بولوكراتيس ارستقراطى المنبت ، فلم نسمع حول اصله نميمة مثلما كان الحال بالنسبة إلى كيبسيلوس واورثاجوراس . ونفهم من المصادر أنه قد عامل الأرستقراط بقسوة ، ولكن ظلوا

اقوياء لدرجة أنهم قد عادوا للسلطة ولكن بشكل مؤقت . ولا يوجد سبب للاعتقاد أنه كان زعيماً شعبياً على الرغم من أن مشروعات قد خلقت الفرص الكثيرة من العمل للحرفيين والعمال . ولعل استمراره فى السلطة وتوليه لها كان بسبب الخطر الفارسى الماثل على الابواب وكان الفرس لا يحبذون فكرة دولة يونانية قوية مجاورة لاراضى آسيا الصغرى . فدبروا أمر اغتياله وبعدها ضمت ساموس للحكم الفارسى .

كما نجد أن حكم الطغاة قد عرف عن طريق مدن كثيرة نتيجة للصراع الاجتماعى مثل كولوفون واريثيراى Erythrae وخيوس ، وليندوس فى رودوس ، وناكسوس . وفى الروايات المتأخرة كان كليوبولوس Cleobulus ، طاغية ليندوس من الحكماء السبعة وكان ليجداميس Lygdemis ، طاغية ناكسوس ، معروفاً بصداقته ككل من الطاغية بيزاستراتوس الاثينى وبولوكراتيس الساموسى . كما وجد نظام الطغاة فى كل من خالكيس وارتريا لفترة قصيرة من القرن السادس .

وتختلف الظروف التى نشأ فيها نظام الطغاة فى المستعمرات اليونانية فى الغرب ــ صقلية وإيطاليا ــ حيث إن الروابط والعلاقات الاسرية لم تكن هامة مثلما هى فى بلاد اليونان الام . وكان على المستعمرين أن يواجهوا ويتعاملوا مع السكان المحليين أيضاً فى ظل تنافسهم مع الاتروسكيين والقرطاجيين ؛ ولذا كان ينبغى عليهم أن يكونوا فى حالة استنفار عسكرى دائم والذى كان فرصة رائعة للقادة الطموحين ليمسكوا بزمام السلطة وحدهم ولدينا العديد من اسماء الطغاة الذين حكموا فى العصر العتيق وكان من اشهرهم فالاريس Phalares الذى حكم اكراجاس فى الربع الثانى من القرن السادس . فقد قاتل ضد السيكيين وحاول أن يمد نفوذه للمستوطنات اليونانية المجاورة .

ونكتفى هنا بالحديث عن الطغاة ولكن سنعود للحديث عنهم فى اثينـــا وعنــد تناول الحروب الفارسية . وبعد أن عرضنا لعدد مـــن الطغـــاة وظـــروف توليـــهم السلطة وما قدموه لمجتمعاتهم نحاول الآن تذكر الاسباب الحقيقية وراء قيـــام هـــذا النظام . يمكننا القول أن الطغاة قد وجدوا فى عصر اضطرابات وتغيرات سياســـية واقتصادية واجتماعية ، وحيث أن نظام الطغاة قد وجدوا فى مدن كـــانت تجارتـــها وصناعتها فى نمو مضطرد مثل كورينثة وميليتـــوس وســـاموس وميجـــارا فمـــن المعقول أن نستنتج أن الطغاة قد لقوا تعضيداً وتأيداً من التجار والصنـــاع والذيـــن كانت لديهم ثروات منقولة بدلاً من الارض التى كانت معيـــاراً للـــثروة والمدخـــل للسلطة والامتيازات ، كما أنهم كجند مشاة ثقيلى العدة كانوا مستاءين من الســـيطرة الكاملة على شئون الدولة من قبل الأرستقراط ملاك الاراضى ، ولم يكـــن الطغـــاة انفسهم من طبقة العمال والحرفيين ولا ينبغى أن نفكر فى اعتبارهم زعماء لثـــورة عمالية فعلى العكس لقد كانوا عادةً من النبلاء الطموحين والذين كانوا فى صـــــراع مع نبلاء أخرين ، وعلى الرغم من أن بعضهم كان ينتمى إلى الطبقة الاجتماعيـــة المتدنية ، وفى نفس الوقت لا ينبغى أن نقول أنه لم تدعمهم الجمـــوع ، لقـــد كـــان وصولهم للسلطة إن لم يكن دائماً ، بدعم من المؤيدين العســـكريين ومـــن الراجـــح كقواد عسكريين لجند المشاة ،. ونجد أن البعض منهم قد استمر فى الســـلطة التـــى كان قد تم انتخابهم لها ولكنهم لم يتقاعدوا بمجرد انتهاء المـــدة . ولعـــل الظـــروف الداخلية والخارجية هى التى ساعدتهم على الاستمرار فى تولى السلطة ومـــا ينتـــج عنها من البطش بالخصوم بالنفى والتشريد حيناً وبالنفى ومصادرة الممتلكات حينـــاً آخر . ويمكن أن نقدم بعض الملاحظات حول طبيعة الفترة التى حكموا فيها وهى:

١ – إذا كان الطغاة قد عاملوا نفراً من الأرستقراط بقسوة وشـــدة بـــالقتل والنفـــى والمصادرة فإن العلاقة كانت بين الأرستقراط والطغاة طيبة . وإذا كان الطغـــاة

قد صادروا الاملاك فإنهم قد وزعوها على اتباعهم ولصغار الملاك .

٢ - من الواضح أن الطغاة لم يُدخلوا تعديلات جوهرية على ادارة الحكم التشريعية فى المدن المختلفة . إن التغير الأساسى يقع فى وضعهم الوظيفى هم انفسهم والبعض منهم قد استمر بشكل غير دستورى فى الوظيفة التى كان يشغلها ومن بين هؤلاء كيبسيلوس وأروثاجوراس . ومع ذلك فإن قوتهم كانت تعتمد على شخصيتهم الناجحة فى قيادة الطبقة المتذمرة من الأرستقراط والطبقتين الوسطى والدنيا . إن التغير الأساسى الذى ادخلوه فى الادارة التنفيذية هى أنهم رشحوا اتباعهم واعوانهم لشغل الوظائف الهامة واصبحوا اعضاء فى المجلس .

٣ - اتسمت فترة حكم الطغاة فى مرحلتها الباكرة بالنشاط وحل ومواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية . فقد كان الطغاة بناءين عظام ، ففى مختلف المدن شُيدت المعابد وتطورت الموانئ وعُبدت الطرق . . .

٤ - اهتم الطغاة بالحياة الثقافية والحضارية ، فقد أقاموا أو أعادوا تنظيم الاحتفالات للآلهة المختلفة . وشجعوا اشهر الفنانين والمعماريين والأدباء .

٥ - لقد كانت انجازاتهم قوة رائعة لنمو وتطور المدن ونظمها . فقد اهتموا بشئونها الداخلية والخارجية .

٦ - لقد مثل الطغاة مرحلة حتمية بالنسبة لتطور نظم الحياة فى المدن المختلفة . فقد كان وجودهم ضرورة لحل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ولكن كلما ازدادوا نجاحاً كلما قلت الحاجة اليهم . فقد كان نظام الطغيان يمثل مرحلة انتقالية وعندما يحاول أن يكون دائماً كان يسقط فبعد انجاز الواجبات الانتقالية ، فقد كان يتم اسقاطه وذلك من خلال الأرستقراط المنفيين احياناً ومن

خلال الطبقة الوسطى المؤيدة له ، والذين ليس لديهم الرغبة فى السماح لظاهرة انتقالية أن تصبح دائمة . كما أن اسبرطة لعبت دوراً فى اسقاط نظم الطغاة فى بلاد اليونان .

٧ - يلاحظ أن الجيل الأول كان أكثر نجاحاً وتوفيقاً وذلك للظروف التى تولوا فيها السلطة يعود ايضاً إلى طبيعة اشخاصهم ؛ ولذا كانت قسوته أقل من الجيل الثانى فى الصرامة وكان عليه عادة أن يحافظ على وضعه ووظيفته من خلال حراس شخصيته .

٨ - لقد وسع الطغاة قاعدة الحكم فى كثير من المدن وذلك بضم الطبقة الوسطى فى بعض الاحيان وبضم العناصر السكانية الاصلية فى احيان أخرى .

شهد العصر العتيق ابتكاراً عظيماً ، وهو اختراع العملة . وقد واكب ظهور العملة "عصر الطغاة" وكان ظهورها مواكباً لتراكم الثروات المنقولة . كانت المقايضة هى وسيلة التبادل فى العصر العتيق وهذا اكدته اللقى الأثرية فى المقابر وما قدمته لنا الاشعار الهومرية من معلومات فقد كانت مخازن الابطال مكتظة بالآنية الفخارية والمعدنية الجميلة ومختلف المواد المصنعة من الذهب ، مثل الكؤوس والاطباق ، والمصنوعات أو المشغولات الذهبية والملابس الجميلة وسبائك الذهب والفضة والبرونز والحديد وكلما زادت ثروة الشخص المنقولة زادت واجهته . وحيث إن التجارة اعتمدت على المقايضة فإن هذه المواد يمكن تبادلها بمواد أخرى وأحياناً كان يتم استخدام سبائك الذهب والفضة والنحاس والحديد وفى هذه الحالة فإن الحاجة لمعرفة الوزن والنقاء إن أمكن وفى بعض مناطق البلوبونيز فإن عملة حديدية من فئة الأوبل والست أوبلات كانت مقبولة . ووفقاً لبعض الروايات فقد قدم فيدون لمعبد الربة هيرا بعض هذه العملات. ويرى

البعض أن هو الذى ابتكر الاوزان والعملة المقروبة من الفضة ، ولكن من المؤكد أن فيدون لم يخترع العملة . فهناك اتفاق بين عدد كبير من الباحثين من علماء العملة أن أول اصداراتها قد سُك فى اسيا الصغرى .

كما يوجد الآن شك حول رواية كل من اكسينيفون وهيرودوت حول روايتهما بأن أول سك للعملة الذهبية والفضية كان بمملكة ليديا لأن لدينا عملات تم العثور عليها فى افسوس والتى تؤرخ بالثلث الأخير من القرن السابع . والمدن الأيونية لا تقدم دليلاً مشابهاً ولكن يمكن أن نرجح أنها قد عرفت العملة فى نفس فترة معرفة افسوس لها . ثم انتقل سك العملة إلى ايجينيا سنة ٥٩٠ وفى كورينثة ظهرت أول عملة لها سنة ٥٧٥ بينما أول عملة اثينية تعود إلى سنة ٥٦٠ . وكان نتيجة ادخال والاعتراف بالعملات تغيرات اقتصادية واجتماعية هامة . وأصبح الاقتصاد النقدى هاماً ، ومع ذلك فإن الاقتصاد الطبيعى - المقايضة - لم ينته فى كثير من مناطق بلاد اليونان .

وقد رأى البعض أن الغرض من اختراع العملة كان الرغبة فى تسهيل التجارة المحلية ولكن رأى العلماء حديثاً فى ضوء فئة أو نوعية العملة يدحض هذا الرأى . إن غياب الفئات الصغيرة من العملة بالمدن الكثيرة يؤكد أن اختراع العملة لم يكن بهدف تسهيل التجارة المحلية ، وعلاوة على ذلك فإن فئات العملة الكبيرة لا يبدو أنها قد شاع استخدامها على نطاق واسع خارج مناطق اصدارها مثل العملة الصغيرة . إن فئات العملة الصغيرة كانت لا تخدم تسهيل الأعمال اليومية ، فأجرة العامل فى اثينا فى القرن الخامس هى دراخمة واحدة فى اليوم ، بينما كانت فئات العملة هى فئة الدراخمتين أو الأربعة دراخمات . وهذه العملات تكون عديمة الفائدة للتجارة الداخلية وللأنشطة الأخرى . ولكن الرأى الأقرب إلى الواقع أن هناك حاجة إليها لدفع رواتب المرتزقة كما كانت تصدر كميات كبيرة إلى مصر

وقد نُظر إليها كمعدن لا كعملة كما استخدم سك العملة لاظهار الاستقلال السياســـى فكانت تحمل شعار المدينة ، كما أن سك العملة كان يخدم الغرض العام بالدولة مــن رسوم وضرائب وانفاق على المشروعات العامة ولكن كان ذلك فى نهايـــة القــرن الخامس .

اسـبرطـة

إن دارس تاريخ اليونان يواجه معضلة نقص المصادر بالنسبة للفترة الباكرة من تاريخ اليونان خاصة فى فترة العصور المظلمة أى بعد انهيار الحضارة الموكينية ، لذا لا يجد الباحث أمامه سبيل سوى استخدام المادة المتاحة لوصف أهم الأحداث ، والتطورات التى مرت بها بلاد اليونان ، بيد أنه ابتداء من القرن السادس فقد بدأت المصادر تجود بفيض من المعلومات حول أجزاء بلاد اليونان المختلفة مما يمكن الباحث من دراسة مناطقها المختلفة دراسة مسهبة .

ونتيجة لكثرة المادة العلمية فإنه لا يوجد كتاب جامع يعالج بإسهاب شئون المدن اليونانية . وأمام هذا فإننا لا نستطيع أن ندرس أحوال تلك المدن جميعها وإنما سنحاول أن نخص بالدراسة نموذجين للمد اليونانية وتطور أحوالها ونظمها هما اسبرطة وأثينا . فالأولى كانت محافظة فى نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن ثم فقد كانت رمزاً للأوليجرخية ، كما أن نظمها كانت تجمع بين اشكال مختلفة من أنظمة الحكم فى المن الأخرى وكان دستورها دستوراً مختلطاً يجمع بين النظم الملكية والأرستقراطية والديمقراطية بينما كانت أثينا متطورة فى نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية ولذا فهى ركز للديمقراطية . وسنتناول فى الصفحات التالية عرض موجز لتاريخ اسبرطة .

ترجع أهمية دراستنا لتاريخ اسبرطة إلى أنها كانت تحتل مكانة علية وفريدة بين المن الدول اليونانية ، ولا يرجع هذا إلى الدور الذى لعبته فى الشئون السياسية اليونانية بقدر ما يرجع إلى غرابة اسلوب الحياة الذى أخذت به نفسها ، وما انعكس من أثر هذا الاسلوب فى نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . لقد نالت اسبرطة ونظمها الفريدة شهرة عظيمة فى العالم القديم وأثارت نقاشاً كبيراً بين المفكرين الأقدمين والمحدثين فمنهم من أعجب بها أيمّا إعجاب ومنهم من كرهها

وانتقدها أشد الانتقاد . والمصادر المتاحة من تاريخ اسبرطة فى العصور الباكرة ، إبان القرنين الثامن والسابع شحيحة ولذا سنعتمد على الأدلة الأثرية والروايات الغامضة والمتناقضة عند الكتاب المتأخرين مثل باوسنياس والشذرات الباقية من شعر الشعراء الذين عاشوا فى اسبرطة فى القرن السابع ، مثل تيرتايوس والكامان Alcaman اليدى وترباندر Terpander من لبسوس خاصة وأن هذه الأشعار الباقية تقدم لنا معلومات مفيدة عن تلك الفترة ، وذلك لأن أغلب ما كتبه الكتاب القدامى عن اسبرطة لم يتم حفظه .

وفى القرن الخامس ، فقد كتب كل من هيرودوت وثيوكيديديس عن أسبرطة والاسبرطيين ، ولكنهما كانا يصبا اهتمامهما على العلاقات الخارجية وإذا كان هيرودوت قد ركز فى كتاباته على فترة الحروب الفارسية وعل الجيل السابق عليها أو الجيلين السابقين عليها ، فننا نجد ثيوكيديديس قد ركز على حرب البلوبونيز . وفى القرن الرابع ، كتب لنا اكسينيفون باسهاب عن اسبرطة والاسبرطيين ولكنه مثل ثيوكيديديس فقد عالج الأحداث المعاصرة له . كما تقدم لنا شذرات من كتابات أفوروس معلومات طريفة ، وهذه الشذرات قد وجدت طريقها لكتاب متأخرين ، فقد كتب لنا عن العلاقات العدائية بين أرجوس واسبرطة ، وفى نفس القرن فإن كل من أفلاطون ، وأرسطو قد ناقشا أوضاع اسبرطة بشكل مطول فى كتابتهما عن الفلسفة السياسية وبينما كان أفلاطون محباً لنظمها ، كان أرسطو ناقداً لها أشد النقد . وفى العصور الهلينيستية نجد الشاعر رهيانوس الكريتى الذى قدم لنا معلومات عن الحروب مع ميسينيا . ومن الكتاب الذين وجهوا لتاريخ اسبرطة باوسانياس وبلوتارخ . فالأول قدم لنا معلومات مفيدة فى كتابه الثالث حول العبادة والجوانب التاريخية وعالج به الكثير من الأساطير ، بينما قدم لنا بلوتارخ دراسة بعنوان ليكورجوس وقدم فيها صورة قانونية لنمط الحياة الاسبرطية وهى

الصورة التى أسست الأسطورة الاسبرطية ، ومع ذلك ، فــإن هــؤلاء الكتــاب لا يعرفون الكثير من المعلومات عن تاريخ اسبرطة البــاكر وعلــى نحــو مثــير لا يعرفون إلا القليل حول نظام اسبرطة الداخلى فى عصرهم ويقدم لنــا ثيوكيديديــس السبب حول جهل الكتاب بتاريخ اسبرطة إذ نجده يشتكى من أن الاسبرطيين كــانوا يحاولون أن يمنعوا كل المعلومات عنهم . وفى الواقع فإن الاسبرطيين قــد نجحــوا فى بناء سياج بينهم وبين بقية العالم اليونانى . وينبغى أن نذكر بعض الملاحظــات حول تلك المصادر وأن نأخذ الحيطة عند تناولــها . فقــد كــانت اســبرطة دولــة اوليجرخية محافظة أو من ألافضل رجعية فى نظــر الكتــاب أصحــاب العقليــة الديمقراطية ، بينما كانت بالنسبة للكتاب الارستقراطيين دولة نموذجية قدموها فــى ثوب قشيب وقد ساعدوا على تطوير ورسم صورة اسطورية لاسبرطة ، ومن ثــم ينبغى علينا أن نكون على دراية بالخلفية السياسية والاجتماعيــة لــهؤلاء الكتــاب وحتى لا نقبل معلوماتهم كما هى . فعلى سبيل المثال فإن بلوتارخ فى كتاباته عــن حياة ليكورجوس يقرر حقيقة حول شخص ليكورجوس فلا نعرف من هــو ومتــى عاش ، وقدم وصفاً رائعاً لنمط الحياة الاسبرطية التى ربطــها باســم ليكورجــوس ولكن نقول إنه تأثر فى كتاباته بمصبحيــن مــن القــرن الثــالث وهمــا الملكــان الاسبرطيان أجيس وكليومنيس . فقد حاولا القيام بثورة اجتماعيــة وذلــك بإدخــال سلسلة من الاصلاحات : منها – على سبيل المثال – الغاء الديون ، وإعادة توزيــع الأراضى معتقدين أنهم يعيدون نظام ليكورجوس ، ولهذا فمن الواضح أن بلوتــارخ عندما كتب عن حياة ليكورجوس قد نقل بغير وعى بعض الأحوال والأوضاع مــن القرن الثالث إلى الأيام الباكرة للتاريخ الاسبرطى . وبعــد أن عرضنــا للمصــادر ننتقل الآن للحديث عن اسبرطة فى ضوء ما هو متاح لنا من معلومات .

إن اسم لاكونيا ينطبق على أرض اسبرطة ، وهى تشكل الجزء الجنوبى من شبه جزيرة البلوبونيز ويحدها من الجنوب والشرق البحر ويفصلها من الشمال عن كل من أركاديا وسهل أرجوس سلسلة من الجبال والتى يكون امتدادها سلسلة جبال تايجتوس Taygetus ويحدها من الغرب سلسلة من الجبال منها جبل بارنون الممتد إلى رأس ماليا . ويقع نهر يوروتاس بين سلسلة جبال تايجيتوس ومرتفعات أركاديا وترويه عد جداول تنساب من هذا الجبل الذى يبلغ ارتفاعه ثمانية آلاف قدم . وكانت لاكونيا من أكثر اقاليم بلاد اليونان انعزالاً .

وقد كشف لنا المسح الأثرى عن وجود أكثر من ٥٠ موقعاً لمحلات سكنية من القرن الثالث عشر وإن كان أغلبها قد عانى من الخراب والدمار ابان الكارثة الكبرى التى ضربت الحضارة الموكينية حوالى سنة ١٢٠٠ ق.م ، وقد سمى هوميروس مملكة مينلاوس باسم "لاكيدايمون" ويسمى عاصمتها باسم اسبرطة "Sparte" . وهذه المملكة كانت موجودة فى لاكونيا . وإن كنا لا نعرف عى وجه التحديد عاصمتها ولعلها كانت تقع بالقرب من ثيرابنا Therapna على الضفة الشرقية من نهر يوروتاس حيث كانت تقع مدينة مينلايون Menelaion فى العصور التاريخية . وقد شهدت مدينة ثيرابنا مولد عبادة مينلاوس الحاكم الاسطورى للاكيدايمون زوج هيلينا أو لعلها تقع على الضفة الغربية عند بلدة أميكلاى Amyclae الواقعة على بعد أربعة أو خمسة أميال من اسبرطة ، فقد عثر فى هذا الموقع على كؤوس ذهبية بديعة الصنعة فى مقبرة بالقرب من فافيو Vaphio بجوار المخلفات الأثرية فى أميكلاى .

وقد سبق أن ذكرنا أن اسباب انهيار الحضارة الموكينية ما يزال موضع نقاش وجدل بين الباحثين وسواء أكانت المسئولية تقع على الهجرة الدورية أو ثورة الموكينيين الدوريين أو شعوب البحر فإنه لا يوجد دليل أثرى حول وجود الدوريين

فى كل من سهلى أرجوس ولاكونيا حتى السنوات الأخيرة من القرن الحادى عشـو. فقد بدأ وصول الدوريين إلى سهل أرجوس ولاكونيا وميسينيا ابان فترة الـــهجرات فى القرن العاشر . ويرى نفر من الباحثين أنهم قد أتوا من كريت كى يستقروا فــى جنوب بلاد اليونان ولكن هناك الآن إجماع على أنهم قد وصلوا مــن وســط بــلاد اليونان إلى البلوبونيز وأن منطقة سهل أرجوس هى أول منطقة نزلوا بها واحتلوهــا ومن هنا فإن تأثيرهم قد انتشر إلى شمال خليج كوريثة كما وصلـــوا إلـــى ســهول لاكونيا وميسينيا وأسسوا العديد من البلدات وهذا ما كشف عنه لنا فخار مـــا قبــل الهندسى والذى يعود تاريخه إلى الفترة مابين ١٠٠٠ و ٩٥٠ ق.م وكان مـــن أهــم البلدات اربع بلدات هى بيتانا Petana ، وميسوا Mesoa ، وليمنـــــاى Lemnae ، وكونوورا Conooura ، وتقع هذه البلدات على بعد أربعة أو خمســـة أميـــال مـــن أميكلاى الموكينية . وقد تطورت هذه البلدات الدورية ببطىء ، وعلى ما يبدو فإنــه قد قام بينها اتحاد فى القرن التاسع وأطلق عليه اسم اسبرطة . وظلت هذه البلـــدات غير ميسورة حتى بُنى حولها سور فى العصر الهلينستى .

اختلف الباحثون فى تفسير اسم اسبرطة ، فالبعض يفسره على أنه مشتق مـن النبات المنتشر هنا وهو Spartos وهو نبات الوزال الاسبانى ويرى فريق آخــر أن الاسم اشتق من Sparte بمعنى الارض المبذورة وعلى الرغم مـــن أن المصـــادر الأدبية قد استخدمت تسمية اسبرطة على نطاق واسع ، فإن الاسبرطيين قد أطلقــوا اسم لاكيدايمون Lacaedaemon على مدينتهم والارض التابعة لـــها . ففــى كــل المعاهدات والوثائق المشابهة فقد كان الاسبرطيون يوصفون باللاكيدايمونيين .

كانت محاولة اللاكيدايمونيين السيطرة على ســـهل لاكونيـــا عمليـــة بطيئـــة وصعبة فقد لاقوا مقاومة من الآخيين وهذا ما توضحه حقيقـــة أن بلـــدة أميكـــلاى الآخية والواقعة على بعد ثمانية كيلو مترات تقريباً لم تنضم إلى اسبرطة حتى وقــت

ما فى النصف الأول من القرن الثامن . ومن المرجح أن أميكلاى قد وصلت مع اسبرطة لشروط مرضية جعلتها تنضم إلى اتحاد القرى الأربع ودليلنا على ذلك أنها لم تدمر بل أدمجت كبلدة خامسة فى مدينة اسبرطة ، وكان من نتيجة اندماجها أن تعاظمت قوة اسبرطة وفى المقابل أضعف ذلك الاندماج البقية الباقية من القوى الموكينية فى منطقة لاكونيا بحيث وصلت اسبرطة بسيطرتها جنوباً حتى البحر فى غضون جيل واحد . ولا يمكننا أن نعطى معلومات مفصلة عن التوسع اللاكيدايمونى فى خلال القرنين الثامن والسابع فى لاكونيا ، وذلك لقلة المصادر التاحة عن هذه الفترة . ففى ضوء النص الأثرية والروايات الرومانسية التى أوردها باوسينياس فى كتابيه الثالث والربع واللذان خصصهما الكاتب للاكونيا وميسينيا كان توسع اسبرطة فى لاكونيا يتم على حساب البقية الباقية من الآخين وأيضاً على حساب العناصر الدورية التى استقرت فى بعض الأماكن فى لاكونيا فى نفس الفترة التى كانت تتكون اسبرطة فيها ، ومن المرجح أن التجمعات الدورية والآخية لم تدمر كلها ولكن على ما يبدو قد تحالف بعضها مع اسبرطة ولكنها اصبحت تابعة لها من الناحية السياسية وأصبح يطلق على هذه الجماعات الحلفاء أو الجيران Peroicoi ،وقد احتفظت تلك الجماعات باستقلالها الذاتى المحلى ، ولكن على الأقل كان عليهم أن يقدموا خدمات لاسبرطة . وفى نفس الوقت الذى قبلت فيه اسبرطة التحالف مع بعض الجماعات فإننا نجدها قد ضمت أدمجت إليها وانزلتهم إلى مرتبة من مراتب الأفنان حيث قسمت أراضيهم بين الاسبرطيين والذين كانوا ملاكاً متغيبين . وربط السكان الأصليين بالأرض وأصبحوا يعرفون باسم Helots وسنعود للحديث عنهم فيما بعد . وننتقل الآن للحديث عن ضم ميسينيا .

كانت ميسينيا جزءاً من العالم الموكينى ، فقد قامت بها مملكة نسـتور فـى بيلوس Pylos ، وبانحدار وتدهور الحضارة الموكينية بها فى نهاية القـرن الثـالث عشر فقد دخلت ميسينيا العصور المظلمة وقد توافدت عليها الهجرات الدورية إبـان تلك الفترة ، ويمكننا أن نتصور وجود تجمعات صغيرة بعضها كان دورياً صرفـاً وبعضها موكينياً ، وبعضها مختلطاً من العناصر الدورية والموكينية .

تكشف لنا المصادر عن اسباب غزو الاسبرطيين لميسينيا الواقعـة غـرب اسبرطة وترجعها لحبهم الشديد للقتال والغزو وفى نفس القت لحاجتهم إلـى مزيـد من الاقطاعات من الأراضى الزراعية لمواجهة زيادة عدد المواطنين الاسـبرطيين والذين أصبحت أراضى لاكونيا لا تكفيهم .

ومعلوماتنا عن الغزو الاسبرطى لميسينيا تكاد تكون محدودة ، فقد بقى لنـا منها شذرات من أشعار تيرتايوس والوصف والروايات الرومانسـية التـى قدمـها باوسينياس فى كتابه الرابع والذى يقرر فيه أنه اسـتقى معلوماتـه عـن الحـرب الميسينية من كاتبين من القرن الثالث وهم ميرون Myron مـن بريـنى Priene ورهيانوس من بينى Bene الكريتية وعاش فى الأسكندرية . وقد كتب الأول نـثراً حول جزء من الحرب الميسينية الثانية فى ملحمة بعنـوان Messeneaca وبطلـها أرستومنيس Arestomenes الميسـينى ، كمـا نجـد أن المـؤرخ كاالليسـثينيس Callesthenes فى تاريخه اليونانى Hellenic History قد قـدم اسـتطراداً عـن الحرب الميسينية وابطالها . كما نجد أن المؤرخ أفوروس المعـاصر لكاالليسـثينيس قد ميز بين حربين ميسينيتين باكرتين . أولهما قد استمرت عشرين عاماً ولم تكتمـل سيطرة اسبرطة على ميسينيا فيها ثم نشبت الحرب الثانية بعد فـترة مـن الزمـن (٦٨٥ – ٦٦٨ أو ٦٤٠ – ٦٢٠) وكان بطلها أرستومينيس .

وفى المصادر السافة الذكر يبدو أنه من المرجح أن الاسبرطيين قد قاموا قبل الحرب الميسينية الأولى بعبور جبال تايجيتوس وهيمنوا على منطقتى نيدون Nedon ودينثيلاياتيس Dentheleates وأثينا على الساحل الشرقى والشمالى لميسينيا ، وقد فرض الاسبرطيون على بعض التجمعات المغلوبة التحالف معهم كأتباع وجيران .

أما عن الحرب الميسينية الأولى فيبدو أنها وقعت فى الفترة ما بين ٧٣٦ – ٧١٦ ونعتمد فى ذلك على قول تيرتايوس "أن ملكنا ثيوبومبوس Theopompus الذى من خلاله استولينا على ميسينيا" . ثم يستطرد قائلاً إن أباء أبنائنا قد قاتلوا من أجل ميسينيا لمدة تسعة عشر عاماً وفى العام العشرين وأن الميسينين قد هربوا عبر جبال إثومى Ithome وأتينا على قائمة المنتصرين فى الألعاب الاوليمبية فى الفترة الممتدة من ٧٧٦ – ٧٣٦ والمسجل بها اسماء اصحاب الانتصارات وكان من بينهم سبعة من الميسينين ، والجدير بالذكر انه لم يظهر بها ميسينى آخر حتى القرن الرابع مع استثناء واحد سجل سنة ٦٨٤ ، والذى يمكن أن يستخدم كدليل على أن اسبرطة استولت على جزء فقط من ميسينيا فى الحرب الميسينية الأولى فقد سيطروا على سهل نهر باميسوس Pamisus بعد أن فر بعض الميسينين من قلعتهم على جبل إثومى ، والباقين منهم والذين لم يكن لديهم القدرة على الهرب إلى مناطق أخرى من البلوبونيز قد انزلوا إلى مرتبة helots ، أى الذين وضعت عليهم أعباء وفروض كثيرة مثل الحمير على حد قول تيرتايوس . أما المنطقة الساحلية المحيطة بخليج ميسينيا فقد قامت اسبرطة بتنظيم مجتمعات حليفة Peroicoi ومن المرجح أنهم كانوا من بين الميسينين والذين كانوا بشكل رئيسى من الدوريين .

والمؤرخون المحدثون يرون أن الحرب الميسينية الثانية قد وقعت فى الفترة ما بين (٦٦٠ – ٦٥٠) وهى الحرب التى عاصرها تيرتايوس والذى يذكر أن أحفاد الذين خاضوا الحرب الأولى هم الذين قاموا بها لإخماد ثورة الميسينين الذين كانوا ينتظرون أول فرصة للاستفادة من كوارث أسبرطة على حد قول أرسطو . ويفترض كثير من الدارسين أن الحرب الميسينية الثانية قد بدأها الميسينيون بعد أن هزم الأرجوسيون اللاسبرطيين فى موقعة هيسياى Hysiai سنه ٦٦٩ ، بدأ الميسينيون الحرب بعد أن حصلوا على وعود بتلقى العون من الأرجوسيين والأركاديين وغيرهم فى حربهم ضد الاسبرطيين ، وكانت هذه الحرب حرباً مريرة استغرقت ردحاً من الزمن وقد أثار فيها ترتايوس روح الوطنية لدى الاسبرطيين بما كان ينشده من أشعار مثل قوله "إنه لشىء طيب ، وعادل للرجل الطيب أن يسقط ويموت فى القتال من أجل أرضه" ونعرف من هذا الشاعر أيضاً أن الاسبرطيين قد تبنوا أسلوب القتال المعتمد على جنود المشاة ثقيلى العدة ، وفى هذه تحصن الميسينيوية فى القلعة الجبلية "هيرا" الواقعة بالقرب من الحدود الأركادية . ويروى لنا باوسينياس نقلاً عن الشاعر رهيانوس روايات رومانسية عن بطولات ارستومينيس القائد الميسينى بيد أن النصر كان حليفاً للاسبرطيين فى النهاية . وكان من نتائجه أن أكمل الاسبرطيون غزو ميسينيا وخاصة فقد توسعوا صوب الشاطئ الغربى ، واما كان هذا الجزء جبلى وغير ملائم للزاعة ، فإنه من غير المحتمل أن أعداد سكانه القليلة لم يصبحوا على الأقل بالمفهوم المرتبط بربطهم بالأرض مثل لبذين فى سهل باميوس . وبعدها أقام الاسبرطيون حزاماً من المجتمعات الحليفة Peroicoi ولعل بعضهم كان من العنصر الدورى الميسينى والآخرين كان من اللاجئين من مدينتين فى سهل أرجوس وهما مدينة اسينى Asine ونوباليا Nauplia والتى كان قد دمرهما الارجوسيون فقد تم إنشاء أسينى

جديدة على الشاطئ الغربى لخليج ميسينا بينما استقر النوبالييون فى مثيونى Methone على الساحل الغربى لميسينيا . ولكن يبدو أن بعض القلاقل والمتاعب قد استمرت للاسبرطيين فى ميسينيا ولم يسيطروا عليها كلية وهذا ما يؤكده قول القائد الطيبى إبامونيديس Epamonides والذى قاد القوات الطيبية وحلفاءها سنة ٣٧٠ / ٣٦٩ فى البلوبونيز وغزوة لاكونيا واستعادته استقلال ميسينيا . إذ نجده يقول "أنه أسس ميسينيا بعد ٢٣٠ سنة فقد رأى – أو اعتقد – إبامونيديس أن نضال الميسينيين قد انتهى فى سنة ٦٠٠ ق.م وهذا يعنى أن بعض القلاقل والثورات أو أن اجزاء من ميسينيا لم تضم إلى اسبرطة إلا فى سنة ٦٠٠ ق.م . وبهذا فقد اكتملت سيطرة الاسبرطيين على الجزء الجنوبى من البلوبونيز وفيما وراء منطقة ايليس وأركاديا وأرجوس . ولم تكتف اسبرطة بفتح ميسينيا بل نجدها قد دخلت فى حروب مع أركاديا وأرجوس وهو ما سنتناوله عند الحديث عن سياستها الخارجية. قصارى القول أنه يمكننا القول أن فى نهاية القرن السابع كانت اسبرطة تسيطر على كل لاكونيا وميسينيا بعد حروب مريرة . وأنها وصلت إلى اقصى اتساع لها. وسنحاول أن نعرض لنظمها السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وعلاقاتها الخارجية فى الصفحات التالية .

التنظيم السياسى

لم تعرف اسبرطة مثل المدن اليونانية الأخرى فى العصور الباكرة القوانين المكتوبة بل كانت كلها تعتمد فى تصريف شئونها على العرف ، والتقاليد . وتتفق الروايات على أن المشرع ليكورجوس هو الذى قدم للاسبرطيين القوانين والنظم الأولى التى اتبعوها ، وإن أعقبها تعديلات من قبل الملوك الاسبرطيين والرقباء وفقاً للظروف والأحوال . كانت شخصية ليكورجوس محل خلاف فى العصور القديمة إذ يقول عنه بلوتارخ "لا نسمع كلمة عن ليكورجوس المشرع إلا وسمعت

ما ينافيها فقد اختلفت الأقوال فى أصله ، وأسفاره ، وموته حتى شرائعه والحكومة التى أنشأها وأشدها اختلافاً ما قيل عن زمن وجوده ، وهل كان بشراً مصلحاً أم من الآلهة آخر الأمر" . ووفقاً للروايات القديمة فقد كان ليكورجوس ملكاً بعد وفاة أخيه ولكن ما أن ولدت زوجة أخيه ولداً ذكراً حتى اعلن تخليه عن العرش وأن الطفل الوليد هو الملك واعلن نفسه قيماً عليه ولكن حيكت ضده المؤامرات والشائعات عن رغبته فى أن ينتزع الملك من ابن أخيه من قبل زوجة أخيه وأخواتها لأنها كانت قد شعرت أن غدر بها ولم يتزوجها فأرادت الانتقام منه وأمام هذه الاتهامات الكاذبة والشائعات المغرضة قرر ليكورجوس أن يغادر اسبرطة والقيام بعدد من الاسفار والتى كان أولها سفره إلى كريت حيث درس نظمها وخالط كبار رجالاتها ، فاستحسن بعض قوانينها وحرص عليها ليجربها فى اسبرطة متى عاد اليها واقنع أيضاً حكمائها بالانتقال إلى اسبرطة . وثانى اسفاره كانت إلى أيونيا حيث عرف لأول مرة قصائد هوميروس ، وثالث أسفاره كانت إلى مصر حيث اعجب بأنظمتها وخاصة تفريقهم بين رجال الحرب ، والطبقات الأخرى فنقل ذلك عنهم إلى اسبرطة . وكانت له اسفار أخرى عديدة .

عم الاسبرطيون الأسف لغيابه ورجوه غير مرة أن يعود قائلين : إن ملوكهم لا تختلف عن عامة الشعب إلا بألقابهم ومقامهم ، ولكنهم يعرفون فيه قدرة طبيعية على القيادة وقدرة على اجتذاب الناس إلى رأيه ، وكان الملوك أنفسهم راغبين فى عودته آملين أن يروع وجوده الجمهور عند الغواية والتمرد ، وقد وجد العقول مهيئة ، فبدأ بالقضاء على عوامل السوء وتغير هيئة الحكومة اقتناعاً منه بأن القوانين الجزئية عديم الجدوى وأنه يجب أن يبدأ بمداواة الأجسام المشوهة المريضة طبائع الفساد بالعقاقير ، والأشربة وتغير المزاج قبل رسم نظام جديد .

ولما استقر رأيه على ذلك ذهب إلى مهبط وحى دلفى لاستشـــارة واســـتنباء الاله أبوللو وبعد أن قدم إيه القرابين تلقى النبوءة والوحى المعروف ، حيث رُعـــى صديق الآلهة وأنه إله أكثر منه انسان يضاف إلى ذلك أن الإله أبوللو أجاب ســؤاله وأنه سيمنحه القدرة على إيجاد قوانين صالحة تمتاز بقوتها علـــى جميــع أنظمــة الشعوب وقد منحه الوحى أيضاً النبوءة الآتية لتنظيم المجتمع "عندما تقيـــم هيكـــلاً لزيوس سيلانيوس Syllanius واثينا سيلانيا Syllania وتقسم الشعب إلـــى قبـــائل وObae وأنشئ مجلسٌ للشيوخ Gerousia مؤلفٌ من ثلاثيـــن عضـــواً بمـــا فيـــهم الملكان Archagetai دعهم يجتمعون من فصل إلى فصل للاحتفال بـــالابلا Apella بين بابيكا Babyka وكناكيون Knakion ، دع الشيوخ يقدمون مشروعات القوانيـــن ولكن دع الشعب يكون له القرار النهائى" .

وقد حدثت إضافة إلى هذه الـــ Rhetra وهى "إذا حاول الشعب الخداع فـــى التداول فعلى الملكين Archagetai والشيوخ أن ينسحبوا" وهذه الاضافة على حـــد قول بلوتارخ قد قام بها كل من الملكين بوليدوروس وثيوبومبوس وذلك بعد أن أخـــذ الشعب يفسد قرارات المجلس بالحذف والاضافة ، كما علق على هذه العبارة بقولـــه "أنهم لا يوافقون على القرارات وأن يؤجلوا الجلسة ويلغوا قرارات الشـــعب لأنـــها غير مشروعة " ويضيف إن الملكين قد اقنعا مواطنيهم أن هذه أوامر الإلـــه وإلـــى هذا المعنى أشار الشاعر ترتايوس بقوله "سمعوا الحى من فم الاله أبوللو" كما نجـــد أن هذا الشاعر قد أشار إلى النبوءة التى تلقاها ليكورجوس بقوله : "بعد الاســـتماع إلى فويبوس" Phoebus فقد أحضروا من بيثو Pytho إجابات النبـــوءة والكلمـــات الكاملة للإله ! دع أخذ المبادأة بعزم من قبل الملكين المؤلـــهين المبجليـــن ، الذيـــن اعتنيا بمدينة اسبرطة الحبيبة ، وبواسطة الشيوخ وبعد ذلك دع الناس من الشـــعب يجيبون مع التشريع المباشر" .

والريترا وفقاً لبلوتارخ وترتايوس هى عبارة عن الوحـى أو النبـوءة التـى نطق بها الاله أبوللو والتى سار عليها الاسبرطيون واعتبروها قانوناً . ولكـن دارت التساؤلات الآتية : هل هى تشريع اسبرطى قد تم وضعه استجابة لنصيحـة وحـى دلفى؟ أم أنها نبوءة منطوقة والتى قادت الاسـبرطيين لسـن تشـريع ، أو بعـض التشريعات أم هى الوحى والنبوءة التى نطق بها الاله وأخذا الاسبرطيون كما هى؟

نعرف أن الاسبرطيين كانوا يعتبرون الريترا قانوناً دائماً ، وأن الريترا فـى مناسبتين كانتا وحى من دلفى وأن هذا الوحى كان يمثل التشريع والانـون أو هـى قانون موحى به من الاله . كما نفهم منها أن القوانيـن ومشـاريعها كـان يسـنها ويصدق عليها الملوك والشيوخ والشعب . ونلاحظ على الريترا ما يأتى :

أولاً : أنها مهشمة وأن كلماتها فى حالة الصيغة المصدرية ، والاشتقاقات تؤكد أنـها مختصرة لدرجة أنه لا يمكن أن نكـون متـأكدين مـا هـو الموضـوع أو الموضوعات التى يمكن أن تفهم .

ثانياً : أن الريترا بدون الملحق ، كان الهدف منها تنظيم الاجراءات لسن القوانيـن وتقرير السياسة وكان اجراء سن القوانين يتم على مرحلتين أولهما :- هـو أن يقوم مجلس الشيوخ بتقديم الاقتراحـات أو مشـاريع قوانيـن الجمعيـة الشعبية. وثانيهما :- أن الجمعية الشعبية كانت تلتقى فى عيد يسـمى الأبـلا Apella (عيد أبوللو؟) كى تتخذ القرار النهائى بالنسبة للاقتراحـات بحيـث تقبلها أو ترفضها فإذا ما قبلتها أصبحت قوانين سارية المفعول .

ثالثاً : الحث على بناء هيكل لكل من الإله زيوس والالهة أثينا وتنظيم النـاس فـى قبائل و obai وانشاء مجلس الشيوخ ، ولكن لا ندرى إن كانت الريترا هـى التى أدخلت العناصر الثلاثة أم أنها تشير إليها على أنها كانت موجودة فعـلاً

وفقاً لتشريع سابق . ويمكن أن نقول أن الريترا قد حثت على بنـــاء هيكـل للإله زيوس وابنته اثينا وهذا يعنى أن هذا الهيكل كان غير موجود ، كمـا أن الحث على إنشاء مجلس للشيوخ يشير هو الآخر إلى أنه لم يكـن موجـوداً بهذا الشكل والسلطات وإن كان على ما يبدو موجوداً فقد كان علـى شـاكلة مجلس الشيوخ الهومرى ؛ أى أن المشرع هنا قـد زاد مـن سـلطة هـذا المجلـس ، كما نفهم أن المجتمع الاسبرطى كان مقسماً إلى قبائل و obai . وسنتحدث عن هذه النقطة فيما بعد عند الحديث عن المواطنين الاسـبرطين الخُلّص .

رابعاً : نفهم من الملحق أن الشعب قد بدأ يتغير ويرفض مشاريع القوانيـن ويغـير فيها بدلاً من التصديق عليها وهذا يعنى محاولة الحد من سـلطة كـل مـن الملكين ومجلس الشيوخ اصحاب الحق فى اقتراح وإعداد مشاريع القوانيـن مما دعا كل من الملك ثيوبومبوس المنتصر فى الحـرب الميسـينية الثانيـة والملك بولودوروس إلى إضافة الملحق للحد من سلطة الشعب وذلـك وفقـاً لقانون زعما أنه من وحى إلهى .

خامساً : تستعمل الريترا مصطلح Archagetai لتعنى الملكين الاسبرطيين ولكـن معنى هذا المصطلح الأصلى لا يعنى الملك ولكـن يعنـى المؤسـس وقـد استعمل أيضاً ليطلق على منشئ عبادة أو مؤسس مستعمرة . وقـد حـاول البعض تفسير استعمال هذا المصطلح فى الريترا بقولـه إن الملكيـن كانـا يحكمان وفى نفس الوقت كانا مؤسسين للدستور الجديد .

سادساً : يرى البعض أن الريترا قد اعيد صياغتها وتم تعديلها من قبـل مصلحيـن فى العصور الباكرة قبل ترتايوس وأن هؤلاء المصلحين كـانوا قـد اقنعـوا

الاسبرطيين بقبـول اقتراحاتهم برغم أن هذه الاقتراحات قـد وجـدت فـى النبوءة ، أو التشريع الصادر منذ فترة طويلة وخير مثال على ذلك الخدمـة سلطة الشعب ، وفى المقابل بعد فترة أضيف الرقباء (الافوروى) إلى أجـهزة الحكم التنفيذية ، والتشريعية كسلطة تنفيذية رقابية علـى الملكيـن إذ يقـول اكسينيفون : "كان الرقباء كل شهر نيابة عن الدولة والملك نيابة عـن نفسـه يتبادلون القسم، فقد كان الملك يقسم بأنه سيحكم طبقاً للقوانين المقررة ، وفـى المقابل كان الرقباء يقسمون على المحافظة على الملكية إذا ما ارتبط الملـك بقسمه ووفقاً لبلوتارخ كان الملك أيضاً تحت رحمة الرقباء فكل تسع سـنوات كان الرقباء يختارون ليلة صافية غير مقمرة ويراقبون وجـه السـماء فـى صمت ، فإذا ما شاهدوا شهاباً يعبر السماء فإنهم يقـررون أن ملوكـهم قـد يكونوا قد عصوا الآلهة ، ويعزلونهم من الوظيفة حتى تصـدر نبـوءة مـن دلفى ، أو أوليمبيا لتبرئة الملوك الذين وجدوا أو ظلوا مخطئون .

جملة القول : إن الريترا قد شهدت تعديلات وإضافات كان من شـأنها فـى بعض الأحيان تعضيد سلطة الملك والشيوخ وفي بعض الأحيان وجدناها تؤكد علـى دور وتعضيد سلطة الشعب . وأن ليكورجوس قد قام بسلسـلة مـن الاصلاحـات بالمجتمع الاسبرطى وتنظيم حياتـه السياسـية ، والاجتماعيـة ، والاقتصاديـة ، والحربية وقد عدد لنا هيرودوت بعض منجزاتـه وهـى : (١) تنظيـم اسـبرطة العسكرى (٢) نظام الموائد العامة (٣) الجروسيا (٤) الرقباء . وقد اضـاف اليـه بلوتارخ انجازات اخرى منها : (١) اعادة تقسيك لاكونيا بين الاسبرطيين والحلفـاء (٢) الغاء نظام استعمال العملة الذهبية والفضية واستبدالها بالعملة الحديدية كوسـيلة للتبادل (٣) التدريب والانضباط (٤) تنظيم القبائل الرئيسية و obae واخـيراً فـإن

أرسطو يعتقد أنه هو الذى ، أو البوليس السرى ، وسنتناول هذه الإنجازات بعـــد أن نعرض بايجاز للنظم السياسية التى أوجدها .

النظام السياسى

قدم لنا المؤرخون القدامى وصفاً للدستور الإسبرطى الذى كان يحتوى علـــى أربعة عناصر أو أركان هى : الملكان ، ومجلس الشيوخ ، والجمعيـــة الشـعبية ، والرقباء . وسنحاول أولاً أن نعرض للســلطة التنفيذيـــة والمكونـــة مـــن الملكيـــن والرقبـــاء .

النظام الملكى :

كان النظام الملكى القائم فى اسبرطة يختلف عن النظم الملكية القائمـــة فـــى المدن اليونانية الأخرى ، فقد كان الحكم الملكى فى اسبرطة حكماً ثنائياً بينما كـــانت المدن اليونانية الأخرى محكومة من خلال ملك واحد . وإذا كـــانت اســبرطة قـــد احتفظت بهذا النظام الملكى الوراثى راسخ الاركان لفترة طويلة تمتد مـــن القـــرن الثامن إلى قرابة نهاية القرن الثالث ، فإننا نجد أن النظام الملكى فى المدن الاخـــرى وقد اصبح الحكم الملكى غير وراثى ، فى اثينا أصبح الملك واحـــداً مـــن الحكـــام المنتخبين وكان يشغل وظيفته لمدة عام . ولكن يَعّن لنا السؤال الآتى : متـــى قـــام النظام الملكى الثنائى فى اسبرطة ؟ وهل هو نظام ملكى فردى ؟ يختلف البـــاحثون فى الإجابة على هذين السؤالين ، فقد رأى أنه من الراجح عندما استقر الدوريـــون أولاً فى اسبرطة كان يحكمهم ملك واحد مثل بقية الملوك فـــى العصـــور المظلمـــة والذى كان محاطاً ، على ما يرجح ، باصحابه والذين كانوا قد شغلوا نوعـــاً مـــن مجلس الشيوخ والناس العاديين – الشعب . وأنه يمكن تصور أنه كان يتم دعوتـــهم فى مناسبات فى جمعية مثل تلك التى ورد ذكرها عند هوميروس ، ويرى هـــؤلاء النفر من الباحثين أن اسرة أجيس هى الأسبق فى توليـــها الحكـــم الملكـــى وزمـــام

السلطة ويستندون فى ذلك على أن المصادر تؤكد على ما كانت تلقاه من احترام وتقدير وهيبة اكبر من قبل الاسبرطيين ، كما أنهم يستندون فى تعضيد رأيهم أيضاً على تسلسل واتساق شجرة نسب هذه الاسرة ، كما نجدهم يحاولون أن يستخدموا ما ورد من معلومات فى أسطورة البطل أريستودموس الهرقلى ، الذى قاد الدوريون فى لاكونيا ، لتعضيد رأيهم فقد كان لهذا البطل ولدان توأمان هما أيوروستينيس Eurysthenes وبروكليس والذان أصبحا ملكين فيما بعد . والأول هو والد الملك أجيس والثانى هو الأب أو الجد للملك ايوريبون Eurypon . ويستخلص هؤلاء العلماء من الاسطورة أن أيوروستينيس هو أول مولود من الابنين وأن هذا ربما يشير إلى أن الملكية كانت تخص أسرته وأن أسرته هى الأسبق ، كما نجدهم يستخدمون عدم التسلسل والاتساق بل الاضطراب فى شجرة نسب الأسرة الملكية الثانية دليلاً على أنها أتت بعد الأسرة الأولى وأنها قد حاولت أن تضع قائمة من الاسماء فى شجرة نسبها بحيث تعود بها إلى الوراء قبل أسرة أجيس . ويرى نفر من الباحثين رأياً مخالفاً للرأى السابق إذ يرون أنه كان الدوريون ينقسمون إلى ثلاثة قبائل هى هيلليس Hylleis وديمانيس Dymanes وبامفيلى Pamphyle وأن وأن كل قبيلة كان يحكم عليها ملك ولذا فقد كان هناك ثلاثة ملوك وأن واحداً منهم قد ضغط عليه من قبل الملكين الآخرين ، بيد أن هذا التفسير غير محتمل لأن كل من الاسرتين الملكيتين من الراجح أنهما كانا ينتميان إلى قبيلة هيلليس – على الأقل – فكل من الاسرتين ادعت أنها من سلالة هيلليس بن هرقل .

ويقدم فريق ثالث من العلماء رأياً ثالثاً إذ يقول أنه عندما اندمجت اميكلاى فى اسبرطة فى الفترة من ٨٠٠ – ٧٥٠ ق.م. فإن الاسرة الملكية الموكينية القديمة من الاجيديين فى اميكلاى قد شاركت فى الحكم مع اسرة ايوريبون الاسبرطية

ويعتمد هذا ارأى على قول الملك كليومينيس لكاهن أثينا "أنه كان اخياً وأنه موكينياً وليس دورياً" وأن هذه العبارة تشير إلى أنه كان هناك امتزاج كبير بين الدوريين والموكينيين فى الأيام الأولى للهجرة الدورية عن الدوريين المتأخرين ، ويقولون أن أصحاب النظريات القدماء ، والمحدثين قد أحبوا أن يقروا فى ضوء السيطرة الدورية فى اسبرطة أنه من الصعب الاعتقاد أن الأسرة الملكية الرئيسية قد انحدرت من السكان الاصليين قبل الدوريين .

ويقدم لنا فريق رابع من الباحثين رأياً رابعاً ، وهذا الرأى الرابع يعتمد على قرائن أثرية لتفسير أصل الملكية الثنائية ، فقد كشفت التنقيبات الأثرية عن قريتين قد تأسستا أولاً ثم أعقبهما تأسيس قريتين فى وقت لاحق ، ولذا فإن هناك مجموعتين من الدوريين ، وكان على رأس كل مجموعة منهما أسرة ملكية ، وأنه عندما حدث اندماج بينهما فإن الملوك من العائلتين الملكيتين قد اشتركوا فى الحكم واقتسموا السلطة الملكية . فكان من كل اسرة ملك . ويرى فريق خامس رأياً آخر: إذ يرى أن تولى ومشاركة الأسرة الملكية الثانية الحكم نتيجة لضعف السلطة الملكية فى اسبرطة مثلما حدث فى أماكن أخرى فى بلاد اليونان حيث تحول الحكم من الأسرة الملكية إلى الارستقراطية ، ولذا فإننا نجد أن أصحاب هذا الرأى يرون أن افراد اسرة ايوريبون كانوا قادة للارستقراطية والشعب damas وأنهم ، من الراجح ، كانوا ملاكاً للأراضى وقد خدموا كجنود وفى محاولتهم للحد من السلطة الملكية المطلقة للملوك من اسرة أجيس وأنهم قد حققوا أهدافهم ليس بالغاء الملكية ، ولكن بحل وسط وهو أن يكون مع الملك من اسرة أجيس زميل من ايوريبون ، ولكن من الصعب الاعتقاد فى أن الارستقراطية فى صراعها ضد السلطة المطلقة قد اسسوا اسرة ملكية ثانية وانهم قد اختاروا اسرة ايوريبون لتولى المنصب الرفيع ومقاسمة الاسرة الأولى شرف الملكية وأنهم آسروا على أنفسهم تلك الاسرة .

وفى ضوء نقص المعلومات ، شبه الكلى ، حول التطور الباكر فى اسبرطة فمن الافضل أن نفترض أن الملكية الثنائية قد وجدت منذ فترة مبكرة ومع ذلك فإن أسرة ايوريبون قد كان لها دورٌ فى الحصول على ما دعاه أحد الباحثين مرسوم دينى للجمهورية الجديدة وهذا المرسوم هو الريترا السالفة الذكر .

إن طبيعة النظام الملكى الاسبرطى كانت شبيهة بتلك الموصوفة عند هوميروس ، ولكن سلطاته كانت قد تقلصت من خلال طبيعتها الثنائية وأيضاً لزيادة أهمية مجلس الشيوخ ومجلس الرقباء ، ومثل الملوك الهومريون ، فإن ملوك اسبرطة كانوا يتولون قيادة الجيش فى الحرب وسلطة اعلان الحرب على البلد التى يختارونها ولا يعترض اسبرطى على ذلك ، ونذكر هنا مقال على ذلك إذ جمع الملك كليومينيس (٥٢٠ – ٤٨٠) جيشاً من كل انحاء البلوبونيز بدون توضيح الغرض الذى من اجله تم حشده وقاده ضد اثينا وقد صاحبه الملك الآخر فى هذه الحملة – كما كانت سلطاتهم مطلقة فى ميدان القتال على الرغم من أنه غير واضح كيف كان الملكان يشتركان فى القيادة ، ونعرف أنه فى القرن السادس دب نزاع بين الملكين فى الحملة على اثينا وانسحب احدهما ونتيجة لهذا فقد اضطر الملك الآخر أن يسرح الجيش وأن يعود إلى اسبرطة ، ونتيجة لهذا الخلاف فقد تقرر أن ملكاً واحداً هو الذى يخرج فى الحملات العسكرية . ولا نعرف على وجه التقريب الذى بدأ فيه اثنان من الرقباء مصاحبته فى الحملات العسكرية ، ولكن سلطة اعلان الحرب وحشد القوات قد شارك الملوك فيها الجمعية الشعبية والتى كان يحق لها اصدار القرارات المؤيدة للحرب ، ثم بعد ذلك صار من حق الرقباء استدعاء وحشد القوات بحملة ما ولكن هذا لا يعنى أن الامتياز الملكى فى حق إعلان الحرب قد ابطل على نحو محدد وبدلاً من ذلك فإن السلطات العامة الاخرى فى اسبرطة قد زادت سلطاتها واصبحت تشارك فى تقرير مسائل الحرب والسلام .

واستمر الملك يخدم كضابط عسكرى يمارس القيادة فى ساحات الحرب ، وإن كنا نجد أن الاسبرطيين قد اختاروا قواداً آخرين فى بعض الحملات .

كان الملوك الاسبرطيين يشابهون فى سلطتهم الدينية سلطة الملوك الهومريون ؛ فقد كان الملكان يمثلان دور رئيس السلطة الدينية بالدولة ، فقد كانا يقومان بتقديم الأضاحى ككهنة للمجتمع فى كل شهر للاله أبوللو ، وتولوا كهانة زيوس اللاكيدايمونى وزيوس اورانيوس Uranius ، وفى الحرب كانوا يقدمون الاضاحى من أجل الجيش وفى السير وقبل الحرب ، وكانوا يسكبون السوائل ، وكان يحق لهم الحصول على نسبة من الاضاحى ، وكانوا يعينون الرسل Pythai السنويين لدلفى ويشاركونهم المحافظة على الوحى والنبوءات الخاصة بالدولة . لقد لعبوا دور الوسيط بين الآلهة والبشر .

كان الملوك يتمتعون أيضاً بسلطة مدنية وقضائية إذ يقول هيرودوت إن الملكين كانا يتمتعان ببعض قداسة الكهنة والحصول على نسبة من الأضاحى ويجلسون فى صدارة الموائد وكانوا اعضاء فى مجلس الشيوخ ، ولكن لا يوجد ما يؤكد عضويتهم هذه كان لها تأثير خاص ، وعلاوة على ذلك فقد مارسوا سلطة قضائية فى ثلاثة أنواع من القضايا هى : إذا مات الرجل وكانت وريثته غير متزوجة فإن الملك يقرر من يتزوجها ، وكانوا يحكمون أيضاً فى القضايا الخاصة بالطرق العامة وأن تبنى أبناء كان يتم فقط فى حضرة الملوك ، كما كان للملوك سلطة تحديد الحدود بالعلامات المقدسة معتمدين فى ذلك على العرف الدينى .

وكانوا يقومون بتعيين البروكسينى Proxene ؛ المشرفين على ضيافة الغرباء ، والتى كانت واجباً دينياً ، وكان هؤلاء الغرباء يزرون اسبرطة إما للتجارة ، أو لمهام دبلوماسية .

كان الملكان يتمتعان بامتيازات كثيرة منها تملكهم لضـــيَاع فـــى أراضـــى الحلفاء Peroicoi ، وامتيازات خاصة فى الأضاحى العامة والحـــق فـــى اســـتلام خنزير من كل بطن ، ومن المرجح أن هذه العادة بقيت من العصور المبكرة عندمـــا كان الملك يعيش محاطاً بالاصدقاء والاقران ، فقد كان عليه أن يطعمهم ، وعندمـــا يموت الملك فإن جنازته كانت تتم على النحو القديم للاحتفالات والتـــى كـــان مـــن المعتاد أن يخرج للمشاركة فيها من كل بيت حر رجل وامرأة وعـــدد كبـــير مـــن الحلفاء والهيلوتس .

الرقباء الأفرووى Ἔφοροι

تنفرد اسبرطة وبعض المستوطنات الدورية بوجود مجموعـــة مـــن الرقبـــاء والذين شبههم شيشرون بترابنة العامة ، وهناك الكثير من المشاكل والقضايا غـــير المؤكدة حول أصل مجلس الرقباء اكثر مـــن المشـــاكل حـــول أصـــل الاســـرتين الملكيتين. ويرى بعض الباحثين أن الرقباء كانوا فى الاصل كهنة وحتـــى بعـــد أن اصبحوا حكاماً مدنيين فقد احتفظوا باحدى الوظائف الدينية ألا وهى مراقبة الســماء، على الرغم من أنه يكون مدهشاً أن نجد الفئة الكهنوتية راغبة فى التخلى عن أغلـب مهامها وامتيازاتها الدينية . ويرى نفر اخر أن كلمة Ephoros تعنـــى الشـــرف أو المراقب وأن أصل وظيفة الرقباء كانت النظر فى القضايا المدنية وربما كان هـــذا هو أصل وظيفتهم .

ويذكر هيرودوت أن ليكورجوس هو الذى أوجدها على الرغم من أنـــها لـــم تذكر فى الريترا ، والحقيقة أن اسبرطة كان بها قوائم الرقباء والتى من المفـــترض انها تعود إلى سنة ٧٥٤ / ٧٥٣ ق.م مما يجعل هذا التاريخ يشـــير إلـــى أن الـــذى أوجد هذا النظام هو ليكورجوس . بينما يقول بلوتارخ أن الملـــوك نظـــراً لغيابـــهم

الطويل فى الحرب الميسينية الأولى قد عينوا نواباً عنهم فـى اسـبرطة لتصريـف شئونها وخاصة الفصل فى القضايا المدنية ولعله يشير هنا إلى الملك ثيوبومبـوس . بينما يرى البعض الآخر أن سبب وجودهم وجود صراع بين الأشراف والعامة مـن الاسبرطيين وأن العامة قد برز دورهم فى تحقيق النصر فى الحرب الميسـينية وأن هذا قد أعطاهم الفرصة ليحتلوا مكانة سياسية أفضل وأن هذا قد انعكس فـى تعيـن موظفين يمثلون العامة ويراقبون السلطة التنفيذية ممثلة فـى الملكيـن . ويكونـون أوصياء على الحقوق العامة ورعاة لها . ومما يظهر أن الرقبـاء كـانوا يمثلـون قضية العامة اليمين التى كان يقسمها الملكان أمامهم كل شهر بأن يحترما القوانيـن . وقد كانوا هم يقسمون أمام الملكين يميناً مماثلة باحترام السلطة الملكيـة طالمـا أن الملكين قد احترما القوانين .

لا يمكننا أن نرجح رأى على رأى فكل رأى له وجاهته وما يعضـده فلعـل الذى أوجد هذا النظام هو ليكورجوس وذلك لأنه لم يكتب شرائعه بل من سننه مـا يحرم كتابة الشرائع ومن ثم لا ندرى أو لا نستطيع نقول بجزم أنه هو الذى أوجـد النظام ، كما أن الرأى الثانى له وجاهته فغيبة الملكين لفترات طويلة كـان يـترتب عليها وقف صوالح الناس ولذا فقد اقتضت الضرورة اختيـار موظفيـن تنفيذييـن يحلون المشاكل الداخلية وحتى يفرغ الملوك للحرب الخارجية . والرأى الثالث لـه وجاهته أيضاً إذ نعرف قبل اصلاحات ليكورجوس كان هناك صاع بين الاشـراف والعامة ولذل نجده قد اعاد تقسيم الثروة ، كما أن الحرب الميسـينية الأولـى هـى الأخرى كان من نتائجها خلق التوتر الاجتماعى فى المجتمع الاسبرطى لقصرهـم إعطاء الأراضى على الاسبرطيين النبـلاء وحرمـان أبنـاء الاسـبرطيات غـير المتزوجات من اسبرطيين وأن الحرب الميسينية ووفقاً لرأى البعـض فـإن عامـة الاسبرطيين لم يشاركوا فى اقتسام الغنيمة بعد الاستيلاء على جانب مـن ميسـينيا

وإن كنا نستبعد هذا . وفى الحرب الميسينية الثانية والتى بـرز فيـها دور العامـة وذلك نتيجة لتغيير أساليب التسليح فبدلاً من الاعتماد على الفرسان فقد تم الاعتماد على جنود المشاة ثقيلى العدة . وفى ضوء ما سبق يمكننا القول إن غيبـة الملـوك لفترات طويلة فى ميادين القتال وازدياد قوة الشعب هى التـى مكنـت وأدت إلـى إضافة هذه الهيئة التنفيذية إلى أجهزة الحكم . ويختلف الباحثون أيضاً حول تقريـر عددهم إذ يرى البعض أنهم فى البداية كانوا يمثلون القبائل الدورية الرئيسية الثـلاث أى أن عددهم كان ثلاثة ثم زيد العدد إلى خمسة فى نهاية القرن السابع ليتطابق مـع عدد القبائل الاسبرطية والتى كانت تتطابق مع القرى الخمسة . وقـد زادت أهميـة مجلس الرقباء فى نهاية القرن السابع وصار قسماً من الحكومة الاسبرطية . ويـرى البعض أن هذه الهيئة قد ظهرت اهميتها على يد الرقيب خيلون الذى اعتـبر مـن الحكماء السـبعة وكان معاصراً لدورة الالعاب الاوليمبيـة السادسـة والخمسـين (٥٥٦ – ٥٥٣) وأنه قد أوجد التعاون بين الملكين والرقباء ، ولكـن المصـادر لا تحدد نوع وماهية هذا التعاون . فهل كان الرقباء متساوين مع الملوك فى السـلطة أم تابعين لهم أم فاقت سلطاتهم الملوك ؟ توجد فقرة عند هيرودوت مـن منتصـف القرن السادس والتى تقول اتت الأخبار للملك اريستون عن ميلاد ولد له عندما كـان جالساً على كرسى مع الرقباء ، ربما كان كرسى العدالة . ولكن الأمر ، من الفقـرة السابقة ، ما يزال غير واضح إذا ما كان الرقباء مساوين للملوك أم أنـهم تـابعين لهم.

ولكن نص ثيوكيديديس يجيب عن التساؤل إذ نجده يقول إن الرقيـب كـان يتمتع بسلطة القبض ، أو السجن للملك ولكن هذه الفقرة تشـير فقـط إلـى سـلطة القبض وليس سلطة الحكم والادانة . وتقدم لنا رواية هيرودوت دليلاً على العلاقـة بين الملك والرقباء والتى نجد فيها الرقباء يحاولون إقنـاع الملـك أناكسـاندريديس

الذى كان متزوجا من امرأة عاقر بأن يطلقها ويتزوج من امـرأة أخـرى ، ولكنـه رفض بغضب ورد الرقبـاء على ذلك بعقد جلسـة مع مجلس الشيوخ حثـّوه فيـها على أن يحتفظ بزوجته العاقر وأن يتزوج من امرأة أخرى ، وحذّروه إذا ما رفـض فإن الاسبرطيين ربما يتخذون موقفاً غير عادى ضده وأمام هذا فقـد قبـل الملـك نصيحتهم. وهذه الرواية تظهر أن الرقباء ومجلس الشيوخ قد أجبروا الملـك علـى الانحناء للارادة المزدوجة للرقباء ومجلس الشيوخ ولكن الامر هنا يشـير إلـى أن الملك يستجب لكل من الرقباء ، ومجلس الشيوخ إلا بعد أن هددوه بعـرض الأمـر على الشعب الاسبرطى وربما يأخذون موقفاً . وهنا يثور سؤال من صاحب السلطة لمحاكمة ، ومحاسبة الملك هل الرقباء أم مجلس الشيوخ أم الجمعية الشعبية ؟ مـن النص نفهم أن الجمعية الشعبية هى صاحبة القرار النهائى ، كما أن النـص يشـير إلى أن الرقباء كانوا يأخذون المبادأة الأولى لصالح الدولة فإذا ما فشلوا فـى اقنـاع الملك كان يتجهون إلى مجلس الشيوخ ، فإذا ما أقنع الرقباء مجلس الشيوخ برأيـهم كان يعاضدهم ، ويساندهم ، وإذا ما رفض الملك رأى ونصيحة الرقبـاء والشـيوخ كان يعرض الأمر على الجمعية الشعبية لاتخاذ القرار . ونفهم أن الملك كان يحـال للمحاكمة إلى الجمعية الشعبية فى حضور الرقباء ومجلس الشـيوخ . ويؤكـد دور الشعب هنا حادثة أخرى سنة ٤١٨ ق.م عندما كان الجيش الاسبرطى فى مواجهـة جيش أرجوس وتصور الملك أجيس أن الجيش الاسبرطى سيلقى هزيمة ففضـل أن يعتمد على الدبلوماسيين بدلاً من المعركة ، وقد تبعة الاسبرطيون وحلفـاؤهم إلـى الوطن بسبب القانون وهو أن الملك له القيادة العليا فى ميدان المعركة ولكنهم كـانوا غير راضين عن ادائه وتصرفه ، وبعد عودتهم للوطن كانت الاخبار قد انتشـرت حول سياسة الملك الخاطئة وتجمع الاسبرطيون وصاروا يداً واحدة وقـرروا فـى غضب تدمير منزل الملك وفرض غرامة عليه قدرها ١٠٠ الف دراخمـة ، ولكـن

الملك طلب منهم ألا يفعلوا وينفذوا ذلك على الأقل حتى يدافع عن نفسه ، ويبدو بعد أن دافع الملك عن نفسه وشرح وجهة نظره ، فقد الغوا الغرامة وقرار هدم المنزل ولكن مرروا قانوناً والذى يضع قيوداً على سلطاته كقائد وهذا يشير إلى سلطة الجمعية الشعبية فى زمن الغرامات وتقرير العقوبات على الملوك . وفى حادثة أخرى وقعت فى سنة ٢٤١ ق.م حيث نجد أن مشروع الاصلاح الذى قدمه الملك أجيس الرابع قد أثار القلاقل والاضطرابات مما اضطر أحد الرقباء إلى القبض عليه كى يقدمه للمحاكمة أمام مجلس الرقباء ومساعدة الاسبرطيين ووضعه فى السجن ، ولكن حصار الملك ليونديس للسجن لم يغير من الأمر شيئاً . فلم يرهب هذا الاجراء الرقباء إذ نجدهم قد ذهبوا إلى السجن ودعوا بعض الشيوخ لعقد المحاكمة والتى قضت بالفعل بموت أجيس ، وطالب أقارب الملك أن تتم محاكمة أقرانه من الموظفين ولكن هذا المطلب لم يتحقق إذ تم اعدام الملك على يد امفاريس Amphares ؛ بل نجده قد أدخل اقاربه السجن وقتلهم . ويرى البعض أن الرقيب خيلون قد أدخل مادة فى الدستور الاسبرطى تخول للرقباء الحق فى أن يخلعوا الملوك إذا ما اقتضى الأمر ذلك ولعل اليمين المتبادل بين الرقباء وبين الملكين هو أوضح دليل على ذلك ، كما أن نظر الرقباء فى السماء كل تسع سنوات من حكم الملكين لمعرفة إذا ما كانا قد اجادا أو فشلا فى أداء مهامهما فإذا ما ثبت فشلهما كان يتم عزلهما إلى أن تأتى نبوءة بعكس ما لاحظه الرقباء . وهنا نجد سلطة الرقباء على الملوك كبيرة ويؤيد هذا أيضاً أن الملك كليومينيس قد تعاون مع الرقباء فى تبادل الرأى والمشورة بشأن مديد المساعدة لمايلندريوس Maeandrius الساموسى الذى كان الفرس قد طردوه ، ولكن رأيهما كان واحداً وهو ألا يساعدوه بل يطردوه . . وهنا اشارة إلى مقاسمة الرقباء الملكين فى اتخاذ القرار .

لقد استمد الرقباء القوة والسلطة من الدستور ولانهم كانوا يمثلـــون الشـــعب الاسبرطى ، فقد اصبحوا بسرعة المدراء الرئيسين بالدولة ، وكان رئيـــس مجلـــس الرقباء هو الحاكم المدنى الذى تؤرخ السنة باسمه ، وقد تفاقمت سلطتهم واصبحـــت تضاهى سلطة الملوك فى منتصف القرن السادس ولكن بعد ذلك اصبحت ســـلطتهم فوق سلطة الملوك وهذا ما يؤكده الحصول على القسم مـــــن الملكيـــن ، ومراقبـــة السماء كل تسع سنوات لمعرفة إذا كانت الآلهة راضية عن اعمـــال الملـــك أم لا ، وكما نعرف فقد صار اثنان منهم يصاحبون الملك فى الحملات العســـكرية وذلـــك لمراقبة تصرفاته ، وكانوا مسئولين عن حشد الجيش الاسبرطى واســـتدعاء قـــوات الحلفاء ويقررون من الذى ينبغى استدعاءه للجيش ، وكـــانوا يســـتقبلون الســـفراء للاجانب ويقدمونهم إلى الجمعية الشعبية ، كما أصبح لهم الحق فى دعوة كـــل مـــن مجلس الشيوخ والجمعية الشعبية للانعقاد ، وأنهم أصبحوا هـــم وحدهـــم أصحـــاب السلطة فى إدخال واقتراح مشروعات القوانين أمام الهيئات السالفة الذكـــر ، كمـــا كان عليهم تنفيذ القرارات الصادرة عن مجلس الشيوخ والجمعية الشـــعبية وكـــانت سلطتهم مطلقة على الموظفين الأدنى أيضاً . كما كان اول أوامرهم أو مراســـيمهم الرسمية بعد توليهم السلطة للموظفين هو أنه عليم أن يقصوا شـــعورهم ويحـــترموا القوانين .

وفى المجال القضائى فقد كانوا يستمعون لأغلبية القضايا المدنية (مثل حقـــوق ملكية وإرث والحقوق العائلية) ، كما نجدهم قد شكلوا بالتعاون مع مجلس الشـــيوخ محكمة تعرض امامها القضايا الجنائية ، وعلى ما يبدو فقد اشـــرفوا علـــى تعليـــم الشباب وحفظ النظام الاجتماعى ، ومن اختصاصاتهم أيضاً ادارة شـــئون الحلفـــاء وتعيّن الشرطة السرية لمراقبة الهلوتيس ويحق لهم أن يطـــردوا مـــن البـــلاد كـــل غريب ، وفى الواقع فإن مظاهر قليلة فى الحياة الاسبرطية هى التى لـــم يُشيـــرفوا

عليها أو يمارسوا سلطتهم عليها . ولما كانت الشريعة الاسبرطية غير مكتوبة فإن بعض الكتاب القدامي قد شبهوا الرقباء بالطغاة ، فنجد أرسطو لا يقبل فكرة أن الرقباء يحكمون بمفردهم فى القضايا العامة دون الرجوع إلى نصوص مكتوبة ويصدرون الاحكام طبقاً لتقديرهم الخاص ولذلك يتفق هنا مع اكسينيفون وافلاطون فى تشبيهه وفى ضوء ما سبق عرضه فإن الرقباء كانوا موقف ضعيف مقارنة بالملوك لانهم معينون سنوياً بينما الملك مستمر فى الحكم ويملك زمام السلطة ، وأن الرقيب عندما يترك كرسى الحكم فإنه يصير مواطناً عادياً بينما الملك يمسك بزمام الحكم ، ولذا فمن المحتمل أنهم لم يقفوا ضد الملوك الاقوياء . ولكن لا يمكن قبول هذا الرأى في ضوء السلطات الواسعة التى تمتع بها الرقباء . كما أن المصادر تذكر دائماً ملوكاً تم عزلهم بينما تصمت عن الرقباء ، كما أن أحدهم وهو خيلون قد صُنف بين الحكماء السبعة . كما أن عدم شيوع ذكرهم فى المصادر يعود إلى أنهم يشغلون المنصب لمدة عام ، ولذا كان أسهل على الغرباء أن يذكروا أو يتذكروا اسماء الملوك الذين يحكمون لفترة قد تطول بدلاً من يذكر اسماء رقباء يتغيرون كل عام ، كما أن أهمية الرقباء تتضح من أن رئيسهم تؤرخ باسمه السنة التى تولى فيها كرسيه . وكان يتم انتخابهم فى الجمعية الشعبية وكان يتم اختيارهم بطريقة الصياح فمن يحصل على أعلى صياح فهو الكاسب ولكن إذا كان حجم الصياح متساوياً كان الرقيب يقوم باجراء تصويت بأخذ الاصوات ، وكان الاسبرطيون يوافقون تماماً على أن يكون لمسئوليهم هذه السلطة . ومن كان يشغل الوظيفة من المرشحين كان لا يعاد ترشيحه مرة أخرى ، مما يعنى التوسع واتاحة الفرصة أمام الجميع لشغل الوظيفة . ويرى الكثير من الكتاب القدامى أن الرقباء بسبب انتخابهم من قبل كل المواطنين فى الجمعية الشعبية يمثلون الوجه الديمقراطى للدستور الاسبرطى ، ولعل هذا يكون حقيقة خاصة عندما أصبحوا

لأول مرة موظفين هامين وبعد أن تنامت سلطاتهم وقوتهم مع نهاية القرن السـابع . وكان ذلك لصالح الشعب على حد قول بلوتارخ ، ويقول أحد الكتاب أن الرقباء فـى نفس الوقت قد جعلوا الارستقراط أكثر قوة ، وقد رأى البعض أن الرقباء كان يتـم اختيارهم من بين الفقراء غالباً وبسبب فقرهم كانوا يقبلون الرشـا ، ولكنـه طبقـاً للقانون فإن كل اسبرطى كامل الاهلية كان من حقه أن يرشح نفسه لشغل الوظيفـة ، ولذا يمكننا القول أن شاغلى الوظيفة لم يكونوا دائماً من الفقراء بل كان مـن بينـهم أغنياء أيضاً وإذا كان البعض يتهمهم بالرشا وأن هناك ملـوك قـد قبـض عليـهم لارتشائهم وهم فى حالة تلبس ، فهل كان الرقيب المرتشى يتم فصله وعقابـه كمـا كان يعاقب مثل الملك ؟ لعله من المؤكد أن هذا هو القاعدة التى كانت تُطبق علـى الجميع .

ثانياً : المؤسسات ذات الطبيعة التشريعية

أ – مجلس الشيـوخ :

كان المجلس يسمى الجروسيا Gerousia والمصطلح يعنى الشيخوخة وكـان اعضاؤه يسمون Gerontes . وكان هذا المجلس مكون من ثلاثين عضـواً ومـن بينهم الملكان. ولا يوجد تفسير مقنع قد تم العثور عليه لتحديد العدد المنتظم الدائـم وهو ٢٨ عضواً . وإن كان بلوتارخ يقدم تفسيراً لذلك إذ يقـول "أنـه لمـا كـان ليكورجوس يريد تنفيذ اصلاحاته اختار ثلاثين رجلاً من علية القوم ، ولكن رجليـن من الثلاثين رجلاً الذين كان قد اختارهم تولاهما الخوف وابتعدوا عن المشـروع . بينما يؤكد اخرون أن العدد الذى أُختير من البدء هو ثمانية وعشرون رجلاً . وأنـه إذا ما أضيف الملكان صار العدد ثلاثين رجلاً ويوضح بلوتـارخ أن ليكورجـوس كان هو المسئول عن انشاء الجروسيا وأن ذلك قد أكدته الريترا التى تلقاها المشـوع من الاله أبوللو وحياً . وبالتأكيد فإن بلوتارخ كان مخطئاً فى اسناده انشاء المجلـس

لليكورجوس لأن الملوك الأول يجب أن يكون عندهم مجلس للشيوخ سبيه لتلك المجالس التى وجدت فى المدن اليونانية الباكرة والتى سبق أن نوهنا اليها ، ومع ذلك ، فمن المحتمل فعلاً أن عضوية وسلطة الجروسيا قد تأكدت وتحددت ماهيتها فى فترة وضع الريترا موضع التنفيذ والتى أُعتبرَت كميثاق لحكومة الجمهورية الاسبرطية .

وقد تحددت أهمية مجلس الجروسيا منذ انشائه على حد قول بلوتارخ نقلاً عن افلاطون ، إذ يقول فقد كان قوة تشارك الملوك فى سيادتهم لتهذب من حيرتهم ولا يقل سلطان المجلس عن سلطان الملوك ، يمهد للحكومة فى الأوقات العصيبة وسائل السلام ونصائح الحكمة . كان دأب الحكومة أن تسبح فى لجج من الاضطراب يميل بها الملوك إلى الاستبداد ويجتذبها الشعب إلى الديمقراطية . وقف مجلس الشيوخ بين هاتين القوتين المتعارضين قوة ثالثة تحفظ التوازن بينهما ، وبذلك استقرت الحال واستقامت الشئون .

وقد تحددت شروط عضوية المجلس بألا يقل عمر المرشح للوظيفة عن ستين عاماً وكان يتم شغل عضوية المجلس بالانتخاب فيما عدا عضوية الملكين التى كان شغلها مرتبط بمنصب الملك . وأن عضوية الملك لم يكن يشترط فيها وصوله إلى سن الستين إذ يصبح عضواً فيها بمجرد توليه كرسى الحكم وهنا نقول أن العضوية هنا وراثية ، ولكن هل كان يحق لكل اسبرطى من الذين بلغوا سن الستين التقدم للترشيح لشغل العضوية الشاغرة فى المجلس ؟ يرى نفر من الباحثين أن من حق كل اسبرطى بلغ سن الستين أن يرشح نفسه للانتخاب واصحاب هذا الرأى قد تأثروا بأسطورة تساوى كل الاسبرطيين وينكر أن هناك مجموعة متميزة من الاسبرطيين بيد أن لدينا العديد من المصادر القديمة والتى تؤيد بشكل جلى أن هناك مجموعة متميزة من الاسبرطيين شكلت الفئة الارستقراطية الاسبرطية فيقول

اكسينيفون "أن الرجال العظام هم الأغنياء بينما الرقباء ذوى السلطات المشابهة للطغاة من الفقراء فى أحوال كثيرة على الأقل" ويقول أرسطو فى كتابه السياسة "والسبب الثانى لوصف اسبرطة كدولة ديمقراطية هو حق المواطنين أن ينتخبوا اكبر هيئتين وهما مجلس الشيوخ وأنهم هم انفسهم لهم الحق فى تولى وظيفة الرقباء" وهذه العبارة تثبت بشكل واضح أن المواطنين فى الجمعية يمكن أن ينتخبوا بعض الرجال للجروسيا ، وليس هم أنفسهم ، وفى موضع آخر يقول فى تعليق على الحاجة إلى كل العناصر فى الدولة كى تكون مقتنعة بالدستور ، إذا ما كان ينبغى أن يبقى ، يلاحظ أن هذه الحالة موجودة فى اسبرطة ، بسبب أن الملكين كانا راضيين بالتكريم الذى يسبغ عليهما من قبل الارستقراط Kaloi Kagathoi مع الجروسيا ؛ فقد كانت هذه الوظيفة هبة أو مكافأة للسمو ، والشعب مع الرقباء ، وكان يحق للجميع الترشيح لها . كما توجد عند هيرودوت وثيوكيديديس وارسطو وبلوتارخ اشارات عديدة عن الاسبرطيين الاثرياء ولذا فقد كان هناك ارستقراطية بين الاسبرطيين . ومن المرجح أن هؤلاء الاعضاء للاثرياء بالجروسيا كانوا هم المسئولون بشكل شائع عن رشوة الرقباء والتى اشار اليها أرسطو ، وهذا قد جعل نظام الرقباء يقوى الارستقراطية ، وكما أوضح بلوتارخ أن هؤلاء النبلاء بالسيطرة على الجروسيا بممارسة النفوذ والتأثير على الرقباء والموظفين الآخرين ، كنوا هم القوة الحقيقة فى دولة اسبرطة ، ويقول ديموستينيس فى تعليقه على الانتخاب لمجلس الشيوخ يصبح الرجل السيد المطلق للكثيرين .

قصارى القول أن هناك نفر من الاسبرطيين شكّلوا ارستقراطية بين الاسبرطيين وأن ثروتهم قد فاقت ثروة الاسبرطيين الآخرين ، كما أن هؤلاء الارستقراط هم الذين يتم انتخابهم لمجلس الشيوخ وهذا ما يؤكده قول بلوتارخ أنه

إذا ما توفى شيخ انتخب بدلاً منه اوفر المواطنين فضلاً ممن تجاوز سن الستين وكان التنافس معركة من أمجد المعارك فى العام وخير ما تبذل فيه جهود المتنافسين ، لم يكن القصد انتخاب انشط النشطاء ولا أقوى الأقوياء بل أحكم الحكماء وأفضل الفضلاء ، يستمتع المُنتخب طوال حياته بأجر الفضيلة ، وهو السيادة المطلقة فى الحكومة . . . الخ .

كانت طريقة انتخاب اعضاء المجلس طريقة بدائية طفولية فى نظر أرسطو بينما اعتبرها بلوتارخ طريقة نموذجية ، وقد قدم لنا وصفاً للعملية الانتخابية وما يليها بالكلمات الآتية "يجتمع الشعب فى الساحة العمومية ويجتمع المختارون المرشحون فى غرفة مجاورة لا يرون أحداً ولا يراهم أحد ولكنهم يسمعون هتاف وصياح الجماعة لأن الشعب كعادته يعطى صوتاً عالياً . ولا يرى المرشحون سوى المكتوب على لوحة الدرجات الأول والثانى والثالث وهلم جرا . ولا يدخل المتنافسون دفعة واحدة بل يجتازونه الواحد تلو الآخر صامتين فمن كان موقن كان الهتاف له أكثر وأقوى كان المنتخب فيتوج بإكليل من الزهور ، م يذهب إلى الهيكل ليقدم الشكر للآلهة ، يمشى خلفه جماعة من الشبان يثنون على شمائله ويطرون فضائله ، ثم طائفة من النساء تنشد الأناشيد تهنئة بحياته الفاضلة ، ثم يعد له كل أصحابه طعاماً ويقولوا له أن المدينة تكرم فضله بهذا الطعام ، وبعد أن يزورهم جميعاً ، يعود إلى الساحة العمومية حيث يقضى الشئون عادة ، غير أنهم يعدون له وجبتين من الطعام فيترك واحدة منها بينما يتناول الأخرى فى العشاء وبعد تناوله العشاء تحضر ذات قرباه يقفن عند أبواب الساحة فيدعو أكثرهن احتراماً فى نظره يقدم اليها الوجبة الثانية قائلاً "أعطيت هذا جزاء الفضيلة وبهذه الصفة أقدمها إليك" ، فتصحبها النساء إلى منزلها وتكون هى أيضاً موضعاً للحفاوة والتكريم . وإذا ما صار الاسبرطى عضواً فى المجلس فإن عضويته كانت أبدية ،

وكان لا يقبض عليه بسبب كلمات أو أقوال أى أنه كان يتمتع بالحصانة طالما التزم الطاعة للقوانين ونواميس الدولة .

كان المجلس يتمتع بسلطات واسعة فى الدولة فكان ينظر بالدرجة الأولى فى شئون السياسة الخارجية ، كما كان يعد مشاريع القوانين التى يتم عرضها على الجمعية الشعبية بعد أن يكون قد درسها ، كما كان من حقه هو والملك الاعتراض على قرارات الجمعية الشعبية ، ولكن هذا الحق شاركهم فيه فيما بعد الرقباء . وكان الرقباء يترأسون جلساته وليس الملكين . كما كانوا هم الذين ينفذون القرارات الادارية للمجلس وانهم كانوا هم الذين ويقدمون للجمعية مشروعات القوانين لقبولها أو رفضها .

وقد خدم المجلس كهيئة قضائية ، فقد كان له الولاية فى القضايا الجنائية وقضايا الاعدام . وإن كان الرقباء قد شاركوه النظر فى القضايا كما كان له حق النصح للملك فيما يتعلق بمستقبل الملكية إذ نجده ينصح أحد الملوك كى يتزوج زوجة ثانية لأن زوجته الأولى عاقر ورغم نصيحته بالتهديد ، ولعل السبب فى ذلك الرغبة فى أن تكون له ذرية يخلفه أحدها على العرش وقد خضع الملك لتهديد المجلس والرقباء .

لقد كان هذا المجلس مجلساً محافظاً إذ لم يكن رجعياً ، وفى الحقيقة فإنه يمثل الوجه الاوليجرخى الارستقراطى فى اسبرطة . وبعد أن عرضنا لهذا المجلس ننتقل الآن للحديث عن الجمعية الشعبية .

الجمعية الشعبية :

كما هو الحال فى المدن اليونانية الأخرى فإن الدستور الاسبرطى قد احتوى على الجمعية الشعبية كركن من أركان النظام السياسى . كانت الجمعية الشعبية

تضم المواطنين الكاملو الأهلية الذين بلغوا سن الثلاثين واجتازوا مراحل التدريب والخدمة والتى يفرضها القانون ويقال أن عدد اعضائها فى أزهى فترات ازدهار المدينة قد بلغ عشرون الفاً ولعل فى هذا الرقم بعض المبالغة . لأن عدد الاقطاعات تتراوح ما بين عشرة وتسعة الاف قطاع . وحيث أنه لا يوجد دليل يؤكد على أن هذه الجمعية قد سميت Apella فمن الافضل أن نستعمل المصطلح العام وهو الاكليزيا Ecclesia .

كانت الجمعية الشعبية تلتقى مرة كل شهر عندما يكتمل القمر أى فى منتصف الشهر القمرى . وكان يتولى رئاستها فى البداية الملوك ولكن فى العصور التالية انتقلت رئاستها ودعوتها للانعقاد للرقباء .

وكانت الجمعية الشعبية تقوم بانتخاب اعضاء مجلس الشيوخ واعضاء مجلس الرقباء والموظفين الآخرين وذلك بطريقة الصياح . وكان يعرض عليها المسائل التى تهم المواطنين مثل اعلان الحرب أو اقرار السلم أو عقد محالفة مع مدينة من المدن الأخرى ، وكان يعرض عليها مسألة وراثة العرش حيث يكون هناك خلاف حول شخص الوريث . كما كان يعرض عليها مشاريع القوانين المقدمة من الملكين والشيوخ والرقباء للموافقة عليها أو رفضها . وفى البداية كان من حق الملكين والشيوخ الحديث أمامها ، ولكن على ما يبدو حدث فى موقفها وناقش اعضاؤها مشاريع القرارات المقدمة اليهم وحاولوا تعديلها أو تبديلها وهذا قد أدى إلى اضافة ملحق الريترا والذى يمنح الملكين ومجلس الشيوخ الحق بفض الاجتماع إذا ما شعروا أن الجمعية قد تقر أموراً خاطئة ، وبهذا التعدين فإن ما تقرره الجمعية لا يصبح نافذ المفعول إلا بعد موافقة الملكين ومجلس الشيوخ وهذا يعنى أن سلطتها سلطة اسمية ، ولكن وجود نظام الرقباء قد أضاف لها ثقلاً كبيراً وقد دار جدلاً بين الباحثين حول من له أهمية أكثر مجلس الشيوخ أم الجمعية

الشعبية ؟ فقد رأى أرسطو أن مجلس الشيوخ كان له وزن كبير بينما الجمعية الشعبية لم يكن لها أهمية كبيرة . وقد تبعه نفر من المؤرخين المحدثين في هذا الرأى وحاولوا أن يتبنوه ، فعلى سبيل المثال فنجد أن المؤرخ De Sle Croix يعلى من دور الجروسيا واهميتها فى مجال المحاكمات السياسية ، واقتراح القوانين والاعتراض على ما تبديه الجمعية الشعبية من تعديلات فى مشاريع القوانين المقدمة من مجلس الشيوخ ، وأن الاسبرطيين العادين لم يكن لهم سلطة الحديث فى الجمعية سوى الملكين واعضاء مجلس الشيوخ والرقباء . وأن الجمعية الشعبية لم يكن لها سلطة اقتراح القوانين . ويقول موسى فينى "هل يمكن أن نتصور أن الجنود الاسبرطيين المطيعين والملتزمين أن يتخلوا عن عاداتهم فى مثل هذه المناسبات عندما يجتمعون ليس كجنود وإنما كمواطنين ، بينما هم يستمعون للمناقشة بين هؤلاء الذين علموهم أن يأخذوا الأوامر بدون نقد أو تردد" ولذا فهو يقترح أن وظيفة الجمعية الشعبية فى اسبرطة اقرب إلى وظيفة الجمعية الهومرية .

ويعارض هذا الرأى نفر أخر من الباحثين . إذ يرون أن المصادر التاريخية ، على العكس ، لا تقدم إلا القليل حول الجروسيا ولكنها تحتوى على الكثير من المادة حول الجمعية الشعبية . فالجمعية هى التى تنتخب هؤلاء الشيوخ والرقباء وحسم الخلافات حول وراثة العرش إن كان هناك خلاف ، كما أن السلطة المخولة لها فى إقرار القوانين تعنى أنه لا يمكن أن يصبح هناك قانون سارى المفعول دون أن يلقى القبول والتصديق عليه من قبل الجمعية الشعبية . وإذا كان مجلس الشيوخ هو الذى يدير جانب من السياسة الخارجية فإن مخاطبة السفراء للجمعية الشعبية يشير إلى أن رأى الجمعية كان له ثقله ووزنه ، وفى ضوء المادة فإن الجمعية كان لها سلطة ما فى التعديل وأخذ زمام المبادرة . ففى صيف ٤١٨ ق.م عندما كان جيش اسبرطى بقيادة الملك أجيس ذاهب لقتال أرجوس ولكن

الملك رأى أن يستخدم الدبلوماسية بدلاً من خوض الحرب ضد أرجوس وذلك خشية أن يلقى الهزيمة ، وبالفعل قرر الانسحاب ، وعلى الرغم من عدم رضا الاسبرطيين وحلفاؤهم عن قرار الملك إلا أنهم تبعوه إلى الوطن تنفيذاً للقانون إذ أن الملك كانت له القيادة العليا والسلطة المطلقة في ميدان المعركة . وبعد أن عادوا إلى الوطن فإن الاخبار قد وصلت عن أفعال وتصرفات الملك كانت خاطئة وعلى حد وصف ثيوكيديديس فقد أصبح الاسبرطيون أكثر تقارباً أى اجتمعت كلمتهم ، وقرروا وهم في حالة غضب ، وهذا ضد طبيعتهم ، أن يدمروا منزل الملك أجيس وأن يغرموه مائة ألف دراخمة وطلب الملك منهم الا ينفذوا ما قرروه الا بعد الاستماع إليه والدفاع عن نفسه وبالفعل فقد عدلوا عما قرروه بشأنه ولكن مرروا قانوناً والذى بمقتضاه قد فرضت بعض القيود على سلطات الملك كقائد ، كما أن مجلس الرقباء كان هو المحرك للدولة كلها فكانوا هم الذين يرأسون المجلسين عند انعقادهما . كما أن قصة الملك الذى تزوج بعاقر والتى سبق أن ذكرناها أن الرقباء حاولوا اقناعه بتطليقها ثم مع السماح بأن يتزوج عليها لتمسكه بها وهددوه إذا لم يفعل فسوف يحتكمون للشعب أى الجمعية الشعبية ما يشير إلى سلطة الجمعية الشعبية . وفى النهاية يمكننا القول أن أجهزة الحكم والاجهزة التشريعية الاسبرطية كان يكمل بعضها بعضاً كما أن السلطات المخوله للأجهزة التنفيذية والتشريعية لم تكن ثابتة ومقصورة على هيئه بل نجد تبدل فى السياسة والسلطات وكل ذلك قد حدث لصالح الدولة وليس لصالح هيئة على هيئه أو مجلس على مجلس . وبعد أن عرضنا لأركان النظام السياسى الاسبرطى ننتقل الآن للحديث عن ملامح النظام الاقتصادى والاجتماعى الاسبرطى .

النظام الاقتصادى :١ – حيازة الارض

لمّا كان النظام الاقتصادى والاجتماعى يرتبط بنظام الارض وحيازتها ، فإنه

من الضرورى أن نعرض لمشكلة الارض المُحيرة . إن أفضل وأكمل عرض لنظام الاراضى فى اسبرطة قد دوّنه لنا بلوتارخ فى حياة ليكورجوس والذى سنذكره هنا كاملاً إذ يقول "والثانى من انظمة ليكورجوس هو تقسيمه الاراضى . كان عدم التساوى بالغاً أشده لا يملك الكثيرون شيئاً ولا مورد لهم وهم سواد المواطنين ، بينما أن الثروة كلها مستفيضة بين أيدى نفر قليل العدد ، عمد ليكورجوس رغبة فى اجتناب الاعتداء والحسد والبخل والفخفخة وما هو أضر منها بالحكومات أى الغى والفقر إلى اقناع الاسبرطيين بالنزول عن اراضيهم وتقسيمها من جديد وجعل كل الثروات على قر واحد ومساواة تامة ، تتولى الفضيلة وحدها توزيعها إذ لافرق بين الناس الا ما يخجل وحبهم للخير ، نفذ المشروع وذلك بتقسيم ليكورجوس اراضى لاكونيا إلى ثلاثين ألف اقطاع لأهالى الريف (أى الحلفاء) وتسعة آلاف لأهالى اسبرطة مراعاة لعدد الاسبرطيين الداخلين فى القسمة . ويزعم البعض أن ليكورجوس لم يزد عدد نصيب الاسبرطيين عن ستة ألف اقطاع ثم أضاف اليها الملك بوليدوروس ثلاثة آلاف اقطاع ، ويزعم البعض أن وضع نصف التسعة آلاف اقطاع والآخر النصف الثانى من الاقطاعات . وكل اقطاع كان ينتج سبعين ميدمينوس من الشعير لكل رجل واثنى عشر ميدمينوس لكل امرأة مع ما يماثلها من الثمار السائلة (أى النبيذ وزيت الزيتون) وفى هذا القدر ما يكفى لحياتهم فى طمأنينة وصحة وما يسد حاجتهم وحدث بعد ذلك بسنوات أن ليكورجوس مر بلاكونيا وهو عائد من رحلته وكان ذلك ابان الحصاد وإذ رأى أكوام الجزم مصفوفة صفوفاً منتظمة ومتساوية قال لأحد رفاقه "كان حصاد لاكونيا ميراث يتقاسمه أخوة" وسنحاول أن نحلل هذا النص فى ضوء المصادر المتاحة فى النقاط الآتية :

١- يرى البعض أن الدوريين كانوا رعاة وقت وصولهم إلى بلاد اليونان وعندما

غزو الارض الزراعية فى وادى نهر يوروتاس واستولوا عليها بعد أن استرقوا أهلها . ويختلف الكتاب القدامى حول تقسيم الاراضى الزراعية فى لاكونيا فالبعض يرى أن التقسيم قد حدث بعد استقرار المهاجرين الدوريين وأن هذا التقسيم كان فى اقطاعات متساوية Klaroi ، بينما يرى البعض الآخر أن المشرع ليكورجوس هو الذى قام بهذا العمل وأنه قد قسم الاراضى الزراعية إلى قطع متساوية . وعلى ما يبدو لنا فإن توزيع الاراضى كان قد حدث منذ البداية وإن كنا لا ندرى قد كان بالتساوى أم لا ! ولعل ذكر بلوتارخ لحالة عدم ارضى والحسد والحقد بين السواد الأعظم من الاسبرطيين والحلفاء عن تلك الاوضاع مما يهدد بالقلاقل والاضطرابات ، وأنه عندما أتى ليكورجوس كانت الأرض مهيأة لتحقيق الاصلاح . ولذا فقد قام بتوزيع الارض ليس فى اسبرطة فحسب بل أيضاً فى مدن الحلفاء فى قطع وزعت بالتساوى على المواطنين الاسبرطيين والحلفاء ، ولكن على ما يبدو فقد حدثت استثناءات لتلك القاعدة إذ نجد بعض الملوك والاشراف كان لهم ضياع خاصة بهم فى زمام اراضى الحلفاء بجانب الاقطاع الممنوح لهم حيازته فى اسبرطة وهذا ما نستخلصه من قول اكسينيفون أن الملوك الاسبرطيين قد وفروا الارض فى الكثير من مدن الحلفاء ، ولكن العلماء المحدثون لا يتفقون حول معنى هذه العبارة ، إذ من المعروف أنه عندما توسع الاسبرطيون فى المناطق المجاورة للاكونيا لم يضيفوا اراضى جديدة لاراضى المدينة Politika Chora ، فقد تركوا السكان المحليين احراراً وفى نفس الوقت يبو أن هناك ضياعاً والتى صارت ممتلكات خاصة بالملوك وربما بعض الاشراف ، وفى رأينا لم يحدد اكسينيفون كيفية توفير الاراضى ، فهل تم الحصول عليها بالاتفاق مع المدن الحليفة بعد تحالفها على سبيل الهبة أم نزلت عنها تلك المدن طواعية لصالح الاسبرطيين أم أن هذه

المدن قد سمحت للملوك بشراء اراضى بها ؟ لا نستطيع فى ضوء معلوماتنا الحالية أن نرجح احتمال على آخر وأيهما أقرب إلى الصحة . وإن كان الأول قد يكون من الجائز لأن اراضى الحلفاء قد خضعت هى الأخرى للتقسيم مثلها مثل اراضى اسبرطة ، ولكن على ما يبدو أنه كان مسموحاً فى تلك المدن الحليفة التنازل عن الاقطاعات بالبيع والشراء ، ولذا فقد استثمر الملوك والاشراف ثرواتهم فى شراء اراضى فى المدن الحليفة التى كانت قوانينها تسمح بالتصرفات القانونية فى الاراضى .

٢- إن عدد المقسمة والمذكورة سواء فى لاكونيا (٩ آلاف) أو فى اراضى الحلفاء والمنسوبة إلى ليكورجوس على ما يبدو مبالغاً فيه إذ أن الكاتب قد حسب اراضى ميسينيا هنا ولم تكن قد فتحت وضمت بعد ، وهذا يكون جلياً من قوله يزعم البعض أن ليكورجوس كان قد خصص ستة آلاف اقطاع للاسبرطيين وأن الملك بوليدوروس أضاف إليها ثلاثة آلاف ، بينما يزعم البعض الآخر أن الأول وضع نصف التسعة ألاف والثانى النصف الثانى . ولعل ذكره لاضافة الملك بوليدوروس به جانب من الحقيقة . إذ أن فتح ميسينيا والاستيلاء على أراضيها الزراعية لم يتم مرة واحدة ، وإنما بعد حربين طويلتين كما سبق أن ذكرنا ، وأن إضافة هذه الاراضى قد ترتب عليها توزيعها بين الاسبرطيين والحلفاء وأن جملة ما حصل عليه الاسبرطيون بعد غزوهم لاراضى ميسينيا ليس ثلاثة آلاف اقطاع بل أربعة آلاف وخمسمائة اقطاع وأن هذا لم يتم على مرحلى واحدة وإنما على مرحلتين ، فقد حصلوا على حصة منها بعد ضمهم لجانب من اراضى ميسينيا فى الحرب الاولى والحصة الأخرى حصلوا عليها بعد اكمالهم لضم الجزء الثانى من ميسينيا فى الحرب الميسينية الثانية .

٢- يرى البعض أن الملوك والنبلاء فى الحرب الميسينية الأولى هم الذين حصلوا

على نصيب الأسد من الاراضى المخصصة كأقطاعات للاسبرطيين فى ميسينيا لأنهم هم الذين تحملوا عبء فتحها لأنهم كانوا يعتمدون على اساليب القتال الفردية والفروسية ويرون أن نتيجة لهذا أن الآشراف قد خصوا انفسهم بنصيب الاسد فقد حدث صراع فى المجتمع الاسبرطى وكان أحد أثاره هو تأسيس مستعمرة تاراس فى نهاية القرن الثامن ، مما يؤكد هذا الصراع الملحق الذى اضيف للريترا عندما عدل وحرف الشعب مشروعات القوانين المقدمة اليه ، كما أن الشاعر ترباندر قد حث الاسبرطيين واقنعهم بأن يسقطوا خلافاتهم ، وعلى الرغم من الجانب الاسطورى لهذه الرواية إلا أنها تظهر النزاعات الداخلية التى حدثت فى اسبرطة ، كما أن الشاعر الكمان قد عبر عن التوتر بين الارستقراطية والناس العاديين بقوله "إن الناس فى اسبرطة يعتمدون على طعام سيئ وبسيط" ، ولعل حالة عدم الرضا يمكن أن نستخلصها من قول أرسطو "إن بعض الاسبرطيين قد عانوا نتيجة الحرب الثانية ولهذا فقد طالبوا بضرورة اعادة توزيع الاراضى" .

ويقولون ان الحرب الثانية قد شارك فيها الجيش الاسبرطى المكون من مشاة ثقيلى العدة وأن الفقراء قد شاركوا فى القتال ونظراً لذلك فقد وافق النبلاء أن يمنحوا نسبة كبيرة من الاراضى المفتوحة للعامة . ولكن لا يمكننا قبول هذا الرأى إذ أن نظام التربية الاسبرطية العسكرية لم يكن قاصراً على النبلاء فحسب بل على جميع الاسبرطيين الخُلّص وهذا يعنى ضمان اقطاع لكل وليد سليم البدن ، ولعل نقص الاقطاعات هو الذى أدى إلى التوسع خارج لاكونيا وعلى حساب المناطق المجاورة ، فقد كان حيازة الاقطاع ضرورة من ضرورات المواطنة . وعلى ما يبدو أن عدد المواطنين قد زاد عن عدد الاقطاعات ولذا فقد اقتضت الضرورة توفير اقطاعات لهم وذلك بغزو اراضى

ميسينيا ؛ كما أن عدم الرضا من قبل الابناء غير الشرعيين من الامهات الاسبرطيات قد يكون سببه أن هؤلاء ليسوا ابناء مواطنين اسبرطيين خلّص ولذا فقد كانوا مواطنين ناقصى الاهلية ولذا لم يحصلوا على جميع الامتيازات الممنوحة للمواطنين كاملى الاهلية . ولكى تحل اسبرطة مشكلتهم فقد سعت إلى توطينهم فى مستوطنة تارنتوم . أما عن عدم رضا الاسبرطيين الفقراء فيمكن الرد عليه أن الحلفاء قد حصلوا على حصص فى هذه الاقطاعات فى ميسينيا وايضاً خلق مجتمعات حليفة فى ميسينيا وكان يمكن أن يسترقوا هذه المجتمعات بدلاً من جعلها حليفة وتوزيع اراضيها على فقراء الاسبرطيين وبذلك تتخلص اسبرطة من القلاقل التى قد يثيرها فقرائها . ويمكن أن نقول أن عدد الاسبرطيين كان قد زاد قبل الحرب الميسينية الثانية واقتضى ذلك كسب اراضى جديدة لتوزيعها عليهم وهذا ما حدث بالفعل بعد النصر على الميسينيين فى حربهم الثانية . فقد وزعت الاراضى بين المواطنين الاسبرطيين كما نجدها قد خلقت مجتمعات حليفة ايضاً فى بعض مناطق ميسينيا .

٤- إن حيازة إقطاع من الارض العامة هو شرط اساسى من شروط المواطنة ، فقد كانت الدولة تخصص اقطاعاً لكل مواطن من ابوين اسبرطيين منذ ولادته ، لأن فلسفة الدولة لا تدع المواطن يمارس أى نشاط خاص يدر عليه دخلاً أى أن ممارسة أى عمل خاص يحرمه القانون ، وفى المقابل تقدم الاعاشة الكاملة لكل مواطن منذ ميلاده وحتى بعد تكوينه اسرة وفى المقابل كانت الدولة تطلب من مواطنيها خدمة طويلة وهذه الخدمة كانت تتضمن واجبات وأعمال حكومية ومهام عسكرية أى أن المواطن كان يكرس نفسه فى المقابل فى خدمة الدولة والدفاع عنها . ولما كان محرماً عليه القيام بأى عمل غير خدمة الدولة فإن الاقطاع المخصص له كان يتم زراعته واستغلاله من قبل مزارعين مربوطين

بالارض Helots والذين كان عليهم أن يسلموا حصة محددة مـــن المحصـــول وهى الحصة التى رأت الدولة أنها كافية لحياته ولاسرته . وهى ٨٢ ميدمينيـــس وكمية من الزيت والنبيذ والفاكهة . وكان على المواطن للمحافظة علـــى حـــق المواطنة أن يتم استغلال اقطاعه والذى يتراوح مســـاحته مـــا بيـــن ٧٤ و ٨٠ فدان. وايضاً كان ينبغى عليه أن يقدم حصة شهرية من دخل اقطاعه للمشـــاركة به مع رفاق المائدة من اقرانه Syssition والتى سنتحدث عنها فيما بعد . ويرى البعض أن المواطن الاسبرطى كان يحصل على ثلث غلة اقطاعه فـــى منطقـــة لاكونيا بينما فى ميسينيا كان يحصل على نصف انتاج اقطاعه ولعل السبب فـــى ذلك حسبما يرى البعض يعود إلى المعاملة القاسية التى تم معاملـــة الـــهلوتيس المسينيين معتمدين على وصف تيرتايوس بأنهم حملوا أعباءً مثل الحمير وذلـــك بعد الحرب الميسينية الثانية وقد يكون هذا الرأى جائز ولكن علينا أن نأخذ فـــى الحسبان أن الدولة كانت قد حددت الحصص المخصصة من الانتـــاج للمواطـــن الاسبرطى من الاقطاع ومعنى أن تفرض أعباء أعلى علـــى زراع الاقطاعـــات فى ميسينيا فإنها بذلك قد أخلت بمبدأ التساوى فى الدخل بين المواطنيـــن الذيـــن لديهم اقطاعات فى لاكونيا وبين المقطعين فى ميسينيا . ولذا يمكننا افـــتراض أن التباين فى خصوبة وانتاجية التربة فى كل من لاكونيا وميسينيا فتربـــة الأولـــى كانت أكثر خصوبة من الثانية ولذا فقد كانت الحصة المحددة والمقـــررة ثلـــث المحصول بينما كانت الحصة المحددة تساوى نصف المحصول .

٥- تشير الروايات القديمة إلى أن عدد المواطنين كان فى تناقص مســـتمر فكيـــف كان ذلك ؟ وفقاً للروايات القديمة كان عـــدد المواطنيـــن الاســـبرطيين الذكـــور يتراوح ما بين تسعة آلاف وعشرة آلاف وعلى ما يبدو أن عـــدد التســـعة آلاف كان بعد أن ضمت اسبرطة لاراضى ميسينيا إذ بلغ عدد الاقطاعات تســـعة آلاف

اقطاع . ويقول هيرودوت أنه فى سنة ٤٨٠ كان عدد المواطنين الاسبرطيين ثمانية آلاف مواطن ، وهنا نلاحظ تناقص العدد بشكل مضطرد وهذا يؤكده حرص الاسبرطيين على عقد الصلح مع أثينا سنة ٤٢٥ حتى يستردوا مائة وعشرون اسبرطياً تم اسرهم فى معركة اسفاكيتريا . واستمر هذا العدد فى التناقص إذ يقدر الكتاب أن عدد الاسبرطيين فى عام ٣٧٠ كان يتراوح ما بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ مواطناً ، وهذا التناقص فى عدد المواطنين يدفعنا للتساؤل حول كيفية عمل وتنفيذ نظام منح الاقطاعات عبر الاجيال ؟ يقدم لنا بلوتارخ فى حديثه عن حياة ليكورجوس صورة عن كيفية عمل هذا النظام إذ يقول "إذا ما فحص مواطنو الدولة الطفل الحديث الولادة ووجدوه صحيح البدن يأمرون الأب بأن يرعاه ويخصصون للطفل اقطاع من التسعة آلاف اقطاع . وهذا يعنى أن الدولة كانت تشرف على الاقطاعات التى لم يتم تخصيصها بعد أو الاقطاعات التى كانت تؤول اليها بعد موت حائزيها . فعندما يموت الأب كان الابن لا يرث اقطاعه بل كان يعاد للدولة لأن هذا الابن كانت الدولة قد خصصت له اقطاعاً فى حياة ابيه ووفقاً لقانون المساواة فلا يفترض أن يحوز أحد القطاعين من الأرض العامة فى اسبرطة . أما إذا كان الأب له عدة ابناء ذكور أصحاء البدن ، فإنه كان من حق كل واحد منهم الحصول على اقطاع ولعل نقص الاقطاعات فى لاكونيا فى القرن السابع هو السبب فى غزو ميسينيا والاستيلاء على اراضيها الزراعية وتقسيمها بين المواطنين الاسبرطيين الخُلّص والذين لا توجد لهم اقطاعات فى اراضى لاكونيا .

٦- أن نظام منح الاقطاعات لم يبق مستقراً وثابتاً بل شهد تطورات وتغيرات ونستخلص هذا من بلوتارخ الذى يشير إلى أنه قد سمح للأب أن يترك لابنه اقطاعه أى أن هذا الابن أصبح يرث حيازة اقطاع ابيه ، ومن الواضح هنا أن

رب الاقطاع كان لا يملك القطاع ملكية رقبة ولكن كان له حق الحصول على الحصة المقررة من انتاج الاقطاع وأن ما نزل عنه لابنه هو أن نزل عن حقه فى الحصول على هذه الحصة . ولعل السبب فى هذا التطور هو تناقص عدد المواطنين الاسبرطيين على نحو حاد ، فقد كان على الدولة ، فى البداية ، عندما كان اعداد مواطنيها كبيرة ، أن تشرف بحزم وصرامة على عملية توزيع وتخصيص الاقطاعات حتى تضمن الحصول لكل مواطن على اقطاع ، ولكن ماذا حدث مع النقص الحاد فى السكان فى مقابل مساحات الاقطاعات التى لا حائز لها . إما أنها كانت تتلقى حصة الدخل منها مباشرة وإما أنها لتشجيع المواطنين على الانجاب قد منحتهم الحق فى النزول عن الحيازة لبنائهم بجانب ما تخصصه لهم من اقطاعات وهنا على ما يبدو أن قبضة الدولة قد خفت بالنسبة لنقل حيازة الاقطاع . ويقول أرسطو أن ليكورجوس قد جعل من العار من العار بيع الاقطاعات بالنسبة للاسبرطيين ويؤكد هذا القول الفيلسوف هيراقليديس بونتيكوس (من القرن الرابع)بقوله "إنه يُعد عاراً للاكيدايمونيين أن يبيعوا الاراضى ولم يكن مسموحاً بيع الجزء القديم "Archaia morira" وقد فسر أحد الباحثين قول هيراقليديس على النحو التالى : أنه من المفترض أن بعض الاسبرطيين الحائزين على اقطاعات فى ميسينيا كانوا قد باعوها كما أن المقصود بالارض القديمة هنا اقطاعات الاسبرطيين فى لاكونيا . وهذا التفسير قد يكون فيه جانباً من الحقيقة خاصة عندما تحدث من أن الارض القديمة المقصود بها ارض لاكونيا . بينما فيما يخص الاقطاعات فى ميسينيا قد يكون قد جانبه الصواب فى اعتبار أن الاسبرطيين الحائزين على اقطاعات فى ميسينيا يمكنهم التصرف بها . ولعل المقصود هنا هو أن بعض الاسبرطيين كانوا يملكون اقطاعات فى اراضى الحلفاء ولعل المقصود هنا بيع شالثه

لاراضيها فى تلك البقاع كان يُعد عاراً بينما كان التحريم هنا يخص الاقطاعات التى تخصصها الدولة . ولكن هذا التحريم لم يدم إذ حدث تطور فى الاوضاع بالنسبة للاقطاعات فى لاكونيا ذاتها فنجد هناك من يعطون أو يتنزلون عن اقطاعاتهم فى لاكونيا . وعى حد قول أرسطو كان من نتيجة هذه التطورات أن خمس مساحة الارض قد لآل للنساء لأن هناك الكثيرين الوريثات ولأن المهور كانت مرتفعة . . . الخ . وقد حدث هذا التطور فى مستهل القرن الرابع وهذا ما حدثنا به بلوتارخ فقد روى أن الرقيب بيتاديوس قد شرع قانونا (Rhetra) وبمساعدة الاقوياء ، جعل من الممكن للرجل أن يتنزل أو أن يعطى منزله ومتعلقاته واقطاعه لمن يريد فى حياته وأن ينزل عنهم بوصية . وكان من نتائج هذا القانون أن الاقوياء الاغنياء قد استفادوا من هذا القانون واستغلوه ، والذى سرعان ما أوضح الابطال الكامل للتقاليد التى تمنع النزول عن الاقطاع ورهنه، فقد وسعوا من مساحات اقطاعاتهم واستعملوا كل حيلة ممكنة للاستيلاء على الاراضى مثل الهبة والتنازل وبتقديم المهور الكبيرة ، وهكذا كان الرقيب بيتاديوس أداتهم فقد ساعدهم بقانونه والذى جعل تصرفاتهم قانونية ومما زاد من المشكلة أنه بعد سنين أتت كارثة للوكترا ٣٧١ ق.م وبمساعدة طيبة استردت ميسينيا استقلالها وكان لهذا الاستقلال آثاره الاقتصادية والأجتماعية الكبيرة ، فقد كان من نتائجه فقد الكثير من الاسبرطيين اقطاعاتهم واصبحوا بغير اقطاعات وأصبحوا فى مصاف الوصفاء ، وعلى ما يبدو فإن فئة الاسبرطيين الذين كانوا ليس لهم اقطاعات فى لاكونيا لم تقدم يد العون للفئة الاولى فحسب بل سنجد أنها قد سعت للسيطرة أكثر فأكثر على الاراضى إلى أن وجدنا فى النهاية حيازة وملكية الارض قد أصبحت فى أيدى ٧٠٠ اسبرطى . ونتيجة لتركيز الارض فى ايدى فئة قليلة ، بعد أن فقد

الاسبرطيون اصحاب الاقطاعات فى ميسينيا ، أو نتيجة للسماح للفقراء من الاسبرطيين فى لاكونيا ذاتها بالنزول عن اقطاعاتهم أن تأثرت مكانة هؤلاء القانونية وأصبحوا غير قادرين على دفع حصة الرفقة ، وقد اختلف الباحثون حول هذا الوضع ، فهل كان المواطن الذى ينزل عن أرضه سواء بالهبة أو البيع أو أى تصرفات أخرى يفقده المواطنة الكاملة ؟ إن الماد المتاحة لا تمكننا من الاجابة مباشرة على هذا السؤال ولكن إذا ما استخدمنا المادة عن نظام الرفقة العسكرية Syssitia والموائد المشتركة والتى تعطينا بعض اسباب فقد المواطنة الكاملة ، ففى ظل هذا النظام كان على كل مواطن اسبرطى أن يقدم حصة شهرية من انتاج اقطاعه إلى سريته العسكرية . ويقول أرسطو أنه إذا ما عجز المواطن عن تقديم تلك الحصة ، فإن ذلك يفقده حق المواطنة ، بيد أن اكسينيفون يخالف ذلك إذ يقول لكل هؤلاء الذين قنعوا باحتياجات دستوره فإنه (ليكورجوس) قد أعطى حقوقاً متساوية للمواطنة بغض النظر عن العجز البدنى أو الحاجة المادية – نقص المال – ويرى بعض الباحثين أن الحاجة للمال أو العجز المالى تعنى أنها تشتمل على عدم القدرة على مواجهة مطالب الرفقة العسكرية أى دفع الحصة الشهرية ، ومن ثم فإن عدم القدرة المادية لا تؤدى إلى فقد حق المواطنة ، ولكنها تؤدى إلى عدم تساوى بين القادرين وغير القادرين من الاسبرطيين وأنهم ينزلون إلى مرتبة أدنى .

وبعد أن عرضنا لنظام الاراضى فى اسبرطة وأن الاسبرطيين الخُلّص كانوا ممنوعين بالقانون من ممارسة أعمال الزراعة والتجارة والصناعة ، بينما اقتصرت حياتهم وجهودهم على حياة الجندية وخدمة الدولة ، واعتمدوا على ما ينتجه الحلفاء والمزارعون المرابطون بالارض فى تقديم ما يحتاجونه من سلع ومواد مصنعة ، فقد كان الحلفاء قد عملوا بالزراعة والصناعة والتجارة وكان يصدر جانب من

انتاجهم الصناعى والجانب الآخر والأكبر كان يستهلكه الاسبرطيون . فقد ازدهـوت الصناعة والتجارة الخارجية والداخلية قبل اصلاحات ليكورجوس وبعده .

الصناعة:

عُدت اسبرطة من بين المدن الكبيرة المزدهرة الصناعة لفترة طويلـــة ومـــن المدن التى بها اثار عريقة وقد ساعد على ذلك وجود المواد الخام فى أراضيها ومـــا كان ينقصها كانت تستورده بحيث راجت صناعة استخراج الحديد (والـــذى كـــانت توجد مناجمه فى لاكونيا) فقد كان يوجد فى اسبرطة حى للحداديـــن حيـــث كـــانوا يصنعون الاسلحة والأدوات ومفاتيح النصر والتماثيل . وقد عثر فى أطـــلال أحـــد المعابد على "٣٥ الف تمثال" والتى تمكننا من تتبع مراحل التطور الصناعى والفنـــى فى مجال صياغة وسباكة المعادن ابتداءً من العصر الهندسى إلى القرن السابع وقـــد نال العاملون فى تشكيل البرنز شهرة واسعة والتى أكدتها الآثار فقـــد برعـــوا فـــى صناعة الكئوس وتروى لنا المصادر القديمة عن براعة جيتياداس Gitiadas فـــى صناعة المراجل الثلاثية الأرجل وكل رجل هى عبارة عن تمثال وتشير المصـــادر إلى أنه قام بتزين معبد أثينا ، كما نعرف أنه قد تم استدعاء ثيودوس من ســـاموس كى يزين ويزخرف سكياس Scias ، ولتكريم الملك كروسيوس ملك ليديا فقد أرسل إليه الاسبرطيون اناء بديع الصنعة من مصنوعات اراضيهم .

وبالنسبة لصناعة الاخشاب فقد ازدهرت تلك الصناعة ومنذ فترة كبيرة كـــان عند الاسبرطيين ورش نجارة ممتازة صنعت الاساس الممتاز مثل السرر والمنـــاضد والمقاعد وخاصة المحفات المنحوتة والتى استمرت فى العصر الكلاســـيكى تمثـــل ملمحاً من ملامح الازدهار الصناعى .

وقد روت لنا المصادر أن من أقدم نحـــاتى لاكونيـــا هيجيلـــوس Hegylos وثيوكليس Theocles ودوتاس Dutas ودوريكليداس Durycleidas فقد اســـتخدموا

العاج وخشب الصفصاف والزيتون والرخام فى تنفيذ منحوتاتهم . ويمكننا أن نحصل على فكرة من موهبتهم من تلك المنحوتات . كما ازدهرت عنده صناعة المنسوجات الصوفية وصناعة الاحذية وتكشف لنا الاثارعن موهبتهم فى صناعة الخزف والفخار . فقد انتشر الفخار اللاكونى فى الفترة الممتدة ما بين ٦٥٠ـ٥٥٠ ق.م فى مواقع بعيدة إذ تم العثور فى افسوس فى الشرق واتروريا وماساليا فى الغرب ، ونقراطيس وقورينى وقرطاج فى شمال افريقيا .

ولكن هذه الصناعة قد مرت بفترات ازدهار وفترات اضمحلال إذ نجد أنها تأثرت إلى حد ما بتشريع ليكورجوس الذى اراد به أن يقضى على جميع اسباب التفاوت بين الاسبرطيين وذلك بتقسيم الممتلكات غير العقارية ولكنه وجد أن اصحاب تلك الاموال لا تطيب لهم نفوسهم لذلك ، ولذا فقد سلك طريقاً آخر ، إذ نجده قد هاجم الترف بشكل غير مباشر وذلك بالغاء استخدام النقود الذهبية والفضية وأحل محلها النقود الحديدية الثقيلة الوزن الزهيدة القيمة بحيث أنه كان يلزم لوضع مبلغ عشرة مينات "الف دراخمة" غرفة كاملة ولا يمكن نقلها إلا على عربة يجرها ثوران ، وكان لالغاء العملة الذهبية والفضية وقصر التداول على العملة الحديدية أثره الكبير على صناعة وتجارة سلع الرفاهية . إذ يقول بلوتارخ لا يستطيع الاسبرطيون شراء بضاعة من الخارج مهما يكن ثمنها زهيداً ، ولم ترسل مراكب تجارية فى موانيهم ولم تطأ أرض لاكونيا قدم سوفسطائى ولا عراف ولا سمسار عاهرات ولا جوهرى يتجر فى الذهب والفضة . ونستخلص مما سبق أن اصلاح ليكورجوس النقدى قد أثر بشكل كبير على الصناعة فى اسبرطة وخاصة صناعة سلع الرفاهية واقتصرت الصناعات على الادوات والسلع الضرورية مثل السرر والقاعد والمناضد والكئوس . ولكن يبدو أنه بعد فترة قد عادت صناعة سلع الرفاهية إلى اسبرطة وأراضى الحلفاء وهذا ما كشفت لنا عنه التنقيبات الاثرية

والمصادر الادبية والتى قدمت لنا قرائن وبراهين من القرنيـــن الســابع والســادس والتى تشير إلى استيراد العاج من مصر والذهب من ليديا وذلك لاســتخدامها مــن قبل صناع لاكونيا فقد برعوا فى تشكيل العاج وصياغة الذهب والفضـــة وتشــكيل البرنز ، كما نجد أنهم قد برعوا كخزافين وصناع فخار مهرة لدرجـــة أن فخــارهم المصنع فى الفترة ما بين ٦٥٠ – ٥٥٠ ق.م قد وجد طريقه إلى خارج البلوبونـــيز وتم العثور على البعض منه فى الناطق المختلفة على سواحل البحر المتوسط والتــى سبق أن ذكرناها . كما نعلم ازدهار صناعة البرنز من الكأس البرنزى الرائع ومــن المرجح أنه قد صنع فى النصف الثانى من القرن السادس فى مقبرة أميرة كلتية فــى Vix فى فرنسا . ولمن حدث فى نهاية القــرن الســادس تدهــور أو توقــف فــى الصناعات الاسبرطية . وهذا ما كشفته لنا التنقيبات الأثرية وتذكرنا بما تم فى عــهد ليكورجوس ؛ فقد تم الاستغناء عن السلع غير الضرورية الكماليـــة . فقــد اختفــى صانعو الذهب والفضة وتم الاهتمام بصناعة السرر والمناضد والمقاعد . فما ســـر هذا التدهور ؟ يرى البعض أن الذى قرر هذا النظام أو أعاد النظام الليكورجى هــو الرقيب خيلون (٥٦ ق.م) ونضيف هنا أن هذا النظام التقشفى قد تطورت خشــونته وقسوته وإن كنا لا نستطيع تتبع هذا التطور بدقة ، ولكن على ما يبدو ، قـــد بلــغ ذروته فى بداية القرن الخامس والقرن الرابع ولعل السبب فى ذلك أحداث الزلـــزال الخطير الذى تعرضت له اسبرطة سنة ٤٨٩ ق.م وانتهزه الهلوتيس فرصة للثـــورة وأن هذه الثورة قد أنزلت بالبلاد أشر الويلات وعرض المدينة لأشد الاخطار وأمــام هذا وأمام كثرة أعداد الهلوتيس ونقص عدد الاسبرطيين فى المقابل ولكـــى ينجــح الاسبرطيون فى السيطرة عليهم فقد كان عليهم أن يأخذوا أنفسهم بالشدة والصرامـــة والحياة الخشنة وذلك باحيائهم لشرائع ليكورجوس وتطبيقها بصرامة . وهـــذا مــا سنعود للحديث عنه فيما بعد .

التجارة :

كانت تجارة اسبرطة تجارة نشطة فى بعض الفترات من تاريخها وكان ذلك قبل وبعد اصلاح ليكورجوس . وقد سبق أن ذكرنا اصلاحه النقدى والغائه استخدام العملات الذهبية والفضية واحلال استخدام العملة الحديدية وكان لهذا الاصلاح آثاره على التجارة الخارجية وخاصة استيراد سلع الرفاهية . ويقول بلوتارخ "لم يعد الاسبرطيون قادرون على شراء بضاعة وسلع من الخارج مهما كان ثمنها زهيداً ولم ترس مراكب تجارية فى موانيهم ولم تطأ أرض لاكونيا قدم سوفسطائى ولا سمسار عاهرات ولا جوهرى يتجر فى الذهب والفضة" . ونفهم من هذا أن الاسبرطيين كانوا يستخدمون العملات الفضية والذهبية وأن تجارتهم كانت رابحة مع المدن اليونانية والعالم الخارجى ، ونتيجة لهذا فقد شاع استخدام سلع الرفاهية والفخفخة بين الطبقات العليا من المجتمع الاسبرطى ، واصلاح ليكورجوس قد أدى إلى بوار وكساد تجارة سلع الرفاهية . ولكن على ما يبدو ليس بشكل حاد ويبدو أن بلوتارخ قد بالغ عندما اشار إلى عدم قدرة الاسبرطيين على شراء بضاعة من الخارج مهما يكن ثمنها زهيد ، ولم ترس مركب تجارية فى موانيهم . . . ولم تطأ أرض لاكونيا قدم سوفسطائى ولا عراف ولا سمسار عاهرات ولا جواهرى يتجر فى الذهب والفضة . وقد كشفت لنا التنقيبات الاثرية والمصادر الادبية من القرنين السابع والسادس والتى تشير إلى رواج تجارتهم مع الاقطار الخارجية فقد كان هناك واردات من العاج والجعارين من مصر والعنبر من الشمال ، والملابس الغالية والذهب من ليديا . وفى المقابل فقد كانت صادراتهم قد عرفت طريقها إلى البلدان الخارجية فقد كشفت التنقيبات الاثرية عن وجود الفخار اللاكونى فى مناطق عديدة من حوض البحر المتوسط . فقد تم العثور عليه فى افسوس فى الشرق واتروريا وماساليا فى الغرب ونقراطيس وقورينى وقرطاج فى أفريقيا ، كما

نعرف أنهم قد صدروا مصنوعاتهم البرنزية ، فقد عثر على كأس برونزى رائع ومن المرجح أنه مصنع فى النصف الثانى من القرن السادس ، فى مقبرة أميرة كلتية فى Vix فى فرنسا ولكن هذا القول قد ينطبق إلى حد ما على القرنين الخامس والرابع حيث تكشف الآثار عن توقف تجارة سلع الرفاهية المستوردة وأن صانعى الذهب والفضة قد اختفوا ويرجع البعض أن السبب فى ذلك هو أن المدن اليونانية الاخرى فى القرن السادس قد استخدمت العملات الفضية والذهبية ، بينما استمرت اسبرطة فى استعمالها لعملتها الحديدية وأن عملتها لم يكن لها قيمة فى اسواق بلدان العالم اليونانى . وقد يحتوى هذا الرأى على جانب من الحقيقة ولكن لنا عليه الاعتراضات الآتية : أولاً أن التجارة اليونانية كانت تقوم على المقايضة . وثانياً على استخدام النقود . وثالثاً ازدهار تجارة وصناعة اسبرطة فى القرنين السابع والسادس . ولذا فقد كان يمكن لاسبرطة فى ظل ازدهار صناعتها أن تبادل منتجاتها مع منتجات البلدان الأخرى وإما أن تبيع منتجاتها وتشترى فى مقابلها ما تحتاجه بالعملات الأجنبية الذهبية والفضية التى حصلت عليها نتيجة بيع سلعها فى الأسواق الخارجية وهذا ما يؤكده قول ديكايارخوس Decaearchus بأن على عضو الرفقة العسكرية أن يقدم بين ما يقدمه للموائد العامة مبلغ عشرة أبولات إيجينية وهذا يشير إلى أن اسبرطة قد استخدمت عملة دولة صديقة وفى ضوء ما سبق فإن هذا الرأى لا يعد مقبولاً وعلينا أن نبحث عن تفسير آخر أكثر معقولية ، ويرى البعض أن الذى أعاد العمل بالنظام الليكورجى هو الرقيب خيلون . وهذا الرأى هو الآخر به جانب من الحقيقة فقد يكون هذا الرقيب مسئولاً عن اعادة جانب من النظام التقشفى ولكن ذادت وتطورت قسوته وخشونته فى القرنين الخامس والرابع ولعل السبب فى ذلك هو الزلزال المدمر الذى تعرضت له اسبرطة سنة ٤٨٩ ق.م وما خلفه من خسائر مادية وبشرية للاسبرطيين وزاد

الطين بلة أن انتهزه الهيلوتس فرصة للثورة والتى أنزلت بالبلاد شراً وبيلاً على الرغم من قهرهم لها . كما أن كثرة الهيلوتس وقلة عدد الاسبرطيين فى المقابل جعل الاسبرطيين يأخذون أنفسهم بالشدة والصرامة وأن يكرسوا أنفسهم كلية للجندية والعيش الخشن وذلك باحيائهم شرائع ليكورجوس وتطبيقها بصرامة مثل حرمان المواطنين من السفر والطواف فى العالم إذا كان يخشى عليهم أن يجلبوا معهم عادات البلاد الاجنبية والأمثلة السيئة أو يرون فى الحكومة رأياً غير رأيه . وكان يتم طرد الاجانب الذين أتوا لغير مصلحة خوفاً من أن يكونوا فى اسبرطة معلمين للرذيلة وخوفاً من ادخال آراء جديدة ومع الآراء الجديدة وجهات نظر جديدة ولا تلبث هذه أن تلد أهواء ورغبات توقع الاضطراب فى النظام .

وهكذا من اجل السيطرة على اعداد الهيلوتس الغفيرة فقد كان على الاسبرطيين أن يأخذوا أنفسهم بالشدة وأن يكونوا رجالات حرب وقتال وعزلوا انفسهم عن العالم الخارجى واصبحت اسبرطة كمعسكر حربى منغلق على نفسه أمام العالم الخارجى وسوف نتحدث عن صرامة النظام الاسبرطى عند الحديث عن النظام الاجتماعى فى اسبرطة .

جملة القول أن اسبرطة لم تفعل شيئاً لتشجيع التجارة الخارجية فى العصر الكلاسيكى لأنها عزمت على أن يكون عندها اكتفاء ذاتى ولا تطلب من الدول الأخرى إلا أقل ما يمكن ، ولفترة طويلة فقد اعتمدت على نظام المقايضة والاسواق الداخلية لم تكن بحاجة إلى عملة ذهبية أو فضية بل اكتفت بعملتها . وفى الفترة التى بدأت فيها المدن اليونانية تسك عملاتها من المعادن النفيسة للتجارة الدولية ، فإن اسبرطة كانت قد قررت أن تغلق ابوابها أمام الغرباء والاجانب وكان للرقباء الحق فى اصدار القرارات الادارية لطرد الزوار والمقيمين من الاجانب . وبعد أن عرضنا للنظم الاقتصادية ننتقل للحديث عن الحياة والنظم الاجتماعية .

الحياة والنظام الاجتماعى :

كان المجتمع اللاكيدايمونى ينقسم إلى ثلاث طبقـــات هـــى : الاســبرطيون والحلفاء والهيلوتس . وكان الاسبرطيون يمثلون قمة السلم الاجتماعى بينمـــا كـــان الهيلوتس يمثلون أدنى درج السلم الاجتماعى والحلفاء كانوا يقعون موقعـــاً وســطاً بين الطبقتين وسنحاول أن نتحدث عن الطبقة الأولى الآن .

١- الاسبرطيون Spartiatai

كان الاسبرطيون الخُلّص يمثلون الطبقة الحاكمـــة ، وكـــانوا خليطـــاً مـــن العنصر الدورى والعنصر الآخى وإن كان العنصر الدورى هو الغـــالب عليـــهم . والعنصر الآخى يتمثل هنا فى سكان أميكلاى الين انضموا لاتحاد القـــرى الأربـــع الدورية . وكان على المواطنين الاسبرطيين الخُلّص العيش اسبرطة علـــى الرغـــم من أن البعض منهم كان له اقطاعاته فى لاكونيا وميسينيا .

كان الاسبرطيون مثل بقية مواطنى المدن اليونانية الأخرى ينقســـمون إلـــى قبائل وعشائر وهذا ما نعرفه من Rhetra ومن اشعار تيرتايوس ومن النقوش . فقد ورد فى الريترا التى تلقاها ليكورجوس "بعد أن نظم النـــاس انفســـهم فـــى قبـــائل Phylai و Obai ووفقاً للجذاذة البرية والتى تحتوى على بعض ابيات تيرتـــايوس ؛ فقد كان عدد القبائل فى اسبرطة ثلاث قبائل هى هيلليس وديماتيس وبامفيلى وهـــذه القبائل الثلاث السالفة الذكر قد وجدت أيضاً فى المدن الدورية الأخرى مثل سـيكون وأرجوس . ووفقاً لأثينايوس فإن هذه القبائل الاسبرطية كانت تنقسم إلـــى عشـــائر Phratrai . إذ يقول إن الاسبرطيين كانوا ينقسمون إلى تســـع عشـــائر Phratrai عندما شاركوا فى احتفال Kareneia . وهذا يشير إلى أن كل قبيلة دوريـــة كـــانت مكونة من ثلاث عشائر ، ويختلف الباحثون المحدثون فى تقدير عدد القبائل فـــأحد البحثين أن الاسبرطيين مكونون من تسع قبائل وهذه القبـــائل كـــانت تكـــون ســـبع

وعشرين عشيرة ، بينما يرى باحثون اخرون أنه من المرجح أن عدد القبائل كـــان خمس قبائل اقليمية ، نعرف أربع منها وهى تتطابق مع أربع قـــرى Komai مـــن قرى اسبرطة الخمس وأنه شبه مؤكد أن Phylai كانت تقسيمات اقليمية أو محليـــة صرفة .

وبجانب القبائل تم الاعتراف بالـــ Obai كتنظيم اجتماعى اقتصـــر وجـــوده على اسبرطة وحدها دون المدن اليونانية الأخرى ، ولا يوجد لدينا معلومات عنـــها فى الفترة المبكرة والمعلومة التى وصلت عنها بعد الريترا ؛ ويرجح أنها من القـــون السادس أو الخامس ، نعرفها من نقش يشتمل على قانون لاكونى باكر يعالج قضايـــا خاصة بالعبادة وأغلب النص غير مؤكد ولكن احدى فقراته المؤكدة تذكـــر جماعـــة Oba اركالوى Arkaloi . ثم وصلتنا عـــدة نقـــوش مـــن العصريـــن الهلينستـــى والرومانى والتى ورد بها ذكر كلمة Obai والتى تعنـــى الجماعـــة التـــى تحقـــق الانتصارات فى المنافسات الرياضية ، وتعنى أيضاً قرية إذ اطلـــق علـــى قريتـــى ليمناى وأميكلاى . وقد دار جدل كبير بين الباحثين حول تعريف ماهيـــة Obai . فيرى بعض الباحثين أنه من المحتمل فى فترة كتابة الريترا أن Obai كانت فعـــلاً هى الوحدات المحلية أو القرى Komai والتى تكون اسبرطة والمشتملة على قريـــة أميكلاى . وهذا يعنى أن اسبرطة فى العصور التاريخية كانت تتكون مـــن خمـــس قبائل (Obai) اقليمية وأن عضوية هذه القبائل الاقليمية كانت تعتمـــد فـــى الاصـــل على السكنى فى قرية ، ويستخدم أصحاب هذا الرأى الأدلة والبراهين المتاحة حـــول المؤسسات والتنظيمات الاسبرطية . فيقولون أنه قد ورد عند هـــيرودوت أن كـــل Oba تمثل جماعة بشرية ومن هذه الجماعات جماعة بيتانى Pitane ، ويقول فـــى موضع آخر أن القوات الاسبرطية شكلت فرقة منفصلة عن الحلفاء والتى بلغ عـــدد افرادها خمسة آلاف مقاتل فى معركة بلاتيا وقد يعنى هذا أن كل Oba كانت تقـــدم

الفاً من المقاتلين ويعتمدون أيضاً عل ما سجاه أرسطو إذ يقول أن هناك خمسة تجمعات مثل أدولس Edols وسينيس Sinis وأريماس Arimas وبلؤس Ploas وميسؤجيس Messoages ، بينما Obai المسجة هي ميسوا Mesou وبيتاني Pitane وكونورا وليمناى ومن المرجح أميكلاى . كما يقولون أن عدد التنظيمات الخماسية الاسبرطية مثل تنظيم الرقباء وتنظيم الرسل Agathoergoi وتنظيم الملحقين يعكس عدد Obai وأن المعنى المقصود هنا هو القبائل الاقليمية .

ويعلل البعض أن اسبرطة تبنت هذا التنظيم الاجتماعى رغبة فى توزيع الاعباء بالتساوى على المواطنين الاسبرطيين ، فقد كان توزيع الاعباء يتم بين القبائل الدورية الثلاث بالتساوى ، ولكن نظراً لتباين عدد افراد تلك القبائل بمرور الزمن فلم يكونوا متساويين فى تحمل الاعباء ؛ ولذا فإن الاسبرطيين قد أوجدوا التنظيم الاجتماعى الجديد Obai وأن عضوية هذه الـ Obai كان يعتمد على السكن والاقامة فى القرى الخمس التى تكونت منها اسبرطة ، وهكذا فإن خلق هذا التنظيم كان للرغبة فى توزيع الاعباء بشكل عادل . وأن كل Oba يمثل قبيلة إقليمية وبذلك تتكون اسبرطة من خمس قبائل اقليمية ، ولكن يدحض هذا الرأى نقش نشرة Beattie ، من الراجح أن يعود إلى القرن السادس أو القرن الخامس ، ويحتوى على قانون لاكونى باكر يعالج قضايا خاصة بالعبادة ، وأغلب النص غير مؤكد ، ولكن احدى فقراته المؤكدة تذكر تجمع Oba فى اركالوى Arkaloi وهذا يعنى أن عدد Obae كانت ست تجمعات وهكذا فإن الرأى القائل بأن عدد Obae كان خمس يصعب لبدفاع عنه وأن الـ Obae هنا هى القبائل الاقليمية . ويرى هوكسلى أن هناك ثلاث قبائل دورية فى اسبرطة ، وأه نظراً لزيادة الارض التى سكنها الاسبرطيون فقد تم تقسيمهم إلى عدد أكبر من الـ Obae وفقاً للمناطق . وكان عدد هذه الـ Obae خمس قبل ٦٧٦ ق.م وابتداء من هذه السنة فقد تم زيادة

عدد الــ Obae إلى تسع وأن كل Oba كانت تنقسم إلى ثلاث عشـــائر Phratriai وأنه لتحديد عضوية العشيرة كان لابد من تحديد القبيلة . بيد أن النص الذى اعتمـد عليه الباحث لا يذكر قط القبائل Phylai ولا Obae ولكنه يذكــر Phratra ، وقـد عارض هذا الرأى هوكر ، وفقاً لأثينايوس ، أن القبائل الدورية ثلاث وأن كل منــها كانت تنقسم إلى ثلاث عشائر Phratriai ويرى روفـــائيل سـيلى R. Sealey أن الاسبرطيين فى فترة ما قد انقسموا إلى خمس وحدات بغرض الخدمة العســكرية ، وأنه من الممكن أن هذه الوحدات سميت قبائل Phylai وانها وضعت على اســاس التوزيع الاقليمى مع الــ Obai كتقسيم داخلى للقبائل وأن هذا الرأى ربمـــا يلقــى بعض التأييد من الريترا ، حتى على الرغم من أنها معدلة ، فإن المؤلف كان يـــألف أو على دراية بالمؤسسات الاسبرطية ولانه يذكر القبائل و Obae فى نفس اللحظـة فمن المرجح أنهم كانوا عناصر متساوية فى نظام واحد ، وأن نقوش مـن العصـر الرومانى توضح أن Obae قد وضعت على اساس تقسيمات اقليمية ، ولعل اسـباب فى التعديل بقوله أن هذا التنظيم القبلى الثلاثى قد أبقى عليه لاغراض دينيـة بينمـا التنظيم الجديد قد استعمل لاغراض عسكرية . وهذا الرأى يؤكد على وجود تغيــير فى التنظيم القبلى وأنه قد أصبح لدينا تنظيمان قبليان أولهما التنظيم القبلـــى القديـم المكون من ثلاث قبائل دورية والتنظيم الجديد الذى يعتمد على التوزيـــع الاقليمـــى وهو مكون من خمس قبائل وأن هذه القبائل الاقليمية كانت تشتمل على Obae دون أن يحدد عددها . وهذا الرأى ايضاً يصعب قبوله لما يأتى فمن قرأتنا للريترا نجـد أن كل من Phylai و Obae قد قد ذكر بجانب بعضهما البعض وهذا يعنى أن هنـــاك تنظيمين أولهما تنظيم القبائل الدورية الثلاث وتنظيم Obai ولما كان ذكر القبـــائل Phylai أولاً فإن هذا التنظيم هو الأقدم وأن Obae قد تم ايجاده بعده وهنا نتســاءل هل وجد لاسباب عسكرية أو بغرض تحقيق المساواة فى الاعباء أو لظروف نشـــأة

اسبرطة وقيام الاتحاد بين قراها ؟ كما نعلم أن تحقيق الوحدة بين قرى اسبرطة قد تم على مراحل وأن الوحدة كانت بين أربع قرى أولاً ثم انضمت قرية أميكلاى الآخية إلى الاتحاد فى مرحلة تالية ، وكانت القرى الاربع الأخرى دورية أى يسكنها العنصر الدورى بينما كانت اميكلاى اخية أى يسكنها عنصر غير دورى وهنا أصبح مواطنو اسبرطة يتكونون من عناصر دورية وأخرى أخية مؤثرة واصبح التنظيم القديم لا يفى بالغرض منه ولذا فقد ظهرت الحاجة إلى اعادة التنظيم الاجتماعى أو خلق تنظيم جديد وربما حدث تغيير فى النظام السياسى أيضاً فقد ادعى أحد الملوك أنه ينتمى إلى العنصر الآخى ، ومن المرجح أن الضرورة قد اقتضت المحافظة على التنظيم القبلى القديم مع خلق تنظيم جديد يتلاءم ويتناسب مع انضمام العناصر غير الدورية إلى الاتحاد وحتى يمكن ادماجها فى خدمة الاتحاد وتحقيق أغراضه ، كما قد يكون خلق التنظيم الجديد لتوزيع الاعباء المدنية والعسكرية على اعضاء الاتحاد بالتساوى . وهكذا فقد اصبح لدينا تنظيمان اجتماعيان يعملان جنباً إلى جنب ، وبعبارة أخرى نظاماً جديداً قد فرض ليعمل بجانب النظام القديم وأن هذا النظام الاجتماعى الجديد هو Obae وأن هذين التنظيمين قد خدما مؤسسات الدولة الاسبرطية المختلفة سواء من الناحية الدينية أو السياسية أو العسكرية ، كما أن عدد الـ Obae لا يمكن تحديده فالمعروف منها ست وليس خمس .

إذا كان المواطنون الاسبرطيون الكاملو الاهلية اعضاء فى Phylai و Obai فإن عضويتهم كانت تتطلب أن يكونوا مولودين من أبوين اسبرطيين وأن ينهوا تدريبهم العسكرى وأن يسهموا بخدماتهم فى خدمة الدولة مدنياً وعسكرياً وأن يشاركوا فى الموائد العامة وبهذا يكون الاسبرطى الذى يستوفى الشروط السابقة من المواطنين الكاملى الاهلية المتساوين فى الامتيازات ، وكان يطلق عليهم النبلاء

ομοιοι ومن يفشل منهم فى الوفاء بأحد الشروط السلفة فإنه يفقد حقوقه السياسية ويحتفظ فقط بالحقوق المدنية وكان يطلق عليه الوضيع (ὁμομειονες) أى أنه مواطن ناقص الاهلية . وعلى الرغم من أن كل المواطنين الاسبرطيين الكاملى الاهلية كانوا نبلاء بالنسبة للعناصر الأخرى (الحلفاء والهيلوتس) ؛ فقد كان يوجد بينهم طبقة نبيلة بأدق معنى للكلمة καλοι καγαθοι وطبقة فقيرة δημος ولكن نظراً لنظام الحياة العامة فى اسبرطة فقد كانت الفوارق بسيطة بين الفئتين مقارنة بمدن يونانية أخرى حيث كان مستوى الحياة يتسم بالخشونة بشكل عام فى اسبرطة . وهذا يعود إلى النظام الصارم لحياة الاسبرطيين وهذا ما نلمسه فى نظام الموائد العامة الذى فرض على جميع المواطنين المشاركة فيه ونظام التربية والتدريب الاسبرطى حيث كان الهدف منهما محاربة الترف والقضاء على شهوة المال وتكوين المواطن الاسبرطى الخشن العريكة .

فقد كان ينبغى على المواطنين الاسبرطيين جميعاً والذين بلغوا سن العشرين وأنهوا تعليمهم وتدريبهم المشاركة فى نظام الموائد العامة ويقول اكسينيفون أن ليكورجوس قد شرع وجوب تناول الطعام جماعة بحيث يراهم الجميع وذلك لأنه كان يعرف أن الناس كانوا يتصرفون فى منازلهم باسترخاء تام ، ويضيف إلى ذلك بلوتارخ قائلاً "إن ليكورجوس هو الذى الزم المواطنين أن يأكلوا جميعاً معاً وأن يتغذوا لحوماً واحدة ومن الاطعمة التى تبيحها القوانين ، وحرم عليهم تناول الطعام فى منازلهم أو اقتناء الاسرة الناعمة أو الموائد الفخمة فلا يجعلوا أنفسهم تحت رحمة صناع الفطائر والطهاة وأن تسمن أبدانهم فى الظلام شأن الوحوش النهمة ، والحقيقة أن فى ذلك فساد للعقول والأجسام واطلاق سراح الشهوات والدعارة . ثم إلى الاضطرار إلى النوم الطويل والحمامات الساخنة والبطالة والتزام عيش المرضى وهذه مسألة عظيمة الشأن ولكن نتيجتها أعظم ؛ ذلك أنها جعلت الأموال

فى أمان من السرقة ، أو كما يقول ثيوفراستوس أقــل مــن أن تشــتهى أو كأنــها صارت لاشىء بتلك الولائم المشتركة والموائد البسيطة ولم يكن فى وسع أحــد أن يبذخ أو يباهى بشىء لأن الفقير والغنى يشتركان فى غذاء واحد .

وكانت الرقابة شديدة على من يمتنع عن الشراب والطعام مــع الآخريــن ، فكانوا يعيبون عليه علانية ترفيهه وضعفه عن تنــاول الاغذيــة التــى يجــب أن يتقاسمها الجميع . ويقول اكسينيفون إن ليكورجوس قد طرد من جماعة المواطنيــن كل فرد لا يقبل التقاليد الاســبرطية الصعبــة ، ويخبرنــا بلوتــارخ أن الاغنيــاء الاسبرطيين عندما فرض ليكورجوس هذا النظام قد غضبوا غضباً شديداً وطــاردوه واضطر إلى اللجوء إلى مذبح للحماية ومع ذلك فقد تعرض للايــذاء وفقــد عينــه بسبب هذا الاجراء ولكنه فى النهاية يقول إن الاسبرطيين قد قبلوا هذا النظام .

وإذا كان بعض المؤرخين يسندون نظام الوجبات العامة إلى ليكورجــوس إلا أنه لم يكن قاصراً على اسبرطة إذ نجده منتشراً فى المجتمعات الدورية ومنها علــى سبيل المثال كريت . ومن المفترض أنه قد وجد عقب انهيار الحضارة الموكينيــة . لقد اطلق الاسبرطيون عليه عدة تسميات منــها Syssitia وهــى بمعنــى الوجبــة المشتركة و Pheiditia وهى بمعنى الوجبة الفقيرة والفعل Pheidesthai يعنــى أن يكون بخيلاً أو شحيحاً . والتسمية الثانية أكثر شيوعاً من الأولى .وأسماه الكريتيــون Andreia بمعنى تجمعات الرجال .

كان يتم ضم المواطنين الذين بلغوا سن العشرين حيث إنهم كــانوا مؤهليــن قانوناً لأن يصبحوا أعضاء سرايا وكل سرية مكونة من خمسة عشر عضواً ويــرى بلوتارخ أن طريقة دخول وانضمام الاعضاء الجدد للسرايا كانت تقتضــى اجمــاع اعضاء السرية على قبوله زميلاً وعضواً فى سريتهم . فقد كان الاعــتراض مــن

عضو واحد فقط كفيل برفض طالب الانضمام لعضوية السرية ، بيد أن هذا القـــول يصعب علينا قبوله للاسباب الآتية :

(١) أنه من غير المعقول رفض اعضاء خاصة فى الفترات الصعبة والعصيبة مـن تاريخ اسبرطة حيث كانت الحاجة ماسة للجنود .

(٢) أن بلوتارخ نفسه يقول إن ليكورجوس الزم المواطنين بأن يأكلوا جميعـاً معـاً وأن يشاركوا فى الولائم العامة .

(٣) إن نقص الاسبرطيين فى بعض الفترات قد اضطرهـم إلـى الرجـوع عـن قرارات نزع صفة المواطنة عن المواطنين وهذا ما حدث مـع الاسـبرطيين الذين استسلموا فى موقعة اسفاكتيريا Sphakteria . إذ ردت الدولة اعتبـارهم بإعادة حق المواطنة لهم .

وفى ضوء ذلك يبدو أن وصف بلوتارخ ينطبق على فترة متأخرة إلى حد مـا عندما تفسخت Pheiditra من الناحية العسكرية واصبحت تعنى اتحاد ارسـتقراطى مغلق فى العصر الرومانى وهذا يشير إلى ما حدث من تطور بالنسبة لهذا النظـام ففى الفترات التى انتشرت فيها سلع الرفاهية مال بعض الاسـبرطيين إلـى حيـاة الاسترخاء وأن البعض قد حاول الخروج عليه ، وعدم الالتزام بقواعده مثلما فعـل الملك أجيس عندما كان عائداً من حملة عسكرية ورغب فى تناول وجبة العشاء مـع زوجته مما جعل الرقيبان يفرضان عليه غرامـة . ومـن المرجـح أن السـلطات الاسبرطية قد مالت إلى الشدة والخشونة فى تطبيق هذا النظام كمـا سـبق القـول لزيادة الشعور بروح الجماعة من جهة ، ومن جهة أخرى فـرض حيـاة التقشـف والخشونة على الاسبرطيين حتى يمكنهم أن يخضعوا وأن يسيطروا على الـهيلوتس. وهكذا فقد صار حضور الموائد العامة اجبارياً والعضو الجديد كـان يسـتمر فـى الجلوس على نفس المائدة لمدة اربعين عاماً أى عندما يبلغ سن الستين . وحتى سـن

الثلاثين فقد كان يتناول وجباته وينام فى مأوى مشترك ، وإذا ما تــزوج يمكنــه أن يزور زوجته لفترة قصيرة فى الليل وبعد تناول وجبة العشاء ، وبعد سن الثلاثيــن يتناول وجبة واحدة مشتركة فى المساء وبعدها يمكنه أن يمضى الليل فــى منزلــه حيث صار مواطناً اكتملت أهليته . وكان يتغيب عن هذه الوجبــات فــى فــترات الاعياد فقط . وكان على كل عضو أن يقدم لافراد سريته (رفقاء المــائدة) حصــة شهرية تتكون من ميدمينوس من الدقيق وثمانية كونج من النبيذ وخمسة ارطال مــن الجبن ورطلين ونصف الرطل من التين ، وعشرة أبولات إيجينية لشراء اللحــوم ، كما كان على الاسبرطى أيضاً أن يقدم حصة من لحوم الحيوانات التى يضحى بــها أو يصيدها . وكانت الوجبة الشائعة عند الاسبرطيين هى الشربة الســوداء وهــى خلطة معدة من الخنزير المطبوخ فى الدم والمعالج بالخل والملح . ويرى البعــض أن ما كان يفيض من حصص الاعضاء فى السرايا كان يستخدمونه الاولاد الذيــن هم فى مرحلة التدريب وفى المناسبات فقد كــان هــؤلاء الاولاد يحضــرون إلــى Pheiditra حيث تسنح لهم الفرصة لمراقبة كبــارهم والاســتماع إلــى مناقشــاتهم السياسية ، بيد أن هذا الرأى يناقضه أن كل طفل اسبرطى ســليم البــدن واصبــح عضواً فى الجماعة كان يخصص له اقطاع وكان يتم الانفاق من دخله اساساً عليــه طوال فترة تعليمه وتدريبه حيث كان عليه العيش فى المعسكر من سن السابعة إلــى أن ينهى تدريبه فى سن العشرين ، وكانت الدولة هى المسئولة عن تعليمه وتربيتــه وتدريبه ، وقد ينطبق هذا الرأى على الفترة المتأخرة من تــاريخ اسـبرطة حيـث تركزت الملكية فى أيدى فئة قليلة من الاسبرطيين . كما أن بلوتــارخ يقــول فــى موضع آخر إن الشباب كجزء من تدريبهم كانوا يسرقون جانباً من طعامهم وذلــك بتسلقهم أسوار الحدائق أو السلالم إلى أماكن الموائد العامة بمــهارة وحــذر ومــن أوخذ منهم عوقب على اهماله وبلادته ، يسرقون ما يستطيعون سرقته من اللحــوم

ويفننون فى اغتنام الفرص ، يسرقون النوام والغافلين عن الحراسة ، ومن يقبض عليه يعاقب بالجلد والحرمان من الاكل ولا يأكلون عادة الا قليلاً . وهذا يشير إلى أن الشبيبة قد اعتمدوا فى تغذيتهم على السطو والسرقة سواء من الموائد العامة أو الهيلوتس .

طورت اسبرطة نظاماً تعليمياً مفصلاً لمواطنيها يؤدى إلى الانضباط والطاعة العمياء من قبل المواطنين ويمكن بناء الوصف الشامل لهذا النظام فى ضوء ما قدمه لنا ثيوكيديديس واكسينيفون وارسطو وارستوفانيس وبلوتارخ . وقد انقسم هؤلاء الكتاب إلى فريقين أولهما انتقد النظام ومنهم ارسطو وارستوفانيس ، بينما تحيز كل من اكسينيفون وبلوتارخ لنظام التربية الاسبرطية .

لم يكن الأب حراً فى تربية الابن حسبما يرى ، إذا كان هناك اشراف من الدولة على عملية التربية ولذا فقد كان على الأب أن يقدم وليده إلى شيوخ القبائل لتقرير إذا ما كان صحيح البدن أم لا . والوليد الذى يثبت الفحص أنه ضعيف وذو عاهات كان يلقى به فى منطقة مهجورة بجبل تايجيتوس لأنهم لا يرون فائدة من لا له ولا للدولة إذ خُلق ضعيفاً مقضياً عليه بالحرمان من الصحة والقوة ، ولى تضمن الاطفال سلامة الاطفال لا تغسلهن النساء بالمياه بل بالنبيذ لأن المصروعين والمرضى من الأطفال لا يحتملون حمام الخمر ، بل يذيلهم ويميتهم ولكن تزيد متانة الاصحاء وتقوى اعضاءهم ، ثم تتولى المرضعات الاسبرطيات تغذيتهم بطريقة فنية ، لا تشدهم فى قماط بل تدع جميع اعضائهم طليقة حرة ، تظهر هيئتها على طبيعتها ، يتعلمون منهن ألا يتأثروا من طعام وأن يقتنعوا بالبسيط منه، وأن لا يهابوا الظلام أو العزلة ، لا صياح ولا تهيج ولا بكاء فما هذه سوى علامات الضعف والجن ، يظل الاطفال فى حجور امهاتهم حتى يبلغوا سن السابعة ، وهنا يبدأ دور الدولة التربوى وفى نفس الوقت تبدأ خدمتهم الطويلة

للدولة . وكان يشرف على هذا النظام موظف يسمى Paedenimos فكان يتم أخذهم وتقسيمهم صفوفاً تتلقى تربية مشتركة على نظام واحد يعودونهم العمل واللعب معاً ، ويرأس كل صف أذكاهم وأبسلهم فى القتال ، تتجه إليه انظارهم يطيعون أوامره ويحتملون ما يأمر به من عقاب بلا تذمر . كان الشيوخ يحضرون العابهم ويحدثون بينهم اسباب الخصام والعراك ، ليروا اختلافهم ، ويتبينوا أجرأهم وإذا كانوا لا يهربون من القتال ولا يأخذ من العلوم الأدبية إلا الضرورى وما بقى فمحصور فى تلقينهم الطاعة واحتمال المتاعب بشجاعة والانتصار فى المعارك ، وكلما تقدموا فى السن أخذوهم برياضة أشد ، يحلقون رؤوسهم ويعودونهم السير حفاة واللعب معاً اكثر الوقت عراة .

ومتى بلغوا الثانية عشر ، لا يلبسون جلباباً بل يعطى لكل منهم رداءً فى السنة ، ويبقون قذرين لا يستحمون ولا يتطيبون إلا فى ايام معدودة يسمح لهم فيها بتذوق هذا النعيم . ينام كل فريق فى خيمة على فراش من القش الخشن يصنعونه بأيديهم من اطراف العيدان التى تنمو على شاطئ نهر يوروتاس ، يحصدونها بأيديهم دون أن يستعملوا حديداً . وفى هذه السن تتطلع أعين العاشقين إلى الممتازين وقد حاول كل من بلوتارخ واكسينيفون أن يجعلا هذه العلاقة مثالية ؛ مؤكدين كيف أن الولد الأكبر سوف يكون نموذجاً للأصغر وكيف أن هذا الأخير فى المقابل سيحاول أن يعيش كما يعيش خليله وأنه سيقلده ويسلك مسلكه ، بيد أنه من الواضح أن التدريب القاسى وحياة المعسكرات يؤديان إلى الشذوذ . وفى هذه المرحلة تزداد عليهم رقابة الشيوخ فيلازمونهم فى العابهم ومعاركهم ويقوم الشيوخ بذلك لا كتأدية واجب بل بحرص وعناية كأنهم أباء ومعلمين ومهذبى جميع الأطفال . يضاف إلى ذلك أن معلمى الأطفال يختارون من خيرة الناس ، فكانوا يختارون من كل فرقة أوفر شبابها عقلاً وشجاعة على أن يكونوا تجاوزوا سن

الطفولة بسنتين (أى بلغوا سن العشرين) يتولى قائد الفريق وهو فى العشرين من عمره قيادة فريقه فى القتال ويستعمل افراده ايام السلم فى خدمة الموائد العامة ، ويكلف الكبار بجمع الأخشاب والصغار باحضار الخضروات والبقول . يسرقون ما يحضرون سواء بتسلقهم اسوار الحدائق أو انسلالهم إلى اماكن الموائد العامة بمهارة وحذر ومن أخذ منهم عوقب على اهماله وبلادته ، يسرقون ما يستطيعون سرقته من اللحوم ويفتنون في اغتنام الفرص ، يسرقون النوام والغافلين عن الحراسة ، يعاقبون من يقبض عليه بالجلد والحرمان من الاكل . ويرى اكسينيفون أن الاطفال كانوا يسرقون ليكونوا من افضل المحاربين ، وكانوا لا يأكلون إلا قليلا ، ويربونهم على قوة الاحتمال والتستر على سرقاتهم . فقد سرق أحدهم ثعلباً واخفاه تحت ثوبه ، وصبر على ذلك الحيوان يمزق بطنه بأظافره وانيابه دون أن يبدو من الولد صيحة ألم ومات فى الساحة العمومية حريصاً على سره ، ويقول بلوتارخ ولا نرى فى هذه الحادثة شيئاً من الغرابة إذ اعتبرنا حالة شبان اسبرطة اليوم ، فقد رأيت غير مرة شباناً يموتون صامتين تحت سياط الجلاد على مذبح الربة أفروديتى ، كما كان الضرب بالسوط من الامور الشائعة التى يفرضها المشرف على التربية . ويذكر بركليس أن الصبية الاسبرطيين يتعلمون تحمل الالم وهم صامتون وذلك لأن تربيتهم تجهزهم لاظهار شجاعة الرجال ، ويقول أرسطو إن الاسبرطيين يجعلون ابناءهم مثل الوحوش كى يصلوا إلى شجاعة الرجال . . .

وفى السنتين الأخيرتين كان يتم تدريب الشباب تدريباً عسكرياً عنيفاً وحاداً . وعندما يصلوا إلى سن العشرين يكونوا قد أنهما تعليمهم وتدريبهم العسكرى وكان اشدهم وأقواهم ينضم لمدة عام للخدمة فى نظام الشرطة السرية Krypteia وهو اكثر التنظيمات المحيرة والشريرة فى نظام التدريب الاسبرطى وقد كتب عنه بلوتارخ ما يأتى : إن الحكام كانوا يرسلون اشد الشبان حذراً وقوة يقطعون الطريق

غير مسلحين إلا بالخنجر والمؤنة . يتفرق الشبان نهاراً ويختفون فى أماكن بعيـــدة عن الانظار ، يستريحون فيها حتى إذا جن الليل يخرجون وينتشرون فـــى مفـــارق الطريق يذبحون من يلاقونه من جماعات المزارعين المربوطيـــن بـــالأرض وقــد يغيرون نهاراً على المزارع يقتلون اشد المزارعين المربوطين بالأرض بوســاً . . . ويستطرد فى ذكر ما كان يلقاه المزارعون المربوطين بالأرض من اعمال وحشـــية ومن معاملة قاسية بربرية من قبل الاسبرطيين . ويقول أن هذه المعاملة السيئة لــم تكن من عهد ليكورجوس بل تعود إلى فترة متأخرة جداً ، ومن المرجح أنـــها بعــد الفترة الواقعة بعد زلزال ٤٨٩ ق.م وانتهازه من قبل الهيلوتس بمساندة الميســـينيين فى الثورة على الاسبرطيين الناجين منه . وبهذا التبرير فـــإن بلوتـــارخ يعـــارض أرسطو الذى جعل نظام الشرطة السرية متزامناً مع ليكورجـــوس ، ويـــرى أحــد المؤرخين المحدثين أن هذا النظام كان قديماً جداً وانه مثل موروثات الايام القبليـــة فإنه كان يخدم وظيفة جديدة فى اسبرطة وإنه يمثل المرحلة الاخيرة فـــى تدريـــب الشباب الاسبرطى والتى تستغرق عاماً كاملاً قبل أن يعترف به كرجل ، وأن كـــل الشباب الاسبرطى كان يشارك فى تنظيم الشرطة السرية . ولكن هذا الـــرأى فيــه مبالغة وهذا ما نستشفه من قول بلوتارخ السالف الذكر "إن الحكام كـــانوا يرســـلون أشد الشباب حذراً وقوة" أى أن هذا النظام كانت عضويته قاصرة على نخبة منتقـــاة من شباب اسبرطة ، وعلى ما يبدو أن هذا النظام قد مر بتغـــيرات عـــبر الاجيـــال وهذا ما يؤكده قول بلوتارخ السابق كما أنه يقول إن الشرطة السرية كـــانت تشـــكل فرقة طوارئ فى الجيش الاسبرطى ، وكانت مسئولة ، بين واجبات أخرى ، عـــن القيام بمهام الاستطلاع .

وبعد أن ينهى الشباب تدريباتهم ويصلون إلى سن العشرين كانوا ينضمـــون إلى Pheiditra والتى سبق الحديث عنها وفى الفترة ما بين سن العشرين والثلاثيـــن

كان يقضى أغلب وقته فى المعسكر وخاصة للخدمة العسكرية بشكل دائم وبعد بلوغه سن الثلاثين يكون لديه المزيد من الوقت والحرية ، ولكنه يخصص الجانب الأكبر من وقته للشئون العامة وصوالح الدولة ويمكن أن يستدعى للخدمة العسكرية إذا ما كان هناك ضرورة لذلك ، ويعفى من الخدمة العسكرية عندما يصل إلى سن الستين وعلى جد قول ارسطو أن المشرع كان يريد أن تكون المدينة كلها خشنة .

نقطة أخرى تشير إلى شدة النظام الاسبرطى وهى الاهتمام بالنباتات فقد اعتقد الاسبرطيون أن المرأة القوية البنية الصحيحة البدن تنجب أطفالاً أصحاء أقوياء ، ولذا فقد مارست المرأة الاسبرطية الجرى ورمى القرص والرمح وذلك بغرض تقوية جسمها ، وذلك كله من أجل انجاب الأطفال الاصحاء ليكونوا جنداً للدولة وصمام أمنها فى المستقبل . وسنحاول الآن أن نعرض لدور ومكانة المرأة الاسبرطية .

المرأة الاسبرطية :

كان وضع المرأة الاسبرطية بصفة عامة فى اسبرطة خيراً منه فى أى مجتمع يونانى آخر فقد احتفظت فيها اكثر من سائر المدن اليونانية بمكانتها العالية وبالمزايا التى بقيت لها من ايام المجتمع القديم الذى كان الابناء ينسبون إلى أمهاتهم . ويقول بلوتارخ إن النساء الاسبرطيات كن يتميزن بالجرأة والرجولة وبالتشامخ على أزواجهن . . . وكن يتحدثن بصراحة فى أهم الأمور ويقول إن امرأة اجنبية قال لزوجة ليونيداس "أنتن نساء اسبرطة وحدكن تسيطرن على الرجال" . فأجابتها "ذلك لأننا وحدنا نلد رجالاً" . ويرى أن ذلك جاء نتيجة للتربية التى قررها ليكورجوس وليس كما يذكر أرسطو أن ليكورجوس فشل فى اصلاح المرأة الاسبرطية ولم يستطع كبح جماحها أو الاقلال من الحرية التى اباحها لهن أزواجهن إذ كان هؤلاء ملزمين بالابتعاد عن منازلهم لاشتغالهم بالحروب ؛تركوا

ادارتها للنساء فاستفحلت سيطرتهن حتى كانوا يدعون "سـيدات" . لقـد اسـتمدت المرأة الاسبرطية قوة شخصيتها من طريقة تربيتها . فلم تكـن البنـت الاسـبرطية حرة فى حياتها بل كانت خاضعة لقيود فرضتها الدولة عليها ، فإن كانت الدولة قـد تركتها لتربى فى منزل ابيها فقد كان يطلب اليها أن تقوم ببعض الالعاب العنيفـة ، الجرى والمصارعة ، ورمى القرص ، وإطلاق السهام من القوس وذلك كى تقـوى عضلاتهن وكى يصبحن قويات البنية صحيحات الجسم صالحات، فى يسر للأمومـة الكاملة وبذلك يكون أطفالهن أقوياء النبت شديدى الاصلاب يشبون شـجعاناً . لقـد ابعدت البنات عن رخواتهن وتزبيتهن فى ظلال الحيـاة الناعمـة ممـا يضعـف جنسهن، وقد عودت الدولة ظهور البنـات عاريـات أمـام الجمـهور كالشـبان ، والرقص والغناء فى الحفلات أمامهم وعلى مرأى منهم وكان يفرض على البنـات مشاهدة المسابقات وكن يوبخن من لم يفلح ويثنين على من اصاب وحقق الفـلاح . فكن بذلك يؤخذن الشبان بمنجاس ذى حدين يثرن فيهم التنافس فـى حـب الخـير وحب الفضيلة ، فمن نال منهن مديحاً واحس بالشهرة بينهن عاد مفـاخراً بثنائـهن كذلك كانت وخزاتهن لغير المفلحين أشد الاماً لنفوسهم من التوبيخـات العلنيـة لأن الحفلات لم تكن قاصرة على المواطنين بل كان يشهدها الشيوخ والملوك أنفسـهم . ويعلل لنا بلوتارخ عرى النساء إذ يقول " لم يكن فى تعريهن شيئاً مـن الخجـل إذ كان لهن فى الفضيلة والحياة حمى ولم يكن أحد يفكر فى سوء ، بالعكس كان لـهن ذلك اعتياد البساطة والعناية باجسامهن وسمو قلوبهن إلى ما فوق عواطف جنسـهن إذ يرين انفسهن قادرات على مساواة الرجل ومشاطرته المجد والفضيلة ، كما أنـه اعتبر سير البنات عاريات فى المواكب وقيامهن بالتمرينات الرياضية تحت انظـار الشبان من مثيرات الشهوة للزواج عند الشبان الذين ينجذبون اليهن بدافع الغرام" .

وقد كانت قوانين اسبرطة واعرافها تحض على الزواج وانجاب الاطفـال ،

فقد جعلت العزوبية عاراً ويحرم على العازب حضور الحفلات التى يرقص فيها الفتيان والفتيات عراة الاجسام . ويضطرهم الحكام أن يطوفوا الساحة عراة ينشدون وهم سائرين اناشيد ضد انفسهم منها " أنهم يعاقبون بعدل لعدم طاعته الشرائع" وكثيراً ما كانت جماعات النساء تهاجم فى شوارع اسبرطة الرجال الذين يعزفون عن الزواج وتمعن فى ضربهم وإيذائهم ، كما كان يحرم العزاب من الاحترام الواجب على الشباب للشيوخ ولذلك لم يلم أحد منا قيل للأعزب درسيليداس رغم كونه من مشاهير القادة ، ذلك أنه دخل على جماعة وكان بينهم شاباً لم يقف له احتراماً "ليس لك ولد يقف لى احتراماً" حتى الرجال الذين يتزوجون ثم لا يرزقون أولاداً يصبحون أيضاً عرضة للنقمة ، فإن أمثال هؤلاء لا يستحقون فى نظر الاسبرطيين شيئاً من الاحترام ، وقد سبق أن ذكرنا قصة الملك الذى لا تنجب زوجته وموقف الرقباء والشيوخ منه واقناعه بالزواج عليها حتى ينجب أطفالاً كما كان يطلب من الرجال والنساء أن يهتموا بصحة من يريدون أن يتزوجوهم . فقد فرضت على الملك أرخيداموس Archidamus غرامة لأنه تزوج بامرأة ضئيلة الجسم .

كان الزواج يمهد له عادة من قبل الابوين ، ويرى البعض أن الخطيب كان لا يدفع مهراً ولن أرسطو يقول أن مهورهن كانت ملكاً لهن ، وبعد اتفاق الاسرتين كان ينتظر من الشاب أن يخطف خطيبته بالقوة وأن تبدى هذه من جهتها أشد المقاومة وإذا لم يتم الزواج على هذا النحو فإنه جرت العادة أن يتم جمع عدداً من الرجال غير المتزوجين ومثلهم من النساء ويتم دفعهم إلى غرفة مظلمة ليخطف كل واحد منهن زوجة له ، ويعتقد الاسبرطيون أن مثل هذا الانتقاء ليس أكثر عمى من الحب . وكان ينبغى أن لا تكون الزوجة طفلة دون البلوغ ، بل رشيدة صالحة للزواج وسن الرشد بالنسبة للفتاة عندما تبلغ سن العشرين ومتى اختطفها الخطيب

سلمها إلى القيمة أو المشرفة على الأعراس فكانت تقص شـعرها وتلبسـها ثيـاب وحذاء رجلها وتنيمها على طبقة من أوراق شجر الأسل وتدعها وحدها بلا نـور ، يأتى الشباب غير مخمور ولا منهك القوى بملاذ ، بل فى اعتداله العادى بعد تنـاول طعامه فى الوليمة المشتركة ، ينسل إلى جانب عروسه ويحل حزامها ويحملها إلـى فراشه فإذا ما كان دون سن الثلاثين فإنه كان يقضى معها وقتاً قصيراً ثم يعدو فـى وقار إلى الخيمة التى أعتاد النوم فيها مع الشبان يستمر على ذلـك زمنـاً يقضـى نهاره وليله مع رفاقه لا يذهب لمشاهدة أمرأته إلا حذراً كأنه يختلس ذلك اختلاسـاً يخجل أن يراه أهل البيت ، تعينه المرأة من جانبها على اختلاس الفرص المناسـبة لزيارتها سراً ، وقد تستمر هذه الحالة زمناً طويلاً حتى إنـه ليحـدث أن يصـير الازواج آباءً قبل أن يروا نساءهم على ضوء النهار" كان من شأن هـذه العلاقـات مران الازواج على القصد والحكمة فقط بل تبقى لأجسامهم قوتها وخصبها وتحفـظ نشاط الخدة الاولى وتجدد الحب وتمنعهما اشباع شهواتهما التى ينهك الافراط فيـها الرغبات والقوى ، أما إذا افترق الزوجان على قد من بقيت فى نفس كل منهما بقيـة من لهب الغرام ودافع الحب والعطف . ويقول اكسينيفون إن الزوج كان لا يشـجع كثيراً فى أن يبقى كثيراً مع زوجته أثناء فترة زواجه الأولى" ويقول أن السبب هـو أن نظرية الاطفال الذين يولدون لزوجين فى شوق أحدهما للآخر يكونـون أفضـل من الذين ولدوا بعد معاشرة عادية . ويرى أحد الباحثين المحدثين أن هذا التفسـير من قبل كتاب العصر غير مقبولة لأنها لا تفسر التخفى الذكرى للعروسة ولا النقـل السرى فى الظلام من مكان إلى آخر قبل اتمام الزواج ، ويرى أن هذا باء لطقـس عتيق قبل اتمام الزواج استخدم كحيلة أو خدعة مصممة لخداع يقظة القوى الغيـورة التى تحرس العذرية ، ولحماية المغتصب من نتائج فعلته وأن اتمام الزواج بالنسـبة للزوج ، على الأقل نظرياً ، لم يكن دائماً عملاً مأموناً ويقول إنه ليس من العجيـب

أن تبقى مثل هذه الطقوس حية فى اسبرطة التى كانت أكثر المدن محافظـــة علـــى التقاليد . وفى رأينا أن هذا قد يفسر طقوس ليلة الزفاف ولكن لا يفسر الغياب عـــن الزوجة ولعل السبب وراء ذلك هو الانضباط العسكرى خاصة لمن هم أقل من ســن الثلاثين من الرجال والذين لم يكن يسمح لهم بشكل شائع الذهاب إلى السوق ولكـــن كان عليهم أن يرسلوا اصدقاءهم لشراء ما يحتاجونه لمنازلهم . ومن يفعل هذا كـــان يستحق اللوم ، حتى بالنسبة للرجال الكبار أن ينشغلوا بشئونهم الخاصة بـــدلاً مـــن توجيه انشطتهم لصالح الدولة . كما أن الاسبرطيين – على ما يبدو – قد قصـــدوا من ذلك أيضاً الرغبة فى إثارة العواطف وانجاب الاطفال الأصحـــاء كـــانت وراء انقطاع الأزواج فى الفترة الأولى من الزواج ، ولعل ما كان يحث مـــن ممارســـات وأمور فى اسبرطة من أجل انجاب أبناء أصحاء أقوياء يؤكد ذلك ومن هذه الأمـــور أنه كان يطلب من الرجال والنساء أن يهتموا بصحة من يريـــدون أن يـــتزوجوهم وبأخلاقهم . فقد فرضت غرامة على الملك أرخيداموس لأنـــه قـــد تـــزوج بـــامرأة ضئيلة الجسم ، كما أن ليكورجوس قد عمل تعليل فكرة الغيرة الكاذبة المتخنثة التـــى تحدث الشجار والاضطراب فى الحياة الزوجية ، فقد اباح الشركة فى الأولاد لمـــن اراد ، ومن آرائه أنه تجب السخرية بمن يريدون جعل الزواج مـــيزة شـــخصية لا يشاركهم فيها أحد ينتقمون ممن يعتدى عليهم فيها بالغدر والحرب وقد جعـــل مـــن المباح لشيخ تزوج من فتاة غضة الشباب أن يدخل إليـــها فتـــى شـــريف يحترمـــه ويحبـــه ، وأن يعترف بمن يولد له من دم ذكى كابن لـــه ، كذلـــك يبـــاح للرجـــل المتأنق الذى يولع بجمال حسناء متزوجة ذوات أولاد أن يطلبها من زوجها ليغـــرس فى تلك النبتة الخصيبة ويلد أولاداً اقوياء يمنحهم كبار النفوس دمـــاءهم والقابـــهم . لقد اعتقد ليكورجوس أن الاولاد ليسوا لآبائهم خاصة بل جميعهم ملك للدولـــة ، أن يكون النسل للأكثر جدارة من المواطنين ، ونجده يسخر من حماقة وكبرياء ما ســنه

المشرعون الآخرون للزواج وقال منتقداً اياهم أنهم يبحثون لكباتهم وافراسهم خــير الكلاب وأكرم الخيول يتوسلون إلى اصحابها بالرجاء والأموال ويحجــرون علــى نسائهم يحتمون عليهم ألا يكون لهن أبناء إلا من بعولتــهن ولـو كـانوا اغبيـاء ، عاجزين ، مرضى ، كأن ليس من الخزى للآباء والمربين قبل غيرهم أن يكون لـهم ابناء ضعفاء من سلالة آباء ضعفاء ، وكأن ليس من السعادة أن يكون لـــهم ابنـاء أقوياء يشبهون آباءهم فى القوة وسلامة البنية . وهكذا لقد كان الغرض مــن هــذه الاجراءات وفقاً لاجماع الاقدمين هو انجاب الذكــور الأقــوى اجســاماً والأجمـل وجوهاً من سائر رجال اليونان وأن تكون نساؤهم أصح وأجمل من ســائر نســاء اليونان ، ولكن أغلب الظن أن هذه النتيجة يرجع أكثرها إلى التدريب لا إلى العنايـة بالنسل وحدها . وفى ذلك يقول ثيوكيديديس على لسان الملك أرخيدامــوس "قــلّمَا يكون ثمة فرق بين الرجل والرجل ولكن الذى يتفوق فى آخر الأمر هو الذى ينشــأ فى أقسى مدرسة" وهكذا فإن الانضباط العسكرى والرغبـــة فـــى انجـاب اطفــال اصحاء كان وراء انقطاع الزوج عن الزوجة . وإن كان انجاب اطفال اصحاء قـــد أدى إلى الممارسات السالفة الذكر .

لقد رأينا أن الزوج قد يختار لزوجته الرجال الاقوياء والنبلاء أو أن النبــلاء كانوا يسألون أزواج النساء أن يقيموا علاقات معهن كما نعلم فى بعض الحــالات أن هناك تعدد الازواج ويرى البعض أن هذا النظام كان سببه عدم تقسيم الاقطــاع وأن الوالى قد استقر فى عدة حالات بالنسبة لزوجة الابن الأكبر أن تكون أيضاً زوجـــة لكل أخوته ، كما أن تعدد الازواج للزوجة الواحدة قد جعلها سيدة الاملاك .

ويقول بلوتارخ أن نظام ليكورجوس لم يؤد بالاسبرطيات إلى التساهل بـــأكثر

مما كن عليه ، فقد قيل أن الزنا [1] لم يعرف فى اسبرطة . ويستشهد بلوتارخ باجابة قالها أحد الاسبرطيين رداً على سؤال لاجنبى ما هو عقاب الزانى فى بلادكم ؟ فاجابه الاسبرطى لا زنا فى بلادنا ، قال الاجنبى وإذا حدث ؟ يلزم الزانى بثور طويل العنق يستطيع أن يشرب من نهر يوروتاس وهو فى أعلى جبل تايجيتوس ، قال الاجنبى وكيف يحصل على ثور فى مثل هذا الطول ؟ فاجابه الاسبرطى ضاحكاً وكيف يوجد فى اسبرطة زنا [2].

والطلاق كان نادراً وغير مستحب ، ولكن كان يتم فى حالة عدم الانجاب وإذا لم يتم طلاق فى حالة عدم الانجاب كان الزوج يتزوج بامرأة ثانية وهذا ما نعرفه من قصة الملك الاسبرطى الذى كانت زوجته عاقراً ورفض تطليقها ونصح بالزواج من أخرى عليها من قبل الرقباء والشيوخ وامتثل للأمر .ولكن على ما يبدو أن هجر الزوجة بدون سبب وجيه والزواج من أخرى كان يعاقب عليه الزوج فقد عوقب القائد الاسبرطى المشهور ليساندر لأنه هجر زوجته واراد الاقتران بامرأة أجمل منها .

وكانت المرأة الاسبرطية ترث وتورث وتوصى بثروتها إلى من تشاء ، وكانت تخرج للأسواق وتشتغل بالتجارة ، وكونت ثروات طائلة وقد أتى عهد على اسبرطة كانت فيه نصف ثروة البلاد فى أيدى النساء بفضل ما كان لهن من سيطرة قوية على الرجال ونظراً لأن الرجال كانوا ممنوعين من تملك المعادن

---

(١) إن الحالات السالفة الذكر من اختيار الزوج الشاب القوى لزوجته أليس زنا ؟كما أن اسطفوان الشاب الوجيه القوى للزوج كى يخالط زوجته أليس هذا زنا كما أن تعدد الأزواج للمرأة الواحدة أليس هذا هو الآخر زنا !

(٢) تأثر أفلاطون بهذه الممارسة وقد انعكس ذلك فى كتابه الجمهورية حيث منع الزواج بين طبقة الحكماء .

النفيسة ، كما أن الكثير من الاسبرطيين الذين كانوا يحصلون بمختلف الطرق غير المشروعة على ثروات طائلة ويخافون افتضاح امرهم يسجلون املاكهم فى اراضى الحلفاء باسم الزوجات . وكأن النساء هن اللواتى يقمن بشراء هذه الاراضى وبيعها واستثمارها . ويصدق هنا قول أفلاطون أنه قد نظم الرجال فقط فى اسبرطة بينما تركت النساء حرة وتعيش حياة ثرية . وقد وجدت ثلاث عوامل أدت إلى حرية النساء الاسبرطيات خارج منازلهن أكثر من المدن الأخرى وهى :

(١) وضعهن المالى فقد تركزت الثروة فى أيدهن وكلما زادت ثروة المرأة ازدادت سلطتها وقوتها .

(٢) التمرينات الرياضية وظهورها عارية فى شبابها أمام الشباب .

(٣) غياب الرجال فى المعسكرات وعدم الانتظام فى المبيت فى البيت إذا ما كان الزوج تحت سن الثلاثين أو الغياب فى الخرج فى عصر الامبراطورية الاسبرطية إذ يقول أرسطو ناقداً : اثناء فترة امبراطورية اسبرطة كانت النساء تدرن عدة اشياء وما الفرق هنا بين حكام يحكمهن نساء وحكومة فعلية من النساء ؟ ونستشف من هذا أن اسبرطة كانت محكومة بحكومة النساء Gynaikakratia وبعد أن عرضنا لاوضاع الاسبرطيين سنحاول أن نلقى الضوء على بعض سماتهم .

(١) إن نظام الوجبات المشترك قد جعل الاسبرطيون الاغنياء والفقراء على السواء يأكلون نفس الطعام وكان طعاماً رديئاً دائماً ، وهذا النظام أزال الاحتكاك بين فئات المواطنين ؛ لأن اختلاف نوعية الطعام يؤدى إلى التفرقة والثورة ، ويقول أفلاطون على لسان ميجيليس Megilles فى كتاب الجمهورية أنه لا توجد حفلات شرب وسكر فى اسبرطة ولا فى أى مدينة تابعة لها كما يعاقب

كل سكير . ويقول اكسينيفون أن الملك أجيسلاوس Agesilaes كـــان يعتـــبر السكر والثمالة نوعاً من الجنون . فلأن حالات الثمالة الجماعية فى مـــهرجانات أو حفلات يمكن أن تكون فرصة ينتهزها الهيلوتس للثورة . ويقـــول كريتـــاس Kritas فى نهاية القرن الخامس ، إن الاسبرطيين قد اشتهروا بعـــدم رغبتـــهم فى تناول المشروبات الروحية . ولكن يمكن أن يدل السكر والثمالة على حالـــة ثراء من يقومون بذلك أمام الفقراء وهذا ما ترفضه اسبرطة .

(٢) كانت ملابس ابناء الاغنياء والفقراء واحدة ولا فرق بينهم ويشيد ثيوكيديديـــس باعتدال الاسبرطيين فى الملابس ورغبة الطبقات الثرية فى أن تكون ملابســـها مثل المواطنين العاديين . ومع ذلك فقد ظهر التفاوت على سبيل المثال بالنســبة لسباق المركبات . ففى بدية القرن الرابع للميلاد تدفقت الثروة على اســـبرطة من امبراطوريتها وأدى ذلك إلى حدوث التوتر ويذكر اكســـينيفون أن الملـــك أجيسلاوس قد ذكر أن صناعة المركبات الفاخرة التى تجرها الجياد لـــم تكـــن أبداً من الصفات الحميدة ولكن فقط لاظهار الثروة ومع ذلك نعرف أن شـــقيقته كينيسكا Kyniska كانت تنفق عل فري انتصر فـــى ســـباق المركبـــات . ولا ندرى إذا ما استطاع اجيسلاوس الاقلال من اهتمام الاثرياء بهذه الرياضـــــة . ولكن تكشف المصادر أن هناك سيدات ثريات قد قمن بالانفـــاق علـــى فـــرق عربات أخرى والدخول فى سباقات ولا شك أن الغرض من هذه السباقات كـان الغرض منه استعراض الجاه والثراء وليس شىء آخر .

(٣) لجأت اسبرطة إلى اثارة روح التنافس والغيرة والشجاعة فى مواجهة المـــوت بين الاسبرطيين منذ نعومة اظافر الاطفال ويقول اكسينيفون إن اسبرطة كـــانت تبث عمداً روح المنافسة والاسبقية بين شبابها عمداً فكان المتنافسون ينقضـــون على بعضهم بعضا فى ملاكمة عنيفة حيثما اجتمعوا ، وقد سبق أن تحدثنا عـــن

تشجيع الفتيات للمنتصرين وتوبيخهن للمهزومين وصلابة الشباب والاطفال فى تحمل الآلام . وكان اليونان يؤمنون تماماً بشجاعة الاسبرطيين الاستثنائية ، ويقول ثيوكيديديس إن قرار ١٢٠ مقاتلاً اسبرطياً أن يستسلموا عند محاصرتهم فى اسفاكتيريا بدلاً من الموت اثناء القتال اعظم وأغرب أمر شاهده العالم اليونانى كله أثناء حرب البلوبونيز . وأيضاً نجد أن اسبرطة بعد أن استردتهم قد حاكمتهم ونزعت عنهم صفة المواطنة ولكنها اعادتها اليهم فيما بعد . تكشف لنا المصادر عن أن الاسبرطيين كانوا يحترمون ويمجدون الموت فى ميدان المعركة . يقول اكسينيفون إن الحزن قد عم اسبرطة بعد الهزيمة الكبيرة فى ليخانيون Lekhanion اثناء الحرب الكورينثية . فيما عدا الذين قُتل اباؤهم وأخوتهم هناك ، فكانوا مسرورين كما لو كانوا قد كسبوا المعركة وذلك لأنه قد تم تمجيد عائلاتهم . وفى موقعة لوكترا نجد أن الرقباء قد شعروا ببعض الحزن وأمروا النساء بألا يصرخن ، ولكن فى اليوم التالى خرج الذين فقدوا اقاربهم فى أبهى حال وسرور بينما أن اقارب الباقين على قيد الحياة كانوا فى حالة كآبة وتعاسة . لقد كانت الفاة فى ساحة الوغى شرطاً لحفر اسم الرجل على شاهد قبره وأن الموت بشجاعة كان قد خلا للتكريم وفقاً لتشريع ليكورجوس .حيث كان الاسبرطيون يحتقرون كل من كان يرفض أن يكون شجاعاً فى المعركة ويذكر لنا هيرودوت حكاية جنديين من جيش ليونيداس فى موقعة ثيرموبولاى واللذين هربا من المجزرة . ويقال أن أحدهما واسمه بانتيتيس Pantites قد تم تخفيضه أو تنزيل فئته الاجتماعية بعد عودته لاسبرطة فشنق نفسه ، أما الآخر فهو ارستوديموس Aristodemos فلقد أهين كذلك ونعتوه "بالرعاش" ورفض الاسبرطيون الكلام معه ، ولكنه فى موقعة بلاتيا قاتل قتالاً عنيفاً ومات ويقول ثيوكيديديس نقلاً عن براسيداس أن اخوف

من الاهانة أحد علامات الجندية وقد عدد لنا اكسينيفون الاهانات التـــى يلقاهـــا الجبناء فى اسبرطة منها على سبيل المثال : لن يجدوا زوجات ولن تجد نســـاء عائلتهم أزواجاً لهن ولا يسمح لهم بأن يكونـــوا ســـعداء ، أى بالظـــهور فـــى الاحتفالات العامة وإلا ضربوا ، كما كان يجب عليهم اخلاء مقاعدهم لرجـــال أصغر سناً . وكما سبق أن ذكرنا سحب المواطنة أو تنزيل الفئة الاجتماعيـــة لهارب .

(٤) كان الاسبرطيون مقتصدون فى الكلام ويرفضون الكتب ، يقـــول بلوتـــارخ إن الاسبرطيين كانوا يعودون الاطفال على اسلوب من الكلام الحاد والقارص فـــى ملاحة ورقة ، يتضمن معان كثيرة فى كليمات قليلة وكانوا يطبعـــون الطفـــل على الصمت الطويل ويجعلون همهم فى مناقشة وفرة المعانى فى قليـــل مـــن الكلام . وكانت خطب الاسبرطيين موجزة واضحـــة الغايـــة أشـــد الوضـــوح سريعة النفوذ إلى عقول السامعين لقد كان ليكورجوس قصير العبـــارة جلـــى المعنى . ومن الامثلة : أن اشار البعض عليه باقامة الديموقراطية فى اســـبرطة فأجابه "ابدأ باقامتها فى بيتك . وجوابه على سائل سأله ، كيف نســـتطيع دفـــع غارة الاعداء ؟ فكان جوابه متى كنتم فقراء لا يطمع أحد فى نصيب أوفر مـــن نصيب سواه . وقوله عن الاسوار "ما من مدينة بلا سور متى كان ســـياجها لا الطوب بل قلوب الشجعان" . كما نجد رد الملك أجيس على الاثينى الذى قصـــو سيوف الاسبرطيين بقوله "إن المصارعين يبتلعونها بســـهولة علـــى مســـارح اللعب" فأجابه الملك : "بهذه السيوف القصيرة نصيب اعداءنا عن بعد" وســـئل خاريلادس لماذا لم يسن ليكورجوس سوى قليل من الشرائع ؟ فقال : لأنه يلـزم قليل الكلام قليل من الشرائع . ويقول أرخيداميداس "إن من يعـــرف مواطـــن الكلام يعرف ايضاً متى يجب الكلام" . وحتى فى هزلهم لم ينطقـــوا شـــيئاً أو

الكلام على غير هدى ، فقد اقترح على اسبرطى أن يذهب لسماع رجل يقلد البلبل فقال "سمعت البلبل ذاته" .

ونعرف من المصادر ولعلهم بالشعر الغنائى والغناء والموسيقى ، فكان شعرهم الحماسى يثير الشجاعة ويوحى الحماسة ويحمل عل جلائل الاعمال فكان يطرى من ماتوا فى سبيل اسبرطة ويذم من اظهروا الجبن ، يصور حياة هؤلاء بين الاحزان والتعاسة فى اسلوب بسيط ، ونعرف من المصادر أن الاسبرطيين كان ولعهم بالغناء فكنوا يقسمون أنفسهم فى ثلاث فرق غنائية حسب الاعمار فى الاحتفالات والمهرجانات ، وكانوا ينشدون الشعر والغناء بمرفقة الموسيقى . ويقول ترباندر هناك تزدهر شجاعة الجنود والانغام الشجية والعدالة حامية المدن .

نعرف تماماً أن الاسبرطيين فى العصر الكلاسيكى لم يتركوا لنا كتباً بالمرة ولم يذكروا شيئاً قد قرأوه ولكن بقيت لنا بعض النقوش المكتوبة من العصر العتيق والكلاسيكى أيضاً وبعض الرسائل التى كتبها القادة العسكريون إلى سلطات مدينتهم وورد ذكرها فى المصادر الأدبية ومن هذه الرسائل رسالة ارسلها الاسبرطيون بعد هزيمة مندراوس Mindaros ٤١٠ ق.م والتى استولى عليها الاثينيون وتقول الرسالة "لقد انتهت الايام المجيدة ، قتل مندراوس . لقد جاع الرجال ، لا نعرف ماذا نفعل" . ويقدم لنا الملك أرخيداموس سبب عدم انتشار الثقافة بين الاسبرطيين إذ يقول إن الاسبرطيين لم يكونوا متقفين لكى لا ينتقدوا دستورهم ، ونفهم من ذلك أهمية عدم القراءة واستخدام الكتب عندهم فالقراءة قد تؤدى إلى الخلاف السياسى كما أن الكتب من خارج اسبرطة ذاتها سوف تأتى بأفكار غريبة غير مرغوب فيها .

وبعد أن عرضنا لفئة الاسبرطيين وأحوالهم ننتقل الآن للحديث عن الفئة

الثانية وهى فئة المزارعين المربوطين بالأرض .

(٢) المزارعون المربوطون بالأرض :

ترينا المصادر الأدبية أن الغزاة الدوريين والقبائل الارنبية والنسالية قد تصرفوا في المدن التي احتلوها وحلوا بها ، بأن استرقوا الاهالي البائس فيها ، وصار هؤلاء يمثلون أدنى طبقة في السلم الاجتماعي في تلك المدن . وهذا ما كشفت لنا عنه التنظيمات الاجتماعية في أرجوس وسيكون وابيداروس وميجارة وفي تساليا ولوكريس وتراخيس وفي المستوطنات التي اسستها المدن الدورية في هيراقليا بونتيكا Heraclia Pontica وبيزنطة وسيراكوز . فقد وجد في أرجوس ، وهى واحدة من أقدم المدن الدورية في البلوبونيز ، طبقة الـ Gymnetes أو Gymnesitoi والكلمة تعنى "عراة" وقد اشار اليهم هيرودوت بقوله "إن كل شيء كان في أيدي العبيد لبعض الوقت في أرجوس" كما قارن كل من بوليوس بوللوكس J. Pollux (من نهاية القرن الثاني م.) واستيفانوس من بيزنطة (من القرن السادس) ، بين هذه الطبقة وطبقة الهيلوتس الاسبرطية وقد وجد قسم مماثل في سيكون أسماه الكتاب القدامى "ثيوبومبوس" وبوللوكس واستيفانوس "الكورينيفوروى Korynephoroi " وفي ابيداروس كان هناك جماعة مماثلة اطلق عليها تسمية Komepoks والتي تعنى اصحاب الأقدام المتربة واستخدمت لوصف سكان الريف بالمنطقة ، وفي تساليا نجد جماعة مماثلة هى جماعة "البنستاى Penestai " وهى الفئة التي كانت تعمل في الارض المملوكة للسادة التسالبين . وفي لوكرس وجدت جماعة مماثلة هى الـ "ويكياتاى Woikeatai " والتي عاشت تحت نفس الظروف وأيضاً ربما جماعة Kyllekranes التي عاشت في تراخيس على خليج ماليا . وكانت جماعات الزراع في سيكون وأرجوس وابيداروس تتمتع بحرية شخصية أكبر من الهيلوتس الاسبرطيين ولم يتم ربطهم بالارض مثل الهيلوتس .

وتقدم لنا المصادر معلومات عن جماعات مماثلة فى بعض المستوطنات التى اسستها المن الدورية فى عصر الاستعمار . ويقدم لنا بوللوكس وبعض الكتاب القدامى قائمة لمجموعة من تلك الجماعات الخاضعة ذات الوضع المتدنى ومنها جماعة Mariandynoi وهم السكان الاصليون والذين كانوا يخضعون لمستوطنى هيراقليا بونتيكا فى شمال غرب اسيا الصغرى والتى اسسها المستوطنون الميجاريون فى القرن السادس . وقد وصف الـ Mariandynoi بحملة الهباب (Derophorai) لأنهم كانوا يسلمون حصة محددة أى سادتهم من انتاجهم . وقد قيل أن البيثينيين كان لهم وضع مشابه للهيلوتيس وكانوا يخضعون للمستوطنين الميجاريين الذين اسسوا مستوطنة بيزنطة فى بداية القرن السابع ، وفى سيراكوز فقد وجدت جماعة Kyllyrioi أو Killykrioi وهم السكان الاصليون والذين استرقهم المستوطنون الكورينثيون . ويقول هيرودوت إن الـ Kyllyrioi كانوا عبيداً لملاك الارض Gamoroi فى سيراكوز . أما عن كريت فقد كانت تتشابه فى نظامها إلى حد كبير مع النظم الاسبرطية فقد وجدت جماعة الـ Klaratae والتى تعنى المقيمين على الاقطاعات وكانوا مناظرين للهيلوتس . وسنعود للحديث عنهم عندما ننتهى من الحديث عن الهيلوتس والحلفاء الاسبرطيين . فلماذا وجد الزراع المربوطون بالارض بشكل رئيسى فى المدن الدورية ومستعمراتها ؟ ولمعرفة الاجابة ينبغى أن نبحث الوضع العام الذى ساد بلاد اليونان عند نهاية الالف الثانية وخاصة فى مرحلة تطور القبائل الدورية والقبائل المرتبطة بها ، فمن المرجح أن هؤلاء كانوا رعاة عند وصولهم إلى بلاد اليونان وأنهم عندما غزو الارض الزراعية قد استرقوا ما بقى من السكان الاصليين واستخدموهم فى زراعة الارض التى استولوا عليها وفرضوا عليهم تسليم حصص من انتاجها وذلك لعدم درايتهم هم أنفسهم بشئونها وتفرغهم للعمل العسكرى وإذا ما عرضنا الآن للهيلوتس

الاسبرطيين ، نقول إن الاسبرطيين كانوا قد قسموا أراضى نهر يوروتاس إلى اقطاعات ووزعوا حيازتها وليس ملكيتها فيما بينهم ، وكان يقوم بزراعتها جماعة الهيلوتس وهم الآخيين والدوريين وارتبطوا بالارض ولم يكونوا ملكاً لحائز الاقطاع وقد اختلف الباحثون حول وضعهم القانونى فيرى ثيوكيديديس أن كلمتى doulos و Oiketes "بمعنى عبد" تتطابقان تماماً مع الهيلوتس وهنا فإنه يرى أنهم عبيد . وفى نص المعاهدة المعقودة بين اسبرطة وأثينا عقب صلح نيكاس سنة ٤٢١ يوجد بند ينص على أنه إذا ما ثار douleia فإن الاثينيين سوف يساعدون اللاكيدايمونيين بكل طاقتهم . ويصفهم باوسانياس بأنهم عبيد الجماعة كلها من اللاكيدايمونيين بينما يصفهم بوللوكس مع جماعة Penestai والجماعات المشابهة السالفة الذكر من الزراع الخاضعين بأنهم كانوا إلى حد ما فى وضع بين الرجال الاحرار والعبيد . واعتقد البعض فى العصور القديمة أن الهيلوتس كان لهم وضع مختلف عن عبيد باقى المدن اليونانية لأن اسبرطة قد رأت أنهم ملك للدولة وليسوا ملكاً لافراد من المواطنين ونجد نفس التردد فى تحديد وضعهم بالنسبة للكتاب المحدثين ، فالبعض يصفهم بأنهم عبيد الدولة والبعض الآخر يقول أنهم اقنان أو اشباه عبيد والوصف المناسب لهم هو وصف بوللوكس لهم على الرغم من أنه لا يكون دقيقاً ولكنه يكشف على الاقل نقص الوضوح فى مفهوم الحرية والعبودية فى المجتمعات القديمة. فوصفهم بأنهم عبيد الدولة أو الجماعة أى أنهم كانوا على وجه الحصر تحت تصرف سلطة الدولة التى تملكهم فيمكنها أن تحررهم متى أرادت ومكنها لا تبيعهم فهم خارج نطاق المبادلات التجارية القانونية أى أنهم ليسوا سلعة قابلة للبيع والشراء . وقد وزعتهم الدولة مع الارض المقطعة للمواطنيين الاسبرطيين ومن ثم فإن الحائز على الاقطاع كان بشكل آلى سيد الهيلوتس المقيمين على اقطاعه ولكنه لا يملكهم ولا يمكنه أن يبيعهم أو يتصرف فيهم

بالاعتاق ولا يمكنه طردهم من الارض فهم ليسوا سلعة قابلة للبيع والشـــراء أو لأى شكل من اشكال التصرف ، كما أن حائز الاقطاع لا يملك الســلطة أو الحــق فــى زيادة أو طلب زيادة للحصة التى قررتها الدولة له من الاقطاع تحت عقوبة اللعنـــة، بل أن الهيلوت لا يدين بشيء للحائز سوى الحصة المفروضة عليـــه يسـلمها لـــه والدولة وحدها هى التى لها الاهلية لتغير شروط العقد والذى فرضته وحدها وهكـذا فقد كانت حقوق السيد محدودة . وفى المقابل فـــإن الـــهيلوت لا يمكنـــه أن يـترك الاقطاع بل ينتقل بانتقال الاقطاع لحائز آخر فقط وكان للهيلوت حقوق منـــها أنــه يمكنه أن يزرع نسبة من الارض التى يزرعها بالطريقة التـــى يرغبـــها ، كمـــا أن الاقطاع كان فى انتظار اخلافه وورثته . وفى ضوء ما قدمنا فلا يمكن أن نعتـبرهم عبيد بالمفهوم القانونى . فكنوا يتزوجون ولا يمكن للمرء أن يشترى هيلـــوت مــن سوق العبيد . كما أن الزيجات كانت تتم بين النبلاء والهيلوتس وكانت تثمر ذريـــة وهذه الذرية كان لها الحق فى المواطنة إلى حد ما . كمـــا أن مـــلاك الارض فـــى اسبرطة بعد أن ابيح اجراء التصرفات القانونية لم يكن لهم الحـــق فـــى بيعـــهم أو التصرف فيهم إنما كان هذا الحق قاصراً على الدولة ، فتخبرنا المصادر أنــــه فـــى القرن الثالث باع الكلك كليومينيس الحرية للهيلوتيس بخمس مينبـــات للفـرد منـــهم وحصل على مبلغ خمسمائة تالنت من شراء ستة آلاف هيلوت لحريتـــهم وبعدهـــا صاروا مواطنين من الدرجة الثانية . كما أن هناك سمات تميز الهيلوتس عن العبيـد الأثينيين على سبيل المثال . فالهيلوتس كنوا يشكلون مجموعة جنسية واحـــدة وهـــم السكان الاصليين . ويتحدثون نفس اللغة وانزلوا على نحو مشـــترك إلـــى مرتبـــة الاتباع من خلال الفتح عند وصول الدوريين الذين اصبحوا سادتهم والذيـــن كونـــوا ارستقراطية . وعلى العكس فإن العبيد الاثينيين كانوا من أصول مختلطـــة بشـكل كبير ولا يمكن أن يكون لهم اسم جامع لهم كما أنه لا هوية لهم وكان يتم شـــراءهم

واستيرادهم مثل أى سلعة من الاسواق وكان من النادر استخدامهم فى الخدمة العسكرية والحالات المعروفة قليلة وقد حدثت فى ظروف طارئة ، بينما كان الهيلوتس يخدمون بشكل معتاد فى الحرب وكانوا يحصلون على حصة من الغنائم، ومن يتحرر منهم كان يعتبر من المواطنين الجدد Neodamades ، كما أننا نسمع عن ثورات الهيلوتس ولا نسمع عن ثورات العبيد . كما نسمع عن زيجات بين الهيلوتس وبين الاسبرطيين وأن ابناء هذه الزيجات كان لها الحق فى المواطنة إلى حد ما . بينما نجد فى أثينا بعد قانون بركليز سنة ٤٥١ – ٤٥٠ والذى اعترف بالزواج بين الاثينيين الخُلّص فقط . ومن قبل كان يعترف القانون بذرية الاب الاثينى ولم يكن زواج الاثينى من أمه له شرعية . هذه لعبة الفروق بين العبيد وبين الهيلوتس . وفى ضوء هذا يمكننا أن نقول إن الهيلوتس كانوا يمثلون فئة خاصة حرمت من الحقوق السياسية والمدنية فى الدولة واعطيت بعض الحقوق وفرض عليها الكثير من الواجبات والاعباء .

أما الرأى القائل بأنهم فى وضع الاقنان وأنهم كانوا يتمتعون بجميع الحريات التى يتمتع بها أقنان الاقطاع فى العصور الوسطى فكان للواحد منهم أن يتزوج كيف شاء وأن يكون له ابناء لا يهتم بعددهم أو ما سوف يؤول اليه أمرهم ، ويستغل الارض بطريقته هو ، ويعيش فى قريته مع جيرانه ولا يقلقه مالك ارضه الغائب عنها ، مادام يؤدى إلى هذا المالك بانتظام ايجارها الذى حددته الحكومة وكان هذا القن مرتبطاً بالارض ولكن مالكها لم يكن فى مقدوره بيعه أو بيعها ، وكان فى بعض الحالات يؤدى خدمات منزلية فى المدينة ، وكان ينتظر منه أن يقوم على خدمة سيده فى الحرب وأن يحارب دفاعاً عن الدولة إذا ما طلب إليه أن يحارب من أجلها . وردنا على هذا الرأى أن الاقنان كانوا جزءاً من الامة فى العصور الوسطى بينما الهيلوتس ليسوا جزءاً من الأمة ولكنهم كانوا فئة مختلفة فقد

كانوا من السكان الاصليين اصحاب البلاد فى الغالب استعبدوا من قبل غزاة اجانب سلبوهم جانباً من حريتهم والفارق الاساسى بين الاسبرطى والهيلوت هو أن الأول يتمتع بامتيازات سياسية ومدنية بينما الثانى لا حقوق له أو حرم منها وبهذا المعنى فإن الهيلوتس كانوا رجالاً احراراً طالما أنهم لم يكن لهم سيد ولكن القانون وحكام الدولة قد ربطوهم بالارض ولم يكن لهم حق اختيار محل اقامتهم أو تركها . ومن ثم يصدق عليهم قول بوللوكس فإنهم كانوا بين الرجال الاحرار والعبيد ولا يمكنهم أن يتحرروا من ربطهم بالأرض إلا من خلال الدولة وقد يكون ذلك لشجاعة يظهرونها فى الدفاع عن الدولة فينالون حريتهم أو يمكنهم دفع مبالغ لتحريرهم من الارتباط بالأرض كما سبق أن ذكرنا وإذا ما تحرروا حقاً فإنهم كانوا يعاملون كمواطنين ناقصى الأهلية ويعاملون معاملة الحلفاء .

ولعل اسم Helots قد تم اشتقاقه من الجذر اليونانى Hel الذى يشير إلى الأسر على الرغم من أنه قد يكون قد اشتق من الكلمة Hele مستنقعات ويقول استرابون أن كلمة هيلوت مشتقة من Helos وهو اسم بلدة فرض الاسبرطيون على اهلها الاسترقاق وهى بلدة قريبة من مصب نهر يوروتاس . والمرجح أن الاسم كان اسم بلدة هيلوس القريبة من مصب نهر يوروتاس والتى كان بها مستنقعات وتم اسر واسترقاق اهلها ثم امتد الاسم ليطلق على تجمعاتهم فى لاكونيا كما اطلق الاسم على المهزومين فى ميسينيا بعد اسرهم .

كان الهيلوتس فى لاكونيا ، على ما يرجح ، من الآخيين الذين انزلهم الاسبرطيون إلى مرتبة الهيلوتس ولعل البعض منهم كان من ابناء للاسبرطيين الخُلّص ذوى العاهات والذين القوا بهم عند جبل تايجيتوس والتقطهم الهيلوتس للاستفادة بهم ومعاونتهم فى الاعمال الزراعية . وقد زادت أعدادهم زيادة كبيرة بانزال بعض العناصر الدورية والآخية فى ميسينيا لمرتبة الهيلوتس ، ويقول

هيرودوت أن عدد الهيلوتس كان سبعة مقابل اسبرطى واحد فى موقعة بلاتيا حيث كان الجيش الاسبرطى بكامل قوته ، ويقول اكسينيفون أن الاسبرطيين فى اسواقهم يكادون يضيعون بين الفئات غير المواطنة والأولى منهم وربما كان معظم هؤلاء من الهيلوتس .

لا نكاد نعرف عنهم إلا الشيء القليل ، فلا نعرف اسماً لواحد منهم وربما نصل إلى اسم احدهم ولعل الفتاة أولون Aulon كانت من الهيلوتس والتى كانت أجمل فتاة فى المدينة وكانت تجذب الاسبرطيين كبارهم وصغارهم هناك .

كان على الهيلوت أن يسلم حصة من انتاج الأرض التى يزرعها من الاقطاع وهذه الحصة كانت تمثل ثلث المحصول فى لاكونيا ، بينما كانت تمثل نصف المحصول فى ميسينيا . والمصادر لا تحدد لنا مساحة الاقطاع ؛ وكم كان عدد قطع الارض التى يقسم اليها ؟ لا يمكن أن نستخدم ما ورد من معلومات فى بداية القرن الخامس بأن نسبة الجنود الاسبرطيين بالنسبة للهيلوتيس فى موقعة بلاتيا كانت ١ – ٧ ، أى أن كل اقطاع سبع سبع اسر ولما كانت كل اسرة تزرع قطعة أرض من الاقطاع فإن الاقطاع كان مقسم إلى سبع قطع من الارض . ولكن هذا الافتراض بعيد الاحتمال فنعرف أن الهيلوتس كان عليم أن يقدموا ايجاراً ثابتاً قدره ٨٢ ميدمينى فضلاً عن مدفوعات أخرى ، وأنهم كانوا يسلمون ثلث المحصول بلاكونيا أو نصف المحصول فى ميسينيا وأنه مع أخذ متوسط سنوات وفيرة الانتلج وأخرى قليلة الغلة ، فإن انتاج الاقطاع يكون ٢٤٦ ميدمينى يحصل منها حائز الاقطاع على ٨٢ ميدمينى و ٢٦ ميدمينى للبذور و ٤ ميدمينى للعلف وتغذية الطيور الداجنة ، أما المقدار الباقى ١٢٢,٥ ميدمينى فإنه يكفى لعشرين فرداً على اساس ما يستهلكه الفرد يومياً ؛ ولذا فإن الاقطاع كان يزرعه اربعة اسر بمتوسط خمسة افراد ، وكال اسرة كان عليها أن تفلح مساحة تقدر بحوالى ٢٠

فداناً والجزء الاكبر منها حوالى ١٧ فداناً كان يخصص للقمح والشعير . وكل عـام كان يتم بذر نصفها بالحبوب ونصفها الآخر يترك مراحاً ومن مسـاحة ٨,٥ فـدان فإن الهيلوت يجنى ٦٢ ميدمينى من الحبوب فى المتوسط وثلث الكمية إلى الحـائز وبقية الارض كان يقسم إلى ارض خضراء فى المناطق الرطبة ، وحدائق واعنـاب وزيتون وتين ، وكان الهيلوت يقدم من محصولها حصة مناسبة لحـائز الاقطـاع ، وكان الهيلوت يحتاج إلى ثور وربما ثورين لأن الحاجة تكون ملحة اليه خاصـة إذا كان الجار غير طيب ولا يعيره ثوره فى أوقات الحرث ، ويحتاج إلى حمار لنقـل الحبوب والنبيذ . . . الخ ، إلى لمدينة ، وعدد قليل مـن المـاعز والاغنـام التـى يستخدم لبنها فى صنع الجبن ، وخنزيرة وذريتها ، وعدد من الاوز ، ولا ينبغـى أن ننسى وجود خلية أو خليتى نحل لانتاج العسل المطلوب للتحلية ، وكان الـهيلوتس يعيشون فى منازل فقيرة مقارنة ببيـوت الاسـبرطيين . كـان وضـع الـهيلوتس الاقتصادى طيباً ، فقد كان ميسوراً أو بعيداً عن الفقر وضامناً بقائـه فـى الارض وأنه لن يطرد منها ومن ثم فإنه يتمتع بقدر من الامان ، وكان يقدم ايجاراً ثابتـاً لا يتغير ، ولكن قد يكون الايجار ثقيلاً عليه فى السنة السيئة المحصول ، ومن جهـة أخرى فإنه كان يجعل على كل الربح فى السـنوات الوفـيرة المحصـول ، فكـان يحصل على ميزة الزيادة فى الانتاج إذا ما قام بـاجراء تحسـينات علـى قطعـة الارض التى يزرعها والتى تؤول له ولأسرته . وكان يملك كل الممتلكـات غـير العقارية وهذا لا يكون امتيازاً صغيراً ، كما أن الهيلوتس الذين يذهبون مع الجيـش فى كل حملة كان لهم الحق فى المشاركة فى الغنائم وفى نفس الوقت كان يمكنـهم بيع حصصهم فى الغنيمة .

ولم يكن دور الهيلوتس قاصراً على الزراعة ولا أنشـطتهم كـانت قـاصرة على زراعة قطعة الارض التى كانت صغيرة إذا ما زاد عدد افراد الاسـرة عـن

ستة افراد ، ويرى البعض أنه إذا ما زاد عدد الابناء عند الهيلوت ؛ فإن البعض منهم كانوا يدخلون فى خدمة الارستقراط سادتهم حائزى الاقطاعات ، وأنهم يصيرون Mothaces أو Mothones وهم نوع من الخدم والاتباع المنزلين الذين يعيشون مع السيد ، ويشكلون جزءاً من بطانته وحاشيته فى الاجتماعات والاعياد ويصاحبونه فى الحرب ويشاركون فى التدريب الاسبرطى . وكان هؤلاء رجالاً احراراً وليسو من المواطنين كاملى الاهلية بالميلاد ، وكانوا من خلال جدارتهم وقدرتهم يمكنهم الحصول على الامتيازات كاملة ويرى البعض انهم على ما يبدو كانوا الابناء غير الشرعيين من الاسبرطيين من نساء الهيلوتس ومن هذه الفئة ليساندر وجيليبوس Gylippus وربما Callicratidas كالليكراتيداس ، وربما كان من هذه الفئة ايضاً رجال من الهيلوتس تم اختيارهم (واطلق عليهم Epeunactoi) كى يتزوجوا النسوة الاسبرطيات وذلك لسد الثغرات بسبب استنزاف ونقص طبقة المقاتلين فى الحروب الميسينية فى القرنيين الثامن والسابع ونجدهم قد تبعوا الجيش وقاموا بالخدمات المعاونة ، وكان عددهم فى موقعة بلاتيا سبعة اضعاف الاسبرطيين ، ونجد منهم من خدم كرماة للحجارة بالمقاليع Ophetai ، وفئة المجدفين Desposenautai فى الاسطول الاسبرطى ، كما كانوا يسلحون تسليحاً خفيفاً ، كما نجد انهم قد خدموا كجنود مشاة ثقيلى العدة مثلهم مثل الاسبرطيين . وتشير المصادر إلى أنه قد تم تسليح ٧٠٠ هيلوت ارسلوا للقتال تحت قيادة براسيداس Brasidas بصفة استثنائية وكانت مكافأتهم أن صوت الاسبرطيون بأن الهيلوت الذين حاربوا مع الاسبرطيين يجب أن يكونوا أحراراً وأن يتم اعتاقهم ولهم مطلق الحرية فى أن يعيشوا أينما أرادوا ، كما يخبرنا ثيوكيديديس عن وعد الاسبرطيين لألفين من اشجع الهيلوتس بالحصول على حريتهم وبعد انتهاء المعركة قد منحوهم حريتهم . وهكذا فإن الهيلوت الذى كان يتميز بالشجاعة فى القتال كان

يلقى احتراماً ويفتح له الطريق للحصول على المواطنة هو وأبناؤه ولكن لـن تكـن المواطنة الكاملة الاهلية وإنما يصـير واحـداً مـن جماعـة المواطنيـن الجـدد (Neodamodae) وهذه الفئة ذكرت لأول مرة أثناء حرب البلوبونيز ، ويبدو أنـها اختفت بعد عهد اكسينيفون ، وكانت هذه الفئة مساوية لفئة الحلفاء فـي الحقـوق . ومن المرجح أن افرادها كانوا يتسلمون اقطاعات .

كانت نساء الهيلوتس تقوم بالخدمة فى منزل حائز الاقطاع وحمـل وربمـا تربية الاطفال غير الشرعيين للاسبرطيين ، ويشير اكسينيفون إلى الاعداد الكبـيرة من الاولاد الاسبرطيين غير الشرعيين بوصفهم شـباب حسـنى المظـهر وأنـهم اشتركوا فى حملة عسكرية اسبرطية فى بداية القـرن الرابـع ومـن المحتمـل أن امهاتهم كن من الهيلوتس ؛ وهكذا فقد كانت حياة الهيلوتس محتملة علـى ضفـاف نهر يوروتاس ، ولكن هل كان وضع الهيلوتس فى ميسينيا مختلفـاً عـن اقرانـهم اللاكونيين ؟ يرى البعض أن وضعهم كان مختلفاً للغاية ، فبعد فتـح ميسـينيا فقـد وزعت الارض بين المنتصرين وقد حالفت اسبرطة بعض التجمعات فـي ميسـينا بينما أنزلت نفراً من الميسينيين إلى مرتبة الهيلوتس ، وكان على هيلوتس ميسـينيا أن يقدموا لحائزى الاقطاعات للاسبرطيين نصف المحصـول ، وكـان عليـهم أن يخزنوا بذورهم للعام التالى من نصف حصة المحصول التـي يحصلـون عليـها والباقى كانوا يستهلكونه وعلى العكس فإن هيلوتس لاكونيا كنوا يقدمون حصة ثابتـة المقدار ومعقولة جداً ؛ ولذا فإن حالة هيلوتس ميسينيا كانت أكثر بؤسـاً . واسـتند اصحاب هذا الرأى على قول تيرتايوس الآتى : "هكذا أنزل الميسينيون إلى مسـتوى العبودية مثل دواب الحمل وفرضت عليهم اعباء ثقيلة وارغموا علـى أن يجلبـوا لسادتهم نصف غلة الارض" ولكن على ما يبدو أن هذا القول به مبالغة فكيف كـانت الدولة تسمح لحائز اقطاع على أن يحصل على حصة أكبر من الانتاج عن حصـة

زميل خصص له اقطاع فى لاكونيا ، وكما سبق أن قلنا أن درجة خصوبة الارض كانت هى الفيصل والاساس والتى جعلت الحصة هكذا كما أن الدولة كانت تعرف ما هى الحصة التى يحتاجها المواطن من انتاج الاقطاع وضمنته له للأبد وهذه الحصة كانت توزع هكذا ١٥ ميدمينى للزوج سنوياً أى ٢ خونيتس يومياً ومقدار ١٢ ميدمينى للزوجة والمقدار الباقى هو ٥٥ ميدمينى للأطفال والخدم ، ولهذا فالايجار كان يكفى لأسرة العدد . وإذا ما قررت الدولة زيادة هذه الحصة فى منطقة عن منطقة أخرى فإن ذلك سيحدث خللاً فى الدخول وبالتالى فلن يثير الاضطراب فقط بل سيؤدى إلى التفاوت المادى بين المواطنين .

جملة القول أنه نتيجة للايجار الثابت ومن مساحة الاقطاع الواسعة كان يحصل الهيلوتس على دخل طيب . إذ أن الايجار قد قدر على أساس معدل انتاج سنة منخفضة الخل كم أن أية تحسينات يدخلها الهيلوت فى الارض لرفع انتاجها وغلتها فإن الزيادة فى انتاج السنوات الجيدة والزيادة الناتجة عن التحسينات كانت تؤول إلى الهيلوتس . وإنه وبمرور الزمن نتيجة لتطور الزراعة ومضاعفة الانتاج فى لاكونيا فقد كون بعض الهيلوتس ثروات كبيرة مكنتهم من شراء حريته بمبلغ خمسمائة دراخمة لكل واحد منهم . ومما يدل على ثرائهم أن ستة آلاف قد اشتروا حريتهم . وعلى الرغم من رخائهم الاقتصادى النسبى فإنهم قد حرموا الحقوق السياسية وبعض الحقوق المدنية . فقد عاملهم الاسبرطيون بقسوة وشدة ، وكلما زادت حاجتهم إليهم فقد شعروا أنه من الضرورى أن يحتفظوا بقبضتهم قوية عليهم. فقد كان عدد الهيلوتس وموقفهم من العمل ورخاؤهم الاقتصادى وشجاعتهم كجند يمثل ميزة عظيمة لهم ولكن فى نفس القت فقد مثل خطراً شديداً على الاسبرطيين فقد كانوا محاطين بهم وهم أكثر إذ قدر عددهم ٢٢٤ الفاً ، ومن ثم فقد لجأوا إلى الشدة فى معاملتهم . ولم تضمن لهم قوانين اسبرطة أية حماية لهم ، وقد

انتقد بلوتارخ موقف الاسبرطيين منهم بقوله "إنه نظام قاسى وإنه غير شرعى" ، ويذكر أن الاسبرطيين كانوا يجبرون الهيلوتس على الافراط فى شراب الخمر ومتى ثملوا ساقوهم إلى ساحة الطعام العمومية ليرى الشباب ما هو السكر ، وكانوا يكرهونهم على أن يغنوا ويرقصوا أغانى ورقصات وقحة مزرية ويحرمون عليهم كل ما تحتوى عليه هذه الملاهى من خير وشر ، كما أنهم قد أجبروهم على ارتداء ملابس خاصة وأن يجلدوا سنوياً كى يذكرونهم بأنهم عبيد . وفى النهاية فإنه يصف العلاقة بين الاسبرطيين والهيلوتس بإيجاز شديد بالقول "أنه فى اسبرطة أن الأحرار كانوا أكثر حرية وأن العبيد كانوا أكثر استعباداً ويقول أيضاً نقلاً عن أحد كتب أرسطو التى ضاعت أن الرقباء كانوا يعلنون الحرب سنوياً على الهيلوتس حتى تعينوا قتل الهيلوتس وحتى لا يعد فعل ذلك رجساً ، كما أن هذا الاجراء كان يمثل برهاناً على قهر الاسبرطيين للهيلوتس ، وكان اعلان الحرب عليهم مصحوباً بسلسلة من الاجراءات ضدهم مثل استخدام الشرطة السرية بشكل دائم لقتلهم فى الليل وفى وضح النهار وكأن ذلك يمثل خطة منظمة لقتل الأقوياء لمنعهم من تولى الزعامة وابقاء الهيلوتس خاضعين ، كما أن قتل كل هيلوت يقابل ليلاً ربما كان لمجرد إثارة الرعب ، ولكن من الافضل افتراض أن الهيلوتس كانوا تحت حظر تجول ليلى كوسيلة لمكافحة أعمال قطع الطريق والحركات الثورية ، وكان أى هيلوت يقوم بالسير ليلاً يخرق قوانين سادته الاسبرطيين ويرجح هذا الرأى قول ثيوكيديديس إن الأثينيين قد استولوا على بيلوس Pylos الميسينية بمساعدة اللصوص الميسينيين إذ كنوا متواجدين آنذاك ، ويذكر أيضاً أن الاسبرطيين لم يتدربوا قبل ذلك على أعمال اللصوصية ونوع الحرب التى حدثت بعد ذلك . ونفهم من هذا القول أنه كان هناك حرب غير نظامية استمرت فى الاراضى الاسبرطية أكثر مما عرف والتى كان يقوم بها الهيلوتس الذين أبوا حياة الذل فى كل من

لاكونيا وميسينيا .

كما أن الاسبرطيين قد عملوا ليس فقط على قتلهم بل على نهب أرزاقهم وأملاكهم من خلال إباحة السرقة للشباب المتدرب تحت سن الثانية عشر ، وأيضاً لشباب الشرطة السرية ، ويرى البعض أن ذلك كان يمثل نوعاً من التدريب على حرب العصابات وقتل كل من يقابلون من الهيلوتس يلقونه فقد يكون من العصابات الخارجة عن القانون ، كما كنوا يقتلون كل هيلوت يشتبهون فيه دون محاكمة . وفى الواقع فإن الاجراءات قد عبرت عن قلق الاسبرطيين إذ يقول ثيوكيديديس إن الاسبرطيين كانوا قلقين بشكل دائم على أمنهم الداخلى ، وبشكل رئيسى من ثورة الهيلوتس ويروى لنا سوء معاملة الاسبرطيين لهم من خلال روايته أن الاسبرطيين كانوا قد اختاروا الفى رجل من الهيلوتس الشجعان لتحريرهم وتوجوهم بأكاليل الزهر وساروا بهم إلى الهياكل ليقدموا واجب الشكر للآلهة على ما أصابوا من الحرية وحدث بعد ذلك أن اختفى أولئك المحررون . ووفقاً لبعض الروايات فإن الاسبرطيين كانوا لا يدعوا أسلحتهم جانباً وأنهم كانوا على نحو دائم فى حالة استنفار لمنع وقوعها فى أيدى الهيلوتس ، كما أن أبواب منازلهم كانت مزودة بالمزاليج كى تساعدهم فى مقاومة الاعتداءات غير المتوقعة . ويقول أفلاطون أن الاسبرطى كان دمث الاخلاق مع الاحرار ولكنه متوحشاً مع العبيد douloi ويعتبرهم أدنى منه مثلما يتصرف أى انسان مثقف . ويذكر أرسطو أن الهيلوتس كانوا يعيشون حياة عذاب ، تآمر وكراهية للاسبرطيين ، وقد قدم لنا بعض المؤرخين معلومات عن كراهية الهيلوتس للاسبرطيين إذ يقول المؤرخ ثيوبومبوس أن الهيلوتس كانوا متوحشين وعدوانيين فى طرق تعاملهم مع الاسبرطيين ، ويلاحظ اكسينيفون الكراهية الكبيرة التى يكنها الهيلوتس والعناصر المقهورة للاسبرطيين وأن هذه الكراهية كانت كبيرة لدرجة أنهم كانوا يودون أن يأكلوهم

حتى وهم أحياء .

وعلى أى الأحوال فإنه على الرغم من المعاملة القاسية والشديدة من قبل الاسبرطيين للهيلوتس وكراهية الآخرين لهم فقد حظوا بوضع يقترب أكثر من حالة المواطنين الفقراء فى المدن اليونانية الأخرى أكثر من اقترابهم من حالة العبيد ، فقد كانوا من الدوريين والآخيين على السواء ويفوقون سادتهم عدداً .

٣ – الحلفاء :

كان يطلق عليهم مصطلح Peroikoi والذى يعنى السكان المحيطين أو الجماعات المحيطة التى تقيم بجوار أو حول اسبرطة . وكانت هذه الجماعات أو المدن لا تشكل ظاهرة فريدة قاصرة على اسبرطة بل وجدت قرائن تشير إلى وجودها فى بعض المدن اليونانية الأخرى مثل تساليا ، وأرجوس ، وإيليس . وكانت لهذه المدن الحليفة حكوماتها الخاصة ، ولكنها كانت موالية لتلك المدن وتتبعها فى سياستها الخارجية وتقدم لها الخدمات العديدة .

كان حلفاء الاسبرطيين يسكنون المناطق الجبلية التى تحد وادى نهر يوروتاس والمناطق الساحلية فى لاكونيا ، وزادت أعداد المدن الحليفة بعد غزو الاسبرطيين لميسينيا ؛ إذ أنهم قد جعلوا بعض التجمعات السكانية فى ميسينيا من الحلفاء ، أو أقاموا هم تجمعات حليفة لهم كما سبق أن ذكرنا . وقد بلغ عدد المدن الحليفة مائة مدينة ولكنها كانت مدناً صغيرة وبلغ عدد سكانها مائة وعشرين ألف نسمة . ويتحدثون اليونانية باللهجة الدورية . وقد فرضت اسبرطة على هذه المدن أن تعيش متفرقةً لكل منها حكومة محلية واتبعت سياسة فرق تسد حتى تمنع التوافق والعمل المشترك بينها هذا بالاضافة إلى منع الهيلوتس من معرفة اعدادهم الحقيقية مثلما فعلت بالنسبة للاسبرطيين ذاتهم حتى يظلوا يجهلون كل شىء عنهم وبذلك يضمنون أن يظلوا على خضوعهم لهم .

إن أصل الحلفاء الاسبرطيين يكتنفه الغموض فبعض العلماء يرى أنهم من الدوريين الذين أسسوا تجمعات عديدة فى لاكونيا وميسينيا ، وأن البعض منهم كان من الأخيين كما أن البعض الآخر كان ثمرة امتزاج كلا العنصرين السابقين فى منطقة استموس Hshmus وجيثيوم Gythium ، وهناك رأى آخر يرى أن البعض منهم كان من الاسبرطيين الخُلّص الذين أقاموا فى حاميات وعسكروا فى المناطق الاستراتيجية خاصة فى ميسينيا وأنهم على الرغم من أنهم اسبرطيون قد نزلوا بالتدريج إلى مرتبة Peroikoi بسبب بعدهم وعزلتهم عن اسبرطة ولأنهم أقاموا فى مجتمعات صارت مدناً قائمة بذاتها كما هو مرجح ، ومن ثم فقد سكّانها مواطنتهم فى اسبرطة لأن الرجل لا يمكنه أن يكون مواطناً فى مدينته الجديدة وفى اسبرطة فى أن واحد . ومن المرجح أن رأى من قالوا بأنهم من الدوريين والأخيين ومن اختلاط كلا العنصريين أقرب إلى الحقيقة فبقايا العناصر الآخية كانت ما تزال تعيش بين الحلفاء وخاصة فى جنوب لاكونيا وإن كان العنصر الدورى هو الغالب بينما الرأى الأخير والقائل بأن هناك اسبرطيين بينهم فهو غير مقبول لأن الاسبرطى كان لا يقيم إلا لفترة قصيرة خارج اسبرطة ، كما أن جنود الحاميات المتمركزة فى المناطق الاستراتيجية كانوا يخدمون لسن معينة يرجعون بعدها إلى اسبرطة . وتُرينا المصادر أن هذه المدن الحليفة قد شكّلت مع اسبرطة اتحاداً فيدرالياً كان لاسبرطة فيه الكلمة العليا إذ كان من حقها رسم السياسة الخارجية لهذا الاتحاد بينما تركت اسبرطة لحكومات تلك المدن الحليفة تنظيم شئونها الداخلية ولكنها كانت تحرص أن تكون تلك الحكومات أرستقراطية كما نجدها تتدخل فى شئونها الداخلية فى بعض الاحوال إذ يوجد فى المصادر ما يشير إلى وجود الحكام والقضاة الاسبرطيين فى المدن الحليفة ، ولكن لا يمكننا القول أن هذا الوجود كان بشكل دائم ولكنه حدث فى ظروف استثنائية كما تكشف لنا المصادر عن أنه كان

من حق الرقباء القبض على الحلفاء واحضارهم إلى اسبرطة فـــى القضايـــا التـــى تخص اسبرطة . أما القضايا التى تخص الحلفاء وحدهم ، فإنــــه مـــن المؤكـــد أن الحكام المحليين هم الذين ينظرونها . ويرى البعض أنهم كانوا يدفعـــــون ضرائـــب للاسبرطيين ، ويقول البعض الآخر أنهم كانوا يدفعونها بشكل غير منتظم والبعـــض الاخر يقول لا ندرى إن كانوا يدفعون الضرائب لاسبرطة . ولكن المعلوم أن جانبـــاً من دخل الملكين كان يأتى من اقطاعهما Temenas فى اراضى الحلفـــاء ، وفـــى الغالب فإنهم لم يدفعوا الضرائب لاسبرطة لأنهم كانوا يقدمـــون لاســـبرطة العـــون العسكرى عند الحاجة . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن مواطنى هذه المدن قـــد وصفوا بأنهم لاكيدايمونيون مثلهم فى ذلك مثل الاسبرطيين . وعلى الرغم من أنـــهم كانوا خاضعين سياسياً للاسبرطيين إلا أنهم كانوا متساوين معهم مدنياً .

كان الحلفاء ملزمين بالخدمة العسكرية فى الجيش والاسطول وكان يمكنـــــهم الوصول إلى المراتب العسكرية العليا . وكانوا فى البدايـــة يخدمـــون فـــى قـــوات منفصلة عن الاسبرطيين وكان تسليحهم مثل تسليح الاسبرطيين ، فقد خدموا كمشـــاة ثقيلى العدة مع الاسبرطيين فى موقعة بلاتيا سنة ٤٧٩ ق.م وكانت قواتهم تســـاوى قوات اسبرطة فى العدد ، إذ نجدهم قد قدموا خمسة آلاف مقاتل . وفـــى الســـنوات التالية فقد قدموا أعداداً كبيرة من القوات وصاروا عماد الجيش.وذلك نتيجة لتنـــاقص أعداد الاسبرطيين كما نجدهم يخدمون مع الاسبرطيين فى وحدات مختلطـــة ولعـــل هذا التغير قد حدث بعد الزلزال المروع سنة ٤٦٥ ق.م والذى انزل خسائر كبـــيرة فى اسبرطة وكانت اسبرطة تثق فى ولائهم إذ يشير اكسينيفون إلى حملة اســـبرطية فى بداية القرن الرابع والتى اشترك بها متطوعون من الحلفـــاء kaloi kagathoi ارستقراط أو سادة الريف كما نجد أن السلطات الاسبرطية فى ســـنة ٤١٣ / ٤١٢ ق.م قد كلفت أحد الـــ Peroikoi ويدعى فـــيرنيس Phyrnes أن يقـــدر الوضـــع

العسكرى فى جزيرة خيوس ، وبناء على تقريره ارسلت اسبرطة اسطولاً .

وترينا المصادر أنهم كانوا يخدمون فى الاسطول وأنهم كانوا جنوداً مهرة وشكلوا عماد الاسطول الاسبرطى فى جيثيوم ، كما وصل بعضهم إلى قيادة الاسطول ومن هؤلاء ديمايداس Deimaidas الذى قاد اسطولاً اسبرطياً فى فترة الحروب البلوبونيزية .

وعلى الرغم من اشتراكهم فى الجيش والاسطول فإننا لا نعرف شيئاً عن تعليمهم وتدريبهم العسكرى . ويبدو أنهم لم يتبعوا النسق الاسبرطى فى حياتهم فقد عرفناهم زراعاً وصناعاً وتجاراً .

قدم الحلفاء ايضاً خدمات كثيرة لاسبرطة فى المجال الاقتصادى فقد اعتمدت عليهم فى الصناعة والتجارة ، لأن الاسبرطيين قد حرموا بالقانون من القيام بأى أنشطة تجارية أو صناعية ، ولذا فقد امسك الحلفاء بزمام التجارة والصناعة فى لاكونيا وميسينيا . وبذلك كانوا الفئة الوحيدة فى اسبرطة التى مارست نشاطات متعددة من تجارة وصناعة وزراعة .

كان الحلفاء مثل مواطنى المدن اليونانية الأخرى زراعاً ، ويرى البعض أن زراعة الارض لم تجذب البعض منهم لأن أفضل الأودية كانت موقوفة على الآلهة وعلى الدولة . وأن الفئة التى كانت تشتغل بالزراعة تمثل الفئة الأكثر فقراً ، كما أن بعض الحلفاء عملوا بالرعى وكانوا أكثر ثراءً من الزراع لكثرة ارباحهم ، ولكن فى بعض الأماكن ، على الأقل ، فإن الغالبية العظمى قد اشتغلت بالأعمال المحرمة على الاسبرطيين وغير مسموح بها للهيلوتس ، ومن المرجح أن الغالبية العظمى من المواد والسلع التى ذكرها الكتاب الكلاسيكيون على أنها صنعت فى لاكونيا مثل الاسلحة والملابس الصوفية والاحذية والأثاث قد قام بصنعها حرفيون

من الحلفاء . وهذه السلع قد وجدت سوقاً رائجة فى اسبرطة وخارجها .

وتكشف لنا المصادر عن أن بعض الحلفاء قد عملوا بالتجارة وهذا ما نفهمه من عبارات اكسينيفون فى دستور اللاكيدايمونيين التى يقول فيها "إن ليكورجوس قد منع الحلفاء من اكتساب الثروة بصورة خاطئة" وقد كانت جيثيوم ميناء اسبرطة الرئيسى نظراً لموقعها الجيد كما كانت كوثيرا مركزاً لتجارة لاكونيا ويرى البعض أن ازدهار التجارة والصناعة فى هذه المناطق يعود غلى امتزاج الدماء الدورية بالآخية مما جعل الدوريين يتحولون إلى الصناعة والتجارة .

تباينت ثروات الحلفاء وذلك لتعدد الحرف التى مارسوها ولذا فقد انقسموا إلى فئة ارستقراطية ثرية kaloi kagathoi وفئة أخرى فقيرة وضيعة .

حافظ الحلفاء على ولائهم ووفائهم لاسبرطة فى أحلك الظروف ولكن ليس هذا غريباً إذا ما نظرنا إلى سياسة اسبرطة تجاه الحلفاء فقد كانوا حوالى ١٠٠ مدينة صغيرة لكل منها حكومتها المستقلة عن الأخرى ولذا لم تكن هناك فرصة لتوحدهم ضدها ، كما أن الحرية التى منحت لهم فى مجال التجارة والصناعة قد جعلت البعض منهم يحقق ثروات كبيرة ، فقد كان تجار الحلفاء امنين على أنفسهم وبضاعتهم من السلب ، كما أن شعورهم بالتفوق على الهيلوتس – والبعض منهم كان لديه هيلوتس – قد عوضا استياءهم من وضعهم الأدنى مرتبة بالنسبة للاسبرطيين ، ومع ذلك نجد هناك استثناءات إذ شارك بعض فى الثورة على اسبرطة فعندما اندلعت ثورة الهيلوتس الكبرى فى الستينات من القرن الخامس فقد أيدتهم مدينتان حليفتان فى ثورتهم ضد اسبرطة ، ومن المرجح أن بعض الحلفاء كان سيساند كونادون Konadon فى مؤامرته الفاشلة فى بواكير القرن الرابع وهذا ما نلمسه من رواية اكسينيفون عن هذه المؤامرة . فقد قدم لنا وصفاً لتفاصيل

المؤامرة وكيف نجحت السلطات فى مواجهتها والقضاء عليها قبل اشتعالها ونوجز هنا وصفه لهذه المؤامرة إذ يقول "فعندما كان الملك يقدم الأضاحى نيابة عن المدينة قال له عراف أن الآلهة كشفت له عن مؤامرة مخيفة ، وعندما قدم الاضاحى للمرة الثانية وللمرة الثالثة أكد العراف أن اسبرطة تتعرض للخطر لأن العلامات المقدسة تظهر له وكأنهم وسط أعداء . وبعد خمسة أيام من تقديم الاضاحى وقراءة العراف أتى شخص إلى السلطات وكشف عن تفاصيل المؤامرة وقائدها كونادون ويقول الواشى إن كونادون طلب منه أن يحصى الاسبرطيين الموجودين فى السوق وبعد أن عدهم وحسب الملك والرقباء واعضاء مجلس الشيوخ وآخرين وصل عددهم اربعين رجلاً . وبعد أن أتم العدد والاحصاء سأله عن سبب هذا فرد علية كونادون أنه يعتبر كل هؤلاء الاسبرطيين كأعداء ، أما بقية من كانوا فى السوق فإنهم حلفاء . وكان هناك ما يزيد على أربعة آلاف . . . كما كشف الواشى عمن سيناصرون المتآمرون فقال إن التأييد سياتى من المواطنين والحلفاء والهيلوتس ، وأن البعض من هؤلاء كان عنده الاسلحة وأنهم يمكنهم شراء الاسلحة مثل السيوف والمناجل والبلط والخناجر . . . الخ . وعندما سمع الرقباء لكل تفاصيل المؤامرة ، لم ينتظروا عقد الجمعية الخاصة بل جمعوا نفراً قليلاً من الجروسيا لتقرير ما ينبغى عمله لمواجهة هذه المؤامرة ، واستقر الرأى على استخدام الحيلة فى القضاء على مخططى المؤامرة وعلى رأسهم كونادون ، وقد بنوا خطتهم على أن يتم ابعاد كونادون عن اسبرطة بالحيلة وأن يتم القبض عليه خارجها حتى لا يثور الآخرون ، ويتم استجوابه وهو خارجها لمعرفة الشركاء فى المؤامرة وقد بدأ تنفيذ الخطة بأن طلب الرقباء من كونادون أن يذهب إلى ميسينيا ومعه نفراً من الاسبرطيين لاحضار عدد من الهيلوتس واحضار الفتاة بديعة الحسن والجمال التى سحرت الشيوخ والشباب على حد سواء . وبالفعل نجحت الخطة وتم

اخراجه من اسبرطة وتم القبض عليه خارجها وتم أخذ اعترافاته وتم القبض على شركائه وبعها اعيد إلى اسبرطة ونال الجزاء والعقاب المناسب .

ونستخلص من هذه القصة أن هناك تأييد من المواطنين ناقصى الأهلية ومن الحلفاء ومن الهيلوتس للثورة على الاسبرطيين الخلّص .

وبعد أن عرضنا للنظم الاسبرطية سنعرض بإيجاز للنظم الكريتية الدورية الشبيهة وليست المتطابقة مع النظم الاسبرطية . وردت اشارة عن الدوريين فى كريت فى الاوديسة ، ومع ذلك لا يمكن الاعتداد بها كدليل على استقرار الدوريين فى كريت قبل وصولهم إلى البلوبونيز . وقد عرفت كريت القبائل الدورية الثلاث هيلليس وديمانيس وبامفيلى مثلها مثل المناطق الدورية فى بلاد اليونان . ومن الواضح أن العناصر الدورية قد توافقت مع السكان الأصليين فى بعض مناطق الجزيرة على نحو أكبر مما حدث فى بلاد اليونان القارية . وتكشف لنا المصادر أن الهيمنة الدورية كانت قوية فى مدن وسط كريت مثل كنوسوس وأكوس Akos وليثوس Lythos وجورتن .

قام أرسطو بعقد مقارنة بين كل من النظم الاسبرطية والنظم الكريتية وكان من نتائج هذه المقارنة أن الاسبرطيين قد اقتبسوا الكثير من سمات نظامهم من النظم الكريتية . ويؤكد ذلك أيضاً بلوتارخ فى روايته عن زيارة ليكورجوس لكريت ومعرفته للنظم الكريتية ورغبته فى الاستفادة منها واصطحابه لأحد الشعراء الكريتيين إلى وطنه للمساعدة فى تطبيق ما رآه فى كريت من نظم . وكان النظام الاسبرطى نظاماً فريداً مقارنة بنظم الجزيرة . فقد وجد النظام الملكى فى الجزيرة ولكنه ألغى وحل محله مجلس Kosmoi بينما بقى النظام الملكى فى اسبرطة راسخ الأركان . كان يتم انتخاب أعضاء مجلس Kosmoi من الأسر

النبيلة والثرية فى الجزيرة بينما كان مجلس الرقباء الاسبرطى يتم انتخابه من كل الشعب . كما عرفت مدن الجزيرة مجلساً للشيوخ وكان يتكون من الرجال الذين تولوا منصب الحكام Kosmoi ووفقاً لأرسطو فإن عدد اعضاء هذا المجلس كان مساوياً لعدد أعضاء مجلس الجروسيا فى اسبرطة . والفرق بين المجلسين أن مجلس الجروسيا يتكون من شيوخ تعدوا سن الستين بإضافة للملكين بينما كان مجلس الشيوخ فى المدن الكريتية يتكون من الحكام السابقين .

كما نود أن ننوه إلى أن نظم المدن الكريتية لم تكن متطابقة فى جميع الوجوه فى الجزيرة وهذا ما يؤكده نقش رسمى فى دريروس Dreros بشرق كريت ويعود تاريخه إلى نهاية القرن السابع ، ويلقى هذا النقش بعض الضوء على نظام الحكم ، إذ يكشف عن أن المواطن الذى شغل وظيفة kosmos لا يمكن أن يعاد انتخابه قبل عشر سنوات ، وأن هناك عقوبات لخرق القانون ، ويشير النقش أيضاً إلى مجلس العشرين ومن المرجح أنه مجلس الشيوخ . كما وجدت اختلافات أيضاً بين النظم الاسبرطية والنظم الكريتية . فقد عرفت المدن الكريتية واسبرطة نظام الموائد العامة ولكن نجد أن حكومات المدن الكريتية هى المتكفلة بالانفاق على هذه الموائد وليس المواطنون كما هو الحال فى اسبرطة ، إذ أن المواطنين كما سبق أن ذكرنا هم الذين يدفعون حصصهم فى الموائد العامة . وإذا ما فشل واحد منهم فإنه يصبح مواطناً من الدرجة الثانية . وعرفت المدن الكريتية نظاماً تربوياً شبيهاً بالنظام الاسبرطى . فقد تم العناية بالاطفال وتدريبهم على الخشونة ولم يخدموا أنفسهم فحسب بل كانوا يخدمون الرجال البالغين أيضاً . وكان الأولاد الأكبر سناً ينظمون فى مجموعات للتدريب البدنى ولتعلم القراءة والكتابة والأغانى والموسيقى ، وكانت مجموعاتهم تشترك فى منافسات عسكرية بمصاحبة القيثارة والمزامير .

أما بالنسبة لحيازة الأرض ، فقد كان لتنوع الأجناس والاختلافات بين المدن الكريتية أثره الواضح فى اختلاف أشكال حيازة الأرض فقد انقسمت الأرض إلى قسمين أولهما الأرض العامة وثانيهما الاقطاعات الممنوحة للمواطنين . وكان يقوم بزراعة السكان الأصليون بعد أن اخضعهم الغزاة الدوريون . وكان يطلق على مزارعى الأرض العامة mnoitai وعلى مزارعى الاقطاعات الممنوحة (klaroi) يطلق عليهم klaeiotai وأحياناً aphemestai وأحياناً woikees . وقد أدرجه بوللوكس مثل helots مع الجماعات الأخرى التى سبق الحديث عنها فى العناصر المسترقة ووصفهم بأنهم يقعون موقعاً وسطاً بين الأحرار والعبيد .

أما فيما يتعلق بالتركيبة الاجتماعية فإن مدونة جورتن القانونية تقدم لنا ملامح غريبة : والقسم الأول منها يسجل الغرامات على مرتكبى الاعتداءات والمخالفات . وهذه الغرامات كانت تختلف باختلاف مرتبة مرتكبها ومرتبة الضحية ، فكانت أشد العقوبات تلحق بالفئات الدنيا وأخفها يوقع على الفئات العليا . ونعرف من المدونة أن المجتمع بالمدينة ينقسم إلى ثلاث طبقات هى :

١ – طبقة المواطنين كاملى الأهلية وهى الطبقة صاحبة الامتيازات السياسية والمدنية وكانت تدفع أدنى الغرامات فى حالة ارتكاب المخالفات .

٢ – طبقة apetairoi وتتكون من الرجال الاحرار الذين لم يكونوا اعضاء فى hetaireiai والتى لعلها تناظر phratries الاسبرطية .

٣ – طبقة الزراع woikees وبجانب هذا المصطلح فقد وجد مصطلح dola بمعنى العبد ومن الواضح فإن المصطلحين قد استخدما بنفس المعنى ولكن المصطلح الثانى على ما يبدو كان يشير إلى عبيد المنزل .

وتشير المدونة إلى أنه كان هناك تداخل بين هذه الطبقات وأن الزواج كان

ممكناً بين الاحرار والمزارعين المربوطين بالارض إذ تنص على أنه إذا ما انتقل عبد للعيش مع امرأة حرة وتزوجها فإن أطفالهما يكونون من الاحرار ، أما إذا ما انتقلت امرأة حرة للعيش مع عبد ، مع ذاك ، فإن أطفالهم كانوا يولدون عبيداً ، كما تشير المدونة إلى أن المجتمع كان يسمح بالعلاقات غير الشرعية وقد حدد الوضع القانونى للاطفال خاصة اطفال السيدات من طبقة المزارعين المربوطين بالأرض ، فكان أطفال نساء طبقة المزارعين المربوطين بالأرض غير المتزوجات يتبعون سادة آبائهم أو أخوتهم إذا ما كان الآباء قد ماتوا ، وطفل المرأة المطلقة كان يتبع سيد زوجها السابق إذا ما كان يرغب فى ذلك وإذا لم يرغب فإن الطفل يتبع سيدها . كما تحتوى المدونة على بنود خاصة بالميراث والتبنى والتى كانت تهدف دائماً للمحافظة على ممتلكات الاسرة غير مقسمة ، وإذا ما كانت المرأة هى الوريثة الوحيدة لممتلكات اسرتها فكان عليها أن تتزوج من اقارب والدها . كما تشير المدونة إلى حالة المرأة التى كان لها ابناء أحرار وعبيد وأن القانون أباح أن يرثها الأبناء الأحرار ، بينما حرم أبناءها العبيد من الميراث وإذا لم يكن لها ابناء احرار فإن الورثة كانوا يرثونها . ويبدو أن خناك تشابه بين وضع الابناء من زيجات غير متكافئة فى كل من اسبرطة وجورتن .

السياسة الخارجية :

وبعد أن عرضنا بايجاز للنظم الاسبرطية سنحاول أن نعرض فى عجالة الخطوط العامة لسياسة اسبرطة الخارجية . ذكرنا من قبل محاولة اسبرطة حل مشكلة الزيادة السكانية بها على حساب المناطق المجاورة لها وأنها ضمت لاكونيا وميسينيا كلها وأمنت حدودها فى القرنيين الثامن والسابع بأن أبقت على العديد من المدن حليفة لها ، وفى نفس الوقت استرقت مجموعات كبيرة من المواطنين فى تلك المناطق وكان من نتائج ضم لاكونيا وميسينيا أيضاً أن صارت اسبرطة أقوى

الدول اليونانية .

وكان على اسبرطة بعد ذلك أن تؤمن حدودها الشمالية ؛ ولـذا نجدهـا قـد اشتبكت فى سلسلة من الحروب مع الاركاديين والأرجوسيين . . ووفقاً لـهيرودوت لم يمنع الاركاديون من غزو أركاديا إلا نبوءة دلفية تلقوها والتـى حذرتـهم مـن غزوها ، ولكن النبوءة الدلفية فى نفس الوقت قد شجعتهم على مهاجمة مدينة تيجيـا الواقعة فى القسم الجنوبى من سهل أركاديا ووفقاً لهذه النبوءة فقد سار الاسـبرطيون اليها بقيادة الملكين ليون leon واجيسيكليس Agesicles وهم يحملون الأغلال التـى سيسترقون بها التيجيين ، ولكن الدائرة دارت عليهم وتم تقيدهم فى الأغـلال التـى أحضروها معهم . ويروى هيرودوت أن التيجيين أهدوا بعض هذه الأغلال لمعبـد الربة أرتيميس فى تيجيا كتقدمة شكر على انتصارهم علـى الاسـبرطيين ، ومـن المرجح أن هذه الهزيمة قد حدثت فى مستهل القرن السادس ، بيد أن هذه الهزيمـة لم تمنع الاسبرطيين من ارسال الحملات العسكرية إلى تيجيا فـى عـهد الملكيـن اناكساندريديس وأرسنون ؛ وعلى الرغم من أن اسبرطة كان لـها اليـد الطولـى والمبادأة فى الحرب إلا أن الفشل كان من نصيبها فى مواجهتها مع تيجيـا ؛ ولـذا نجدها أمام منعة وصلابة التيجيين يبدو أن الاسبرطيين قد سألوا الوحى فـى دلفـى عن السبيل لنجاح خططهم فى مواجهة تيجيا وأتتهم النبوءة التى وعدتـهم بـالنصر ودلتهم على مفتاحه وهو أن ينقلوا عظام أوريستيس بن أجاممنون من تيجيـا إلـى اسبرطة ، ووفقاً لهيرودوت فقد نجح رجل اسبرطى فى زمن الهدنة بين كـل مـن اسبرطة وتيجيا فى حمل عظام رجل ضخم كانت موجودة فى ورشة حـداد تيجـى إلى اسبرطة ؛ حيث دفن فيها مع تقديم التكريم المناسب له ، وقد قدم لنا باوسـانياس وصفاً لمقبرة البطل أوريستيس فى اسبرطة . ويبدو أن اسبرطة قـد غـيرت مـن سياستها العدوانية تجاه تيجيا فبدلاً من محاولة ضمها والاستيلاء عليـها واسـترقاق

أهلها فقد عملت على محالفتها والتصالح معها ومعاملتها على أنها دولة مستقلة . ونجدها قد عقدت معها معاهدة بالفعل والتى التزمت تيجيا بتقديم العون العسكرى لاسبرطة عند الضرورة وهذا ما حدث بالفعل فى موقعة بلاتيا إذ شارك التيجيون فى المعركة . أما عن النبوءة السالفة الذكر فعل ما يبدو أن الاسبرطيين قد استغلوها أفضل استغلال ، فقد رموا من ورائها ضمان ولاء العناصر غير الدورية فى البلوبونيز ، وأن تظهر اسبرطة ، على الرغم من أنها دورية ، كحامية للعناصر السكانية الأصلية . وبذلك تضمن ولاء العناصر غير الدورية فى صراعها مع أرجوس القوية والذى امتد لأجيال كان النصر النهائى فيها حليفاً للاسبرطيين . وعلى ما يبدو فإن الحرب قد اشتعلت سنة ٥٤٤ بين الأرجوسيين والاسبرطيين ، فقد هاجم الاسبرطيون سهل ثيريا Thyria وكان محل نزاع بين كل من اسبرطة وأرجوس ، وقد قدم لنا هيرودوت وصفاً للمعركة والتى يمكن أن نسميها معركة البطولة . فقد اقترب الجيشان وبدلاً من التحمهما فى القتال ، فقد خرج من كل جيش ثلاثمائة مقاتل واحتفظ كل طرف بباقى قواته . واتفق الطرفان على أن من يكسب فى القتال يكون له الهيمنة والسيطرة على السهل ، ولكن لم يتفق الذين بقوا على قيد الحياة من المقاتلين من كسب ؛ ولذا فقد دخل الجيشان لتقرير من هو المنتصر وانتصر الاسبرطيون . ولكن ليس واضحاً إذا ما كان الطرفان قد عقدوا اتفاقية سلام فالمسألة غير معروفة ولا نعرف شيئاً عن القتال بين كل من أرجوس واسبرطة حتى عام ٤٩٤ ق.م ، وما نعرفه أن اسبرطة قد نجحت فى ضم ثيريا وسهلها إلى أملاكها هذا فضلاً عن السهل الساحلى الطويل الضيق الواقع جنوب ثيريا وعلى المنحدرات الشرقية لجبل بارنون وجزيرة كوثيرا . وهكذا اصبحت اسبرطة تهيمن على خمس مساحة البلوبونيز ، وكان من جراء ذلك أيضاً أن تمتعت بشهرة كبيرة ونالت احتراماً عظيماً بين العديد من

المدن اليونانية وصار لها لواء القيادة على أغلب الدول اليونانية من خلال المحالفات .

ويبدو أن اسبرطة كانت قد غيرت من سياستها التوسعية والعدوانية ولجأت إلى سياسة التحالف وتوسيع دائرة نفوذها بالوسائل السياسية ، وكان الرقيب خيلون هو صاحب هذه السياسة إذ رأى أن قلة عدد الاسبرطيين لا تسمح لهم بالتوسع والغزو ، كما لاحظ فى الوقت نفسه أن الحكم الاسبرطى أخذ ينهار فى أكثر المدن اليونانية وفى المدن المجاورة لاسبرطة ليقوم مكانه حكم الطغاة ، وأن الطغاة يسعون إلى تأسيس حلف بينهم والذى كان غايته أولاً : أن يساعد الطغاة بعضهم بعضا على دعم نظم حكمهم ، ثانياً : توحيد جهودهم لدرء الخطر الفارسى الذى كان يهدد بلاد اليونان كلها . ولذا فقد وقف موقفاً عدائياً من حكم الطغاة وعارض سياسة الاحلاف بينهم وقد عمل على أن تبقى اسبرطة بعيدة عنها وف نفس الوقت محاطة بحكومات ارستقراطية حليفة . ولهذه الغاية فقد أسس خيلون حلف البلوبونيز ولتشجيع هذه المدن للانضمام لهذا الحلف فقد جعله يستند على مبادئ واهداف تؤكد على مصلحة الدول والحلف ومن هذه المبادئ والاهداف ما يلى :

١- الاستقلال المطلق للدول الداخلة فى الحلف ، فهى ليست مكلفة بدفع أية ضريبة أو عسكرة قوات اسبرطية فى أراضيها ، بل يترك لكل واحدة منها الحرية التامة فى علاقاتها الخارجية مع جميع الدول الاخرى شريطة الا يكون فى ذلك ما يهدد الحلف .

٢- إذا ما نشبت حرب بين الحلف ودول أخرى ، فإن القيادة تكون لاسبرطة ، ويتعهد جميع اعضاء الحلف بتقديم الفرق العسكرية التى ت طلب منهم عند الحاجة ؛ أى أن هذا الحلف كان حلفاً دفاعياً هجومياً .

٣- تعضيد الحكومات الارستقراطية والأوليجرخية وفى نفس الوقت العمل على اضعاف بل القضاء على حكومات الطغاة كلما سنحت لها الفرصة والمثال على ذلك مساعدتها للارستقراطية الأثينية للقضاء على حكم الطاغية هيبياس .

٤- لقد رغبت اسبرطة أن تضمن مناصرة الحلفاء لها ضد الهيلوتس وثوراتهم وخير مثال على ذلك موقف تيجيا من قضية الهيلوتس إذ أغلقت حدودها فى وجه الآبقين منهم .

لقد حرصت اسبرطة أن يكون لها دور القيادة والرياسة بالنسبة لهذا الحلف إذ كانت هى التى تدعو الحلف للاجتماع وترأس جلساته وكانت القرارات تتخذ فى الاجتماع وفقاً لنظام الأغلبية .

وفى ضوء هذه المبادئ والأهداف فقد عقدت العديد من المدن الدول معاهدات بينها وبين اسبرطة على نسق المعاهدة المعقودة بين اسبرطة وتيجيا . ومن دول الحلف العديد من المدن فى أركاديا وايليس وسيكيون وبعض المدن الواقعة غرب أرجوس مثل ميكيناى وترينس وهيرميونى Hermione وتروتزون Trozen وابيداروس وربما جزيرة ايجينا وكورينثة وميجارا . ودليلنا على ذلك أن الجيش الاسبرطى عبر اراضى الدولتين فى طريقه إلى أتيكا للقضاء على الطاغية هيبياس وهذا يعنى أن اسبرطة كان لها نفوذها وعلاقاتها الودية مع كل من كورينثة وميجارا . وربما حاولت اسبرطة كسب حلفاء جدد فى اخايا إذ سعت لنقل عظام البطل تيسامينوس Teesamenus بن أوريستيس من مدينة هيلكى Helice إلى اسبرطة ، ولكن هذه المدينة رفضت الطلب الاسبرطى بل رفضت عقد معاهدة معها .

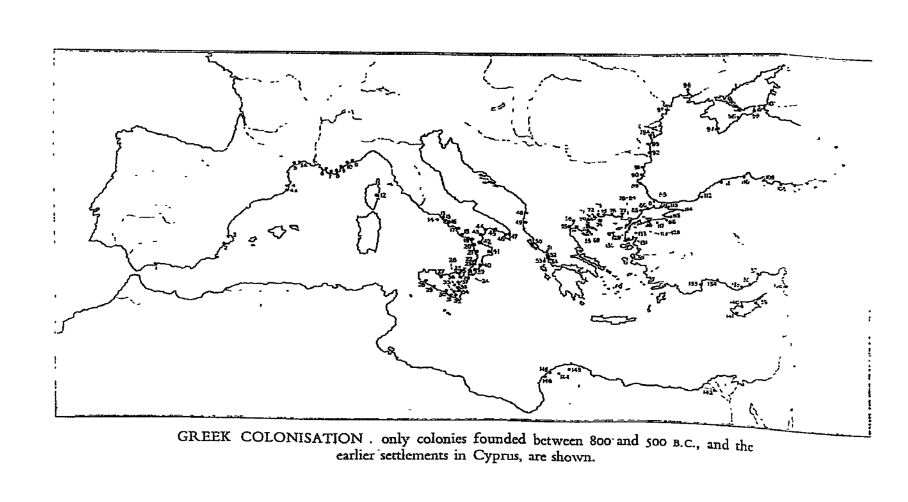
كان هذا الحلف يسمى حلف البلوبونيز والاسم القديم له هو حلف

اللاكيدايمونيين وحلفائهم . ففى وقت ما فإن المعاهدات الثنائية بين اسبرطة من جهة و المدن الأخرى الحليفة من جهة أخرى قد حل محلها معاهدة متعددة الأطراف و هذه المعاهدة ربطت كل الاعضاء فى المجلس الفيدرالى والذى كانت ترسل اليه المدن الأعضاء مندوبيها ومن هنا تغيرت الالتزامات الثنائية إلى الالتزامات المتعددة المتبادلة بين اعضاء الحلف ومن المرجح أن هذا التغيير قد حدث فى مؤتمر عقد فى فترة متأخرة من القرن السادس . وأن هذا الحلف قد استند على ما يأتى : أن الدول المشتركة فيه كان لها جانب من الحرية ، كما كان يحق لاسبرطة ممثلة فى الملكين مطالبة الحلفاء بتقديم بعض المطالب والوفاء بالالتزامات . وإن حدث تعديل فيما يخص وجوب حضور أو طلب الملكين معاً لهذه المطالب . ونستخلص هذا من رواية لهيرودوت على الرغم من أنها تثير الكثير من القضايا إذ يقول "بوقت كثير قبل أن يعبئ الملك كليومينيس قوات حلف البلوبونيز ضد أثينا ، لكن تمردت القوات الكورينثية فى اليوسيس وعادت إلى وطنها ، ثم بعد ذلك فإن الملك الاسبرطى دماراتوس انسحب من الحملة ، ونتيجة لهذه الاحداث انسحب الملك كليومينيس وسرح القوات ، وبسبب الخلاف بين الملكين فقد سن الاسبرطيون قانوناً نص على أن يخرج ملك واحد فى أية حملة عسكرية ، ويقرر أن مؤتمراً قد عد فى اسبرطة حيث أن الاسبرطيين قد عرضوا سياسة جديدة نحو اثينا والتى رفضها الحلفاء . ويذكر هيرودوت أيضاً أنه بعد عشر سنوات أى ٤٩١ ق.م ذهب الملك كليومينيس إلى أيجينا وحاول الحصول على رهائن ولكن القائد الأيجينى تحداه وزعم أن الأيجيين لم يرتبطوا ليطيعوا" كما رفض تسليمه الرهائن لأن الأمر قد صدر من قبل ملك واحد فقط ، وليس من الملكين ، ولهذا فقد عاد كليومينيس إلى اسبرطة ، وبعد مشاورات واستخدام الحيل فقد نجح فى أن يرافقه الملك الثانى إلى أيجينا وبالفعل حصل على الرهائن حينئذ من أيجينا . وهذه الواقعة ربما تشير

إلى وجود قاعدة فى الحلف وهى ينبغى طاعة الحلفاء للامر الصادر من قبل الملكين ، كما أن انسحاب الملك دماراتوس قد ترتب عليه أن الحلفاء لم يعودوا مرتبطين وملتزمين بالطاعة للملك كليومينيس ولذا فقد أجبر هذا الملك على تسريح القوات ، كما أن حادثة أيجينا تؤكد هذا الامر وأن الامر ينبغى أن يكون من الملكين وليس من ملك واحد . وأمام اصرار ايجينا فقد خرقت اسبرطة قانونها الذى اتخذته من قبل والذى لا يسمح إلا لملك واحد بقيادة الحملات العسكرية وخرج الملك الثانى بصحبة كليومينيس كى تحصل اسبرطة على الرهائن .

أقامت اسبرطة أيضاً علاقات وصلات خارج بلاد اليونان مثل مملكة ليديا ، ويقول هيرودوت أن الملك كروسيوس قد جهز حملة لحرب الملك قورش الفارسى سنة ٥٤٤ ق.م وقد ارسل مبعوثيه لعقد محالفة مع اسبرطة ، وأرسل كروسيوس إلى ذهباً لصنع تمثال للاله أبوللو ، ووافق الاسبرطيون على التحالف معه وأرسلوا من جانبهم هدية له عبارة عن اناء برنزى مزخرف ، وعندما بدأت الحرب بين الفرس والليديين ، طلب الليديون العون من حلفائهم الاسبرطيين ، وكانوا متورطين فى هذا الوقت مع أرجوس ، ويقال أن الاسبرطيين كانوا قد أعدوا اسطولاً من السف لارساله إلى ليديا وقبل أن يبحر هذا الاسطول وردت الاخبار عن سقوط سارديس وأسر كروسيوس .

كما أقامت اسبرطة علاقات مع مصر ، فقد أرسل الفرعون امازيس للاسبرطيين هدية من الكتان المطرز بالذهب .



GREEK COLONISATION . only colonies founded between 800 and 500 B.C., and the earlier settlements in Cyprus, are shown.

المحتويات

* تمهيد .... ١ – ٦
* التأثيرات المتبادلة بين الحضارة اليونانيـــة والحضـــارات الشرقية القديمة .... ٦ – ٥٤
* الموقع الجغرافى .... ٥٥ – ٦٤
* بداية التاريخ اليونانى .... ٦٥ – ٦٨
* أصل الشعب اليونانى .... ٦٨ – ٧٤
* عالم بحر إيجة وحضارته فى عصر البرنز .... ٧٤ – ١٣٧
  - ا – الحضارة الكريتية .... ٧٥ – ١٠٧
  - ب – حضارة بلاد اليونان القارية .... ١٠٨ – ١٢٨
  - جـ – حرب طروادة وعصر الأبطال .... ١٢٩ – ١٣٧
* العصر المظلم والهجرة الدورية .... ١٣٨ – ١٥٣
* الأشعار الهومرية مصدر تاريخى للعصور الباكرة ... ١٥٤ – ٢٧٣
* العصر العتيق .... ٢٧٤ – ٣٨١
* أسبرطة .... ٣٨٢ – ٤٨٦



